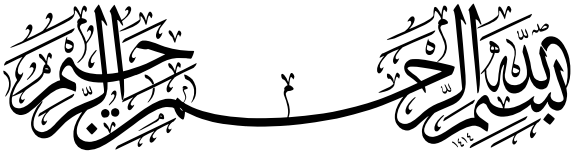


المؤتمر العلمي الدولي الثالث

عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام



وَلَهُ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ



فَاطِمَةُ الزَّهراءُ عليها السلام

جُرْحٌ فِي قَلْبِ الإِسْلَامِ لَمْ يَنْدَمِلْ بَعْدُ










بُحوثُ المُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الثَّالِث

عَنْ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمِينَ فَاطِمَةَ الزَّهْراءِ عليها السلام بِشِعار

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

(مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ وَمُسْتَوْدَعُ الأَسْرَارِ)

الجزءُ الثَّالِثُ / ١

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَين الحُسَينِيَّةِ والعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَين

بِمُناسَبَةِ المَوْلِدِ المُبَارَكِ لِلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام

أَقَامَهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

وكُلِّيَّةِ التَّربِيَةِ لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

مِنْ ٢٠-٢١ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٥هـ/٣-٤ كَانُونُ الثَّانِي ٢٠٢٤م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

مُرَاجَعَةُ وَضَبْطُ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ

وَثُلَّةٌ مِنْ فُضَلَاءِ الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم شؤون المعارف والاستاذ والاستشهاد
مركز تراث الحلة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثالث : ٢٠٢٤ : الحِلَّة، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء عليها السلام مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار. الجزء الثالث/ ١ .-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٦ هـ. = ٢٠٢٤.

٦ مجلَّد: إيضاحيَّات ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن ملاحق.

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

أغلب النص باللغة العربيَّة مع نصوص باللغة الإنجليزيَّة والفارسيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ . فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل. كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢٢٤/ ٨٠١
ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة -
العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الجزء الثالث (١)
E-mail: hilla@alkafeel.net
الحِلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
١٧,٥ × ٢٤سم
بحوث - دراسات
م/ و
٧٤٤/ ٢٠٢٥م
المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٤) لسنة ٢٠٢٥م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثالث عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار ومستودع الأسرار (الجزء الثالث ١).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م.

محورُ الدِّراساتِ التاريخيَّة والسياسيَّة/ ١

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام رؤية شاميَّة
دراسة تحليليَّة لمرويَّات الطبرانيّ الشاميّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م)
في المعجَمَين الكبير والأوسط

أ.د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشميّ

جامعة البصرة/ كليَّة الآداب

الملخَّص

عكست الرُّؤية الشاميَّة الاتِّجاه الأمويّ المعادي لآل البيت عليهم السلام، ومثَّلت هذه الرؤية أغلب المحدِّثين ورواة الأخبار الشاميِّين، سواء كانوا من أصول شاميَّة، أم من الذين نزلوا بلاد الشام وأقاموا فيه، وارتموا في أحضان بني أميَّة ، إمَّا بغضًا لآل البيت عليهم السلام، أو لتحقيق مصالح ومنافع ماديَّة، فقد نجح معاوية بن أبي سفيان في أدلجة المجتمع الإسلاميّ بشكلٍ عام، وأهل الشام بشكلٍ خاص، من خلال انتهاج سياسة التضليل والتشويه لسيرة آل البيت عليهم السلام؛ بغية التأسيس لأجيال جديدة تحمل الضغينة والكراهية والعداء لآل البيت عليهم السلام، وقد سار على نهج معاوية بقيَّة حكَّام بني أميَّة.

وجيلًا بعد جيل، أصبح أهل الشام يمثِّلون الرؤية الأمويَّة المعادية لآل البيت عليهم السلام، وقد برز ذلك بشكل واضح في مصنَّفات الشاميِّين، وفي مرويَّاتهم، كما هو الحال في مصنَّفات ومرويَّات أبي القاسم الطبرانيّ الشاميّ (٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، ولاسيَّما في كتابيه المعجَمَين الكبير والأوسط، وما تضمَّنا من أحاديث موضوعة وروايات مشوَّهة عن سيرة السيِّدة فاطمة الزَهراء عليها السلام.

لقد شمل التشويه في مرويَّات الطبرانيّ جميع جوانب سيرة الزَّهراءعليها السلام، سواء ما يتعلَّق بمكانتها وعلاقتها بالرسولصلى الله عليه وآله، أو ما يخصُّ مناقبها وفضائلها ومقاماتها الرفيعة، وكذلك تشويه حياتها الأسريَّة وعلاقتها الزوجيَّة، ومحاولة صرف النظر عن معاناتها بعد اغتصاب حقِّها من الميراث، فتارةً نجد الطبرانيّ يعطي لبعض النسوة فضائل ومناقب لرفع مكانتهنَّ إزاء السيِّدة فاطمةعليها السلام، أو نسبة بعض فضائل السيِّدة فاطمةعليها السلام لتلك النسوة، وتارةً أخرى ينقل الطبرانيّ أحاديث موضوعة وروايات مختَلَقة تُسيءُ لشخصيَّة الزَّهراءعليها السلام، وتنافي كونها معصومة مطهَّرة.

فالبحث يهدف إلى دراسة تلك المرويَّات، والوقوف عندها، وإخضاعها للنقد والتحليل؛ بغية تفنيدها، وكشف الحقيقة، بالاعتماد على الروايات الصحيحة والثابتة في المصادر المعتبرة التي أنصفت الحقيقة من مصادر الطَّرفَين الشيعيَّة والسنيَّة على حدٍّ سواء.

والله ولي التوفيق.

المقدِّمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل بيته الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا، وعلى سيِّدة نساء أهل الجنَّة سيِّدتي ومولاتي فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ناصب الأمويُّون العداء لآل البيت عليهم السلام، مستخدمين مختلف الطرق والأساليب السياسيَّة والعسكريَّة والفكريَّة أيضًا، إذ عمدوا إلى أدلجة المجتمع الإسلاميّ بشكل عام، وأهل الشام بشكل خاص، من خلال انتهاج سياسة التضليل والتشويه لسيرة آل البيت عليهم السلام؛ بغية التأسيس لأجيال جديدة تحمل الضغينة والكراهية والعداء لآل البيت عليهم السلام، أجيال مضلَّلة لا تعلم ما لآل البيت من المكانة الرفيعة والمقامات العالية والمناقب العديدة.

إنَّ البدايات الأولى تعود إلى إجراءات معاوية بن أبي سفيان ضمن مشروعه في الاستحواذ على الحكم، وحصره في البيت الأمويّ (السفيانيّ)، إذ انتهج معاوية سياسة تهدف إلى تشويه سيرة آل البيت عليهم السلام، والعمل على تجريدهم من الفضائل، أو نسبتها إلى غيرهم، فما أن تولَّى معاوية الحكم، وبعد ما يُعرَف بعام الجماعة (٤١هـ/ ٦٦١م)، وجَّه كتابًا بنسخة واحدة إلى عمَّاله في الولايات والأمصار، جاء فيه «أن برئت الذمَّة ممَّن روى شيئًا في فضائل أبي تراب وأهل بيته» فقامت الخطباء في كلِّ بلدٍ وكلِّ ناحيةٍ، وعلى كلِّ منبرٍ يلعنون عليًّا عليه السلام، ويتبرَّؤون منه، ويوقعون فيه، وفي آل البيت عليهم السلام[1].

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤.

وأمر معاوية في منشور له ضرورة الإكثار من رواية الأحاديث والأخبار في فضائل عثمان بن عفَّان، فقيل إنَّ معاوية «أخذ على نفسه ألَّا يجد حديثًا للإمام عليّ، إلَّا وضع حديثًا مماثلًا له في عثمان»(١).

وبعد أن كثر الحديث في عثمان، أصدر معاوية أمرًا يدعو إلى الإكثار من الرواية في فضائل الصحابة، وهذا ما جاء في منشور آخر تمَّ تعميمه على عمَّاله في الولايات: «إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصر، وفي كلِّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوَّلين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ، وأقرُّ لعيني، وأدحض لحجَّة أبي تراب وشيعته»(٢).

وأخذ العمَّال في تنفيذ أوامر معاوية، حيث قُرئت كُتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة، مفتعلة لا حقيقة ولا صحَّة لها(٣).

ولم يقتصر الأمر عند حدِّ الرواية في مجالس العلماء وطلبة العلم، وإنَّما توجَّه التركيز نحو الصغار من الغلمان والصبيان؛ لأجل تنشئة الأجيال الجديدة، وأدلجة عقولهم من خلال حَثِّ معلِّمي الكتاتيب على أن يعلِّموا صبيانهم وغلمانهم أخبارًا وأحاديث في فضائل الصحابة، وفي تشويه سيرة الإمام عليّ وآل البيت عليهم السلام، وبالفعل «.. علَّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتَّى رووه وتعلَّموه كما يتعلَّمون القرآن، وحتَّى علَّموه بناتهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله»(٤).

(١) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.
(٢) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.
(٣) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.
(٤) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.

إنَّ التأثير في الأجيال الجديدة كان الهدف الأساس لمعاوية، مصرِّحًا عن ذلك في الـردِّ على مَن طلب منه الكفَّ عن سياسة السبِّ للإمام عليّ عليه السلام، والإيقاع به وبآل البيت عليهم السلام، قائلًا: «لا والله حتَّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلًا»(١).

وقد نجح معاوية في تحقيق مأربه إذ روي: «وخلق معاوية خلقًا كثيرًا يحبُّونه ويتغالون فيه، ويفضِّلونه.. وإما قد ولدوا في الشام على حبِّه، وتربَّى أولادهم على ذلك»(٢)، وسار بقيَّة حكَّام بني أميَّة على نهج معاوية في التضليل الفكريّ لأهل الشام بشكلٍ خاصٍّ، فروي: «أنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعِلت في أيَّام بني أميَّة تقرُّبًا إليهم بما يظنُّون إنَّهم يرغمون به أنوف بني هاشم»(٣)، وقيل إنَّ الأخبار والأحاديث الموضوعة تلك تناقلها العلماء، «فقبلوها ورووها، وهم يظنُّون إنَّها حقٌّ، ولو علموا إنَّها باطلة لما رووها ولا تديَّنوا بها..»(٤).

وقد توافرت عوامل ساعدت معاوية وحكَّام بني أميَّة على تحقيق أهدافهم في التضليل الفكريّ:

أوَّلها: جهل أهل الشام بسيرة آل البيت عليهم السلام؛ لتأخُّر إسلامهم، كما لم يكن لهم معرفة بالشخصيَّات البارزة من الصحابة والتابعين الذين كان لهم دور وأثر كبير في نشر الإسلام والدفاع عنه، مقابل ذلك ارتباطهم الوثيق ببني أميَّة، ومعرفتهم بهم منذ قبل الإسلام، وتوثَّقت صلتهم بالأمويِّين في أعقاب الفتوحات الإسلاميَّة، وإسناد إدارة أجزاء من بلاد الشام لبني أميَّة(٥).

(١) الجاحظ، العثمانيَّة، ص٢٨٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٥٧.
(٢) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٨.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٦.
(٤) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٦.
(٥) الكنانيّ، مصطفى سالم، البناء السياسيّ والفكريّ الأمويّ في بلاد الشام، ص٣٩.

ثانيها: هو دور الـرواة الذين سخَّروا جهودهم وأقلامهم في تشويه سيرة آل البيت عليهم السلام، إمَّا بغضًا بهم، وإمَّا لأجل الاحتفاظ بالمناصب، أو نيل المكاسب الماديَّة التي أغدقها معاوية عليهم «.. قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء..»[1]، وجاء أنَّ الذين وضعوا الأحاديث كان لأجل أن «يحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل»[2].

ثالثها: يكمن في سياسة القمع والإكراه التي اتَّبعها معاوية مع كلِّ من يخالف توجيهاته وأوامـره، إذ كتب لولاته «انظروا مَن قامت عليه البيِّنة أنَّه يحبُّ عليًّا وأهـل بيته فامحوه من الـدِّيـوان، عطاءه ورزقـه»[3]، أي إنَّ معاوية حـارب شيعة آل البيت عليهم السلام ومحبِّيهم، وجميع الذين رفضوا أوامره بأرزاقهم، ممَّا أجبر ذلك الكثير على الخضوع والاستسلام، فقيل: «.. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، وكان أعظم الناس في ذلك بليَّة القرَّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث؛ ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم..»[4].

وعند متابعة الرواة الذين ساهموا في دسِّ الروايات، ووضع الأحاديث المكذوبة، نجد منهم مَن كان مبغضًا لآل البيت عليهم السلام، أو منتفعًا أو متملِّقًا، نذكر منهم على سبيل المثال المغيرة بن شعبة[5] الذي عُرف ببغضه للإمام عليّ عليه السلام، وكان قد سعى للتقرُّب

(١) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٨.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٦.
(٣) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٥.
(٤) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٦.
(٥) المغيرة بن شعبة بن عامر بن مسعود الثقفيّ، يكنى أبا عبد الله، ولد في السنة الثانية من البعثة، توفِّي سنة (٥٠هـ)، ذكر أنَّه كان يعادي الإمام عليّ عليه السلام وينتقصه، ولي البصرة والكوفة أيَّام عمر، ثمَّ عيَّنه معاوية واليًا على الكوفة، وكان يسبُّ ويلعن الإمام عليّ عليه السلام وآل البيت على المنبر. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٣، ١٧٧، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج٣، ص٦٨، الثقفيّ، الغارات، ح٢، ص٥١٦.

من معاوية؛ لأجل الحصول على ولاية الكوفة[١].

وعمرو بن العاص[٢] الذي وقف إلى جانب معاوية في صراعه مع الإمام عليّ عليه السلام، مقابل حصوله على مصر[٣]، وكذلك سمرة بن جندب[٤]، الذي لم يتوانَ في تزييف الحقيقة مقابل الحصول على الأموال، فقد بذل له معاوية مبلغًا وصل إلى أربعمائة ألف درهم على أن يروي أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[٥] نزل في الإمام عليّ عليه السلام، وأنَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٦] نزلت في ابن ملجم[٧] اللعين[٨].

وعبد الله بن الزبير[٩]، كان من المنحرفين عن الإمام عليّ عليه السلام، وفيه قال الإمام

(١) أبو حنيفة الدينوريّ، الأخبار الطِّوال، ص٢١٨.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو محمَّد السهميّ، خرج إلى النجاشّي يكيد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسلم متأخِّرا، أمَّره عمر في فتوح الشام، ثمَّ ولاه مصر، وتولَّى مصر لمعاوية سنة (٣٨هـ) إلى أن توفِّي سنة (٤٣هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٦، ص١٠٨-١٠٩، ١١٩.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج٤، ص٣٤-٧٤.

(٤) سمرة بن جندب بن هلال بن جريح بن مرَّة الفزاريّ، كان زياد يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة، وكان رجلًا معاندًا، وغير خاضع للحقِّ، ولا مراعيًا لرسول الله وآله كرامة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٤، السيِّد الخوئيّ، معجم رجال الحديث، ج٩، ص٣٢١.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٠٤.

(٦) سورة البقرة، آية ٢٠٧

(٧) ابن ملجم: عبد الرحمن بن ملجم المراديّ، ذلك الخارجيّ ليس بأهلٍ أن يروى عنه، وكان عابدًا قانتًا لله، لكنَّه ختم بشرٍّ، فقتل أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام، متقرِّبًا إلى الله بدمه بزعمه. ينظر: الذهبيّ، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٥٩٢.

(٨) السيِّد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٩، ص٣٢١-٣٢٢.

(٩) عبد الله بن الزبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد القرشيّ الأسديّ، يكنَّى أبا بكر، وقيل أبو بكير، ولِد سنة (٢هـ)، شهد الجمل مع أبيه وخالته، كان بخيلًا سيِّئ الخلق، حسودًا كثير الخلاف، قُتِل=

عليّ عليه السلام: «**ما زال الزبير منَّا أهل البيت حتَّى نشأ ابنه عبد الله فأفسده**»، فعبد الله بن الزبير هو الذي حمل الزبير على الحرب، وهو الذي زيَّن لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سبَّابًا فاحشًا، يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبُّ الإمام عليّ عليه السلام[1].

أمَّا عروة بن الزبير[2]، فإنَّ أغلب مرويَّاته لا تخلو من الوضع والتشويه بغضًا لآل البيت عليهم السلام، وكان قد وفد على معاوية وتقرَّب منه، كما أصبح من المقرَّبين لعبد الملك ابن مروان[3] بعد أن التجأ إليه هاربًا من الحجَّاج بن يوسف الثقفيّ، فأجاره عبد الملك وأكرمه وأقامه عنده[4].

وكان الزهريّ[5] من المقرَّبين لحكَّام بني أمية، إذ وفد على عبد الملك بن مروان سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م) فأكرم وفادته وأجازه[6]، ثمَّ لزم هشام بن عبد الملك، فصيَّره مؤدِّبًا لأولاده، يعلِّمهم ويحدِّثهم[7].

=سنة (٧٣هـ)، كان يبغض بني هاشم، ويلعن ويسبُّ عليًّا عليه السلام. ينظر: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٣، ص٩٠٥-٩٠٧، النمازيّ، الشاهروديّ، مستدركات علم رجال الحديث، ج٥، ص١٨.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٩.

(٢) عروة بن الزبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى الأسديّ، وأمُّه أسماء بنت أبي بكر، يكنَّى أبا عبد الله، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأبي هريرة والمغيرة، وعن أمِّه وخالته عائشة، توفِّي سنة (٩٤هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٨-١٨٢، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤، ص٢٣٧-٢٤٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٠، ص٢٣٨.

(٤) أبو حنيفة الدينوريّ، الأخبار الطوال، ص٣١٥.

(٥) الزهريّ: أبو بكر محمَّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب القرشيّ، ولِد سنة (٥٦هـ)، وقدِم دمشق وحدَّث عنه أهل الشام، ولزم عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، توفِّي سنة (١٢٤هـ) وهو ابن (٧٢) سنة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص٢٩٤-٢٩٧.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص٢٩٧.

(٧) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٥٥، ص٣٠٩.

وذكر أنَّ عروة بن الزبير والزهريّ كانا ينالان من الإمام عليّ عليه السلام، إذ روي أنَّهما كانا يجلسان في مسجد المدينة، فينالان من الإمام عليّ عليه السلام[١]، وقيل إنَّ الزهريّ كان يتعاون مع حكَّام بني أمية في ظلمهم وجورهم، فحذَّره الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قائلًا له: «**واعلم أنَّ أيسر ما ارتكبت، وأخفَّ ما احتملت أنَّك آنست وحشة الظالم، وسهَّلت سبيل الغيِّ بدنوِّك إلى مَن لم يؤدِّ حقًّا، ولم يترك باطلًا، حين أدناك اتَّخذوك قطبًا تدور عليه رحا ظلمهم، وجسرًا يعبرون عليه إلى بلائهم ومعاصيهم، وسلَّمًا يصعدون فيه إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشكَّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء..**»[٢].

وجيلًا بعد جيل، أصبح أهل الشام يمثِّلون الرؤية الأمويَّة المعادية لآل البيت عليهم السلام، ويمكن الاستدلال على أثر التضليل الفكريّ الأمويّ لأهل الشام بما حدث للنسائيّ الشافعيّ (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) الذي تعرَّض لهجوم من قِبَل أهل الشام؛ لمجرَّد روايته في فضائل أمير المؤمنين وآل البيت عليهم السلام، بعد أن لاحظ وجود انحراف كبير عند أهل دمشق عن الإمام عليّ عليه السلام، كما جاء ذلك في قوله: «دخلنا إلى دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنَّفت كتاب (الخصائص) رجاء أن يهديهم الله»[٣]، وروي أنَّ النسائيّ حينما قدِم لدمشق سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م) صنَّف كتاب الخصائص في فضائل الإمام عليّ وآل البيت عليهم السلام؛ لأنَّه رأى أهل دمشق ينفرون من الإمام عليّ عليه السلام[٤].

ذهب النسائيّ ضحيَّة لمرويَّاته التي تدعو إلى كشف الحقيقة، وهي التي لم يطق أهل دمشق سماعها منه، فانهالوا عليه بالضرب الشديد، وأخرجوه من المسجد، وطردوه، وخرج إلى مكَّة، وتوفِّي فيها متأثِّرًا بتلك الضربات الشديدة[٥].

(١) التستريّ، قاموس الرجال، ج١٩، ص٣٣١.
(٢) ابن إدريس الحِلِّيّ، مقدِّمة تفسير منتخب البيان، ص٢٩٦-٢٩٧.
(٣) المزيّ، تهذيب الكمال، ج١، ص٣٣٨.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٢٤.
(٥) ابن كثير، المصدر نفسه، ج١١، ص١٢٤.

إنَّ ما حلَّ بالنسائيّ يعكس حجم التأثير الذي أوقعه بنو أميَّة في بلاد الشام في النفور من الإمام عليّ وآل البيت عليهم السلام، مقابل حبِّهم وولائهم لبني أميَّة.

ولعلَّ مرويَّات أبي القاسم الطبرانيّ الشاميّ[1] (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) شاهد صدق عن الأثر الأمويّ في التضليل والتشويه لسيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقد مثَّلت رواياته رؤية أهل الشام، وموقفهم المبغض لآل البيت عليهم السلام، كما تجسَّد ذلك في المعجمَين الكبير والأوسط، كما سنرى.

لقد نال الطبرانيّ منزلة رفيعة عند علماء الشام، ونعتوه بالثقة، إذ عدَّه الذهبيّ بـ«مسند الدنيا»[2]، بينما وصفه ابن ناصر الدمشقي بـ«الحافظ الكبير مسند الآفاق»[3]، في الوقت الذي لينه الحافظ ابن مردويه؛ لأنَّه كان يغلط أو ينسى[4].

وعند متابعة مرويَّات الطبرانيّ الشاميّ المتعلِّقة بسيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، نجد اعتماده الكبير على عبد الله بن الزبير، وعروة بن الزبير، والزهريّ، وعلى المسوَّر بن مخرمة[5]، وغيرهم ممَّن عُرِفوا بولائهم لبني أميَّة، وبغضهم لآل البيت عليهم السلام.

(١) الطبرانيّ: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخميّ الشاميّ، أحد الحفَّاظ المكثرين، ولِد سنة (٢٦٠هـ)، وتوفِّي سنة (٣٦٠هـ)، صاحب المعاجم الثلاث وغيرها من المؤلَّفات، رتَّب في المعجم الكبير الصحابة على الحروف، مشتملًا نحو (٢٥) ألف حديث، ورتَّب في الأوسط شيوخه على الحروف أيضًا. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص١٦٣-١٦٥، ١٧٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٧٣٧.

(٢) تذكرة الحفَّاظ، ج٣، ص٩١٢.

(٣) توضيح المشتبه، ج٦، ص١٢.

(٤) الذهبيّ، ميزان الاعتدال، ج٢، ص١٩٥.

(٥) المسوَّر بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، وقيل أبو عثمان القرشيّ الزهريّ، روى عن أبي هريرة ومعاوية، قدِم لدمشق برسالة عثمان لمعاوية يستدعيه لنصرته، ثمَّ قدمها ثانية أيضًا وافدًا على معاوية في أيَّام حكمه، توفِّي سنة (٦٤هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ=

قُسِّم البحث على أربعة مباحث، تطرَّق المبحث الأوَّل إلى مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله، في مرويَّات الطبرانيّ، في المعجمَين الكبير والأوسط، وما تحويه من وضع وتشويه، في محورَين، الأوَّل يتعلَّق بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله للسيِّدة فاطمة عليها السلام، والمحور الثاني بصدد رضا الرسول صلى الله عليه وآله عن فاطمة عليها السلام، والمبحث الثاني تناول مناقب السيِّدة فاطمة عليها السلام في روايات الطبرانيّ، وهي روايات تهدف إلى تقليل مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام، ونسبة بعض فضائلها لغيرها من النساء وهو في أربعة محاور، ويتضمَّن العصمة، ولقب البتول، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، وسيِّدة نساء العالمين، وخُصِّص المبحث الثالث لموضوع زواج السيِّدة الزَّهراء من الإمام عليّ عليه السلام عند الطبرانيّ في روايات مضلِّلة ضمن محورَين، الأوَّل يتعلَّق بالخطبة، والثاني في تشويه العلاقة الزوجيَّة والحياة الأسريَّة.

أمَّا المبحث الرابع، فقد سلَّط الضوء على موضوع ميراث فاطمة عليها السلام، وحقّها المغتصَب في فدك عند الطبرانيّ.

وقد تمَّ اتِّباع المنهج النقديّ التحليليّ؛ للوقوف عند تلك الروايات الشاميَّة التي تمثِّل الرؤية الأمويَّة المعادية لآل البيت عليهم السلام، والردِّ عليها وتفنيدها بالاعتماد على المصادر المعتبرة والروايات الموثوقة الشيعيَّة والسنيَّة على حدٍّ سواء، في محاولة بسيطة تهدف إلى رفع الظلم الذي لحق بسيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، داعية الله سبحانه وتعالى أن يكون عملنا خالصًا لوجهه الكريم، ونيل رضا الله برضا سيِّدتنا ومولاتنا الزَّهراء عليها السلام، وشفاعتها يوم لا ينفع مال ولا بنون، والله وليُّ التوفيق.

=مدينة دمشق، ج٥٨، ص١٥٨-١٦٠.

المبحث الأوَّل

مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مرويات الطبرانيّ

أوَّلًا: حبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله للسيِّدة فاطمة عليها السلام

كان للسيِّدة فاطمة عليها السلام مقام رفيع ومكانة كبيرة في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ كانت أحبَّ أهله إليه، والأقرب إلى نفسه من النساء، كما كان الإمام عليّ عليه السلام أحبَّ وأعزَّ وأقربَ رجل من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما أدلت به السيِّدة عائشة حينما سُئلت: «مَن كان أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت: فاطمة عليها السلام. قلت: إنَّما أسألك عن الرجال، قالت: زوجها»[1]، وبلفظ آخر «كان أحبُّ النساء إلى رسول الله فاطمة، ومن الرجال عليّ»[2].

وذكر أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان لشدَّة حبِّه لفاطمة عليها السلام، أنَّه إذا سافر كان آخر الناس عهدًا به ابنته فاطمة، وإذا قدم من السفر كان أوَّل الناس عهدًا به فاطمة أيضًا[3]، وهناك العديد من الأحاديث التي عبَّر فيها الرسول صلى الله عليه وآله عن حبِّه الكبير لابنته فاطمة عليها السلام، منها قوله: «.. **فهي بضعة منِّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي..**»[4]، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

(١) ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين، ص٢٧، الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٤٧.
(٢) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٤٨.
(٣) الحاكم النيسابوريّ، المصدر نفسه، ص٣٧.
(٤) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٩.

هي البضعة الطاهرة، كما أنَّها لُقِّبت بـ«أمِّ أبيها»[١].

ولكن عند تتبُّع روايات الطبرانيّ في المعجمين الكبير والأوسط، بشأن السيِّدة فاطمة عليها السلام، وتحديد مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي البدء نجد روايات الطبرانيّ تؤكِّد أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لم تكن البنت الوحيدة للرسول صلى الله عليه وآله[٢]، إذ أورد روايات متضاربة بشأن تسلسل السيِّدة فاطمة عليها السلام بين إخوتها وأخواتها، ففي رواية جاء فيها أن أكبر ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله هو القاسم، ثمَّ زينب، ثمَّ عبد الله، وكان يُقال له الطيِّب، ويقال الطَّاهر، ثمَّ أم كلثوم، ثمَّ فاطمة، ثمَّ رقيَّة[٣]، أي إنَّ رقيَّة صغرى البنات، إلَّا أنَّه في رواية أخرى ذكر أنَّ فاطمة هي الصغرى[٤]، وفي رواية ثالثة ذكر أنَّ فاطمة عليها السلام هي توأم عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

نستشفُّ من خلال روايات الطبرانيّ وجود بنات للرسول صلى الله عليه وآله مع السيِّدة فاطمة عليها السلام، وهنَّ (زينب، رقيَّة، وأم كلثوم)، ولعلَّ الهدف هو إظهار مكانتهنَّ عند رسول الله صلى الله عليه وآله، والتقليل من شأن السيِّدة فاطمة عليها السلام، أو جعلها في مرتبة أدنى، ولأجل تضليل حقيقة ما روي عن مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام في قلب الرسول صلى الله عليه وآله، وبالفعل فقد ذكر الطبرانيّ رواية عن عروة بن الزبير، جاء فيها أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يقول عن ابنته زينب: «هي خير بناتي»[٦]، وهذا الحديث موضوع لا صحَّة له، إذ فنَّده الحاكم النيسابوريّ في ردوده على أحد جلسائه ممَّن زعم صحَّة الحديث بروايته عن عروة، وتخريج البخاريّ له، إذ جاء في ردِّ النيسابوريّ أنَّ الحديث لا وجود له عند البخاريّ، بقوله: «.. نظرت في الكتاب

(١) ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ج٤، ص٥، ٣٢٦، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص٢١٠.
(٢) السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، بنات النبيّ أم ربائبه، ص٦٧.
(٣) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٣٩٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٣٩٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤٣٢، المعجم الأوسط، ج٥، ص٨٠.

من أوَّله إلى آخره نظرًا شافيًا، فلم أجد للحديث فيه أثرًا..»[1]، فالحديث حسبما أشار إليه الحاكم النيسابوريّ «ليس من شرط صحيح البخاريّ ولا مسلم»[2]، كما أنَّه يناقض ما تواتر من أحاديث في علوِّ مقام السيِّدة فاطمة عليها السلام بقول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة: «إنَّها سيِّدة نساء أهل الجنَّة.. فكيف أن تفضَّل من نساء هذه الأمَّة على فاطمة رضي الله عنها»[3].

وأورد الحاكم النيسابوريّ العديد من الأحاديث الثابتة والصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن مكانة الزَّهراء عليها السلام، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم إليها ويستقبلها ويقبِّل يدها كلَّما دخلت عليه، كما كان الرسول صلى الله عليه وآله إذا ما دخل على فاطمة عليها السلام رحَّبت به وقامت وأخذت بيده وتقبِّله[4].

وأصبح الحديث عن زينب «هي خير بناتي» دافعًا للحاكم النيسابوري في التأليف بفضائل فاطمة عليها السلام بقوله: «.. ليعلم الشحيح بدينه محلَّها من الإسلام، فلا يقيس بها أحدًا من نساء هذه الأمَّة»[5].

ونقل الطبرانيّ رواية أخرى رفع فيها مكانة أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكانة زوجها عثمان بن عفان، إذ روي أنَّ أم كلثوم جاءت للرسول صلى الله عليه وآله، فقالت: «يا رسول الله زوج فاطمة خير من زوجي. فسكت رسول الله مليًّا ثمَّ قال: زوجك يحبُّه الله ورسوله، ويحبُّ الله ورسوله، وأزيدك لو قد دخلت الجنَّة فرأيت منزلة لم يرَ أحدًا من أصحابي يعلوه في منزلته»[6].

(١) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٣٢.
(٢) الحاكم النيسابوريّ، المصدر نفسه، ص٣٤.
(٣) الحاكم النيسابوريّ، المصدر نفسه، ص٣٥.
(٤) الحاكم النيسابوريّ، المصدر نفسه، ص٣٥.
(٥) الحاكم النيسابوريّ، المصدر نفسه، ص٣٦.
(٦) المعجم الأوسط، ج٥، ص٢١٢.

وهنا يظهر الهدف الأساس من وضع هذه الرواية، وهو إعطاء مكانة لعثمان بن عفَّان، باعتباره أحبّ شخص لله ورسوله، وهو ممَّن يحبه الله ورسوله، وله مكانة عالية في الجنَّة، ولا شكَّ أنَّ هذا الحديث موضوع ويقع ضمن الأحاديث التي سعى معاوية ابن أبي سفيان إلى روايتها في إضفاء الفضائل لعثمان مقابل تشويه صورة الإمام عليّ عليه السلام، الذي كان هو الأعزَّ والأقربَ وأحبَّ رجل للرسول صلى الله عليه وآله كما مرَّ بنا.

وما يجدر ذِكره أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لم تكن له ابنة تسمَّى أم كلثوم، هذا إن صحَّ وجود بنات أُخريات للرسول صلى الله عليه وآله مع السيِّدة فاطمة عليها السلام، إذ إنَّ أم كلثوم هي كنية لرقيَّة، وأنَّ الغرض من جعلها البنت الثالثة للرسول صلى الله عليه وآله كان لأمر تأكيد زواج عثمان بن عفَّان بابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعد أن توفِّيت رقيَّة تزوَّج عثمان أم كلثوم، ولذلك استحقَّ لقب ذي النورَين[1].

إن كان زوج أم كلثوم حسب رواية الطبرانيّ أفضل من زوج فاطمة عليها السلام، فهذا يعني أنَّ أم كلثوم هي الأخرى أفضل من السيِّدة فاطمة، وهذ أمر لا يجوز، فالسيِّدة فاطمة عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وسيِّدة نساء العالمين، كما سيتمُّ الإشارة إليه لاحقًا[2].

وذهب الطبرانيّ إلى أبعد من ذلك، حينما نقل رواية عن أبي هريرة[3] أشار فيها إلى أنَّ زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان كان بأمر إلهيّ[4]، وفي هذه الرواية إعلاء لشأن عثمان وأم كلثوم أيضًا، بما يعزِّز من مكانتها الكبيرة في نفس الرسول صلى الله عليه وآله.

(١) السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، بنات النبيّ أم ربائبه، ص٨٧-٨٩.

(٢) ينظر: المبحث الأوَّل.

(٣) أبو هريرة الدوسيّ، قيل اسمه عبد شمس، وقيل عبد تيم، ويقال سكين أو عمرو أو عبد نهم، فسمِّي بالإسلام عبد الرحمن، وقيل عبد الله اليماني، نزل المدينة عام خيبر، ومات سنة (٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٧، ص٢٩٦- ٣٠٣. وقيل عنه الكذَّاب المشهور، ينظر: النمازيّ الشاهروديّ، مستدركات علم رجال الحديث، ج٨، ص٤٧٥.

(٤) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٣٦-٤٣٧.

وفي الوقت الذي أورد الطبرانيّ روايات تشير إلى أفضليَّة فاطمة عليها السلام، وأنَّها كانت أعزَّ وأقرب لقلب الرسول صلى الله عليه وآله، وأحبَّ النساء، فإنَّه كان يشير في نفس الروايات إلى أنَّ زوجها الإمام عليًّا عليه السلام لم يكن مفضَّلًا، أو لم يكن أحبَّ الرجال للرسول صلى الله عليه وآله، وهي روايات مشوَّهة ومفتعلة، فقد جاء أنَّ عليًّا وعمَّه العبَّاس قدِما على الرسول صلى الله عليه وآله ليسألانه عن أي شخص من أهله أحبّ إليه؟ وكانا قد طلبا الإذن بالدخول على الرسول صلى الله عليه وآله في المسجد من أسامة بن زيد[1]، وبعد أن أذن لهما بالدخول قالا: «جئنا نسألك أي أهلك أحبُّ إليك؟ قال: فاطمة بنت محمَّد، قال عليّ: والله يا رسول الله ما عن أهلك أسألك. قال: فأحبُّ أهلي إليَّ من أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة. قال: ثمَّ مَن يا رسول الله؟ قال: ثمَّ أنت. قال العبَّاس: أجعلت عمَّك آخرهم؟ قال: إنَّ عليًّا سبقك بالهجرة»[2]. وقد سجلت العديد من المآخذ على هذه الرواية، ففي الوقت الذي ورد فيها أنَّ فاطمة عليها السلام هي الأحبُّ لرسول الله صلى الله عليه وآله من أهله، فإنَّها أعطت لأسامة بن زيد الأفضليَّة، وأنَّه الأقرب والأعز، والرواية جاءت برواية أسامة بن زيد نفسه.

وكان سبب تقديم الإمام عليّ عليه السلام على عمِّه العباس يعود لكونه قد سبقه في الهجرة، وليس ما للإمام عليّ عليه السلام من المناقب الجمَّة والفضائل الكثيرة التي لا تعدُّ ولا تحصى[3].

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبيّ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، أمُّه أم أيمن، اسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، كنيته أبو محمَّد وقيل أبو زيد، ولِد ونشأ في مكَّة، وهاجر إلى المدينة، ومات بالجرف آخر خلافة عثمان. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤، ص٦٢-٦٧، الطوسيّ، رجال الطوسيّ، ص٢١. قال الكشِّيّ في طريقه ضعف، والأولى عندي التوقُّف عن روايته، وقيل مدح بعد الذم، وقال الإمام الباقر عليه السلام فيه: «**إنَّه قد رجع فلا تقولوا عنه إلَّا خيرًا**». ينظر: العلَّامة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، ص٧٦.

(٢) المعجم الكبير، ج١، ص١٥٨.

(٣) ينظر على سبيل المثال: الكوفيّ، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج١، ص١٣٢، ابن عقدة=

ويبدو أنَّ الإشارة إلى قضيَّة الهجرة في الرواية؛ لأجل التأكيد على أنَّ العبَّاس بن عبد المطَّلب كان قد أسلم وهاجر، ولم يكن قد تأخَّر إسلامه إلى ما بعد فتح مكَّة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)[١].

وما يؤخذ على الرواية أيضًا أنَّ أمر دخول الإمام عليّ عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وآله لم يتمَّ إلَّا بعد الاستئذان، وكأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يحتجب عن ملاقاة المسلمين، وإن صحَّ ذلك، فكيف له أن يحتجب عن أخيه ووزيره ووصيِّه وزوج ابنته وأقرب الناس إليه، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنت منِّي بمنزله هارون من موسى**..»[٢].

ويظهر من الرواية أنَّ الإمام عليّ عليه السلام لا يلتقي بالرسول صلى الله عليه وآله أو يزوره إلَّا بالمسجد، شأنه شأن عامَّة المسلمين، في الوقت الذي كان الإمام عليّ عليه السلام يسكن مع الرسول صلى الله عليه وآله[٣].

وذكر الطبرانيّ روايتين أورد فيهما قول الرسول صلى الله عليه وآله: «إنَّ فاطمة بنت محمَّد بضعة منِّي»[٤] أو «إنَّ فاطمة منِّي»[٥]، وقد أردف الطبرانيّ هاتين الروايتَين مدحًا بأبي العاص

=الكوفيّ، فضائل أمير المؤمنين، ص١٤-١٥، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٧-٢٨، ٤٣، ٥١، ٥٦، ٧٣، ٧٥، ٧٩، ١٠٢، ٢٠٩، ٢١٦-٢١٩، ابن شاذان، مائة منقبة، ١٧٦-١٧٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٦-١٧.

(١) لم يسلم العبَّاس بن عبد المطَّلب حتَّى فتح مكَّة سنة (٨هـ). ينظر: العامليّ، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، ج٤، ص١٤٠، ج٥، ص٥٨-٥٩.

(٢) ينظر: ابن حنبل، المسند، ج١، ص١٧، ١٧٥-١٧٧، ج٢، ص٢٢، ج٦، ص٣٦٩، البخاريّ، صحيح، ج٤، ص٢٠٨، ج٥، ص١٢٩، الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٢٠، النسائيّ، فضائل الصحابة، ص١٣، البيهقيّ، السنن الكبرى، ج٩، ص٤٠

(٣) ذكر أنَّ بيت الإمام عليّ عليه السلام توسَّط بيوت الرسول صلى الله عليه وآله. ينظر: ابن مردويه، مناقب عليّ بن أبي طالب، ص٩٩، ١٤٤.

(٤) المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٢٠، ص١٩.

ابن الربيع[1] زوج ابنته زينب، وأنَّه أفضل من الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «فإنِّي أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني فصدَّقني»[2]، أو قوله: «ووعدني فوفى لي»[3]، فالهدف من الزيادة الواردة في الرواية في الثناء على أبي العاص كان لأجل تشويه سيرة الإمام عليّ عليه السلام، وأنَّ فاطمة عليها السلام هي الأخرى ليس لها تلك المكانة والمنزلة.

ثانيًا: رضا الرسول صلى الله عليه وآله عن السيِّدة فاطمة عليها السلام

ضمن ما تعرَّضت له سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام من وضع روايات وأحاديث تشير إلى أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت قد أثارت غضب رسول الله صلى الله عليه وآله في تصرُّفات صدرت منها أكثر من مرَّة، وذلك بقصد الإساءة للسيِّدة فاطمة عليها السلام، والطعن في مناقبها.

لقد وجِّهت الروايات الموضوعة بالدرجة الأساس لأمر علاقة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأبيها التي كان يسودها الحبُّ والطاعة، وكذلك لأجل ضرب ما تميَّزت به السيِّدة فاطمة عليها السلام من الخلق الرفيع والعقل والحكمة، وكونها معصومة، يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، كما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[4].

أورد الطبرانيّ روايات تُظهِر أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام تسبَّبت في غضب الرسول صلى الله عليه وآله

(١) أو العاص بن الربيع بن عبد العزَّى بن عبد شمس القرشيّ العيشميّ، اختُلف في اسمه فقيل لقيط، وقيل القاسم، وقيل مهشم، وقيل ياسر، وكان يسمَّى جرو البطحاء، شهد بدر مع المشركين فأُسِر، ففداه أخوه عمرو بن الربيع، توفِّي سنة (١٢هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠-٣١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٧، ص٣-٤.

(٢) المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢٠، ص١٩.

(٤) الحاكم النيسابوريّ، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٤، الهيثميّ، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠٣.

وزعله، ففي رواية عن ثوبان[١] وهو من الذين سكنوا الشام حتَّى وفاته سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م)[٢]، يذكر ثوبان أنَّ السيِّدة فاطمةعليها السلام كانت قد علَّقت على باب بيتها مسحًا[٣]، فلمَّا قدم الرسولصلى الله عليه وآله ورأى المسح لم يدخل إليه ورجع[٤].

ورواية أخرى بنفس الموضوع برواية سفينة[٥] جاء فيها أنَّ الإمام عليًّاعليه السلام صنع طعامًا ودعا إليه رجلًا، فطلبت فاطمةعليها السلام أن يدعو الرسولصلى الله عليه وآله، وحينما وصل لبيت فاطمةعليها السلام، فأخذ بعضادتي الباب فرأى قرامًا[٦] في ناحيتي البيت، فرجع، فطلبت فاطمةعليها السلام من الإمام عليّعليه السلام أن يذهب خلف الرسولصلى الله عليه وآله، ويستعلم منه عن سبب رجوعه، فقال له الرسولصلى الله عليه وآله: «ليس لي أن أدخل بيتا مزوقًا»[٧].

الرواية الأولى برواية ثوبان والثانية برواية سفينة، ولا نعلم مدى صدقهما، خاصَّة بعد أن أصبحا من سَكَنة الشام، وما يثير الاستغراب هو إظهار السيِّدة فاطمةعليها السلام وكأنَّها لا تعلم بما هو مكروه أو محرَّم، وفي الرواية الثانية تتناقض مع ما ذكره الطبرانيّ نفسه في

(١) ثوبان بن جحدر، ويقال ابن بجدد، أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرحمن، مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله، من أهل اليمن، أصابه سبيًا، فأعتقه النبيصلى الله عليه وآله، ولم يزل مع رسول اللهصلى الله عليه وآله حتَّى قُبِض، فتحوَّل إلى الشام فنزل حمص، توفِّي سنة (٥٤هـ) في أيَّام معاوية. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٩٨، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص١٦٦-١٦٩.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص١٦٩.

(٣) المسح: يعبَّر عنه بالبلاس، وهو كساء معروف. ينظر: الطريحيّ، مجمع البحرين، ج٢، ص٤١٤.

(٤) المعجم الكبير، ج٢، ص١٠٣.

(٥) سفينة: أبو عبد الرحمن، ويقال أبو البختريّ، مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله، كان عبدًا لأمِّ سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول اللهصلى الله عليه وآله في حياته، يقال اسمه مهران بن فروخ، ويقال نجران أو رومان، ويقال رباح، ويقال قيس أو شنبه بن مارفنه، لقِّب سفينة لأنَّه كان يحمل كلَّ ما ألقي عليه من القوم كأنَّه سفينة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٩٨، المزيّ، تهذيب الكمال، ج١١، ص٤٠٤-٤٠٦

(٦) القرام: هو الستر. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، ج٢، ص١٦٠.

(٧) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٧، ص٨٤-٨٥.

أكثر من موضع، وهو أن الإمام عليًّا عليه السلام كان رجلًا فقيرًا، ولا يمتلك طعام يومه، وأنَّ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام كانا يبكيان من الجوع[1] بينما نجد في هذه الرواية أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام صنع طعامًا ودعا إليه رجلًا.

وأكَّد الطبراني أنَّ فقر الإمام عليّ عليه السلام بلغ درجة أنَّه لم يكن يمتلك من الأثاث إلَّا القليل، ومن الفرش إلَّا الخشن[2]، فمن أين لفاطمة عليها السلام ستائر مزوَّقة؟.

وتُظهر الروايتان وكأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لم ير بيت فاطمة عليها السلام، ولم يدخل عليها من قبل إلَّا بعد أن دعوه للطعام، فرأى ما فيه من تزويق، فهل كان الرسول صلى الله عليه وآله بعيدًا أو غير عارف بفاطمة وبيتها؟.

ومن جانبٍ آخر، فإنَّ وضع الستائر المزوَّقة أو فيه من الصور كان من قبل السيِّدة عائشة، وليس السيِّدة فاطمة عليها السلام، إذ ذكر أنَّ لعائشة قرامًا قد سترت به جانب بيتها، فقال لها الرسول صلى الله عليه وآله: «**أميطي عنَّا قرامك**»[3]، وقيل إنَّ القرام كان فيه تماثيل[4].

(١) المعجم الكبير، ج٦، ص١٣٦، ج١١، ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٤، ص١٣٧، ١٤٦.
(٣) الحربيّ، غريب الحديث، ج٢، ص٣٧٦.
(٤) ابن قتيبة الدينوريّ، غريب الحديث، ج٢، ص١٦٠.

المبحث الثاني

مناقب السيِّدة فاطمة عليها السلام

أسهبت كتب المناقب في ذِكر فضائل ومناقب السيِّدة فاطمة عليها السلام[١]، إلَّا أنَّ الطبرانيّ أورد روايات نسب فيها بعض تلك الفضائل إلى نساء أخريات، أو تضليل ما عُرف للزَّهراء عليها السلام من المناقب وتشويهها، كما سيتم إيضاحه أدناه:

أوَّلًا: العصمة

أجمع المفسِّرون أنَّ آية التطهير نزلت بحقِّ السيِّدة فاطمة والإمام عليّ وولديهما الحسن والحسين عليهم السلام[٢]، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].

وفي حديث مشهور روته السيِّدة أم سلمة رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله دعا فاطمة وزوجها وولديها عليهم السلام، فأجلس الحسنَان في حجره، والامام عليّ عن يمينه، وفاطمة عن يساره، فغشاهم بكساء يمانيّ، ثمَّ رفع الرسول صلى الله عليه وآله يديه للسماء، وقال:

(١) ينظر على سبيل المثال: النسائيّ، خصائص أمير المؤمنين، ص١١٤-١٢٠، النعمان المغربيّ، شرح الأخبار، ج٣، ص٢٣-٦٧، ابن شاهين، فضائل فاطمة، ص١٣-٥١، الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء، ص٣٧-١٩٠.

(٢) أبو حمزة الثمالي، تفسير أبي حمزة، ص٢٦٧، الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢، ص٩، العياشيّ، تفسير العياشيّ، ج١، ص٢٥٠، ابن أبي حاتم الرازي، تفسير القران العظيم، ج٩، ص٣١٢٩، الثعلبيّ، تفسير الثعلبيّ، ج٨، ص٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

«اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا، قالها ثلاث مرَّات»(١). وقد منحت آية التطهير للسيِّدة فاطمة عليها السلام العصمة بعد أن أذهب الله عنهم الرجس، وطهَّرهم تطهيرًا(٢).

ولكن عند مراجعة روايات الطبرانيّ بخصوص آية التطهير وحديث الكساء، نجد التناقض والارتباك، فتارةً نجد روايات تعمد إلى صرف الأنظار عن سبب نزول آية التطهير، كما جاء ذلك في حديث أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ الله تعالى قسَّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما، فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين.. ثمَّ جعل القسمَين بيوتًا فجعلني في خيرهما بيتًا، فذلك قوله: أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون، فأنَّا من خير السابقين، ثمَّ جعل البيوت قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، فذلك قوله شعوبًا وقبائل.. ثمَّ جعل القبائل بيوتًا، فجعلني في خيرها بيتًا، فذلك قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»(٣).

وتارةً أخرى أورد الطبرانيّ حديث الكساء، إلَّا أنَّه لم يُشر إلى نزول آية التطهير، إذ روي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله جمع تحت خميصة(٤) سوداء كانت عليه، عليًّا وفاطمة والحسنين عليهم السلام، ثمَّ قبَّل عليًّا وفاطمة عليهما السلام وقال: «اللهمَّ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي. وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله: وأنا يا رسول الله؟ فرد عليها: وأنتِ»(٥).

(١) ابن عقدة الكوفيّ، فضائل أمير المؤمنين، ص٢٠٩-٢١٢، وينظر: الكوفيّ، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج١، ص١٣٢، النعمان المغربيّ، شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، ج٢، ص٢٠٩، ٣٣٨.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج٦، ص٢٩٢، الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٥٢٦.

(٣) المعجم الكبير، ج٣، ص٥٨.

(٤) الخميصة: كساء أسود معلم من المرعزيّ والصوف ونحوها، وقيل كساء أسود مربَّع له علمان. ينظر: الفراهيديّ، العين ج٤، ص١٩١، الجوهريّ، الصِّحاح، ج٣، ص١٠٣٨.

(٥) المعجم الكبير، ج٣، ص٥٤.

وتارةً ثالثة كرَّر الطبرانيّ ذِكر حديث الكساء في أكثر من مرَّة، إلَّا أنَّ ما يؤخذ عليه عدم شمول الإمام عليّ عليه السلام بالدخول تحت الكساء، وعدم ذِكره ضمن آل البيت، بينما ورد أنَّ أم سلمة من آل البيت، إذ ذكر أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن نزلت آية التطهير، أرسل إلى فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط، وأدخلهم تحت ثوبه وقال: «اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فقالت أم سلمة، يا رسول الله أدخلني معهم، فقال: إنَّك من أهلي»(١).

وفي موضع آخر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فقالت أم سلمة، قلت يا رسول الله أدخلني معهم، قال: إنَّك من أهلي»(٢)، وروي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال بعد أن جمع فاطمة وولديها قال: «اللهمَّ أهلي، فقالت أم سلمة يا رسول الله أنا من أهل البيت، قال: إن شاء الله»(٣)، وذكر أيضًا أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أجلس الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام تحت الكساء، وقال: «إنَّهم أهل بيتي، فقالت أم سلمة وأنا معكم يا رسول الله، قال: وأنت معنا»(٤).

كما أورد الطبرانيّ حديث الكساء برواية واثلة بن الأسقع(٥) المؤذِّن، قال إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله جمع عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وألقى عليهم ثوبه، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٦)، ثمَّ قال:

(١) المعجم الكبير، ج٣، ص٣٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٢٨٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٣٥٧.
(٥) واثلة بن الأسقع بن عبد العزَّى بن عبد ياليل بن ناشب من بني كنانة، ويكنَّى أبا قرصافة، فقيل أبو الأسقع، كان ينزل ناحية المدينة، فقدِم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتجهَّز إلى تبوك، فأسلم وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك، وكان من أهل الصفة، فلما توفِّي الرسول صلى الله عليه وآله خرج إلى الشام، وكان ينزل بيت المقدس، مات بالشام سنة (٨٣هـ)، وقيل (٨٥هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٠٧-٤٠٨.
(٦) سورة الأحزاب، آية ٣٣

«هؤلاء أهل بيتي»، قال واثلة: قلت يا رسول الله وأنا من أهلك، قال: وأنت من أهلي..»[1].

وفي كلِّ الأحوال، هناك محاولات لشمول آخرين بلقب أهل البيت كأم سلمة أو واثلة بن الأسقع، وفي الوقت الذي نجد الروايات الثابتة المنقولة عن أمّ سلمة في رواية حديث الكساء أكَّدت بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله ردَّ عليها «**إنَّك على خير**»[2].

أمَّا واثلة بن الأسقع، فقد ذكر أنَّه نزل الشام وسكن فيها حتَّى وفاته سنة (٨٣هـ أو ٨٥هـ/ ٧٠٢م أو ٧٠٤م)[3]، وقيل إنَّه لم يكن راضيًا على سبِّ الإمام عليّ عليه السلام في الشام[4]، وفي رواية أخرى ذكر أنَّه غضب حينما رأى رجلًا مسرورًا بقتل الإمام الحسين عليه السلام حين جيء برأسه إلى الشام، قال واثلة: «والله لا أزال أحبُّ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا»[5]، وبأثر هذين الموقفَين ذُكِر أنَّ واثلة روى حديث الكساء، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال له: «وأنت من أهلي»[6].

وهنا نجد تناقضًا بين حبِّ واثلة لآل البيت، وبين اختياره لبلاد الشام مسكنًا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، من الصعب الوثوق بما ورد من اعتراضه على سبِّ الإمام عليّ عليه السلام أو غضبه من سرور أهل الشام لمقتل الإمام الحسين عليه السلام، فكيف يجرؤ على ذلك؟ والأدهى من ذلك أنَّه يحدِّث أهل الشام بحديث الكساء؛ ليوضح لهم مكانة آل البيت عليهم السلام، والمعروف أنَّ بني أميَّة اتَّخذوا إجراءات قسريَّة في التنكيل بكلِّ من يروي

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٥-٥٦.
(٢) ابن عقدة الكوفيّ، فضائل امير المؤمنين عليه السلام، ص٢١٠، النعمان المغربيّ، شرح الأخبار، ج٢، ص٢٠.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٠٧.
(٤) ابن بطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص٣١-٣٢، الهيثميّ، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٧.
(٥) ابن بطريق، المصدر نفسه، ص٣٥.
(٦) البيهقيّ، السنن الكبرى، ج٢، ص١٥٢، ابن بطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص٣٤-٣٥.

في فضائل الإمام عليّ وآل البيت عليهم السلام، فضلًا عن الحجر الفكريّ كما مرَّ بنا، خاصَّة أنَّ رواية وائلة لحديث الكساء كان في أيَّام معاوية أو يزيد بن معاوية.

ويبدو أنَّ إيراد حديث الكساء برواية وائلة كان لأجل إضافة الجزء الخاص بشموله مع آل البيت، وصرف النظر عن اختصاص الرسول صلى الله عليه وآله لآل البيت بالإمام عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط، وفيهم نزلت آية التطهير.

ثانيًا: لقب البتول

من المعروف أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام حملت العديد من الألقاب[١]، ومنها لقب البتول الذي ورد أنَّ سبب إطلاق لقب البتول؛ لأنَّها كانت لا تحيض[٢].

وضمن مرويَّات الطبرانيّ نجد إشارات إلى أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت تحيض، إذ جاء «إنَّ فاطمة استحيضت وكانت تغتسل..»[٣]، وفي رواية أخرى ذكر أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام أتت رسول الله صلى الله عليه وآله واستفتته، فقالت: «إنِّي أرى الدَّم، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله أن تغتسل وتتوضَّأ لكلِّ صلاة»[٤].

فرواية الطبرانيّ أكَّدت أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت امرأة تحيض، شأنها شأن بقيَّة النساء، وجرَّدتها من هذه المنقبة التي ينتفي معها لقب البتول؛ لأنَّها كانت تحيض.

وبالنسبة للمرأة التي استحاضت وأفتت في ذلك، فهي فاطمة بنت حبيش[٥]،

(١) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء، ص٥٦، ٧٢.

(٢) الصدوق، العلل، ج١، ص٢٣٩، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٠.

(٣) المعجم الكبير، ج٢٣، ص٢٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٢٧٠-٢٧١.

(٥) فاطمة بنت حبيش بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزَّى القريشيّ الأسديّ. ينظر: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٢، ص٥٧٠.

بحسب رواية الإمام الصادق عليه السلام[1]، وكذلك برواية عائشة أيضًا[2].

ثالثًا: سيِّدة نساء أهل الجنَّة

بلغت السيِّدة فاطمة عليها السلام مقامًا رفيعًا، فكان من أجلِّ مناقبها أنَّها تحمل لقب سيِّدة نساء أهل الجنَّة، إذ روي عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة، وأنَّ فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»[3]، وروي أنَّ فاطمة عليها السلام: «**سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»[4].

إلَّا أنَّ المرويَّات الشامية، لأجل التقليل من مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام، دأبت على نقل الأحاديث الموضوعة التي تؤكِّد أنَّ سيِّدات نساء أهل الجنَّة الأربع هنَّ: (آسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد)، مع تقديم السيِّدة مريم بالفضل والمنزلة، ثمَّ بعدها السيِّدة فاطمة عليها السلام، كما ورد ذلك في حديث أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «سيِّدات نساء أهل الجنَّة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة وخديجة، ثمَّ آسية امرأة فرعون»[5]، أو قول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «إنَّك سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلَّا ما كان من البتول مريم بنت عمران»[6].

وفي حديث آخر كان ترتيب السيِّدة فاطمة عليها السلام يأتي بعد السيِّدة خديجة لقول الرسول صلى الله عليه وآله: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[7].

(١) الفيض الكاشانيّ، الوافي، ج٦، ص٤٥٦.
(٢) الشافعيّ، الأم، ج١، ص٧٩، العلَّامة الحِلِّيّ، منتهى المطلب، ج٢، ص٣٠٧.
(٣) ابن حنبل، مسند، ج٥، ص٣٩١، النسائيّ، فضائل الصحابة، ص٥٨،الهيثميّ، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠١.
(٤) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٣، ص٧، ج١١، ص٢٣٨، المعجم الأوسط، ج٢، ص٢٣-٢٤.
(٥) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٨، ٤٢٠.
(٦) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٣، ص٧.
(٧) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤٠٧.

وهناك حديث جعل ترتيب السيِّدة فاطمة عليها السلام آخر النساء، إذ روي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «أفضل نساء أهل الجنَّة مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد»(١).

فالسيِّدة فاطمة عليها السلام هي سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وتتقدَّم بقيَّة النساء، إذ روي أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام أوَّل من يدخل الجنَّة من النساء(٢)، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «**إنَّ آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجنَّة**»(٣).

إذا ما كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنَّة مهما كان ترتيبها الأولى أو الثانية أو الأخيرة، كيف يجوز أن تصبح شأنها شأن غيرها من النساء في الخشية عليها من النار، فقد ذكر الطبرانيّ رواية بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٤)، جمع نساءه وأهله فأجلسهم، وقال لهم: «يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم، وافتكوا أنفسكم من الله، فإنِّي لا أملك لكم من الله شيئا.. يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمَّد.. اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم، فإنِّي لا أطلب لكم من الله شيئًا»(٥).

وفي لفظ مشابه ذكر أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا

(١) ابن الصبَّاغ، الفصول المهمَّة، ص١٧٩، الصالحيّ الشاميّ، سبل الهدى والرشاد، ج١٠، ص٣٨٦.
(٢) المناوي، فيض القدير، ج١، ص٥٣.
(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٠٥.
(٤) سورة الشعراء، آية ٢١٤.
(٥) المعجم الكبير، ج٨، ص٢٢٥.

أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمَّد أنقذي نفسك من النار، لا أملك لك من الله شيئًا..»[1].

ويكفي للردِّ على هذه الرواية أنَّها تناقض ما سبق أن ذكره الطبرانيّ نفسه بأنَّ فاطمة عليها السلام من سيِّدات نساء أهل الجنَّة، مهما كان ترتيبها، والأمر الآخر فإنَّ نزول آية الإنذار في مكَّة في بداية الدعوة الإسلاميَّة، وأنَّ ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت في السنة الخامسة للبعثة على أرجح الروايات[2].

كما أنَّ زواج الرسول صلى الله عليه وآله من عائشة كان في المدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة[3]، أمَّا زواجه من حفصة بنت عمر فكان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة[4].

وينقل الطبرانيّ رواية أخرى جاء فيها أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «يا فاطمة قومي فاشهدي أضحيتك فإنَّه يغفر لك بكلِّ قطرة من دمها كلَّ ذنب عملته، وقولي إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرت وأنا أوَّل المسلمين»[5].

وهنا يظهر أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لديها من الذنوب التي تستوجب طلب المغفرة من الله، ففي أوَّل قطرة دم من الأضحية تمحو كلَّ ذنب عملته، ولنا أن نتساءل كيف لفاطمة ذنوب، وهي المعصومة المطهَّرة، وهي سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فهل أقوال الرسول صلى الله عليه وآله تتناقض حاشاه الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[6].

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٨، ص٨، ٢٣٨.
(٢) العواد، انتصار عدنان، السيِّدة فاطمة الزَّهراء، ص١٠٨.
(٣) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج١٨، ص١٧٤.
(٤) النويري، المصدر نفسه، ج١٨، ص١٧٧.
(٥) المعجم الكبير، ج١٨، ص٢٣١.
(٦) سورة النجم، آية ٣-٤.

رابعًا: سيِّدة نساء العالمين

لأجل التقليل من مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقد نقل الطبرانيّ أحاديث أورد فيها أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام هي سيِّدة نساء عالمها فقط، لقول الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «.. ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء الأمَّة أو نساء المسلمين..»[١]، وفي قول آخر: «أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين، أو قال نساء هذه الأمَّة»[٢].

وهناك من جعل المفاضلة بين السيِّدة فاطمة عليها السلام، والسيِّدة مريم عليها السلام، وحاولوا التسويغ بأنَّ فاطمة سيِّدة نساء عالمها أو قومها، ومريم سيِّدة نساء قومها، كما جاء ذلك في حديث عن عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «فإنَّك سيِّدة نساء أمَّتي كما سادت مريم نساء قومها»[٣].

ولا شكَّ في أنَّ هذه الأحاديث موضوعة تهدف إلى تقليل مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام، إذ تواترت الأخبار والروايات المعتبرة بأنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، ففي حديث للرسول صلى الله عليه وآله قال: «أربع نسوة سيِّدات سادات عالمهنَّ، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وأفضلهن عالـمًا فاطمة»[٤].

وعن السيِّدة عائشة أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «يا فاطمة أبشري فإنَّ الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام، وهو خير دين»[٥]، وأكَّد ابن عبَّاس أن أفضل نساء العالمين الأربع هي السيِّدة فاطمة عليها السلام بقوله: «وأفضلهنَّ فاطمة»[٦].

---

(١) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤١٩.
(٣) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٧.
(٤) محبُّ الدين الطبريّ، ذخائر العقبى، ص٥٧.
(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٧٠.
(٦) ابن شهر آشوب، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٧٠.

وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال وُجِّه إليه: هل السيِّدة فاطمة سيِّدة نساء عالمها؟ فقال: «**تلك مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وفاطمة سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين**»(١)، وفي قول آخر: «**إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وإنَّ فاطمة سيِّدة نساء عالمها، وسيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين**»(٢).

(١) الطبريّ الشيعي، دلائل الإمامة، ص٥٤٠.
(٢) الصدوق، علل الشرائع، ص١٨٣.

المبحث الثالث

زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام

تمَّ زواج السيِّدة فاطمة من الإمام عليّ عليهما السلام بأمرٍ إلهي [١]، إذ لم يكن للسيِّدة فاطمة عليها السلام كفء سوى الإمام علي عليه السلام، ليس لصلة القربى التي تربطهما، وإنَّما لعصمة السيِّدة فاطمة، ولا يكافؤها سوى المعصوم، لذلك قيل: لولا علي عليه السلام لما كان للسيِّدة فاطمة عليها السلام زوج كفء لها[٢].

إنَّ أمر زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام لم ينجُ من التشويه في أحاديث موضوعة وروايات مضلِّلة نقلها الطبرانيّ في المعجمَين الكبير والأوسط، كما يأتي:

أوَّلًا: الخطبة

أورد الطبرانيّ روايات متضاربة ومرتبكة أظهر فيها أنَّ خطبة الإمام عليّ عليه السلام للسيِّدة فاطمة عليها السلام كانت بمشورة وتدخُّل الآخرين، فتارة بمشورة أبي بكر وعمر بن الخطَّاب، فبعد أن خطبا فاطمة ولم ينالا الموافقة، إذ ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله طلبهما، قال عمر لابي بكر: «انطلق بنا إلى عليّ حتَّى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا»[٣]. وهنا الخطبة تمَّت بأمر أبي بكر وعمر، ولا نعلم سبب توجُّههما للإمام عليّ عليه السلام؟ ولماذا صيغة الأمر؟ وعندما كَلَّما

(١) ابن عقدة الكوفيّ، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص١٠٥-١٠٧، الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء، ص٦٨، الموفَّق الخوارزميّ، المناقب، ص٣٣٦-٣٥٣.

(٢) العامليّ، الصراط المستقيم، ج١، ص١٧٢، الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج١، ص٣١١.

(٣) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٩.

الإمام عليّ عليه السلام أثارا انتباهه، إذ لولاهما لما تنبَّه الإمام عليّ عليه السلام وتقدَّم لخطبة فاطمة، فقد روي أنَّ الإمام عليّ عليه السلام قال: «فنبَّهاني لأمر، فقمت أجرُّ ردائي، طرفًا على عاتقي، وطرفًا آخر في الأرض، حتَّى أتيت النبيّ صلى الله عليه وآله..»[1]، فالإمام عليّ عليه السلام توجَّه مسرعًا وكأنَّه يخشى أن تفوته فرصة الزواج من فاطمة.

وفي رواية ثانية ورد فيها أنَّ الخطبة كانت بمشورة سعد بن معاذ [2]، إذ روي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يردُّ الخاطبين لابنته فاطمة عليها السلام، فتوجَّه سعد بن معاذ للإمام عليّ عليه السلام وقال له: «إنِّي والله ما أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يحبسها إلَّا عليك»[3]، فردَّ عليه الإمام عليّ قائلًا: «فلمَ ترَ ذلك، فوالله ما أنا بأحد الرجلَين، ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي، وقد علم ما لي صفراء ولا بيضاء، وما أنا بالكافر الذي يترفَّق بها عن دينه، يعني يتألفه بها إنِّي لأوَّل من أسلم»[4].

في هذه الرواية يظهر تدخُّل سعد بن معاذ في أمر تزويج السيِّدة فاطمة عليها السلام، وكأنَّه أحرص على تزويجها للإمام عليّ من الإمام نفسه، بل أحرص من الرسول صلى الله عليه وآله، والأغرب من ذلك ردّ الإمام عليّ عليه السلام يظهر وكأنَّ أمر الزواج من ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله مستحيلًا بالنسبة إليه، لعدم توافر المواصفات التي تؤهِّله للزواج، إذ لم يكن رجلًا ثريًّا كي يزوِّجوه، وكأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يفضِّل تزويج ابنته من رجل ثريّ، وهذا الأمر بعيد عن الصحَّة، إذ لو كان الأمر كذلك، كان الرسول صلى الله عليه وآله زوَّج ابنته من أبي بكر أو عمر أو غيرهما من الذين ورد ذكرهم في الرواية «فلا يذكرها أحد إلَّا صدَّ عنه حتَّى يئسوا

(١) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٩.
(٢) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، ويكنَّى أبا عمرو الأوسيّ الأنصاريّ، أسلم على يد مصعب بن عمير، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، فقطع أكحله. ينظر: ابن سعد، الطبقات ج٣، ص٤٢٠-٤٢١، ابن الاثير، أسد الغابة، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٨.
(٣) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٠.
(٤) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤١٠-٤١١.

منها..»[١]، أفلم يكن من بين هؤلاء الذين ردَّهم الرسول صلى الله عليه وآله مَن هم أثرياء؟.

والسبب الآخر الذي أثار خشية الإمام عليّ عليه السلام وتردُّده من التقدُّم لخطبة فاطمة عليها السلام أنَّه لم يكن كافرًا كي يزوِّجه الرسول صلى الله عليه وآله ترفُّقًا أي ليتألَّف قلبه، وهذا القول يهدف إلى ضرب قضيَّة العصمة، فكيف لامرأة معصومة أن تتزوَّج رجلًا غير معصوم، فما بال ذلك أن يكون الرجل كافرًا؟.

وجاء في الرواية أنَّ سعد بن معاذ توسَّل بالإمام عليّ عليه السلام بالذهاب لخطبة فاطمة عليها السلام بقوله: «فإنِّي أعزم عليك لتفرجنها عنِّي فإنَّ لي في ذلك فرجًا»[٢]، ولا نعلم كيف أنَّ لزواج السيِّدة فاطمة فرجًا يرجوه سعد بن معاذ، فانطلق الإمام عليّ عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله خاطبًا ابنته، ورجع بعدها إلى سعد بن معاذ وأخبره «قد فعلت الذي أمرتني به..»[٣]، فالإمام عليّ عليه السلام يتدخَّلون في حياته الشخصيَّة، وكانت تصرُّفاته وفق أوامر يتلقَّاها من هذا وذاك.

وذكر الطبرانيّ رواية ثالثة بصدد خطبة الإمام عليّ لفاطمة عليها السلام بأنَّها كانت بمشورة نفر من الأنصار كانوا قد حسَّنوا إليه أمر خطبة فاطمة، وطلبوا منه أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله لخطبتها، ثمَّ عاد الإمام عليه السلام لأولئك النفر من الأنصار، وكانوا ينتظرونه ليستعلموا منه ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

فالروايات الثلاث، على الرغم من تضاربها، فإنَّ الطبرانيّ نقل رؤية مخالفة للحقيقة، بهدف صرف أمر تزويج الإمام عليّ من فاطمة عليها السلام بإرادة إلهيَّة، بينما أورد الطبرانيّ ما يشير إلى أنَّ زواج عثمان بن عفَّان من أم كلثوم بنت رسول الله كان بأمر إلهيّ، لقول

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤١٠.
(٢) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤١١.
(٣) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤١١.
(٤) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠.

الرسول صلى الله عليه وآله: «وما زوَّجته إلَّا بوحي من السماء»(١)، وفي رواية أخرى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله لقي عثمان في المسجد، فقال له: «يا عثمان هذا جبرئيل يخبرني أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد زوَّجك أم كلثوم على مثل صداق رقيَّة..»(٢).

من جانب آخر، نجد ردَّة فعل السيِّدة فاطمة عليها السلام من خطبة الإمام عليّ عليه السلام كان سلبيًا، إذ ظهر وكأنَّها كانت مجبرة على التزويج منه لأسباب منها أنَّه كان رجلًا قبيحًا، لقولها للرسول صلى الله عليه وآله: «زوجتنيه أعيمش(٣)، عظيم البطن، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد زوَّجتكه وإنَّه لأوَّل أصحابي سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا»(٤)، فجواب الرسول صلى الله عليه وآله ينفي أمر الزواج بأمر إلهيّ من جهة، ويؤكِّد على أمر إجبار فاطمة على الزواج من الإمام عليّ لقبحه، في الوقت الذي وصف الإمام عليّ عليه السلام بأنه كان رجلًا جميلًا، وأحسن الناس وجهًا(٥).

وفي سبب آخر لاعتراض فاطمة عليها السلام الزواج من الإمام عليّ عليه السلام لكونه رجلًا فقيرًا بقولها: «يا رسول الله زوَّجتني من رجل فقير ليس له شيء»(٦)، أو في قول آخر: «زوَّجتني من عائل لا مال له..»(٧)، وهذا القول يتوافق مع ما زعم آنفًا في تردُّد الإمام عليّ عليه السلام من خطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام؛ لأنَّه رجل فقير(٨).

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٣٧.
(٢) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤٣٧.
(٣) أُعيمش: العمش والأعمش، الفاسد العين الذي تفسق عيناه، ومثله الأرمص، وقيل العمش ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٢٠.
(٤) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج١، ص٩٤.
(٥) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص٤٥، المزيّ، تهذيب الكمال، ج٢٠، ص٤٨٩.
(٦) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج١١، ص٧٧.
(٧) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج١١، ص٧٧.
(٨) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤١٠-٤١١.

ثانيًا: العلاقة الزوجيَّة

أظهرت روايات الطبرانيّ أنَّ العلاقة الزوجيَّة بين عليّ وفاطمة عليهما السلام كانت مشحونة بالخلافات والمشاكل، وقد تجاوزت حدود الزَّعل، وبلغت درجة أنَّ رغب الامام عليه السلام في الاقتران بزوجة أخرى غيرها.

أورد الطبرانيّ فيما يخص الخلافات التي وقعت بينهما الإشارة إلى لقب أبي تراب الذي أُطلق على الإمام عليّ عليه السلام، وعُدَّ من أحبِّ الألقاب اليه، وجاء أن سبب إطلاق هذا اللقب أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام غاضب السيِّدة فاطمة عليها السلام يومًا فخرج من البيت واضطجع إلى الجدار، فلمّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجده في البيت، سأل عنه، فقالت فاطمة عليها السلام: «خرج آنفًا[١]، مغضبًا..»[٢].

وفي رواية أخرى ذكر أنَّ خلافًا وقع بين عليّ وفاطمة عليهما السلام فخرج عليّ عليه السلام مغضبًا فألقى نفسه على التراب، فسأل الرسول صلى الله عليه وآله ابنته، فقالت: «كان بيني وبينه كلام، فخرج مغضبًا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فوجده نائمًا على التراب..»[٣].

وتأتي رواية لتؤكِّد أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يخشى من سوء معاملة الإمام عليّ عليه السلام لابنته، فحينما تقدَّم الإمام لخطبة فاطمة أجابه الرسول صلى الله عليه وآله قائلًا: «هي لك على أن تُحسِن صحبتها»[٤].

ومن جانب آخر، فإنَّ الطبرانيّ أورد روايات تحمل في طيَّاتها الإشارة إلى أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت امرأة متسلِّطة، إضافة إلى تدنِّي الوضع المعيشيّ للإمام عليّ، وحالة الفقر والحرمان إلى الدرجة التي لم يكونوا يمتلكون طعامًا يسدُّ جوع الحسنان عليهما السلام، ففي

(١) أنفًا: أنف من الشيء من باب تعب، يأنف أنفًا: إذا أكرهه وعزفت نفسه عنه، وأنف من الشيء: أي استنكف وهو الاستكبار. ينظر: الطريحيّ، مجمع البحرين، ج٥، ص٢٨.

(٢) المعجم الكبير، ج٦، ص١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٤٠.

رواية لا تخلو من التشويه لسيرة الإمام عليّ وفاطمة عليهما السلام، ذكر فيها أنَّ الامام عليه السلام خرج للسوق فوجد دينارًا جاء به إلى فاطمة عليها السلام، وأخبرها بالدينار، فقالت له: «اذهب به إلى فلان اليهوديّ، فخذ لنا منه دقيقًا، فخرج عليّ فجاء اليهوديّ، فاشترى به دقيقًا، فلمَّا فرغ قال اليهوديّ أنت ختن هذا الرجل الذي يزعم أنَّه رسول الله؟ فقال نعم قال فخُذ دينارك ولك الدقيق، فخرج عليّ حتَّى جاء به فاطمة فأخبرها، وقال هذا الدينار قالت فاطمة اذهب به إلى فلان الجزَّار فخذ لنا بدرهم.. فذهب فرهن الدينار بدرهم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت فأرسلت إلى أبيها..»[1].

فالرواية تشير أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام عثر على دينار في السوق وتصرَّف به دون أن يسأل عن صاحبه، والمعروف عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه كان رجلًا زاهدًا، ورعًا[2]، وعالمًا فقيهًا[3]، فلا يمكن له أن يفعل ذلك.

وجاء التسويغ لفعل الإمام عليّ عليه السلام في الرواية بأنَّه أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن تصرَّف به وأعدَّ طعامًا، وقال للرسول صلى الله عليه وآله: «فإن رأيته لنا حلالًا أكلنا وأكلت..»[4].

كما أنَّ الرواية تكشف عن ضعف شخصيَّة الإمام عليه السلام مقابل تسلُّط زوجته، إذ إنَّه أحضر الدينار لفاطمة، فأمرته أن يذهب لليهوديّ ليشتري منه دقيقًا، فامتثل الإمام عليه السلام لأوامرها، وذهب ثمَّ عاد إليها بالدقيق، فأمرته أن يذهب إلى الجزَّار ليشتري لها لحمًا بدرهم، فكان الإمام ينفِّذ الأوامر من دون أن يكون له رأي أو تصرُّف ذاتيّ ذهابًا وإيابًا، ونلتمس في الرواية الوضع الإسرائيليّ، بالإشارة إلى البائع اليهوديّ الذي تصدَّق على الإمام عليّ عليه السلام تقديرًا للرسول صلى الله عليه وآله، كونه زوج ابنته.

(١) المعجم الكبير، ج٦، ص١٣٦.
(٢) ابن مردويه، مناقب عليّ بن أبي طالب، ص٩٥.
(٣) النعمان المغربيّ، شرح الأخبار، ج١، ص٨٩-٩١.
(٤) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٦، ص١٣٦.

إنَّ الروايات التي أدلى بها الطبرانيّ، والتي تعكس توتُّر العلاقة الزوجيَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليهما السلام ما هي إلَّا روايات مزيَّفة مضلِّلة، فقد كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام نِعمَ الزوجة وكان عليّ عليه السلام نِعمَ الزوج، فعاشا حياة سعيدة خالية من الهموم والمشاكل، بفضل ما كان يجمعهما من الحبِّ والتراحم، فكانا كما وصفهما الرسول صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ نِعمَ الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نِعمَ البعل عليّ**»(١).

وقد أكَّد الإمام عليّ عليه السلام أنَّ حياته الزوجيَّة مع السيِّدة فاطمة عليها السلام بعد عشرة دامت تسع سنوات، بقوله: «**عاشرت فاطمة تسع سنين فلم تسخطني ولم أسخطها**»(٢)، وأقرَّت السيِّدة فاطمة عليها السلام حينما سألها الرسول صلى الله عليه وآله عن الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «**كيف رأيت زوجك؟ فأجابت يا أبه خير زوج**»(٣).

ولعلَّ الروايات الشاميَّة كانت تهدف إلى إظهار حالة عدم التوافق بين عليّ وفاطمة عليهما السلام؛ لأجل أن تعطي تسويغًا للروايات التي تتحدَّث عن تفكير الإمام عليّ عليه السلام للزواج من امرأة أخرى، إذ أورد الطبرانيّ روايات تؤكِّد أمر خطبة الإمام عليّ عليه السلام لابنة أبي جهل(٤)، فقد جاء في إحدى تلك الروايات أنَّ عليًا خطب بنت أبي جهل، فلمَّا سمعت بذلك السيِّدة فاطمة عليها السلام أتت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: «إنَّ قومك يتحدَّثون أنَّك لا تَغضب لبناتك، وهذا علي ناكحًا بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر ثمَّ قال: أمَّا بعد فإنِّي أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني فصدَّقني، وإنَّ فاطمة بنت محمَّد بضعة منِّي، وأنا أكره أن تفتنوها وإنَّها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وابنة عدو

(١) ابن حاتم العامليّ، الدرُّ النظيم، ص٤٠٨، القمِّيّ، بيت الأحزان، ص٥١.
(٢) الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٥٢٨.
(٣) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب، ص٣٥٣، القمِّيّ، بيت الأحزان، ص٥٣.
(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ، يكنَّى أبا الحكم، فكنَّاه الرسول صلى الله عليه وآله أبا جهل؛ لأنَّه كان أشدَّ الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وآله، قُتل في بدر مع المشركين. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٤٤، ج٧، ص٤٠٤، البلاذريّ، ج١، ص١٢٥.

الله عند رجل واحد أبدًا، قال فترك عليّ الخطبة»[1].

فالرواية تحمل مقاصد عديدة، فإلى جانب تشويه العلاقة الزوجيَّة المتكافئة والحسنة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليهما السلام، وتأكيد عدم التوافق والخلافات بينهما، فإنَّها تقدِّم مدحًا وثناءً لأبي العاص بن الربيع، والعجيب أنَّ الرواية تشير إلى خشية الرسول صلى الله عليه وآله من أن تفتن ابنته وهي السيِّدة المعصومة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، ونساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

وفي رواية ثانية بصدد خطبة بنت أبي جهل، روى الطبرانيّ أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن سمع بأمر خطبة الإمام عليه السلام دخل المسجد، وخطب بالناس وذكر أبي العاص بن الربيع، وأثنى عليه لمصاهرته إيَّاه بقوله: «فصدَّقني ووعدني فوفى.. وإنِّي لست أحرِّم حلالًا ولا أحلُّ حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وابنة عدو الله»[2].

وورد في موضع آخر أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حينما بلغه خطبة الإمام عليّ عليه السلام لابنة أبي جهل قال: «إنَّ فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما يغضبها»[3].

وقد تصدَّى السيِّد الميلانيّ في الردِّ على الروايات الموضوعة المتعلِّقة بخطبة الإمام عليّ عليه السلام من ابنة أبي جهل، بدراسة لسند الروايات ومتنها، وأخضعها للنقد والتحليل بقوله: «لقد راجعنا هذا الحديث، ولاحظنا أسانيده ومتونه، فتدبَّرنا في أحوال رواته على ضوء كلمات أعلام الجرح والتعديل، وأمعنَّا النظر في مدلوله على أساس القواعد المقرَّرة في كتب علوم الحديث.. فوجدناه حديثًا موضوعًا، وقضيَّة مختلقة، وحكاية مفتعلة.. يقصد من ورائه التنقيص من النبيّ في الدرجة الأوَّلى، ثمَّ من عليّ والصدِّيقة الكبرى»[4].

(١) المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٢٠، ص١٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢٢، ص٤٠٥.
(٤) السيِّد عليّ الحسينيّ الميلانيّ، حديث خطبة عليّ بنت أبي جهل، مجلَّة تراثنا، (العدد الثاني،=

وقدَّم الميلانيّ دراسة لسند الحديث ورواته المعروف عنهم العداء لآل البيت عليهم السلام، كالزهريّ وعروة بن الزبير، والمسوَّر بن مخرمة [١]، وقد سبق الإشارة إلى أنَّهم كانوا من رواة بني أميَّة، ومن المبغضين لآل البيت عليهم السلام[٢].

إضافة إلى رواية عمر بن سعد[٣] اللعين قاتل الإمام الحسين عليه السلام، ومن عمَّال بني أميَّة ومشيِّدي سلطانهم، فكيف له أن يكون رجلًا ثقة؟[٤].

ولم يقتصر الأمر على خطبة الإمام عليّ عليه السلام لابنة أبي جهل، بل روى الطبرانيّ أنَّ الإمام عليه السلام خطب أسماء بنت عميس[٥]، فبلغ ذلك السيِّدة فاطمة عليها السلام فأتت للرسول صلى الله عليه وآله وقالت: «أنَّ اسماء متزوِّجة عليًّا، فقال: ما كان لها أن تؤذي الله ورسوله»[٦].

إنَّ حديث خطبة أسماء بنت عميس لم يخرِّجه أصحاب الصِّحاح، بل نصَّ المحقِّقون على سقوطه، والحديث مختلَقٌ من قبل آل الزبير؛ لأنَّه مرويّ عن عبد الله بن الزبير،

=السنة السادسة، ١٤١١هـ، ص٨.

(١) حديث خطبة عليّ، ص١٩-٣٠.

(٢) ينظر: مقدِّمة هذا البحث.

(٣) عمر بن سعد بن أبي وقَّاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، استعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمدان، فلمَّا قدم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، أمره عبيد الله بن زياد أن يسير اليه، وبعث معه أربعة آلاف من جنده، فخرج وقاتل الإمام الحسين عليه السلام حتَّى استشهد الإمام عليه السلام، فلمَّا ظهر المختار بن عبيد الله الثقفيّ قتل عمر بن سعد وابنه حفص. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٦٨

(٤) الميلاني، حديث خطبة علي، ص٢٨

(٥) اسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك، أسلمت قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم بمكَّة، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له هناك عبد الله ومحمَّد وعون، ثمَّ استشهد جعفر بمؤته، فتزوَّجها أبو بكر فولدت له محمَّد، ثم توفِّي عنها أبو بكر فتزوَّجها الإمام عليّ عليه السلام. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢٨٠-٢٨٥، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٣٢٤، ج٥، ص٣٩٦.

(٦) المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٠٥.

وعروة بن الزبير، والمسوَّر بن مخرمة، وكان من أعوان عبد الله بن الزبير، والزهريّ الذي كان يجالس عروة بن الزبير، وينالان من أمير المؤمنين، فهؤلاءُ على حدِّ قول الميلانيّ: «هؤلاء رؤوس الواضعين لهذه الأكذوبة البيِّنة، وكلُّ هؤلاء على مذهب إمامهم عبد الله ابن الزبير الذي اشتُهر بعدائه لأهل البيت عليهم السلام»[1].

وفيما يخصُّ متن الحديث، فالمعروف أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام تزوَّج أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر (١٣هـ/ ٦٣٤م)، وإن كانت الرواية تتحدَّث عن خطبة أسماء قبل سنة (٧هـ/ ٦٢٨م)، فإنَّها كانت زوجة جعفر بن أبي طالب، وكانت معه في الحبشة[2]، وبعد استشهاد جعفر في موقعة مؤته سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) تزوَّجها أبو بكر، وقيل إنَّ زواجها من أبي بكر كان يوم حنين[3]، فلم يكن إذًا الهدف من وضع روايات تتعلَّق بتطلُّع أو إقدام الإمام عليّ عليه السلام على الزواج من امرأة أخرى سوى تأكيد حالة الخصام والمشاكل المنبعثة من عدم التوافق بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة عليهما السلام، وأنَّ زواجهما كان زواجًا تقليديًّا، وأنَّ فاطمة عليها السلام كانت غير راغبة أو مجبرة على الزواج من الإمام عليّ عليه السلام.

(١) الميلانيّ، حديث خطبة عليّ، ص٤٦-٤٧.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص٢٨١-٢٨٢، ابن الاثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٩٦.
(٣) ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج٨، ص١٥

المبحث الرابع

ميراث فاطمة عليها السلام

روي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حينما أنزل قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[١]، دعا ابنته فاطمة عليها السلام ونحلها فدكًا[٢]، والعوالي[٣]، فقال: «**هذا قسم قسمه الله لك ولعقبك من السماء، والويل لمن حال دونه**»[٤]. إنَّ أرض فدك وغيرها كانت ميراثًا للسيِّدة فاطمة عليها السلام ولعقبها، وعلى الرغم من تحذير الرسول صلى الله عليه وآله من الحيلولة دون اغتصاب حقِّ فاطمة عليها السلام، إلَّا أنَّ هذا حدث فعلًا، إذ ثبت اغتصاب أبي بكر لحقِّ السيِّدة فاطمة من الميراث، فخاصمته وحاججته بكلِّ وسائل الإقناع والشهود والأدلَّة، إلَّا أنَّ أبا بكر أصرَّ على الإنكار والامتناع، وشهد شهود أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[٥]، فأثار فعل أبي بكر غضب السيِّدة فاطمة عليها السلام، فتوجَّهت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فشكت إليه ما فعله القوم بها وبكت، كما أنَّها توفِّيت وهي غاضبة على أبي بكر؛ لما فعله من إنكار حقِّها من الميراث[٦].

(١) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٢) فدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة أيَّام، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله سنة (٧هـ) صلحًا خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها عين فوَّارة ونخيل كثير. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٨.

(٣) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل ثلاثة. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٦.

(٤) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٥٣.

(٥) القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١٣٣-١٣٤.

(٦) القمِّيّ، المصدر نفسه، ص١٥٠.

وقد قلبت الروايات الشاميَّة الحقيقة بما يشير إلى اقتناع السيِّدة فاطمة عليها السلام بمسوِّغات أبي بكر، ولم يقع أي خلاف أو خصام أو غضب، إذ أورد الطبرانيّ عن عروة بن الزبير رواية تخصُّ مطالبة السيِّدة فاطمة عليها السلام بميراثها، حيث وفدت على أبي بكر وكلَّمته وقالت له: «أترثك ابنتك ولا أرث أبي؟ فقال: بأبي أنت وبأبي أبوك، إنَّه كان يقول: لا نورث ما تركنا صدقة»(١).

وفي رواية ثانية للطبرانيّ، نقلًا عن الزهريّ، بأنَّ الإمام عليًّا عليه السلام هو الذي ذهب لأبي بكر للمطالبة بنصيب فاطمة عليها السلام، فردَّه أبو بكر قائلًا: «لا أرى ذلك، إنَّ رسول الله كان يقول: إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»، فقام قوم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فشهدوا بذلك، وأخبرهم أبو بكر بأنَّه النائب عن الرسول صلى الله عليه وآله، وهو الأحقُّ في التصرُّف بتلك الأموال، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل(٢).

وفي هذه الرواية يظهر بأنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لم تذهب بنفسها للمطالبة بحقِّها في الميراث، ولم يحدث أيّ خلاف بينها وبين أبي بكر، وأنَّ الأمور جرت باقتناع فاطمة وزوجها وفقًا لتسويغات أبي بكر وشهادة القوم بصحَّة الحديث الذي أدلى به أبو بكر: «إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث»، وحسب ما جاء في رواية الطبرانيّ يظهر وكأنَّ الإمام عليًّا والسيِّدة فاطمة عليهما السلام ليس لديهما أيّ علم أو معرفة بحديث الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يسمعا به من قبل، وأنَّ أبا بكر وأولئك النفر من الشهود كانوا أعلم بأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وأحاديثه من أقرب المقرَّبين إليه وهم أصحاب الشأن، هذا فضلًا عن ردِّ شهود السيِّدة فاطمة عليها السلام الثقاة.

(١) المعجم الأوسط، ج٤، ص١٠٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦.

الخاتمة

بسم الله والحمد لله أوَّله وآخره الذي أنعم علينا بوافر نعمه ويسَّر لنا سبل البحث الذي توصَّلنا فيه إلى جملة من النتائج، وهي:

١. مدى التأثير الأمـويّ في الرؤية الشاميَّة المبغضة لآل البيت عليهم السلام، والتي تجسَّدت في روايـات أبي القاسم الـطبرانيّ الشاميّ في المعجمَين الكبير والأوسط.

٢. تميَّزت روايات الطبرانيّ بالوضع والاختلاق؛ بقصد تشويه سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وتضليل الحقيقة التاريخيَّة.

٣. اعتمد الطبرانيّ في نقل رواياته المتعلِّقة بأخبار آل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام، والسيِّدة فاطمة عليها السلام بشكلٍ خاص على مجموعة من الرواة المبغضين والمأجورين أمثال عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير والزهريّ وغيرهم.

٤. نسبت روايات الطبرانيّ فضائل ومناقب السيِّدة فاطمة عليها السلام لبعض النساء الأخريات؛ بغية الإقلال من شأنها، وتنقيص مكانتها.

٥. أظهر البحث أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام وفق روايات الطبرانيّ لم تكن سوى امرأة عاديَّة، شأنها شأن بقيَّة النساء، تصدر منها أفعال وتصرُّفات تستوجب طلب المغفرة، وتكفير الذنوب، وتلتمس النجاة من النار.

٦. أظهر البحث أنَّ عـددًا من الـروايـات التي ذكـر فيها الـطبرانيّ أو أبرز جوانب من فضائل السيِّدة فاطمة عليها السلام، كانت تحمل في الوقت نفسه جانب الإسـاءة لزوجها، فهي روايـات ذات حـدَّيـن، تـدسُّ السـمَّ في العسل.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأوليَّة

* القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة (دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت).

ابن إدريس الحِلِّيّ، أبو عبد الله محمَّد بن منصور (ت٥٩٨هـ).

٢. مقدِّمة تفسير منتخب البيان (تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي الموسويّ الخرسان، ط١، العتبة العلويَّة المقدَّسة، النجف، ٢٠٠٨).

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).

٣. صحيح البخاريّ (دار الفكر، بيروت، ١٩٨١).

ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسديّ الحِلِّيّ (ت٦٠٠هـ).

٤. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار (قم، ١٤٠٧هـ).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ).

٥. أنساب الأشراف (تحقيق: محمَّد حميد الله، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩).

البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

٦. السنن الكبرى (دار الفكر، د.ت).

الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ).

٧. سنن الترمذيّ (حقَّقه وصحَّحه: عبد الرحمن بن محمَّد عثمان، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣).

الثعلبيّ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ).

٨. تفسير الثعلبيّ (تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٢).

الثقفيّ، إبراهيم بن محمَّد (ت٣٨٥هـ).

٩. الغارات (دار الكتاب، قم، ١٨٩٢).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ).

١٠. العثمانيَّة (تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، دار الكتاب العربيّ، مصر، ١٩٥٥).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ).

١١. الصِّحاح (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطَّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمَّد عبد الرحمن الرازي (ت٣٢٧هـ).

١٢. تفسير القرآن العظيم (تحقيق: أسعد محمَّد الطيِّب، دار الفكر، بيروت، د.ت).

ابن حاتم العامليّ، الشيخ يوسف بن حاتم (ق٧هـ).

١٣. الدرُّ النظيم (تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢٠هـ).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ).

١٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٤١).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ).

١٥. فضائل فاطمة الزَّهراء (تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨).

١٦. المستدرك على الصحيحين (إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، د.ت).

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ (ت٨٥٢هـ).

١٧. الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ).

ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ).

١٨. شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، بيروت، ١٩٦١).

الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ).

١٩. غريب الحديث (تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم، ط١، دار المدينة للطباعة والنشر، جدَّة، ١٤٠٥هـ).

العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ).

٢٠. خلاصة الأقوال (تحقيق: الشيخ جواد القيُّومي، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ١٤١٧هـ).

٢١. منتهى المطلب (ط١، مؤسَّسة الطبع والنشر في الأستانة الرضويَّة المقدَّسة، ١٤١٢هـ).

أبو حمزة الثماليّ، ثابت بن دينار الكوفيّ (ت١٤٨هـ).

٢٢. تفسير أبي حمزة الثماليّ (أعاد جمعه وتأليفه: عبد الرزَّاق محمَّد حسين حرز الدين، راجعه وقدَّم له: سماحة العلَّامة الشيخ محمَّد هادي معرفة، ط١، مطبعة الهادي، ١٤٢٠هـ).

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ).

٢٣. مسند أحمد بن حنبل (دار صادر، بيروت، د.ت).

ابو حنيفة الدينوريّ، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ).

٢٤. الأخبار الطوال (تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيَّال، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٠).

الذهبي، محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ).

٢٥. تذكرة الحفَّاظ (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت).

٢٦. سير أعلام النبلاء (تحقيق: شعيب الأرناؤوط ط٢، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢).

٢٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال (تحقيق:عليّ محمَّد البجاويّ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣).

ابن سعد، محمَّد بن سعد البصريّ (ت٢٣٠هـ).

٢٨. الطبقات الكبرى (القاهرة، ١٣٥٦هـ).

ابن شاذان، محمَّد بن أحمد بن عليّ القمِّيّ (ت٤١٢هـ).

٢٩. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمَّة من ولده (تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، قم، ١٩٦٧).

الشافعيّ، محمَّد بن إدريس (ت٢٠٤هـ).

٣٠. كتاب الأم (ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٣).

ابن شاهين، عمر بن شاهين (ت٣٨٥هـ).

٣١. فضائل فاطمة الزَّهراء (تقديم وتحقيق: محمَّد هادي الأمينيّ، مؤسَّسة الغدير الإسلاميّ، دار الكتاب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٢).

ابن شهر آشوب، أبو جعفر محد بن عليّ المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ).

٣٢. مناقب آل أبي طالب (تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٥٦).

الصالحيّ الشاميّ، محمَّد بن يوسف (ت٩٤٢هـ).

٣٣. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٣).

ابن الصبَّاغ، عليّ بن محمَّد بن أحمد (ت٨٥٥هـ).

٣٤. الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة (تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث، سقارة، ١٤٢٢هـ).

الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ).

٣٥. علل الشرائع (تقديم: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).

٣٦. المعجم الأوسط (قسم التحقيق بدار الحرمَين، دار الحرمَين للنشر، ١٩٩٥).

٣٧. المعجم الكبير (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٥).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ).

٣٨. تاريخ الأمم والملوك (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧).

٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطَّار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥).

الطبريّ الشيعيّ، محمَّد بن جرير بن رستم (ق٤هـ).

٤٠. دلائل الإمامة (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ١٩٩٣).

الطريحيّ، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ).

٤١. مجمع البحرين (تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، ط٢، مكتبة النشر للثقافة الإسلاميَّة، ١٢٠٨هـ).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

٤٢. رجال الطوسيّ (تحقيق: جواد القيُّومي الأصفهانيّ، ط٥، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ٢٠٠٩).

العامليّ، عليّ بن يونس (ت٨٧٧هـ).

٤٣. الصراط المستقيم (تصحيح وتعليق: محمَّد الباقر البهبوديّ، ط١، المطبعة الحيدريَّة، د.ت).

ابن عبد البرِّ، أبو عبد الله يوسف بن عبد الله النمريّ (ت٤٦٣هـ).

٤٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢).

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن (ت٥٧١هـ).

٤٥. تاريخ مدينة دمشق (دراسة وتحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥).

ابن عقدة الكوفيّ، أحمد بن محمَّد بن سعيد (ت٣٣٢هـ).

٤٦. فضائل أمير المؤمنين (جمعه ورتَّبه وقدَّم له: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، ط١، مطبعة نكارش، قم، ١٤٢٤هـ.ق).

العيَّاشيّ، محمَّد بن مسعود (ت٣٢٠هـ).

٤٧. تفسير العيَّاشيّ (تحقيق: الحاج السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، د.ت).

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ).

٤٨. العين (تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرَّائيّ، ط٢، مؤسَّسة دار الهجرة، إيران، ١٤١٠هـ).

الفيض الكاشانيّ، الملَّا محمَّد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ).

٤٩. كتاب الوافي (تحقيق: مركز التحقيقات الدينيَّة والعلميَّة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أصفهان، ١٤١٥هـ).

ابن قتيبة الدينوريّ، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ).

٥٠. غريب الحديث (تحقيق: د. عبد الله الجبوريّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، قم، ١٤٠٨هـ).

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ).

٥١. البداية والنهاية (بيروت، ١٩٩١).

الكوفيّ، محمَّد بن سليمان (ت٣٠٠هـ).

٥٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، قم المقدَّسة، ١٤١٢هـ).

محبُّ الدين الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ).

٥٣. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلاميّ، إيران، ٢٠٠٩).

ابن مردويه، أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهانيّ (ت٤١٠هـ).

٥٤. مناقب عليّ بن أبي طالب وما أُنزل من القران في عليّ عليه السلام (جمعه ورتَّبه وقدَّم له: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، ط٢، دار الحديث، قم، ١٤٢٤هـ).

المزيّ، جمال الدين أبي الحجَّاج بن يوسف (ت٧٤٢هـ).

٥٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣).

المناوي، محمَّد بن عبد الرحمن (ت١٠٣١هـ).

٥٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير (تصحيح: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٤).

ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ).

٥٧. لسان العرب (قم، ١٤٠٥هـ).

الموفَّق الخوارزميّ، الموفق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ (ت٥٦٨هـ).

٥٨. المناقب (تحقيق: الشيخ مالك المحموديّ، ط٢، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم، ١٤١٤هـ).

ابن ناصر الدين الدمشقيّ، محمَّد بن عبد الله القيسيّ (ت٨٤٢هـ).

٥٩. توضيح المشتبه (تحقيق: محمَّد نعيم العرقسوسيّ، ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣).

النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ).

٦٠. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (تحقيق: محمَّد الكاظم، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، ١٤١٩هـ).

٦١. فضائل الصحابة (دار الكتب العلميَّة، د.ت).

النعمان المغربيّ، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمَّد (ت٣٦٣هـ).

٦٢. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الاطهار (تحقيق: السيِّد محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم، د.ت).

النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ).

٦٣. نهاية الإرب في فنون الأدب (مطابع كوستاتسومايس وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، مصر، د.ت).

الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).

٦٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨).

ياقوت الحمويّ، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٦٥. معجم البلدان (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩).

ثانيًا: المراجع.

الأمين، السيِّد محسن.

٦٦. أعيان الشيعة (حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣).

التستريّ، الشيخ محمَّد تقي.

٦٧. قاموس الرجال (ط١، قم، ١٤١٩هـ).

الخوئيّ، أبو القاسم.

٦٨. معجم رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة (طبعة منقَّحة ومزيدة، ط٥، ١٩٩٢).

العامليّ، السيِّد جعفر مرتضى.

٦٩. بنات النبيّ صلى الله عليه وآله أم ربائبه (ط٢، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢).

٧٠. الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام (مطبعة دفتر تبليغات اسلاميّ، ط١، ١٤٣٠هـ).

٧١. الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله (ط١، دار الحديث، قم، ١٤٢٦هـ).

العوَّاد، انتصار عدنان.

٧٢. السيِّدة فاطمة الزَّهراء، دراسة تاريخيَّة (ط١، بيروت، ٢٠٠٩).

القمِّيّ، عبَّاس.

٧٣. بيت الأحزان (ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٢هـ).

الكجوريّ، الشيخ محمَّد باقر.

٧٤. الخصائص الفاطميَّة (ترجمة: سيِّد عليّ جمال، ط١، مطبعة شريعت، ١٣٨٠هـ).

الكنانيّ، مصطفى سالم.

٧٥. البناء الفكريّ والسياسيّ الأمويّ في بلاد الشام (أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٩).

الميلانيّ، السيِّد عليّ الحسينيّ.

٧٦. حديث خطبة عليّ بنت أبي جهل (مجلَّة تراثنا، العدد الثاني، السنة السادسة، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١١هـ).

النمازيّ، عليّ الشاهروديّ.

٧٧. مستدركات علم رجال الحديث (مطبعة حيدريّ، ط١، طهران، ١٤١٥هـ).

إحياء الأيَّام الفاطميَّة في إيران خلال العصر القاجاريّ

م.د. وسن عبد العظيم فاهم الإيداميّ
جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية

ملخَّص البحث

جاء هذا البحث لتسليط الضوء على (إحياء الأيَّام الفاطميَّة في ايران خلال العصر القاجاريّ)، متناولًا الموضوع في محورَين رئيسَين: الأوَّل هو التعريف بالأيَّام الفاطميَّة والجذور التاريخيَّة لإحيائها، والذي أوضح أنَّ المقصود بتلك الأيَّام هي أيَّام حزن وعزاء شهادة الزَّهراء عليها السلام، وإحدى أهمِّ الشعائر الدينيَّة لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام، وترجع بجذورها التاريخيَّة إلى الساعات الأولى من شهادتها عليها السلام، والقرون الأولى للإسلام. فيما تناول المحور الثاني ازدهار الحداد الفاطميّ في العصر القاجاريّ، والذي أوضح أنَّ الحداد الفاطميّ أصبح تقليدًا رسميًّا، خاصَّةً في زمن ناصر الدين شاه، وتمثَّل بعدَّة مظاهر لإحياء الأيَّام الفاطميَّة، وأُقيم من الجانبين الرسميّ والشعبيّ.

المقدِّمة

نالت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مقامًا مقدَّسًا ومنزلةً رفيعةً واهتمامًا بالغًا في التراث الإيرانيّ، على المستويَين الرسميّ والشعبيّ، وأخذت صورًا عدَّة في تراثهم المحلِّيّ، فكان لذكرى استشهادها بالغ الأثر في نفوسهم، وهو ما يُعرف بالأيَّام الفاطميَّة، إذ يعتبرون أنَّ إحياء وتعظيم تلك الأيَّام من وجهة نظر الشيعة عمومًا، تذكير بابنة الرسول صلى الله عليه وآله مثالًا للمرأة المسلمة الناجحة، فهي من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا تمتلك من المعرفة ما لم نجده في التراث الذي وصلنا من المسلمين في تلك المرحلة، إلَّا ما جاء عن الإمام عليّ عليه السلام، لذا فهو أوَّل من نعاها ورثاها؛ لعظيم معرفته بها، وبمكانتها وكراماتها، فهي ابنة النبيّ، وزوج الوصيّ، وأمُّ الأئمَّة، وبما أنَّ الأم هي الدعامة الأساسيَّة والبنية التحتيَّة المعرفيَّة لأيِّ مجتمع من المجتمعات، لذا فالزَّهراء عليها السلام هي رمز المعرفة الإسلاميَّة، وتعظيم شعيرة استشهادها هي أيقونة لعظمة المجتمع الإسلاميّ.

أُثيرت الشكوك حول الحداد الفاطميّ، بأنَّهُ أمرٌ مُستحدَثٌ جاء بعد الثورة الإسلاميَّة، لكنَّ الجذور التاريخيَّة لإقامته، وسير شيعة أهل البيت على ذلك، وتحت ظلِّ كثير من الحكومات على مرِّ التاريخ، هي أدلَّة على أصالة الحداد الفاطميّ، وممارسة طقوسه لدى الشيعة مرهونة بسياسة السلطات الحاكمة، إذ يقيمونه عندما تكون فسحة من الحريَّة، ويُقام في الخفاء عند وجود الضغط، وبقي الحداد بين شدٍّ وجذبٍ حتَّى اعتلى الصفويُّون السلطة، فأُقيم بحريَّة، وعندما جاء حكم القاجار، أصبح إحياء الأيَّام

الفاطميَّة واضحًا، وهو ما أكَّدته الوثائق التاريخيَّة العائدة للعصر القاجاريّ، والمحفوظة في العتبة الرضويَّة المقدَّسة، والمكتبة المركزيَّة لجامعة طهران، فتدحض الشكوك حول استحداث الحداد الفاطميّ.

ازدهرت مراسم الحداد الفاطميّ في عهد ناصر الدين شاه بشكلٍ كبير، وتحوَّلت من مجرَّدِ طقوسٍ دينيَّةٍ إلى تقليدٍ رسميٍّ، وأُقيم في المساجد والتكايا والإمام زاده، وكانت تكية خاصَّة بالحكومة تسمَّى (تكيه دولت) تُقام فيها المراسم الرسميَّة للعزاء، حتَّى أصبحت التعزية خلال حقبة القاجاريِّين ذات شعبيَّة كبيرة، وواحدة من المظاهر الدينيَّة لهذه الدولة، ويرجع سبب الاهتمام الحكوميّ بإحياء المراسم إلى إظهار توجُّه حكم القاجار للناس والمجتمع آنذاك، وإضفاء الشرعيَّة لما يمتلكه المجتمع من عقيدة واهتمام، ولما أبداه العلماء ورجال الدين من مواقف تجاه الحكومة القاجاريَّة وسياستها مع الغرب، فأراد أن يُضفي الشرعيَّة على حكومته، وكان العزاء الفاطميّ في المساجد، والذي يقيمه رجال الدين مختلفًا تمامًا عن الذي يقام في التكايا الرسميَّة، وما يرافقه من بهرجة وترف ورياء. ومن مراجع الدين الكبار، الذي اهتمَّ بإحياء الأيَّام الفاطميَّة خلال عصر القاجار، هو الشيخ محمَّد كاظم الخراسانيّ المعروف بـ(آخوند خراساني)، فكان يقيم الحداد في منزله خلال وجوده في النجف الأشرف، التي كانت تحت السيطرة العثمانيَّة.

يسعى البحث لتوضيح قضية: أَ هُناك إحياء للأيَّام الفاطميَّة في العصر القاجاريّ، وله جذور تاريخيَّة، أم أنَّه أمر مستحدث بعد الثورة الإسلاميَّة؟ وما هي صور ذلك الإحياء؟ وبماذا تمثَّلت؟ وما هي الشواهد التاريخيَّة عليها؟ وهل كان إحياء الأيَّام الفاطميَّة من الجانب الرسميّ فقط، أم الرسميّ والشعبيّ على حدٍّ سواء؟.

وتكمن أهميَّة البحث في تسليط الضوء على إحياء شعيرة دينيَّة مهمَّة، ومدى التزام شيعة أهل البيت عليهم السلام بها، وبيان مكانة الزَّهراء عليها السلام لديهم، من خلال التزامهم بإقامة مراسم الحداد والتعزية، والبذل في سبيلها. فيما تكمن أهميَّة موضوع البحث في تسليطه الضوء على جانبٍ مهمٍّ من جوانب التاريخ الاجتماعيّ الإيرانيّ خلال العصر القاجاريّ.

أمَّا حدود البحث، فتكوَّنت من مقدِّمة ومحورَين وخاتمة حملت أبرز النتائج، وقد تناول المحور الأوَّل التعريف بالأيَّام الفاطميَّة، والجذور التاريخيَّة لإحيائها، فيما أوضح المحور الثاني ازدهار الحداد الفاطميّ في العصر القاجاري، معتمدًا على مجموعة من الوثائق الفارسيَّة، والمصادر الفارسيَّة والعربيَّة.

المحور الأوَّل

التعريف بالأيَّام الفاطميَّة والجذور التاريخيَّة لإحيائها

يُقصَد بالأيَّام الفاطميَّة هي أيَّام حزن ذكرى شهادة الزَّهراء عليها السلام وعزائها، إذ ذكرت المصادر أنَّ سبب وفاتها هي الإصابات التي رافقت أحداث ما بعد وفاة أبيها، والسقيفة، ممَّا ألزمتها الفراش حتَّى ماتت شهيدة[١]. واتَّفق المؤرِّخون على أنَّها (سلام الله عليها) توفِّيت سنة (١١هـ)؛ لكنَّهم اختلفوا في الشهر ويومه، ويعود ذلك لاختلاف الروايات الواردة عن الأئمَّة عليهم السلام، فذكرت بعض الروايات أنَّها استشهدت بعد أربعين يومًا من وفاة أبيها النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله[٢]، وأكَّد القسم الآخر أنَّ الاستشهاد بعد خمسة وسبعين يومًا من رحيله صلى الله عليه وآله[٣]، فيما تحدَّثت مجموعة أخرى عن أنَّ شهادتها بعد وفاة أبيها بخمسة وتسعين يومًا، وأشارت روايات أخرى إلى أنَّها استشهدت بعد ثلاثة أشهر أو ستَّة أشهر من وفاته صلى الله عليه وآله[٤]، حتَّى برزت من تلك الروايات اثنتان، واحدة منها

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، أبي منصور أحمد بن عليّ، تحقيق: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف، ط٢، ١٩٦٦م، ج١، ص١٠٩، دلائل الإمامة، الطبريّ، محمَّد بن جرير، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ، ص١٣٤.

(٢) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الإربلِّيّ، عليّ بن عيسى، تحقيق: عليّ آل كوثر، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالميّ لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م، ج١، ص٤٧٢.

(٣) الكافي، الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش، ج١، ص٤٥٨.

(٤) أعيان الشيعة، الأمين، محسن، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج١، ص٣١٩.

حدَّدت الثالث عشر من جمادى الأولى، فيما حدَّدت الثانية يوم الثالث من جمادى الآخرة تاريخًا للاستشهاد، وهو المشهور(١).

وبسبب قرب روايَتَي الاستشهاد البارزَتَين من بعضهما، ظهرت حالة من الاستمراريَّة في إحياء أيَّام العزاء تدريجيًّا، ومن جهة أخرى مثَّلت شهادة الزَّهراء عليها السلام مصيبة عظمى لدى الشيعة في بلدانٍ عدَّة، ممَّا جعلهم يقيمون الحزن والعزاء أيَّامًا قبل تاريخ الاستشهاد، وأيَّامًا بعده، فكانت هذه الأيَّام بمجملها تُدعى بـ(الأيَّام الفاطميَّة)، تكثر فيها المجالس، ومواكب العزاء، والمشي على الأقدام للأماكن المقدَّسة، وقد يشارك فيها عدد من مراجع الشيعة(٢)، حتَّى أُعلن يوم شهادتها عليها السلام عطلة رسميَّة في بعض الدول الإسلاميَّة، كالجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة(٣).

يرجع الحزن وإقامة الحداد لدى الشيعة إلى جذور تاريخيَّة، فهو لم يكن صنيعة أو اجتهادًا من لدنهم؛ بل كان موروثًا من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، وسيرًا على نهجهم، وكذلك إكرامًا لهم، وبيانًا لفضائلهم وأحقيَّتهم ومظلوميَّتهم في الوقت نفسه، فلو رجعنا في الحداد الفاطميّ إلى الساعات الأولى من وفاتها (سلام الله عليها)، لوجدنا أنَّ عليًّا عليه السلام هو أوَّل الناعين والباكين، وهو أوَّل من رثاها، وكذلك الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأنَّها ماتت مظلومة شهيدة، وذلك واضح في أغلب المصادر، إذ إنَّها لـمَّا مرضت عليها السلام، أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يكتم أمرها، ويخفي خبرها، وكان يمرِّضها بنفسه، وتعينه على ذلك

(١) الكافي، ج١، ص٢٤١.
(٢) على أعتاب ذكرى المصيبة العظمى شهادة الصديقة الكبرى، الخراسانيّ، آية الله االشيخ حسين الوحيد، منشورات مدرسة الإمام باقر العلوم، قم، ط٤، ١٣٩٠هـ ش، ص٢٠، فاطمية در قم بياده روي دو تن از مراجع تقليد تا حرم، خبر كزارى صدا وسيما، تاريخ انتشار: ١٤/ ١/ ١٣٩٣ش، تاريخ بازديد:٢/ ١٢/ ١٣٩٥ش.
(٣) ماجراي تعطيل شدن روز شهادت حضرت زهرا (ع)، خبر كزاري فارس، تاريخ انتشار: ٥/ ٢/ ١٣٩١ ش، تاريخ بازديد: ٢/ ١٢/ ١٣٩٥ ش.

أسماء بنت عميس، ولـمَّا حضرتها الوفاة أوصته أن يتولَّى أمرها ويدفنها ليلًا، ويُعفي قبرها، ففعل ذلك سلام الله عليه[١]، وما هذه التفاصيل إلَّا دليل قاطع على المظلوميَّة التي تعرَّضت لها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتي تستوجب الحزن والبكاء والرثاء.

سمع أهل المدينة بوفاة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فصاحوا صيحةً واحدةً، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت أن تتزعزع منها المدينة، وهنَّ يقلن: يا سيِّدتاه يا بنت رسول الله. فأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى عليّ عليه السلام وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أمُّ كلثوم وعليها برقعة تجرُّ ذيلها، متجلِّلةً برداء تسحبه، وهي تصيح: يا أبتاه أي رسول الله الآن حقًّا فقدناك فقدًا لا لقاء بعده. وكَثُرَ الصراخ في المدينة على ابنة الرسول صلى الله عليه وآله، واجتمع المعزُّون ينتظرون خروج الجنازة، فخرج إليهم أبو ذر يأمرهم بالانصراف بأنَّ ابنة الرسول صلى الله عليه وآله قد أُخِّر إخراجها هذه العشيَّة[٢]، وبعد أن أكمل الإمام عليّ عليه السلام عمليَّة التكفين، لم يعقد الرداء، وإنَّما نادى على أولاده ليتزوَّدوا من أمِّهم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنَّة، فأقبل الحسنان عليهما السلام مناديَين: «**حسرتنا لا تنطفئ من فَقدِ جدِّنا المصطفى وأمِّنا الزَّهراء..**». فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أُشهِد الله أنَّها حنَّت وأنَّت ومدَّت يديها وضمَّتهما إلى صدرها مليًّا**. وإذا بهاتف من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما، فلقد أبكيا والله ملائكة السماء، فرفعهما عنها، وعقد الرداء عليها[٣]. ومن هنا نستشف أنَّ الزَّهراء عليها السلام قد أقيم لها عزاء في الأرض، وآخر في السماء، ضجَّت له الملائكة.

(١) الأمالي، المفيد، عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، المطبعة الإسلاميَّة، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم، ١٤٠٣هـ، ص٢٨١.

(٢) روضة الواعظين، النيشابوريّ، محمَّد بن الفتَّال، تحقيق: غلا محسين المجيديّ ومجتبى الفرجيّ، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، طهران، ط١، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٣) وفاة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، المقرَّم، عبد الرزاق، مؤسَّسة الوفاء، ط١، ١٩٨٣م، ص١٠٥.

ونستطيع أن نستشفَّ الحداد الفاطميّ عند تسليط الضوء على حزن الإمام عليّ عليه السلام، وبكائه ورثائه لفاطمة عليها السلام بعد الدفن، وإعفاء موضع القبر، إذ إنَّهُ لـمَّا نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خدَّيه، وحوَّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد سلامه عليه وإخباره برحيل الزَّهراء، قال: «.. **قلَّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبري، وضعف عن سيِّدة النساء تجلُّدي، إلَّا أنَّ في التأسِّي لي بسنَّتك، والحزن الذي حلَّ بي بفراقك موضع التعزِّي..**»، وقال في نفس السياق أيضًا: «.. **يا رسول الله أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمُسهَّد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم.. وستُنبِئُكَ ابنتك بتظافر أمَّتك عليَّ وعلى هضم حقِّها.. فكم من غليلٍ معتلجٍ بصدرها لم تجد إلى بثِّهِ سبيلًا...**»[1]. وبعد أن سلَّم على رسول الله سلامَ مودِّعٍ، جاء في كلامه: «.. **ولولا غلبة المستولين علينا؛ لجعلت المقام عند قبرك لزامًا، ولَلبِثتُ عنده معكوفًا، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرَّزيَّة، فبعين الله تُدفَن ابنتك سرًّا، وتُهضَم حقَّها قهرًا، وتُمنع إرثها جهرًا، ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذِّكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته**»[2].

وفيما يخصُّ المراثي، فإنَّ أمير المؤمنين هو أوَّل من رثاها، ثمَّ أكثر الشعراء بعده – قديمًا وحديثًا– في وصف تلك الرزيَّة، وذلك الظلم الذي شاهدته بضعة الرسول، والتعدِّي على حقوقها، فبعد أن أكمل الإمام عليّ عليه السلام عمليَّة الدفن، وبعد اشتداد الحزن وإسبال الدموع والتأسِّي بالرسول، ورفع شكواه إلى الله تعالى، أنشد قائلا[3]:

(١) الأمالي للمفيد، ص٢٨٢.
(٢) وفاة الصديقة الزَّهراء عليها السلام، ص١٠٨.
(٣) روضة الواعظين، ج١، ص٣٥١، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني، أبي جعفر محمَّد بن عليّ، تحقيق: يوسف البقاعيّ، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ج٣، ص٤١٤.

لـكـلِّ اجـتـمـاعٍ مـن خَـلـيـلَـين فـرقـة
وكـــلُّ الـــذي دونَ الـــفـــراقِ قـلـيـلُ
وإنَّ افـتـقـادي فـاطـمًا بـعـد أحـمـدٍ
دلـيـــلٌ عـــلى ألَّا يـــــدومَ خـلـيـلُ

وقال أيضًا[1]:

نَـفـسـي عَـــلى زَفَـــراتِهـــا مَحـبـوسَـةٌ
يـا لَـيـتَـهـا خَـرَجَـت مَـعَ الـزَفَـراتِ
لا خَـــيـرَ بَـعـدَك في الحَـيـاةِ وَإِنَّـــما
أَبـكـي مَخـافَـةَ أَن تَـطـولَ حَـياتي

فتفاصيل هذه النصوص كافية لبيان مدى الحزن السرمديّ لأمير المؤمنين، وتشبيه ما حلَّ به كعويل الثكلى على عظم الرزيَّة، ومدى المظلوميَّة والكمد الذي بات بصدر الزَّهراء سلام الله عليها، وكذلك رثاؤه عليه السلام الذي أوضح عِظَم المصيبة، كلُّه يستحقُّ منَّا الحزن والحداد، سيرًا على نهج الإمام المعصوم عليه السلام.

شجَّع أهل البيت عليهم السلام إقامة العزاء تحت عنوان إحياء أمرهم، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سأل الفضيل بن يسار: يا فضيل أتجلسون وتتحدَّثون؟ فقال: نعم، فقال عليه السلام: «**إنَّ تلك المجالس أحبُّها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا**»[2]. فمجالس العزاء في الثقافة الشيعيَّة هي الآصرة التي توضِّح ارتباط الشيعة بالأئمَّة الأطهار عليهم السلام، والسير في طريقهم؛ لأنَّهم أمروا بإقامة التجمُّعات؛ لما لها من فضائل كثيرة، وعدد لا يحصى من الفوائد والبركات الروحيَّة، وأبرز ثمراتها تبادل الثقافة الدينيَّة الصحيحة

(١) وفاة الصديقة الزَّهراء عليها السلام، ص١٠٨.

(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج٤٤، ص٢٨٢.

وتعليمها للناس، حتَّى وجدنا ذلك متجسِّدًا في حديث الإمام الرضا عليه السلام، إذ قال: «**مَن تذكَّر مصابنا وبكى لما ارتكب مِنَّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذُكِّر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلسًا يحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[1]، فالإمام عليه السلام هنا يذكر لونَين من الإحياء، ويريد منَّا أن نذكر تارةً الجانب المأساويّ، أي جانب المصيبة، فتبكي العيون، وتارةً أخرى نذكر الجانب الفكريّ والعقائديّ، فتحيا القلوب.

إنَّ الحداد الفاطميّ ومراسم العزاء لا تقتصر على النوح والبكاء فقط، بل تساعد على تكوين تجمُّعات بشريَّة في مكان واحد، لها الكثير من المميِّزات، حتَّى ذكر علماء النفس، وعلماء الدين، أنَّ التجمُّع والالتقاء بحدِّ ذاته علاج روحيّ، فالكثير من أمور الناس إذا تمَّت مناقشتها ضمن التجمُّعات ستحلّ العديد من المشاكل والأزمات لديهم، لاسيَّما مجالس الذِّكر والأدعية والصلوات؛ إذ يلتقي خلالها أهل الحيِّ الواحد على الأقل، ويتعارفون ويتبادلون الأحاديث في الأمور المختلفة، ويكوِّنون وحدة اجتماعيَّة وفكريَّة، كلُّ ذلك بشكل تلقائيّ بليغ، لا تنهض به تجمُّعات الروابط والجمعيَّات في المجتمع غير الإسلاميّ[2]. فكيف إذا كانت تلك التجمُّعات باسم أهل البيت عليهم السلام، وفيها العِبرة والعَبرة، والتبادل المعرفيّ الثقافيّ والدينيّ، ولذلك أولى أهل البيت عليهم السلام أهميَّة خاصَّة للحداد وإحياء العزاء، وبذلوا جهدًا كبيرًا لتوسيعه، واستمرَّ شيعتهم على ذلك، ولاسيَّما أنَّ شيعة عليّ عليه السلام هم الفائزون يوم القيامة[3].

(١) أمالي الصدوق، الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، تقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، المجلس١٧، الرقم ٤، ص٦٣.

(٢) فلسفة الصلاة، الكورانيّ، عليّ، دار الزَّهراء، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ، ص١٢٧.

(٣) أمالي الصدوق، المجلس٢٠، ص٧٥.

يـزداد حداد الشيعة على أهل البيت عليهم السلام عامَّة، والحـداد الفاطميّ خاصة، في الأوقـات التي لا توجد فيها ضغوطات حكوميَّة عليهم، إذ يكون الحـداد أكثر وضوحًا، وممارسة طقوس العزاء بكلِّ أريحيَّة لديهم، لكن عندما تشتدُّ ضغوطات الحكَّام، يقلُّ الحـداد، وتتمُّ ممارسته في الخفاء، لذا نرى مراسم العزاء واضحة في إيران والعراق بشكلٍ مختلف عن غيرهما من البلدان؛ لأنَّ الشيعة في هذَين البلدَين قد تمتَّعوا في ظلِّ بعض الحكومات بالحريَّة الدينيَّة، ممَّا جعلهم يُحيون مناسبات أهل البيت عليهم السلام، فلو رجعنا إلى الوضع خلال حكم الدولَتين الأمويَّة والعبَّاسيَّة نجد أنَّ الشيعة لم يستطيعوا إقامة الحداد، إذ اقتصر على المراثي في المجالس السريَّة، والتحدُّث مع بعضهم في الأسـواق عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والظلم الذي تعرَّضت له هي وأولادهـا، فكان الحداد الفاطميّ بهذا الشكل آنذاك نتيجة ضغوط الدولة العبَّاسيَّة[1].

وبذلك فإنَّ إحياء الأيَّام الفاطميَّة يعود إلى القرون الأولى للإسلام، إذ كان عادة لدى الشيعة منذ زمن الإمام الصادق عليه السلام فصاعدًا، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الحكومَتَين الأمويَّة والعبَّاسيَّة لم تسمحا للشيعة بإقامة مثل هذا العزاء، إلَّا في القرن الرابع، إذ تشكَّلت ثلاث حكومات شيعيَّة في أنحاء العالم الإسلاميّ، متمثِّلةً بالحمدانيَّة (٨٩٠م/ ٢٧٦هـ-١٠٠٤م/ ٣٩٤هـ) في سوريا، والبويهيَّة (٩٣٤م/ ٣٣٤هـ-١٠٦٢م/ ٤٥٤هـ) في إيران والعراق، والفاطميَّة (٩٠٩م/ ٢٩٦هـ-١١٧١م/ ٥٦٦هـ) في مصر، حيث انتشر التشيُّع، وكانت مراسم العزاء أكثر وضوحًا، لكنَّ الأعمَّ الأغلب كان مخصَّصًا لواقعة الطفِّ ومصاب سيِّد الشهداء عليه السلام، فيما كان الحداد الفاطميّ وبقيَّة الأئمَّة محدودًا

(١) يادداشت تبليغى مراسم فاطميه وشيوه‌هاى خنثى‌سازى فتنه‌هاى دشمنان، كارى از گروه توليد محتواى معاونت فرهنگى وتبليغى دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم، تاريخ انتشار: ١١: ٤٦.

https://www.balagh.ir/content/18306-1401/09/26.

ومقتصرًا على ذِكر فضائلهم، وذرف الدموع على ظلاماتهم، وتردَّدت أنباء عن عزاء الزَّهراء عليها السلام في مساجد مختلف المدن، ومنها إيران[1]، إلَّا أنَّ الحداد في إيران أصبح علنيًّا ورسميًّا في عهد الدولة الصفويَّة، وازداد كمًّا و نوعًا، إذ أُقيمت مراسم عزاء خاصَّة بوفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، والأئمَّة المعصومين عليهم السلام جميعًا، وذكرى شهادة الزَّهراء عليها السلام، وفي عهد الدولة القاجاريَّة نال الحداد الفاطميّ- تحديدًا- أهميَّة خاصَّة، وتحوَّل من مجرَّد طقوس دينيَّة إلى تقليدٍ رسميّ[2].

(١) الهداية الكبرى، الخصيبيّ، حسين بن حمدان، مؤسَّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص١٤، ١٦-١٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، مراجعة: محمَّد يوسف الدقَّاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨م، مج٨، ص٦، ٦٣، ١١٤

(٢) دين ودولت در ايران، الكار، حامد، ترجمة: أبو القاسم سري، نشر توس، تهران، جاب دوم، ١٣٦٩، ص٥٣.

المحور الثاني

ازدهار الحداد الفاطميّ في العصر القاجاريّ

كانت الأرضيَّة في إيران مهيَّأة لإحياء ذكرى مناسبات أهل البيت عليهم السلام خلال العصر القاجاريّ، بفعل ما قامت به الدولة الصفويَّة قبلها في هذا المجال، لاسيما إعلانها أنَّ الاسلام الشيعيّ هو دين الدولة الرسميّ، وقيامها بإحياء شامل لكلِّ مناسبات أهل البيت عليهم السلام.

ازدهر الحداد الفاطميّ بشكلٍ خاصٍّ في العصر القاجاريّ، وتحوَّل من مجرَّد مراسم دينية إلى تقليد رسميّ، وأصبحت التعزية ذات شعبيَّة كبيرة، كأحد المظاهر الدينيَّة لهذه الدولة، وأخذوا يقيمون العزاء كلَّ عام ضمن عقدَي عزاء (الأوَّل والثاني) من الفاطميَّة، حتَّى شاع استخدام تسمية الفاطميَّة الأولى والثانية كثيرًا[1]، وهذا ما تضمَّنته كتب المذكِّرات الشخصيَّة العائدة لبعض الشخصيَّات المعاصرة للحدث، فمن الروايات التي تعدُّ شاهدًا على رواج الفاطميَّة في العصر القاجاريّ، وخاصَّة زمن ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦م)، هي تقرير الشيخ إبراهيم الزنجانيّ، أحد مشايخ العصر القاجاري، الذي أورد في مذكِّراته قضيَّة تعميم الحداد الفاطميّ رسميًّا في إيران، وكتب عن سنة تقليد العزاء ما يأتي:

(١) المقصود بالعقد الأوَّل أو الفاطميَّة الأولى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام توفِّيت بعد (٧٥) يومًا من وفاة أبيها المصادفة في ٢٨ صفر، وبذلك تكون الفاطميَّة الأولى طبقًا لهذا التاريخ في ١٣-١٤-١٥ جمادى الأولى. أمَّا العقد الثاني أو الفاطميَّة الثانية، فيعني أنَّ الزَّهراء عليها السلام توفِّيت بعد أبيها بـ(٩٥) يومًا، وبذلك تكون وفاتها يوم ٣-٤-٥ جمادى الآخرة. (الباحثة).

«أصبح الحداد الفاطميّ ممارسة شائعة في كلٍّ من العتبات المقدَّسة، ومدينة زنجان بشكلٍ منفصل عن عزاء محرَّم ورمضان وسائر أيّام العزاء والتجمُّعات الدينيَّة، بعد أن كانت عادة أهل زنجان إحياء وفاة الزَّهراء عليها السلام في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من شهر جمادى الأولى، إلَّا أنَّني جعلتهم يتركون العزاء بهذا التاريخ إلى جمادى الثاني بعد مشقَّة كبيرة، وساعدني بذلك الحاج ملَّا صادق، وأقمنا العزاء..»[1].

يظهر من رواية الزنجانيّ أنَّ الفاطميَّة الأولى نالت اهتمامًا واسعًا في زنجان، وأصبحت عادة في عهد ناصر الدين شاه وبدعم منه، وفي نفس الرواية أيضًا يمكننا ملاحظة اهتمام النجف الأشرف في عهد ناصر الدين شاه، ومظفَّر الدين شاه (١٨٩٦-١٩٠٦م)، بإحياء الحداد الفاطميّ[2]، إذ كان للآخوند الخراسانيّ[3] أثرٌ كبير فيه، حتَّى لاقى عزاء الفاطميَّة الثانية في منزله في النجف الأشرف اهتمامًا كبيرًا، واستمرَّت عائلته على هذا التقليد بعد وفاته وإلى الآن، حيث تمَّ إنشاء (روضة فاطمية) في منزل حفيده ميرزا عبد الرضا كفايي، كما كان للشيخ محمَّد حسن المامقانيّ[4]، والشيخ صاحب الجواهر دور مهم في إحياء الأيَّام الفاطميَّة، وقد حظيت إقامة المراسم الفاطميَّة في

(١) خاطرات شيخ إبراهيم زنجاني، غلا محسين ميرزا صالح، انتشارات كوير، تهران، ١٣٨٠، ص١٠٧.

(٢) خاطرات شيخ إبراهيم زنجاني، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) هو محمَّد كاظم الخراسانيّ، ولد في مشهد عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٥٣م، وكان فقيهًا أصوليًّا، وعالمًا مشهورًا في النجف الأشرف، يعدُّ مرجع التقليد للشيعة في عصره، وأحد القادة السياسيِّين للحركة الدستوريَّة، توفِّي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. ينظر: أعيان الشيعة، ج٩، ص٥-٦.

(٤) الشيخ أبو القاسم محمَّد حسن ابن الشيخ عبد الله بن محمَّد باقر المامقانيّ، عالمًا بالفقه والأصول، من عظماء عصره، ولد عام ١٢٣٨هـ في مدينة مامقان التابعة لآذربيجان الشرقيَّة بإيران، سافر إلى كربلاء ودرس فيها، ثمَّ أكمل الدراسة الحوزويَّة في النجف، وكان من أساتذته الشيخ مرتضى الأنصاريّ، ومن تلامذته السيِّد أبو الحسن الأصفهانيّ. للمزيد ينظر: ماضي النجف وحاضرها، آل محبوبة، جعفر باقر، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م، ج٣، ص٢٥٨.

النجف الأشرف بأهميَّة كبيرة؛ لأنَّ الأخيرة كانت لا تزال تحت السيطرة العثمانيَّة، وما تميَّز به العثمانيُّون من تعصُّب طائفيّ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، حاول علماء النجف بشكلٍ دائم المحافظة على الوحدة بين الشيعة والسنَّة، فالأوضاع كانت مختلفة كثيرًا عن داخل إيران[١].

وصحيح أنَّ الحداد على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إيران زادَ بشكلٍ كبير من عام ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ فصاعدًا، لكن قضيَّة عدم وجود حداد قبل هذا التاريخ هي معلومة مغلوطة لا أساس لها من الصحَّة[٢]، ويمكن دحضها بعرض مجموعة من الوثائق التاريخيَّة والمتمثِّلة بمجموعة من الأوامر الرسميَّة وفاتورات الصرف، وشهادات الوقف، من خلال تواريخها العائدة لذلك العصر، والتي تثبت إحياء تلك الأيَّام، فضلًا عن رسميَّتها آنذاك، والاهتمام الحكوميّ والشعبيّ بها، فهناك وثيقة محفوظة في المكتبة المركزيَّة لجامعة طهران، وهي عبارة عن أمر شاهي صادر من ناصر الدين شاه بتوقيعه سنة ١٢٦٥هـ الموافق ١٨٤٨م، يأمر فيه بإعطاء شاة لنصر الله خان زنبوركجي باشي (النحَّال) في كلِّ عام من أجل التضحية بها خلال استشهاد الزَّهراء في الأيَّام الفاطميَّة[٣]، وهذا دليل على الاهتمام الحكوميّ بمناسبة الاستشهاد.

كان بناء المساجد من مظاهر شيوع الحداد الفاطميّ آنذاك، ففي عام ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥١م، تمَّ بناء مسجد في مدينة قم سميَّ بـ(فاطميَّة)، وقد تمَّ تشييده على أرض تعود لابن ناصر الدين شاه المعروف بـ(اعتضاد الدولة)[٤]، وهو نفس المسجد

(١) نگاهی تاریخی به ایام فاطمیه، احترامی به تنها یادگار پیامبر اسلام (ص)، فتحی، علی اشرف، مجله شهر قانون بهار ١٣٩٢، شماره ٥ (٢ صفحه- از ١٩ تا ٢٠).

(٢) سيد محمَّد باقر پوسانی، تاریخچه عزاداری فاطمیه، شبکه اجتهاد، ٨ بهمن ١٣٩٨ش.

(٣) سند تاریخی (فرمان شاهی ١٢٦٥هـ)، کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران، شماره ثبت ٨٢٥٥. ينظر: ملحق رقم (١).

(٤) وهو ميرزا محمَّد مهدي خان، الابن الأوَّل لناصر الدين شاه وشيخ قبيلة القاجار، تقلَّد مناصب=

الذي عُرف فيما بعد بمسجد (آية الله بهجت)، إذ خُصِّص هذا المسجد لعقد مجالس العزاء الفاطميّ في قم وبدعم من ابن الشاه القاجاريّ[1]، فضلًا عن وجود مراكز عزاء أخرى غير المساجد انتشرت آنذاك، وأُقيمت التعزية فيها من الجانبَين الرسميّ والشعبيّ على حدٍّ سواء، وهي ما تعرف بـ(التكايا)[2].

برزت في هذا المجال التكية الحكوميَّة المعروفة بتكية الدولة[3]، وغيرها من التكايا الموجودة في مختلف المدن الإيرانيَّة، وقد ذكر حامد قرائتي أنَّ الشعائر المقامة في المساجد

=عدَّة في الدولة، تزوَّج من فخر الملوك القاجاريَّة، وأنجب أربعة أولاد، وقد توفِّي سنة ١٣٠٧هـ. ينظر: قم از ابتداى دوره قاجار تا مشروطه، حسن قريشى كرين، نشر زائر، قم، ١٣٨٩، ج١، ص٢٣.

(١) انقلاب اسلامى مردم مشهد از آغاز تا استقرار جمهورى اسلامى، شاكرى، رمضانعلى، ناشر: بى نا، مشهد، چاپ: ٢، ١٣٥٩، ص١٢.

(٢) التكايا جمع تكية فى اللغات العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة، ويرجع البعض أصلها إلى الفعل العربى (اتَّكأ) بمعنى استند أو اعتمد، وهى مكان إقامة الصوفيَّة، وقد شُيِّدت التكايا في إيران منذ القرون الإسلاميَّة المبكرة، ثمَّ كثرت في عهد الصفويِّين والقاجاريِّين. للمزيد ينظر: بررسى تكايا در تهران قديم در دوره قاجاريه، فاطمة بينشى فر، فصلنامه بارسه، سال١٤، شماره: ٢٣، بايز وزمستان ٩٣، ص٢٤-٢٨.

(٣) شُيِّدت في طهران عهد ناصر الدين شاه القاجاريّ سنة ١٢٨٤هـ، بهدف إقامة مراسم عزاء أهل البيت عليهم السلام أيَّام عاشوراء، وتسمَّى أيضًا تكية القصر، والتكية الملكية الكبرى، وتكية الدولة الهمايونيَّة، تقع إلى الجنوب الشرقيّ من قصر كلستان، والجنوب الغربيّ من شمس العمارة، وإلى الشمال من الساحة الخضراء، وأمام مسجد الشاه، تتكوَّن من ثلاثة طوابق، ذات شكل دائريّ، يبلغ قطرها حوالي ٦٠ مترًا وارتفاعها ٢٤ مترًا، بلغت مساحتها حوالي ٢٨٢٤م٢، توجد في صحنها منصَّة مستديرة مخصَّصة لأداء التعزية، وقيل إنَّ نيَّة الشاه من بنائها في البداية للعروض غير الدينيَّة، نتيجة تعرُّفه على المسارح خلال رحلاته إلى أوربا، إذ تشابه بناؤها مع بناية قاعة البرت الملكيَّة في لندن (أكبر مسرح ملكيّ في إنكلترا)، لكن المبنى قد أحدث ضجَّة من قِبَل المتديِّنين ضدَّ الشاه قبل إكماله، ممَّا جعل الشاه يخصِّصه للمناسبات الدينيَّة، وعروض التعزية، وتلاوة الأدعية. للمزيد ينظر: وقايع الزمان (خاطرات شكاريه)، دوستتعلى معيرالممالك، جاب خديجه نظام مافى، تهران، ١٣٧٤ش، ص١٣.

تكون فيها المعرفة الدينيَّة صحيحة، ولا توجد فيها الكثير من البدع والخرافات الدينيَّة؛ نتيجة وجود رجال دين وعلماء مختصِّين بهذا المجال، فإلى جانب قراءة التعزية هناك محاضرة دينيَّة معرفيَّة تقدَّم فيها الحجج والأدلَّة الواضحة، على عكس بعض المساجد والكثير من التكايا، التي كانت التعزية فيها مدعومة من القاجاريِّين، ومعظم القائمين على قراءة التعزية من شيوخ القاجاريِّين، فطريقة التعزية كانت قريبة من طريقة القاجاريِّين الصوفية، فافتقرت هذه الأماكن إلى الحجج العلميَّة والمناقشات الدينيَّة المصحوبة بالأدلَّة[١]، كما شهد قسم ثالث من أماكن إقامة العزاء حضورًا للحداد الفاطميّ، إلى جانب المساجد والتكايا، وهو (الإمام زاده)، أي مراقد الصالحين، إذ كانت تقام بها مراسم التعزية[٢].

أُقيمت المراسم أيضًا في الشوارع العامَّة، وقصور طهران الكبرى، إذ شاركت فيها فئات وطبقات المجتمع كافَّة، من أفقر شخص إلى الملك نفسه، وظهرت طرق جديدة للحداد الفاطميّ لم تكن موجودة في العصر الصفويّ، فأصبح العزاء أمرًا عامًّا وشعبيًا بشكلٍ تام، ولم يقتصر على طهران فحسب، بل شمل المدن الكبرى، وغالبيَّة أحياء ومراكز المدن الإيرانيَّة الأخرى، وكلَّ القرى والبلدات في عموم البلاد، إذ يقوم الناس بنصب الخيم، وفرش السجَّاد، ورفع الأعلام، ويعزُّون بعضهم بعضًا، فأخذ كلُّ شخص وكلُّ طبقة اجتماعيَّة تُحيي هذه المناسبة حسب إمكاناتها وقدرتها، ويعدُّونه نوعًا من الواجب الدينيّ[٣].

(١) بررسى تاريخى كاركرد دينى و سياسى اماكن مذهبى شيعيان در عصر قاجار، قرائتى، حامد، ناشر: پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامى، تهران، ط١، ١٤٠٠، ص١٢.

(٢) مصطلح يستخدم للإشارة إلى ابن أحد الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام وذريَّتهم، ووفقًا لذلك استُخدمت هذه التسمية على مراقدهم ومكان دفنهم، ويعود استخدام المصطلح إلى القرن السادس الهجريّ، لكنَّه أصبح شائعًا منذ القرن التاسع الهجريّ. ينظر: لغت نامه، دهخدا، على اكبر، موسسه انتشارات دانشگاه تهران، تهران، چاپ دوم، ١٣٧٧ش، ص٣٣٠٨.

(٣) بررسى تاريخى كاركرد دينى وسياسى اماكن مذهبى..، حامد قرائتي، ص٢٠.

سجَّلت النساء حضورًا كبيرًا في ذلك الحداد، إذ شاركت المرأة الإيرانيَّة خلال العصر القاجاريّ بشكل كبير في مراسم العزاء، وإحياء ذِكر أهل البيت عليهم السلام، خاصَّة في الأيَّام الفاطميَّة، حتَّى مثَّلت الجانب الأكثر نشاطًا في الحضور الاجتماعيّ للمرأة آنذاك، كونها شاركت في مراسم العزاء وتلاوة الزيارات والأدعية، وعروض التعزية والصلوات المقامة في المساجد(١)، وحضرت النساء بشكل كبير في عزاء تكية الدولة(٢)، إذ كان لهنَّ جانب كبير من المكان المخصَّص للمعزِّين، فيحضرن بكامل الحشمة حيث العباءة السوداء، وعليها عمامة بيضاء، وهو أشبه ما يكون بزي عزاء موحَّد(٣).

أكَّدت وثائق تاريخيَّة أخرى عائدة للعصر القاجاريّ إحياء الأيَّام الفاطميَّة في العتبة الرضويَّة المقدَّسة، والدور الكبير الذي لعبته العتبة في دعم ذلك العزاء وتمويله وتنظيمه إكرامًا للسيِّدة فاطمة الزَّهراء، وبيان مظلوميَّتها، وتعريف الناس بفضلها وكراماتها عليها السلام، إذ توجد أكثر من مئة وثيقة خاصَّة بالعزاء الفاطميّ تعود لعصر ناصر الدين شاه، وما بعده، وأقدم واحدة فيها تعود لسنة ١٣٠٩هـ الموافق١٨٩١م، ذُكرت فيها مراسم العزاء وتفاصيل مصيبة الزَّهراء عليها السلام، وبيَّنت الوثيقة أماكن إقامة العزاء داخل العتبة المقدَّسة، إذ أُقيم تحديدًا في الرواق الذهبيّ للصحن العتيق المعروف اليوم بـ(صحن انقلاب)، وفي دار الحرس، ودار خدَّام العتبة، ورواق دار الضيافة، إذ تمَّ عقد مجالس العزاء في هذه الأماكن بحضور الزوَّار والناس الساكنين بجوار الحرم المطهَّر(٤).

ومن مظاهر الحداد الفاطميّ في العتبة الرضوية المقدَّسة إغلاق المدرسة الدينيَّة، وتعطيل الدرس فيها، فضلًا عن تعطيل جميع الأنشطة والفعاليَّات العاديَّة خلال

(١) زن در دوره قاجار، دلريش، بشرى، نشر سوره، تهران، ١٣٧٥، ص٣٦.
(٢) للمزيد ينظر: ملحق رقم (٢).
(٣) للاطِّلاع ينظر: ملحق رقم (٣).
(٤) صد سند تاريخى براى اقامه عزاى فاطمى، روزنامه قدس، شماره: ١٤٠١١٠٠٥، گروه صفحه يک، ٢ جمادى الثاني ١٤٤٤هـ، سال سي و ششم، ص١.

يوم الاستشهاد، والعمل على استقبال المعزِّين والمشيِّعين للنعش الرمزيّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وكان البذل والعطاء من أبرز برامج العتبة الرضويَّة في تلك المناسبة، وتقديم أفضل الخدمات لجموع المعزِّين، حتَّى إنَّ إحدى وثائقها أفصحت لنا عن أوامر متولِّي العتبة الرضويَّة المقدَّسة (الحاج عليّ أكبر) عام ١٣١٧هـ الموافق ١٨٩٩م لكافَّة خدَّام العتبة بتحضير رواق دار الضيافة ليلة شهادة الزَّهراء عليها السلام من أجل عقد مجلس العزاء وذكر مصيبتها، كما تضمَّنت الوثيقة فاتورة نفقات العزاء الفاطميّ، ومنها: سكر للشراب والشاي (٥٠ مَن)، الشاي (٦ سير)، التبغ (٢٠ سير)، القهوة (٥ سير)، ماء الورد (٢٠ سير)، الفحم (١٠ مَن)، هديَّة القارئ (٣٠ تومان)، السقَّاء الذي يقوم بتوزيع ماء الشرب (١٠٠ دينار)، هديَّة منظِّم المجلس (تومان واحد)، فضلًا عن تجهيز الشموع والزيت وكلُّ ما يحتاجه المجلس[١].

دلَّت كلُّ هذه المعلومات على أنَّ العتبة الرضويَّة المقدَّسة جادَّة منذ البداية في إقامة الشعائر الدينيَّة؛ للحفاظ على ذكرى الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، والأيَّام المرتبطة بأفراحهم وأحزانهم، وكان نشاطها كبيرًا في إحياء الأيَّام الفاطميَّة خلال العصر القاجاريّ، لكن عند مجيء العهد البهلويّ، وبسبب سياسته الدينيَّة المناهضة للقاجاريِّين، عمل على إيقاف عزاء الزَّهراء في العتبة التي استمرَّت في إقامته، بحسب الوثائق التاريخيَّة، حتَّى الفترة البهلويَّة الأولى.

أصبح الوقف عُرفًا للحداد في العصر القاجاريّ، إذ تمَّ إيقاف الكثير من الأموال والممتلكات والمزارع للأئمَّة الأطهار عليهم السلام، وذلك من خلال إنفاق دخل تلك الأوقاف على إقامة مراسم عزائهم وإطعام المعزِّين والقرَّاء، ودفع تكاليف كافَّة نفقات التعزية آنذاك، ومن تلك الأوقاف وقف محمَّد شاه قاجار[٢]، إذ أوقف سنة ١٢٥٤هـ

(١) سند تاريخي (فاتورت صرف عزاى فاطمى١٣١٧هـ)، در كتابخانه آستان قدس رضوى به شماره ١٦٨٩٩. وثيقة تاريخيَّة محفوظة في المكتبة الرضوية تحت الرقم (١٦٨٩٩).

(٢) ثالث ملوك الدولة القاجاريَّة، ولد في مدينة تبريز عام ١٨٠٨م، وحكم كملك لإيران من عام=

الموافق ١٨٣٨م، جزء بمقدار (دونج ونصف) من مزرعته المعروفة بـ(مزرعة حسين آباد) في بحيرة كرمان، على أن يكون ثلث الدخل الصافي مخصَّصًا لعزاء جميع الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، وجعل القائم عليها شخصًا يدعى محمَّد حسين شريف، وكان هذا وقفًا عامًّا لكلِّ مناسبات الأئمَّة، وهناك أوقاف أخرى بيَّنت بوضوح الاهتمام بقضية الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام، والمواظبة على إحياء الأيَّام الفاطميَّة بشكلٍ خاصٍّ ومنفرد، إذ أوقف الكثير من الأشخاص المعروفين والأغنياء والمتنفذِّين ممتلكاتهم وأراضيهم باسم (الفاطميَّة)، فعلى سبيل المثال أوقف السيِّد محمَّد رئيس التجَّار سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٥م للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سوق (تيمچه تربت حيدرية)[١]، إذ جاء في تفاصيل الوثيقة أنَّ الدخل الوارد من سوق تيمچه يخصَّص لعزاء الزَّهراء، والذي يتضمَّن إقامة المراسم وقراءة المصيبة[٢]، و جاء في شهادة وقف غلام حسين

=١٨٣٤م إلى عام ١٨٤٨م تاريخ وفاته، وهو حفيد فتح عليّ شاه وابن عبَّاس ميرزا، وكان يُلقَّب بمحمَّد ميرزا قبل وصوله إلى العرش، ويُعرف باسم وليّ العهد الثاني. ينظر: تاريخ قاجاريه از زمان تاسيس تا انقراض، بيتر آورى، ترجمة: محمَّد رفيعى مهر آبادى، مؤسَّسة انتشارات عطايى، تهران، جاب سوم، ١٣٧٣، ص٨٩.

(١) التيمچه لغويًّا متكوِّنة من مقطَعين، الأوَّل (تيم) وتعني مكان الإقامة، أما (چه) علامة تصغير، فتعني الكلمة كاملةً مكان الإقامة المصغَّر، وأصبحت مؤخَّرًا تشير إلى النزل الصغيرة أو الباحات الصغيرة المسقوفة، وعادة ما يشار إليها على أنَّها مركز ثقل الأنشطة التجاريَّة الكبيرة، فالتيمچه واحدة من أجمل أجزاء البازارات الإيرانيَّة، مشابه معماريًّا لصفوف السوق، ولكن أصغر حجمًا منها، لها قباب كبيرة وزخارف جميلة، عادةً ما يكون أحد طرفيها متَّصلًا بالشارع الرئيسيّ للسوق، والطرف الآخر متَّصلًا بخان أو نزل، ولكلٍّ منها رصيف لتسهيل تجارة البضائع، لها حوض في المنتصف محاط بعدد من الغرف بطابقين أو ثلاثة طوابق، كلُّ غرفة تابعة لتاجر، أمَّا (تربت حيدرية)، فهي رابع أكبر مدينة في خراسان، تحتوي على مركز رئيسيّ للتجارة الدوليَّة والمحليَّة. ينظر: البازار: السوق في التراث الإسلاميّ، مجموعة مؤلِّفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٦٨.

(٢) سند تاريخى (وقف نامه تيمچه تربت حيدريه١٣٣٤هـ)، در كتابخانه آستان قدس رضوى، شماره ثبت: ٤٨٣٦ . للاطلاع على الوثيقة ينظر: ملحق رقم (٤).

خان[١]، التي كتبها عام ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م، أنَّهُ كرَّس بعض ممتلكاته وقفًا لعزاء شهادة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهذا واضح في نصِّ الوثيقة:

«اتَّفق غلام حسين خان القائد المجلَّل ابن المرحوم الحاج سليمان خان بهجة الدولة، مع الميرزا حسين خان سردار نصرت ابن المرحوم مرتضى قلي خان وكيل الملك، على إعطائه أملاكه الواقعة في أطراف كرمان، وبمقابل عشرة سير (كلّ سير يعادل ٧٥ غرام) من السكَّر الأبيض الكرمانيّ، بشرط أن يوقف الأملاك وقفًا دائمًا بعد وفاة غلام حسين خان، وأنَّ الأموال النقديَّة للمصروفات السنويَّة هي (٩٣٠) تومان تُصرف على النحو التالي: إيجار اثنين قُرَّاء (عشرة تومان للشخص الواحد شهريًّا)، هديَّة الذَّاكر تعطى لشخصَين من قُرَّاء الذِّكر في ليالي الجمعة والقدر والأيَّام الثلاثة لوفاة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وشهادات الأئمَّة عليهم السلام، مبلغ لخادم واحد يتكفَّل تنظيف التكية والمقبرة والحضرة في النجف، تكاليف القهوة والسكَّر والتبغ والفحم والآرغيلة والإضاءة والأثاث، نفقات إصلاح جدار الغرف والمقبرة، وتصريف مياه حوض التكية، وأن يكون الوصيّ على هذا الوقف هو أمان الله بن غلام حسين خان عند بلوغه سنَّ الرُّشد، وفي غير هذه الأحوال يبقى متولِّي الوقف ميرزا حسين خان سردار»[٢].

(١) وهو غلام حسين خان العامري المعروف بـ(سردار مجلل) نجل الحاج سليمان خان بهجت الدولة، ووالد كل من نصرت خانم، فاطمة خانم، افتخار خانم من زوجته الأولى جوهر تاج، ووالد عشرات الملوك، فروغ نصرت، أمان الله، علي، ومحمَّد من زوجته الثانية قمر الملوك، وكان غلام حسين واحدًا من أشهر أثرياء كرمان، يمتلك أراضي زراعية واسعة تقع في ضواحي (كرمان) و (بم)، وكان من أكبر مالكي الخيول هو وأولاده لاسيما أمان الله خان، ومحمَّد خان.

www.qajarwomen.org.

(٢) الوثيقة متوفرة في المجموعة الشخصية للسيِّدة بيتا العامري على موقع عام المرأة في العصر القاجاري: www.qajarwomen.org. للاطلاع على الوثيقة ينظر: ملحق رقم (٥). شماره سند A1521720

نستنتج من هذه الوثيقة أنَّ للأوقاف دورًا كبيرًا في ديمومة الأيَّام الفاطميَّة وإحيائها في إيران آنذاك، فضلًا عن أنَّ تشييد التكايا كان ملازمًا وناتجًا من تلك الأوقاف، إذ إنَّ نفقات الأخيرة هي العامل الرئيس في إدامة التكايا وإصلاحها بشكلٍ مستمرٍّ وقراءة التعزية فيها، وبذلك تضافرت كلُّ هذه العوامل لتنتج لنا اهتمام واضح بالحداد الفاطميّ.

اهتمَّ عامَّة الناس في المدن وحتَّى في القرى والقصبات بإحياء تلك الأيَّام، ومن أهمِّ أعمال ليلة ونهار استشهاد الزَّهراء عليها السلام هي إقامة الحداد، يعني ذلك أن يقوم الجميع مهما كانت قدراتهم وإمكاناتهم بمراسم عزاء، التزامًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني**»[1]، كذلك قيامهم خلال مراسم العزاء بتلاوة الزيارة الخاصَّة بها عليها السلام، والتي ذكرها ابن طاووس في كتاب الإقبال[2]، ويعدُّ البكاء من أهمِّ أعمال يوم الاستشهاد؛ لأنَّه من العادات الشائعة لدى الشيعة، إذ يبكون على مصائب المعصومين وما حلَّ بهم، خاصَّة وأنَّ البكاء له أجر عظيم، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، فضلًا عن قيامهم بذكر تسبيحات الزَّهراء، ذلك الذِّكر الذي علَّمها إيَّاه النبيّ صلى الله عليه وآله، ويُذكر أنَّها فرحت عليها السلام بتعلُّم ذلك[3].

وبذلك فإنَّ إحياء الأيَّام الفاطميَّة فرصة لتعزيز نمط الحياة الفاطميَّة في المجتمع الإسلاميّ، إذ اتَّضح لنا أنَّ إحياء تلك الأيَّام لا يقتصر على الحداد فحسب، بل تعدَّى لتفعيل الأبعاد الشخصيَّة والأسريَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة المتأتِّية من أبعاد شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كونها غير مرتبطة بزمان ومكان محدَّدَين، وإنَّما مثال جدير بكلِّ العصور.

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٠٢.
(٢) إقبال الأعمال، ابن طاووس، أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد، تقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص١١٠-١١٢.
(٣) علل الشرائع، الصدوق، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، مطبعة المكتبة الحيدريَّة، النجف، ط١، ١٩٦٦، ج٢، ص٣٦٦.

الخاتمة (نتائج البحث)

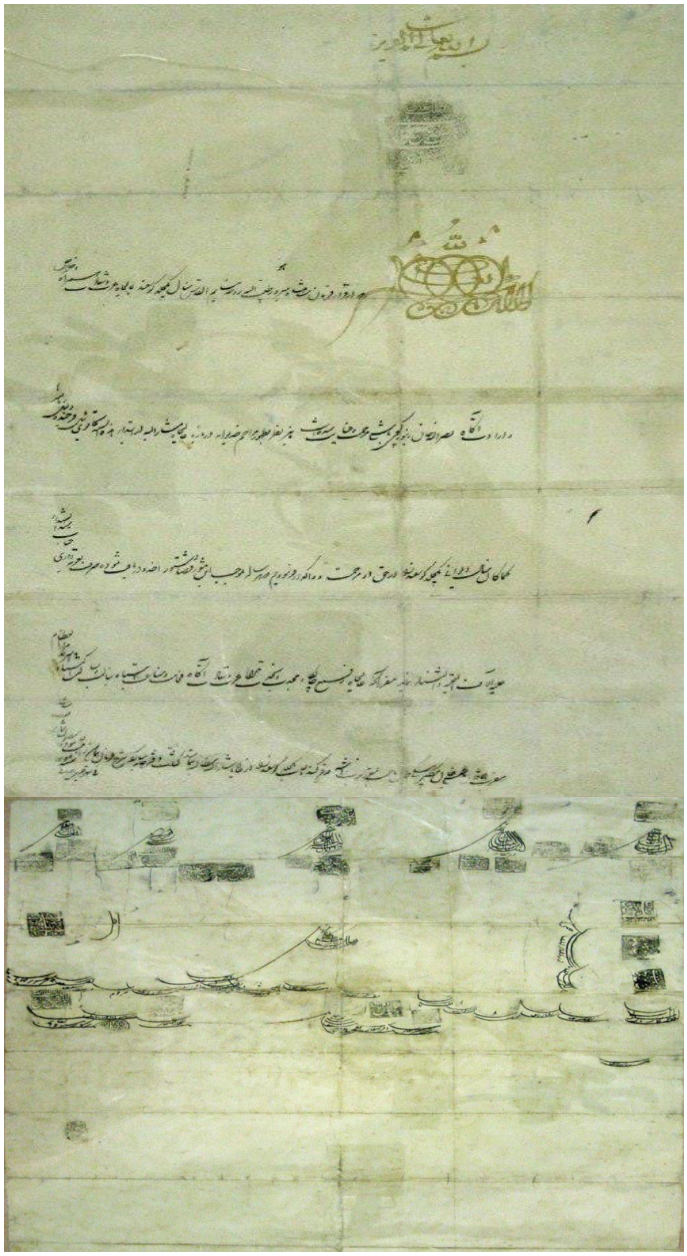
- إنَّ الأيَّام الفاطميَّة إحدى الشعائر الدينيَّة المهمَّة لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام عمومًا، والإيرانيِّين خصوصًا، إذ مثَّلت لديهم عاشوراء ثانية، وإنَّ تعظيم الزَّهراء وتكريمها هو تكريم وتعظيم للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وإنَّ سرَّ النجاح هو الاتِّصال والتعلُّق الكامل بمذهب الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام، والتوسُّل بذواتهم المقدَّسة.
- ممارسة هذه الشعيرة ليست وليدة الوقت الحاضر، وإنَّما ترجع بجذورها إلى الساعات الأولى لشهادتها عليها السلام، وسيرًا على نهج الإمام عليّ والحسنَين عليهما السلام، الذين كانوا أوَّل الناعين والباكين عليها، ودور الإمام الصادق عليه السلام في تأكيده على مظلوميَّة الزَّهراء وبكائه عليها، إذ أصبحت التعزية عادة لدى الشيعة في عصره؛ لأنَّه شجَّع إقامتها تحت عنوان إحياء أمرهم، فهي غير مقتصرة على النَّوح والبكاء فقط، بل تعزِّز الجانب الفكريّ والثقافيّ الذي يحيي القلوب، وهذا ما أكَّده الإمام الرضا عليه السلام.
- تزداد إقامة العزاء الفاطميّ وتظهر للعلن كلَّما تمتَّع الشيعة بحريَّة دينيَّة، ويُقام سرًّا في الخفاء كلَّما تعرَّضوا لضغطٍ حكوميّ، فالظروف مختلفة في ظلِّ الدولة الأمويَّة والعبَّاسيَّة عن ما هي عليه في ظلِّ الحكومات الشيعيَّة، وصولًا إلى الدولة القاجاريَّة التي تحوَّل فيها الحداد الفاطميّ من مجرَّد مراسم دينيَّة إلى تقليد رسميّ، فازدهر بشكلٍ مُلفت، واتَّضح الاهتمام الحكوميّ بإقامة الحداد في (الفاطميَّة الأولى)، فيما كان اهتمام حوزة النجف الأشرف متمثِّلةً بالآخوند الخراسانيّ، والشيخ المامقانيّ، والشيخ صاحب الجواهر بإقامة الحداد في (الفاطميَّة الثانية).

- ازدهـار الحـداد الفاطميّ في إيـران وصل ذروتـه في عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦م)، إذ كان الداعم الكبير لإقامة المراسم، وتشييد التكايا التي تقام فيها التعزية، لذا نستطيع تسمية عصره بأنَّه عصر رواج إحياء الأيَّام الفاطميَّة في إيران.
- أبرز الأماكن الدينيَّة التي أُقيم فيها العزاء تمثَّلت بـ(المساجد)، و(التكايا)، و(الإمام زاده)، فضلًا عن الشوارع وقصور طهران الكبرى، وأزقَّة أحياء المدن، وساحاتها، وجميع القرى والقصبات.
- كان للعتبة الرضويَّة المقدَّسة دور كبير في إقامة الشعائر الدينيَّة ومراسم الحداد الفاطميّ، وهذا ما أكَّدته الوثائق التاريخيَّة المحفوظة في مكتبتها منذ العصر القاجاريّ.
- سجَّلت النساء حضورًا كبيرًا في مراسم عزاء الزَّهراء عليها السلام، وكان لهنَّ نشاط بارز في ذلك.
- أصبح الوقف عُرفًا للحداد في العصر القاجاريّ، إذ إنَّ شخصيَّات حكوميَّة ومتنفِّذين وتجَّارًا وغيرهم، قاموا بإيقاف ممتلكاتهم وأراضيهم وأسواقهم، من أجل إحياء ذكرى شهادة الزَّهراء عليها السلام، واستمرار إقامة التعزية، حتَّى كان لتلك الأوقاف دور كبير في ديمومة إحياء الأيَّام الفاطميَّة، وإدامة الأماكن التي تقام فيها، كالتكايا والمساجد، التي ساعد الوقف على إصلاحها والصرف عليها.
- كما اهتمَّ عامَّة الناس في المدن والقرى بعزاء الزَّهراء عليها السلام بقدر استطاعتهم وقدراتهم، ولم يقتصر على الشخصيَّات الرسميَّة والمتنفِّذة فحسب، الأمر الذي أكَّد أنَّ الإحياء تمَّ من الجانبَين الرسميّ والشعبيّ.

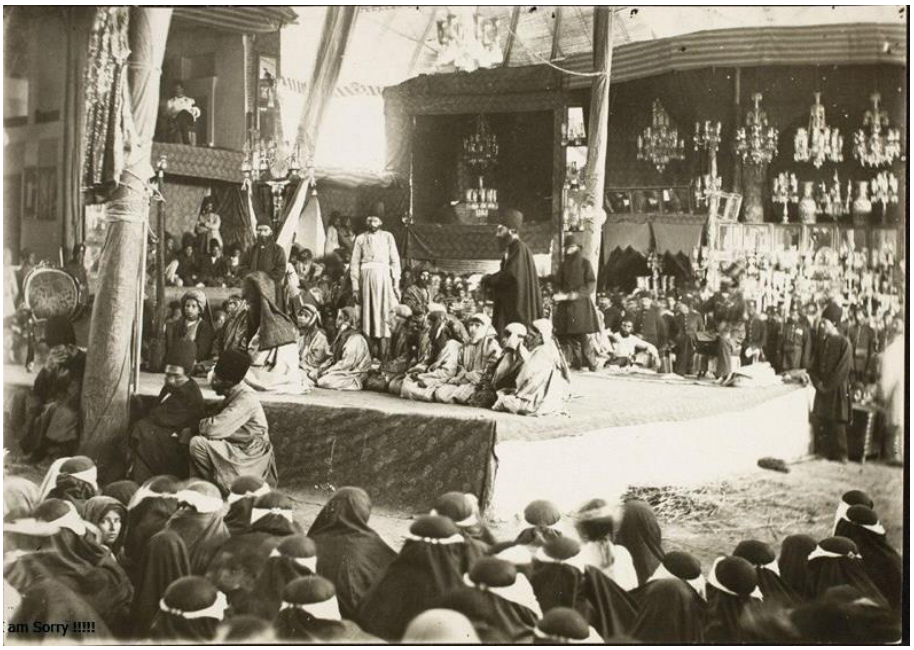
- كانت الوثائق والشواهد التاريخيَّة خير دليل على دحض الشكوك المُثارة حول الحداد الفاطميّ بأَنَّهُ أمر مُستحدَث، وبذلك يكون البحث قد أثبت تاريخيَّة هذا العزاء الذي يمتدُّ إلى ما قبل قرن ونصف من الزمان.

الملاحق

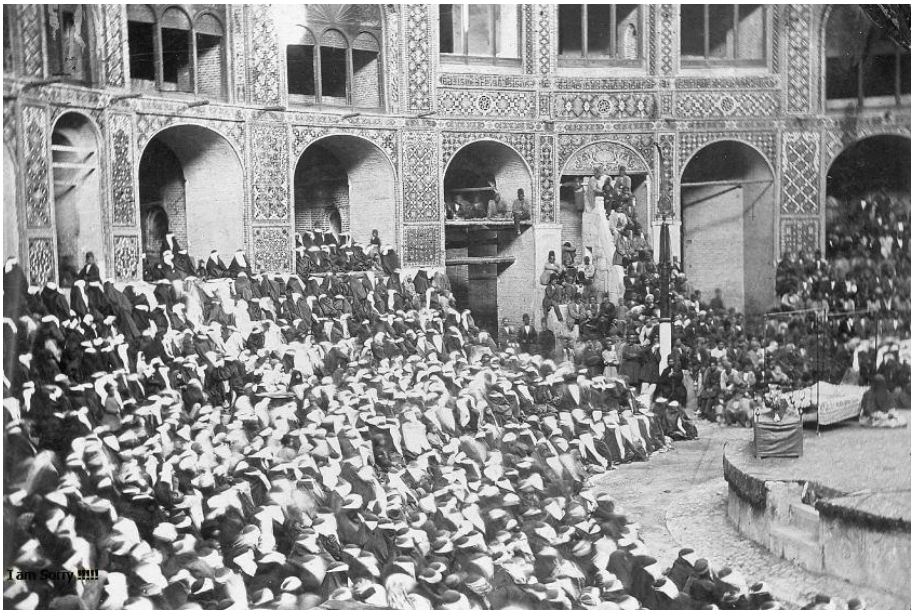
ملحق رقم (١) أمر ناصر الدين شاه بالتضحية لعزاء الزَّهراء عليها السلام



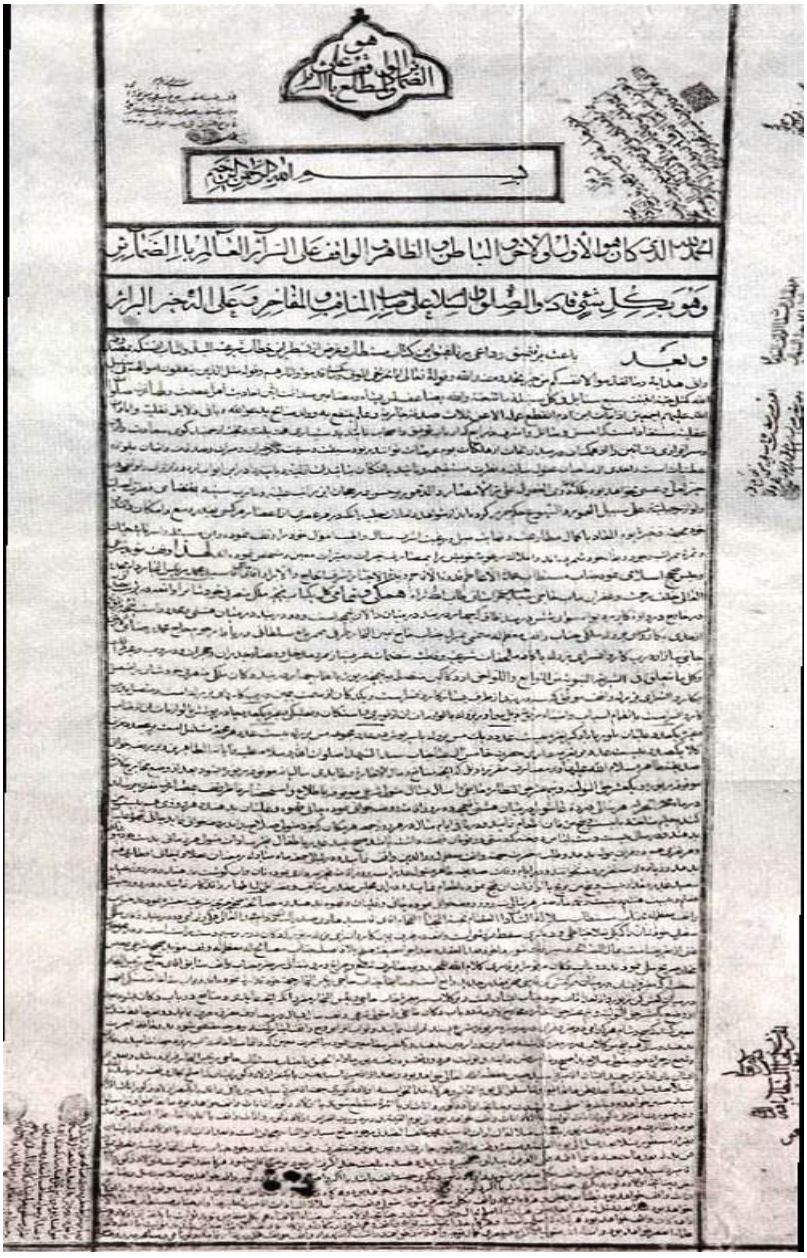
ملحق رقم (٢) حضور النساء في عزاء تكية الدولة



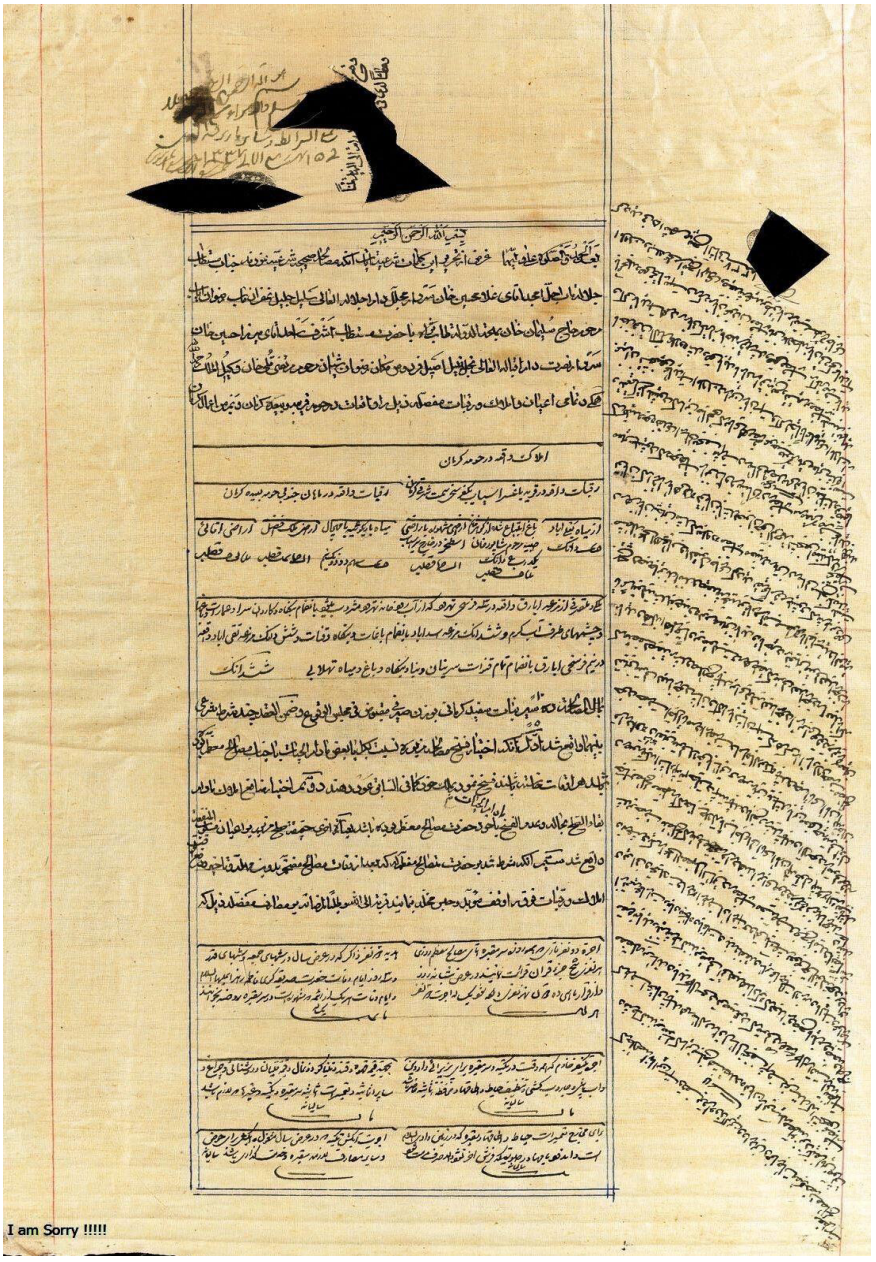
ملحق رقم (٣) صورة توضِّح زي النساء في مراسم التعزية



ملحق رقم (٤) وقف السيِّد محمَّد رئيس التجَّار



ملحق رقم (٥) وثيقة وقف غلام حسين خان عامري



قائمة المصادر والمراجع

أوَّلًا : الوثائق

١. سند تاريخی (فرمان شاهی ١٢٦٥هـ)، کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران، شماره ثبت ٨٢٥٥.

٢. سند تاريخی (فاتورت صرف عزای فاطمی١٣١٧هـ)، در کتابخانه آستان قدس رضوی به شماره ١٦٨٩٩.

٣. سند تاريخی (وقف نامه تيمجه تربت حيدريه ١٣٣٤هـ)، در کتابخانه آستان قدس رضوی، شماره ثبت: ٤٨٣٦.

٤. سند تاريخی (وقف نامه غلام حسين عامری ١٣٣٧هـ)، در مجموعه بيتا عامری خانم به شماره A15217201

ثانيًا: الكتب باللغة العربيَّة:

٥. الاحتجاج، الطبرسيّ، أبي منصور أحمد بن عليّ، تحقيق: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف، ط٢، ١٩٦٦م، ج١.

٦. أعيان الشيعة، الأمين، محسن، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج١.

٧. إقبال الأعمال، ابن طاووس، أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد، تقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٨. أمالي الصدوق، الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ، تقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، المجلس١٧.

٩. الأمالي، المفيد، عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، المطبعة الإسلاميَّة، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم، ١٤٠٣هـ.

١٠. البازار: السوق في التراث الإسلاميّ، مجموعة مؤلِّفين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

١١. بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج٤٤.

١٢. دلائل الإمامة، الطبريّ، محمَّد بن جرير، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

١٣. روضة الواعظين، النيشابوريّ، محمَّد بن الفتَّال، تحقيق: غلا محسين المجيديّ ومجتبى الفرجيّ، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، طهران، ط١، ١٤٢٣هـ، ج١.

١٤. علل الشرائع، الصدوق، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم، مطبعة المكتبة الحيدريَّة، النجف، ط١، ١٩٦٦، ج٢.

١٥. على أعتاب ذكرى المصيبة العظمى شهادة الصدِّيقة الكبرى، الخراسانيّ، آية الله الشيخ حسين الوحيد، منشورات مدرسة الإمام باقر العلوم، قم، ط٤، ١٣٩٠هـ ش.

١٦. فلسفة الصلاة، الكورانيّ، علي، دار الزَّهراء، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ.

١٧. الكافي، الكلينيّ، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش، ج١.

١٨. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ،

مراجعة محمَّد يوسف الدقَّاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨م، مج٨.

١٩. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الإربلِّيّ، عليّ بن عيسى، تحقيق: عليّ آل كوثر، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالميّ لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م، ج١.

٢٠. ماضي النجف وحاضرها، آل محبوبة، جعفر باقر، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م، ج٣.

٢١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندرانيّ، أبو جعفر محمَّد بن عليّ، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ج٣.

٢٢. الهداية الكبرى، الخصيبيّ، حسين بن حمدان، مؤسَّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٢٣. وفاة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، المقرَّم، عبد الرزَّاق، مؤسَّسة الوفاء، ط١، ١٩٨٣م.

ثالثًا: الكتب باللغة الفارسيَّة

٢٤. انقلاب اسلامی مردم مشهد از آغاز تا استقرار جمهوری اسلامی، شاکری، رمضانعلی، ناشر: بی نا، مشهد، چاپ: ٢، ١٣٥٩ش.

٢٥. بررسی تاریخی کارکرد دینی وسیاسی اماکن مذهبی شیعیان در عصر قاجار، قرائتی، حامد، ناشر: پژوهشگاه علوم وفرهنگ اسلامی، تهران، ط١، ١٤٠٠ش.

٢٦. تاریخ قاجاریه از زمان تاسیس تا انقراض، بیتر آوری، ترجمة: محمَّد رفیعی مهر آبادی، مؤسَّسة انتشارات عطایی، تهران، جاب سوم، ١٣٧٣ش.

٢٧. خاطرات شيخ إبراهيم زنجانى، غلا محسين ميرزا صالح، انتشارات كوير، تهران، ١٣٨٠ش.

٢٨. دين ودولت در ايران، الكار، حامد، ترجمة أبو القاسم سري، نشر توس، تهران، جاب دوم، ١٣٦٩.

٢٩. زن در دوره قاجار، دلريش، بشرى، نشر سوره، تهران، ١٣٧٥هـ.

٣٠. قم از ابتداى دوره قاجار تا مشروطه، حسن قريشى كرين، نشر زائر، قم، ١٣٨٩، ج١.

٣١. لغت نامه، دهخدا، على اكبر، موسسه انتشارات دانشگاه تهران، تهران، چاپ دوم، ١٣٧٧ش.

٣٢. وقايع الزمان (خاطرات شكاريه)، دوستتعلى معيرالممالك، جاب خديجه نظام مافى، تهران، ١٣٧٤ش.

رابعًا: المقالات العلميَّة المنشورة في المجلَّات المحكَّمة (باللغة الفارسيَّة)

٣٣. نگاهى تاريخى به ايام فاطميه؛ احترامى به تنها يادگار پيامبر اسلام (ص)، فتحى، على اشرف، مجله شهر قانون بهار ١٣٩٢- شماره ٥ (٢ صفحه- از ١٩ تا ٢٠).

٣٤. بررسى تكايا در تهران قديم در دوره قاجاريه، فاطمة بينشى فر، فصلنامه بارسه، سال١٤، شماره: ٢٣، بايز وزمستان ٩٣.

٣٥. صد سند تاريخى براى اقامه عزاى فاطمى، روزنامه قدس، شماره: ١٤٠١١٠٠٥، گروه صفحه يک، ٢ جمادى الثاني ١٤٤٤هـ، سال سي وششم.

خامسًا: المقالات العلميَّة المنشورة على شبكة الانترنت (باللغة الفارسيَّة)

٣٦. تاریخچه عزاداری فاطمیه، سید محمَّدباقر پوسانی، شبکه اجتهاد، ٨ بهمن ١٣٩٨ش

٣٧. فاطمية در قم بياده روي دو تن از مراجع تقليد تا حرم، خبر كزارى صدا وسيما، تاريخ انتشار: ١٤/ ١/ ١٣٩٣ش، تاريخ بازديد:٢/ ١٢/ ١٣٩٥ش.

٣٨. ماجراي تعطيل شدن روز شهادت حضرت زهرا (ع) ، خبر كزاري فارس، تاريخ انتشار: ٥/ ٢/ ١٣٩١ش، تاريخ بازديد: ٢/ ١٢/ ١٣٩٥ش.

٣٩. يادداشت تبليغى مراسم فاطميه وشيوه‌هاى خنثى‌سازى فتنه‌هاى دشمنان، كارى از گروه توليد محتواى معاونت فرهنگى وتبليغى دفتر تبليغات اسلامى حوزه علميه قم، تاريخ انتشار: ١١:٤٦-١٤٠١/ ٠٩/ ٢٦.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام برؤية المدرسة الإيطاليَّة المستشرقة فاجليري اختيارًا

م.د. نزار ناجي محمَّد

مديريَّة تربية محافظة البصرة

ملخَّص البحث

كانت سيرة سيِّدة نساء العالمين السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مثار اهتمام عدد من الباحثين في الشرق والغرب، من الرجال والنساء على حدٍّ سواء، وذلك للمكانة التي نالتها في نفوس محبِّيها، كونها ابنة صاحب الرسالة الإسلاميَّة، وهي المرأة المثال لدى أغلب نساء العالم الإسلاميّ، ولدورها المحوريّ في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، على الرغم من التغييب والإقصاء والتهميش والتشويه الذي طال سيرتها، لكن بقيت بصورتها النقيَّة في نفوس محبِّيها، وعملًا بوصيَّة رسول الله بمودَّتها ومودَّة أهل بيته، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم.

وقد نالت سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام اهتمامات عدد من المستشرقين، فقاموا بتحليل شخصيَّتها، وأسمائها، وكناها، وصفاتها، وحياتها، وأدوارها في حياة أبيها وما بعد وفاته، وتأثيراتها في الإسلام والمسلمين؛ لمعرفة أبعاد شخصيَّتها وسيرتها، واختلفت تلك الدراسات الاستشراقيَّة، فمنها ما هو منصف في تناوله لسيرتها، ومنها ما هو سلبيّ ومتعصِّب وحاقد تجاه ما يكتبه عنها، فكان اختيارنا لأحد أفراد المدرسة الاستشراقيَّة الإيطاليَّة، وهي المستشرقة لورا فيشيا فاجليري، باعتبارها أحد العناصر

التي تناولت سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام برؤية استشراقيَّة، وكيف كانت رؤية المرأة الغربيَّة لسيرة المرأة المثال في الفكر الإسلاميّ، وزيادةً على ذلك الأمر، كانت المدرسة الاستشراقيَّة الإيطاليَّة سبَّاقة في الدراسات الاستشراقيَّة التي اهتمَّت بالحضارة الشرقيَّة لأسباب متعدِّدة، منها ما هو دينيّ، ومنها ما هو استعماريّ، ومنها ما هو علميّ.. الخ من الأسباب، لذا كان اختيارنا لهذه المدرسة الاستشراقيَّة مادَّة للدراسة، ولمعرفة مدى دقَّة ما قدَّمته عن سيرة سيِّدة النساء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ووثاقتها.

الكلمات المفتاحيَّة: السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، الاستشراق، المدرسة الإيطاليَّة، فاجليري.

أوَّلًا: الاستشراق والمستشرق

مصطلح الاستشراق (Orientalism): هو مصطلح يتعلَّق بالشرق كما تمَّ وصفه، وتعريفه، وتخيُّله، وإنتاجه من قِبَل أوربا والغرب، ويعرَّف على أنَّه الخطاب الذي أنتجه الغرب عن الشرق، والذي يضمُّ مجموعة واسعة من النصوص الأدبيَّة، والاجتماعيَّة، والعلميَّة، والتاريخيَّة، واللغويَّة، والفلسفيَّة، والسياسيَّة، والأنثروبولوجيَّة، والطوبوغرافية التي تراكمت عبر السنين عن الشرق[١].

والمصطلح في مدلوله المتداول يشير إلى الاهتمام العلميّ أو الأكاديميّ الغربيّ بالثقافات الشرقيَّة، بما في ذلك الشرقَين الأقصى والأدنى، بما يتضمَّنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة[٢]، فهو قد يشمل دولًا إسلاميَّة أو غير إسلاميَّة، لذا هناك مَن يرفض ذلك المصطلح، أي مصطلح الاستشراق، ويعدُّه غير دقيق؛ لأنَّ الأمر لا يتعلَّق بتاريخ الإسلام في الشرق فحسب، بل في كلِّ البلدان التي يشهد فيها تواجد الإسلام والمسلمين، أي إنَّ مصطلح الاستشراق يأخذ بُعدًا دينيًّا، وليس جغرافيًّا[٣].

ومصطلح المستشرق (Orientalist) يُطلق على كلِّ شخص مهتم بالحضارة الشرقيَّة، عندما تتوفَّر لديه مجموعة من المعلومات، أو جزء منها على الأقل، حول الشرق[٤]، لذا يعرَّف المستشرق بأنَّه المتخصِّص في الدراسات

(1) J.A. Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 618.

(٢) الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبيّ، ص٣٣.

(٣) يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص٢١٣.

(٤) محمَّد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة لدى الغربيِّين، ص٤٢-٤٥.

الشرقيَّة[1]، لذا الاستشراق والمستشرق مصطلحان كانا منذ الولادة مترابطَين، وهو ما قد يكتشفه أي باحث في مجال الدراسات الاستشراقيَّة من خلال تعريف مصطلح الاستشراق، وبدايات ظهور المصطلَحَين في الأوساط المعرفيَّة الغربيَّة[2]، ويبدو أنَّ المراحل التي مرَّ بها الاستشراق أوجدت خلافًا في إيجاد تعريفٍ وافٍ وشافٍ لحركة الاستشراق[3]، وإذا ما قمنا باستعراض كلِّ المفاهيم التي دُوِّنت حول مصطلح الاستشراق، فإنَّنا لن ننتهي أبدًا من ذلك؛ لأنَّ التطوُّر المستمر للظاهرة الاستشراقيَّة يكشف عن جوانب دفينة من قبل، أو كانت ناقصة وليست وافية بالغرض، والمجال الذي يعالج فيه تلك الظاهرة، ومن أجل هذا فإنَّ إعطاء تعريف وافٍ وشافٍ للاستشراق هو ضرب من المحال، وكلُّ تعريف نُجهِد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملًا جامعًا مانعًا لذلك المصطلح[4]، لذا لا يتَّسع المجال في هذه الوريقات الخوض كثيرًا في هذا المصطلح بشكلٍ موسَّع، وعن بدايات ظهوره في القواميس العربيَّة والغربيَّة، والأطوار والمراحل التي مرَّ بها، ودوافعه المتعدِّدة، واتِّجاهاته، ونزعاته، لذا نحيل القارئ للمصادر المتخصصة في هذا المجال[5].

(1) J.D.J. Waardenburg، (Mustashrikun), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. VII, P. 735.

وينظر كذلك عن بدايات ظهور مصطلح المستشرقين حتَّى القرن العشرين:

P. 735-753).

(٢) ينظر تعريف المصطلح في القواميس الغربيَّة: عبد الجبَّار ناجي، الاستشراق في التاريخ، ص٦٣-٧٤، وبدايات ظهور ذلك المصطلح، ص١١٤١١٨.

(٣) ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص٢١-٣٢. وينظر: الأطوار والمراحل التي مرَّ بها الاستشراق، ص٧٠-٨٦، أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ، ص ٩-١٨. وينظر المراحل التي مرَّ بها الاستشراق، ص١٩-٤٠، ناجي، الاستشراق في التاريخ، ص٦٤-٧٤.

(٤) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقيّ، ج١، ص١٧.

(٥) سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص٢١-٢١٩، السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر=

ثانيًا: المدرسة الإيطاليَّة والمستشرقة لورا فيشيا فاجليري (L. Veccia Vaglieri)

تعدُّ إيطاليا ذات صلة كبيرة بالشرق منذ القِدَم، ترجع إلى حقبة ما قبل الميلاد، نظرًا لقرب إيطاليا جغرافيًّا من بعض البلاد العربيَّة وأفريقيا، وعند فتح العرب صقلية، توطَّدت هذه الصِّلة بين إيطاليا والعالم الإسلاميّ ثقافيًّا، وتجاريًّا، وكان لوجود مركز الديانة المسيحيَّة (الفاتيكان) أهميَّة كبيرة في حركة التبشير بالدين المسيحيّ، ومحاولة تنصير الشرقيِّين[1].

بدأ اهتمام إيطاليا بالدراسات الشرقيَّة منذ عام (١٠٧٦م)، حين عنيت جامعة بولونيا (Bologna) بعلوم العرب، ثمَّ توالى اهتمام الجامعات الإيطاليَّة بدراسة الثقافة العربيَّة وآثارها ولغتها وآدابها واللغات الساميَّة، وتمَّ فتح المعاهد المتخصِّصة للدراسات الشرقيَّة، مثل (معهد الدراسات الشرقيَّة) الملحق بكليَّة الآداب في جامعة روما (١٩٠٥م)، وكان فيه قسم لفقه اللغة الساميَّة والآثار المصريَّة، واللغة والآداب العربيَّة والعلوم الإسلاميَّة، وفصول لتعليم اللغات العربيَّة، والفارسيَّة، والتركيَّة، وتمَّ إنشاء المجلَّات الخاصَّة بالدراسات الاستشراقيَّة، ومنها (مجلَّة الدراسات الشرقيَّة Rivista degli Studi Orientali) (١٩٠٧م)، ومجلَّة (أركيون Archeion) (١٩١٩م) في روما، ثمَّ أصبحت عام (١٩٣٨م) المجلَّة الرسميَّة لمجمع تاريخ العلوم العالميّ، ثمَّ توالى فتح المعاهد، وصدور المجلَّات المتعلِّقة بالشرق، وبعض تلك المعاهد ذو طابع

=الإسلاميّ، ص٩-٤٠، ناجي، الاستشراق في التاريخ، ٦٤-٧٤.

(١) محمَّد فتح الله الزياديّ، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨١.

دينيّ، هدفه نشر المسيحيَّة في الشرق، مثل (المعهد البابويّ للشرق) (١٩١٨م)، الذي يُعنى بدراسة الشرق المسيحيّ وفقه اللغات الساميَّة، ويصدر مجلَّات باسم (الشرقيَّات المسيحيَّة Orientalia Christiana) (١٩٢٣م)، وكان هناك حرص لدى المؤسَّسة المسيحيَّة في الفاتيكان على جمع المخطوطات الشرقيَّة، وشراء بعض منها من الشرق، وتصوير القسم الآخر، فكوَّنت ما يُعرَف بالمكتبة الفاتيكانيَّة، وانتشرت الطباعة في إيطاليا انتشارًا واسعًا بعد انتشار المكتبات[١]، فكان الاستشراق الإيطاليّ في بدايته يُعنى بالأمور الدينيَّة؛ لأنَّ معظم مؤسَّساته نشأت بجهود الرهبان ورجال الدين المسيحيِّين، إلى أن تحوَّل في بداية القرن العشرين، وصارت له اهتمامات سياسيَّة، واقتصاديَّة، وثقافيَّة، بخاصَّة بعد الغزو الإيطاليّ إلى ليبيا (١٩١٢م)، لذا صار الاستشراق يُعنى بأساليب الحياة في البلدان العربيَّة، خاصَّةً التي وقعت تحت الاستعمار الإيطاليّ[٢].

ولعلَّ اهتمام الاستشراق الإيطاليّ بالأمور الدينيَّة يرجع لوجود المؤسَّسة الدينيَّة (الفاتيكان) في إيطاليا، وعدّها الـمُدافع عن الديانة المسيحيَّة، وأمام نجاح الفتوحات الإسلاميَّة وانتشارها على أراضٍ واسعة كانت تعدُّ مناطق نفوذ لسلطة رجال الكنيسة في روما، فقد عدَّ الدين الإسلاميّ عقيدة منافسة لها، وسببًا في فقدانها تلك الأراضي الشاسعة، لذا تحتَّم عليها التصدِّي لهذه العقيدة، والوقوف في وجه توسُّعاتها باتِّجاه الأراضي المسيحيَّة، وتشويه صورة الدين الإسلاميّ في تلك المناطق، لذا نجد المستشرقين الإيطاليِّين يتَّخذون موقفًا سلبيًّا في أغلب الأحيان من الإسلام.

أمَّا المستشرقة لورا فيشيا فاجليري(L. Veccia Vaglieri) مدار الدراسة فهي مستشرقة إيطاليَّة، بحَّاثة، انصرفت إلى التاريخ الإسلاميّ قديمًا وحديثًا، وإلى فقه العربيَّة وآدابها، وهي أستاذة اللغة العربيَّة، وتاريخ الحضارة الإسلاميَّة في جامعة نابولي

(١) العقيقيّ، الاستشراق، ج١، ص٤٠٥-٤١٦.

(٢) الزياديّ، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨٢، سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه، ص١٢٣-١٢٤.

في إيطاليا، حيث يصنِّفها الكثير من الكتَّاب المنصفِين في الحديث عن الإسلام، من آثارها رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر (مجلَّة طرابلس ١٩٢٤-١٩٢٥)، وترجمة الشيخ أبي عبد الله الفاسيّ، مع سرد بمصنَّفاته (مجلَّة طرابلس ١٩٢٤)، وقد زاد عليها جويدي في المجلَّة نفسها (١٩٢٥م)، ونبذة عن ابن مسعود والإمام يحيى واليمن (الشرق الحديث، ١٤، ١٩٣٤م)، وتقاليد رمضان في متعدِّد البلدان الإسلاميَّة (حوليَّات المعهد الشرقيّ بنابولي، ١٠، ١٩٣٧-١٩٣٨م)، الخلاف بين عليّ ومعاوية وتمرُّد الخوارج (حوليَّات المعهد الشرقيّ بنابولي، ١٩٣٢-١٩٥٢)، ومؤتمر المستشرقين ١٩٥١م، ج٢، ١٩٥٧م)، ولها كتاب بعنوان (الدفاع عن الإسلام) مكتوب بالإيطاليَّة، ومترجم للعربيَّة[1]، ولها العديد من المقالات في دائرة المعارف الإسلاميَّة (موسوعة الإسلام) في طبعتها الثانية (الطبعة الجديدة)، ومنها موضوع الدراسة، وهو مقالها في دائرة المعارف الإسلاميَّة (موسوعة الإسلام)، إذ تمَّ إسناد كتابة مقال السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام إليها، لذا ستركِّز الدراسة على تلك الصورة التي قدَّمتها المستشرقة الإيطاليَّة لورا فيشيا فاجليري في مقالها عن سيِّدة النساء عليها السلام.

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج١، ص٤٦٦، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٧٣٨، وينظر: مقدِّمة المترجم لكتابها دفاع عن الإسلام، ترجمة منير بعلبكيّ، ص٥-١٨.

ثالثًا: الاستشراق الإيطاليّ ورؤيته لسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

لا يختلف الاستشراق الإيطاليّ كثيرًا عن غيره من الدراسات الاستشراقيَّة في تناول سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهو يركِّز على دراسة شخصيَّة كان لها دور كبير في السيرة النبويَّة والدعوة الإسلاميَّة، وكان لذريَّتها الدور الكبير في التراث الإسلاميّ، ولها ولهم تأثير كبير في المسلمين، لذا اهتمَّت المستشرقة فاجليري بسرد سيرتها وتفاصيل حياتها معتمدة في تلك الدراسة على ما جادت به المصادر الإسلاميَّة في هذا الجانب، ولمعرفة مدى دقَّة النقل المقدَّم من قِبَل المدرسة الاستشراقيَّة الإيطاليَّة ووثاقتها، والمتمثِّلة بالمستشرقة فاجليري، وجب بيان سردها لهذه السيرة، وتحليل ونقد ما ذكرته في كتاباتها.

١. الولادة ودورها في العهد المكِّيّ:

تذكر المستشرقة فاجليري عن تاريخ ولادة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قولها: «إنَّ تاريخ ميلاد فاطمة غير مؤكَّد، وإن كان التاريخ الأقرب احتمالًا هو أنَّها ولِدت في عام إعادة بناء الكعبة المشرَّفة، أي قبل بداية البعثة النبويَّة بخمس سنوات، وهذا يعني أنَّها تزوَّجت عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها، ولم يكن من المألوف أن يتأخَّر زواج الفتاة العربيَّة حتَّى هذا السن، لكن إذا أخَّرنا يوم مولدها لسنوات قلائل، فإنَّنا نواجه صعوبة أخرى، وذلك لأنَّ أُمها خديجة تكون في هذه الحالة قد ولدتها وهي تربو على الخمسين من عمرها.

وقد ناقش لامنس (Henri Lammens)[1] مسألة عمر فاطمة بالتفصيل في كتابة المذكور آنفًا، وثمَّة أمر آخر غير مؤكَّد بالنسبة لفاطمة، وهو ترتيبها بين أخواتها،

(١) هنري لامنس (١٨٦٢-١٩٣٧م): مستشرق بلجيكيّ المولد، وفرنسيّ الجنسيَّة، ولِد في مدينة خنت (Gent) في بلجيكا في عام ١٨٦٢م، ويُقال إن اسمه في نتاجه الاستشراقيّ الأوَّل (هنريكوس)، ولا يُعرف بالضبط لماذا تخلَّى عن اسمه هذا، وبات يعرف بـ(هنري لامنس)، جاء إلى بيروت في صباه، وتعلَّم في الكليَّة اليسوعيَّة في بيروت، وبدأ حياة الرهبنة في سنة ١٨٧٨م، حتَّى صار في عام ١٨٨٦م معلِّمًا في الكليَّة اليسوعيَّة ببيروت، وسافر إلى إنجلترا وفينا ولوفان، عاد بعدها إلى بيروت عام ١٨٩٧م، حيث عُيِّن معلِّمًا للتاريخ والجغرافية في كليَّة اليسوعيِّين، ثمَّ صار أستاذًا للتاريخ الإسلاميّ في معهد الدروس الشرقيَّة ضمن كليَّة اليسوعيِّين في عام ١٩٠٧م، عمل في إدارة مجلَّة المشرق، وهي مجلَّة فصليَّة تصدر عن اليسوعيِّين في بيروت، وكان نتاج لامنس يدور حول مواضيع متعدِّدة، لعلَّ أبرزها مواضيع السيرة النبويَّة، وبدايات الخلافة الأمويَّة، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ سوريا وآثارها، ومن آثاره: مهد الإسلام (روما ١٩١٤م)، مكَّة عشيَّة الهجرة (بيروت ١٩٢٤م)، والطائف عشيَّة الهجرة (بيروت ١٩٢٢م)، والمعابد قبل الاسلام غربي الجزيرة العربيَّة، والقرآن والسنَّة كيف ألفت حياة محمَّد (باريس ١٩١٠م)، وهل كان محمَّد أمينًا (باريس ١٩١١م)، وكتاب فاطمة وبنات محمَّد: تعليقات نقديَّة لدراسة السيرة (روما ١٩١٢م)، ودراسات في حكم الخليفة الأمويّ معاوية الأوَّل (بيروت ١٩٠٧م)، وخلافة يزيد الأوَّل (بيروت ١٩٢١م)، وعدد كبير من المقالات التي يصعب حصرها في هذه المكان من البحث، وكان شديد التعصُّب ضدَّ الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًّا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعدُّ نموذجًا سيِّئًا جدًّا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، حيث لم يعتدّ تقريبًا إلَّا بالأخبار غير المحمودة عن النبيّ وآل بيته، وهكذا كانت الصورة التي عُرضت في كتاباته، فهي متحيِّزة ومغرضة، ولم تجِد نفعًا غزارة المادَّة ولا رشاقة العرض تجاه أوجه الضعف في سَوق الأدلَّة. للمزيد من التفاصيل عن حياة هذا الراهب اليسوعي ينظر: فرديناند توتل اليسوعيّ، الأب هنري لامنس، (مجلَّة المشرق، السنة ٣٥، العدد ٢، ١٩٣٧م)، ص١٦١-١٧٦، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، (ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ص٥٠٢، العقيقيّ، المستشرقون، ج٣، ص٢٩٣، يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص٤٥٣-٤٥٤، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصِّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، (ط١، كربلاء، دار الكفيل، ٢٠١٥م)، ص١١٦-٢٠٠.

وإن كانت بنات محمَّد عادة ما يتمُّ ترتيبهنَّ على النحو التالي: زينب فرقيَّة فأمّ كلثوم ففاطمة»[1].

حاولت المستشرقة التأكيد على عمر السيِّدة فاطمةعليها السلام، وتاريخ ولادتها، بمقارنة ذلك مع عمر أمِّها السيِّدة خديجةعليها السلام، لذا قالت بتقدُّم عمرها في السنة الخامسة قبل البعثة النبويَّة، وهو رأي من مجموعة آراء حول عمرها وتاريخ ولادتها، لذا ذهبت إلى أنَّ أقرب الاحتمالات إليها، وهو ما ذكرته، ولكي نحدِّد تاريخ الولادة الدقيق يتحتَّم علينا الوقوف أوَّلًا على عمر السيِّدة خديجةعليها السلام، ثمَّ توضيح تاريخ ولادة ابنتها السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، فقضيَّة عمر السيِّدة خديجةعليها السلام، ووقت زواجها من النبيّصلى الله عليه وآله كانت محلَّ خلاف في المصادر، فهناك من قال إنَّ عمرها عند زواجها من النبيّصلى الله عليه وآله كان ثمان وعشرين سنة، وهناك من ذكر أنَّ عمرها كان أربعين سنة، وهناك من ذهب إلى أنَّ عمرها كان خمسين سنة، وقيل غير ذلك من تلك الأقوال[2]. وهناك رأي يذكر أنَّ عمرها عند الزواج من النبيّصلى الله عليه وآله كان خمسًا وعشرين سنة[3]، وهذا الرأي الأخير تمَّ استبعاده من المستشرقة، واعتمدت على الرأي القائل بزواجها بعمر الأربعين سنة، وهو عمر كبير لا يسمح لها بالولادة بعد المدَّة التي قضتها مع النبيّصلى الله عليه وآله، لذا ذهبت المستشرقة إلى أنَّ تاريخ ولادة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام كان في السنة الخامسة قبل البعثة النبويَّة، وهذا يحتِّم علينا الوقوف على العمر الدقيق للسيِّدة خديجةعليها السلام، سواء عند الزواج من النبيّصلى الله عليه وآله، أو وقت وفاتها؛ لتحديد العمر الدقيق لها.

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٢٥، ص٧٧١١:
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V.II, P. 842.

(٢) قيل إنَّ عمرها ثمان وعشرين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ١٧، البلاذريّ، أنساب الاشراف، ج١، ص٩٨. وقيل عمرها أربعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٢، ابن حبيب، المحبَّر، ص٧٩، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص ٩٨. وقيل خمسون، وقيل غير ذلك. ينظر: المقريزيّ، إمتاع الأسماع، ج٦، ص٢٧-٢٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣٦٠، السيرة النبويَّة، ج١، ص٢٦٥.

ذكر المستشرق مونتغمري وات (W. Montgomery Watt)[١]، في حديثهِ عن عمر السيِّدة خديجة عليها السلام وقت الزواج من النبيّ صلى الله عليه وآله، ردًّا على من قال بزواجها وهي في سنِّ الأربعين، فأشار: «إلى أنَّ عمر السيِّدة خديجة مبالغٌ فيه»[٢]. وذهب أحد الباحثين إلى احتماليَّة أن يكون عمرها عند الزواج ما بين (٢٥، ٢٨، ٣٠)، ولا تتجاوز ذلك الرقم[٣]، من دون تحديد الرقم الأدقِّ منها، ويمكن لنا تأكيد وتحديد عمر السيِّدة خديجة عليها السلام، وقت الزواج من النبيّ صلى الله عليه وآله من خلال تاريخ وفاتها، فقيل: «بلغت خديجة خمسًا وستين سنة، ويقال خمسين سنة وهو أصحُّ»[٤]، وإذا ما اعتمدنا على القول الآخير، وهو أنَّ وفاتها كانت بعمر الخمسين سنة، فإنَّ وفاتها كانت في السنة العاشرة من البعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين[٥]، وأنَّ زواج النبيّ صلى الله عليه وآله منها كان قبل بعثته بخمس عشرة سنة[٦]، وبطرح

(١) وليم مونتغمري وات: مستشرق إنكليزي من أصول إسكتلنديَّة، ولِد في مدينة كريس فايف في عام (١٩٠٩ م)، والده القسيس أندرو وات، درَّس في كلٍّ من أكاديميَّة لارخ (١٩١٤-١٩١٩م)، وفي كليَّة جورج واتسون بأدنبرة، وجامعة أدنبرة (١٩٢٧-١٩٣٠م)، وكليَّة باليول بأُكسفورد (١٩٣٠-١٩٣٣م)، وجامعة جينا بألمانيا، وبجامعة أكسفورد، وجامعة أدنبرة في الفترة (١٩٣٨-١٩٣٩م)، ومن عام (١٩٤٠-١٩٤٣م) غدا راعيًا لعدَّة كنائس في لندن وأدنبرة، وهو متخصِّص في السيرة النبويَّة وتاريخ الإسلام، وعمل بعد تقاعده في مناصب دينيَّة، وعمل رئيسًا لقسم اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة في جامعة أدنبرة (١٩٤٧-١٩٧٩م)، نال درجة الأستاذيَّة عام (١٩٦٤م)، من آثاره: محمَّد في مكَّة (١٩٥٨م) (لندن)، محمَّد في المدينة، الإسلام والجماعة الواحدة (١٩٦١م)، تاريخ اسبانيا الإسلاميَّة (١٩٦٥م) (أدنبرة). للمزيد من التفاصيل ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص١٣٢.

(٢) محمَّد في مكَّة، ص٩٩.

(٣) حسن، قراءة نقدية في كتب السيرة النبوية، ص ٥٢ - ٥٨.

(٤) البيهقي، دلائل النبوة، ج٢/ ص٧١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/ ص٣٥٩، السيرة النبويَّة، ج١/ ص٢٦٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨/ ص١٨، البخاري، صحيح البخاري، ج٤/ ص٢٥٢.

(٦) البيهقي، دلائل النبوة، ج٢/ ٧٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/ ص٧٣، السيرة النبويَّة، ج١/ ص٢٦٥.

المدَّة التي قضتها مع النبيّ صلى الله عليه وآله قبل البعثة وما بعدها، والتي تقدَّر بخمس وعشرين سنة، يكون عمرها عند الزواج خمسًا وعشرين سنة، وعند بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، كان عمرها أربعين سنة (بجمع عمرها عند الزواج خمس وعشرين سنة مع المدَّة التي قضتها مع النبيّ قبل بعثته خمس عشرة سنة)، وبعد قضائها عشر سنين بعد البعثة، فيكون عمرها خمسين سنة عند وفاتها، وهو الأصحُّ على حدٍّ قول البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)[١]، وبهذا تكون السيِّدة خديجة عليها السلام في عمر يسمح لها بالإنجاب، سواء السيِّدة فاطمة عليها السلام، أو أخوتها الذين توفُّوا قبلها، وفق هذا الرأي.

أمَّا ما ذُكِر من أنَّ السيِّدة خديجة عليها السلام كان لها خمسة أطفال من النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد انقسمت الآراء حول ذلك، فقيل إنَّ الأولاد هم القاسم، وبه كان يكنَّى، وعبد الله والطيِّب والطاهر، ومن البنات له زينب ورقيَّة وأمّ كلثوم وفاطمة عليها السلام[٢]، وهناك من يرى أنَّ السيِّدة خديجة عليها السلام لم تلد للنبيّ صلى الله عليه وآله سوى القاسم وفاطمة عليها السلام، أمَّا باقي البنات فهنَّ ربائب له، إذ كنَّ بنات أختها هاله[٣]، والقول الأخير هو ما نميل إليه، فلو سلَّمنا بأنَّ له صلى الله عليه وآله من السيِّدة خديجة عليها السلام زينب ورقيَّة وأمّ كلثوم[٤]، وأنَّهنَّ ولدنَ وتزوَّجنَ قبل البعثة[٥]، فذلك يتعارض مع نصوص القرآن الكريم، وما ورد في سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

(١) الدهيس، زواج النبيّ صلى الله عليه وآله، ص ٥٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص١٢٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٣.
(٣) أبو القاسم الكوفيّ، الاستغاثة، ج١، ص٦٨-٦٩، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٣٨، جعفر مرتضى العامليّ، بنات النبيِّ أمْ ربائبه، ص٢٤-٤٣.
(٤) ف. فكا، مادَّة (زينب بنت محمَّد)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: أحمد الشنتاويّ، ط١، ج١١، ص٣٢، ف. بوهل، مادَّة (رقيَّة)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ط١، ج١٠، ص ١٦٥، ف. بوهل، مادَّة (أمّ كلثوم)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ط١، ج٢، ص٦٢١.
(٥) ينظر إلى ولادة زينب وزواجها: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠-٣١، ورقيَّة، ص٣٦، وأمّ كلثوم، ص٣٧.

﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾[١]، التي ذكر فيها المفسِّرون أنَّ قريش اتَّهمت النبيّ ﷺ بأنَّه أبتر لا ولد له، أو لا عقب له [٢]، فحسب هذا الرأي، وأمام هذا النصِّ القرآنّي الذي ينفي أن يكون للنبيّ ﷺ من الذريَّة أو مَن هم على قيد الحياة قبل البعثة النبويَّة، وحتَّى نزول هذه السورة[٣]، لذا لا يمكن قبول مثل تلك المرويات التي نسجت لعلَّها متأخِّرة للتقرُّب من نسب النبيّ ﷺ، بوصف من تربَّين عنده بأنَّهنَّ بناته وتزوَّجنَ من أبناء أبي لهب، على الرغم من تعارض مثل تلك المرويَّات مع نصوص القرآن، وهو الفيصل في ردِّ وقبول الروايات.

وقد ورد في قول أحد رجالات مكَّة للنبيّ ﷺ أنَّه قد انقطع ولده، فهو أبتر[٤]، فإن قيل إنَّ كلمة انقطاع ولده تعني الذكور منهم فقط، فهذا القول مخالفٌ للمعنى اللغويّ للكلمة، فالبتر هو القطع، وقيل الأبتر هو الذي لا عقب لهُ[٥]، فقطع الشيء لا يعني تمييز جزء عن آخر، ولا ذكر عن أنثى، إلَّا إذا قيل إنَّ ما أراده المفسِّرون تمييز الذكر عن الأنثى على وفق الترسُّبات الفكريَّة الجاهليَّة عن الأنثى، بأنَّها دون الذكر[٦]، وإذا ما سلَّمنا بهذا التفسير للآيات القرآنيَّة وفق هذا التأويل المنحاز للذكر، فلماذا لم نجد مثل هذا القول من مشركي مكَّة للنبيّ ﷺ بأنَّه أبتر لا ولد لهُ بعد ولادة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؟ ولا يوجد أي أثر لأي شخصيَّة اتُّهم بأنَّه أبتر لأنَّه لم يولد له غير البنات.

(١) سورة الكوثر، الآية: ١-٣.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الطبريّ، جامع البيان، ج٣٠، ص٤٢٦-٤٢٨، الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج١٠، ص٣١٠-٣١٣، الفخر الرازيّ، ج٣٢، ص١٣٢-١٣٥.

(٣) ينظر: العامليّ، بنات النبيّ أم ربائبه، ص٣٣-٤٣، وبيَّن فيها أنَّ أبناء النبيّ جميعهم ولِدوا بعد البعثة النبويَّة، استنادًا إلى النصِّ القرآنيّ.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٨.

(٦) صور القرآن الكريم نظرة العرب قبل البعثة إلى الأنثى بأنَّها دون الذكر في الأهميَّة. سورة النحل، الآية: ٥٨-٥٩.

زيادة على هذا، إنَّ آية المباهلة[1]، وحضور السيِّدة فاطمةعليها السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله في المباهلة مع وفد نصارى نجران، وغياب من كنَّ على قيد الحياة ممَّن قيل على أنَّهنَّ أخواتها يؤكِّد أنَّها البنت الوحيدة للنبيّ صلى الله عليه وآله[2].

لهذا يقول المستشرق كارل هاينرش بيكر (Carl Heinrich Bekker)[3]: «إنَّني أشكُّ كثيرًا في كون كلِّ السيرة الذاتيَّة المتعلِّقة ببنات الرسول اللاتي وجدنَ حقًّا، وما رافق هذهِ السيرة من تفاصيل كثيرة، مضافًا إليه تسلسل هذه البنات من الناحية العمريَّة، أن تكون محاكاة لأهداف مغرضة»[4].

وفيما يخصُّ ولادة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، فلا معنى لاتِّهام قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله، في بداية الدعوة الإسلاميَّة بأنَّه أبتر، لا ولد

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج٢، ص٤١٢-٤٢٢، الطبريّ، جامع البيان، ج٣، ص٤٠٤-٤٠٧، وينظر لحياة زينب ورقيَّة وأمّ كلثوم، إذ يذكر أنَّ وفاة زينب عام ٨ هجريَّة، وأمّ كلثوم قد تأخَّر حتَّى سنة ٩ هجريَّة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠-٣٩.

(٣) كارل هاينرش بيكر (١٨٧٦-١٩٣٣م): مستشرق ألمانيّ وسياسيّ، قضى دراسته الثانويَّة في فرانكفورت، ودخل جامعة لوزان أوَّلًا، ثمَّ بعدها درس في هيدلبرج وبرلين، ونال الدكتوراه عام (١٨٩٩م) من هيدلبرج، كان له ولع شديد باللاهوت منذ دراسته الثانويَّة، سافر إلى عدد من الدول الأوربيَّة، منها باريس وأسبانيا، وفي الأخيرة بدأت دراسة الشخصيَّة في المشرقيَّات، سافر إلى القاهرة واتَّصل بحياة الشرق اتِّصالًا مباشرًا، وتعلَّم العربيَّة فيها، عاد إلى ألمانيا عام (١٩٠١م)، مرورًا بإيطاليا واليونان واسطنبول، عاد بعدها إلى مصر سنة (١٩٠٧م)، أسَّس مجلَّة الإسلام (تاريخ الشرق الإسلاميّ وحضارته)، وتعرف اختصارًا (Der Islam) عام (١٩١٠م)، له العديد من الآثار، منها النصرانيَّة والإسلام (تونجين ١٩٠٧م)، مجموعة بحوث في الإسلام بالألمانيَّة، نقلًا عن ما كان نشره في مجلَّة الإسلام (١٩١٦-١٩١٨م)، الإسلام في إطار تاريخ الحضارة (المجلَّة الشرقيَّة الألمانيَّة ١٩٢٢م). للمزيد من التفاصيل، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٣-١١٦، العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.

(4) Prinzipielles zu Lammens Sirastudien, P. 266.

والترجمة نقلًا عن: الكعبي، صورة أصحاب الكساء، ص١٧٣-١٧٩.

لهُ[١]، إلَّا إذا قلنا إنَّ زينب ورقيَّة وأمّ كلثوم هنَّ لسن بنات للنبيّ صلى الله عليه وآله، بل هنَّ ربائب، على اعتبار أنَّ ولادتهنَّ وزواجهنَّ كانا قبل البعثة، كذلك لا معنى لقول قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّه أبتر لا ولد له مع ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام قبل البعثة بخمس سنوات، بحسب ما ذُكر من رأي، ورجَّحته المستشرقة فاجليري، إلَّا إذا قلنا إنَّ ولادتها بعد البعثة، فالقرآن الكريم يؤكِّد الولادة بعد البعثة[٢]، وهناك أقوال متعدِّدة في ولادتها بعد البعثة الشريفة، وذكرت إحدى الباحثات[٣] بعد دراسة مستفيضة لمرويَّات ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وخرجت بنتيجة تؤكِّد فيها أنَّ تاريخ الولادة هو في السنة الخامسة من البعثة، وعلى هذا الرأي القائل بولادتها في السنة الخامسة من البعثة، يكون زواجها في وقت مألوف من الزواج في شبه الجزيرة العربيَّة، وما ذكرتهُ المستشرقة من أنَّ عمر أُمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام لا يسمح لها بولادتها إذا أخَّرنا تاريخ مولدها لما بعد البعثة، على اعتبار كِبَر سنِّ أمِّها، وقد أسلفنا في ما سبق بأنَّ عمر السيِّدة خديجة كان من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله، فعلى هذا يكون عمر أُمها السيِّدة خديجة عليها السلام في الخامسة والأربعين، وهو عمر يسمح لها بالولادة، ويكون سنُّ زواج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في عمر يناسب ما معروف عنه في شبه الجزيرة العربيَّة.

وما ذكره لامنس من تفصيل في عمر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في كتابه (فاطمة وبنات محمَّد Fatima et les filles de Mahomet)، حيث قال: «إنَّ العمر المعروف آنذاك للزواج بالنسبة للنساء العربيَّات يتراوح بين (٩-١٢ سنة)، ويبدأ أهل الفتاة بالقلق على مستقبل ابنتهم حينما تبلغ عشر سنوات، فنرى كتَّاب يبذلون قصارى جهدهم لتصغير عمر فاطمة حين زواجها، فقد أكثروا وبخجل ترديد رقم (١٥ سنة أو ١٥

(١) ينظر: سورة الكوثر، الآية: ٣.

(٢) وجاء في سورة الكوثر، الآية: ٣، اتِّهام النبيّ صلى الله عليه وآله من قِبَل قريش بأنَّه أبتر لا ولد له، وهذا يؤكِّد عدم ولادة فاطمة عليها السلام قبل البعثة.

(٣) انتصار عدنان عبد الواحد العوَّاد، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تاريخيَّة، ص٢٧-٦٢.

سنة ونصف)، تاركين المجالات لإمكانيَّة أن يكون الرقم أكبر من ذلك، وفي الحقيقة فإنَّنا وجدنا أنَّ من بين قدامى الكتَّاب من يتكلَّم عن أنَّها وقت زواجها قد بلغت (١٨ سنة)، ومع أنَّ هذا الرأي يقترب قليلًا من الحقيقة، إلَّا أنَّه لا يمثِّلها، فإذا افترضنا أنَّ فاطمة عاشت حسب متوسِّط الآراء (٣٠ سنة)، فإنَّها تكون قد تجاوزت (٢٠ سنة) عند حدوث معركة بدر»[1]، وقد ذكر في مكان آخر ما نصُّه: «نحن في حقيقة الأمر نجد أنفسنا أمام مسرحيَّة الهدف منها إخفاء العنوسة والعزوبة الطويلة التي عانت منها فاطمة»[2]، وقد ردَّ الكعبيّ في دراسته على ذلك المستشرق المتعصِّب هنري لامنس بصورة شافية ووافية[3]، فهو- أي هنري لامنس- على طريقته في تكذيب كلِّ النصوص والوثائق التاريخيَّة واستبعادها، عندما يجدها تتعارض مع رؤيته، وراح يقطع بوثاقة كلَّ ما يتَّفق مع ما يذهب إليه ويخدم توجُّهاته البحثية، وراح يصنِّف المؤرِّخين بحسب ما يقتضيه طرحه، فكلَّما وجد مؤرِّخًا يذكر فضائل آل البيت رماه

(1) Fatima et les filles de Mahomet, P. 31-34.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٤٠٨-٤٠٩.

وينظر ما ذكره هنري لامنس كذلك في موسوعة الإسلام (دائرة المعارف الإسلاميَّة)، ومقاله عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، بتكرار بعض ذلك الكلام. إذ قال إن تاريخ ولادتها- أي السيِّدة فاطمة عليها السلام- يتعيَّن علينا تسويته، وهذا يجرُّنا إلى سؤال آخر، هو ترتيبها بين بنات الرسول الأُخريات، مع تقدُّم سنِّ خديجة الذي يجب أن يؤخذ بالاعتبار، ومن ناحية أخرى، كانوا يرغبون في تجنُّب ذِكر كبر سنها عند زواجها من عليّ، وقد وجدوا أكثر ملائمة جعلها أصغر أخواتها، وقد سعى آخرون ممَّن يفكِّرون في تأخير زواجها من عليّ إلى وضع ولادتها حول فترة الدعوة النبويَّة لأبيها قبل أو بعد فترة وجيزة منها، ومن الكتَّاب الأكثر تكريسًا لهذا الرأي، المسعودي الذي يضع ولادة فاطمة في السنة الثامنة قبل الهجرة، في وقت يجب أن تكون والدتها في سن (٦٠ عامًا) على الأقل.

(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., V. II, P. 85.

(2) Fatima et les filles de Mahomet, P. 29-30.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٤٠٨.

(٣) ينظر، الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٤٠٣-٤١٧.

بالتشيُّع[١]، فلو عمل لامنس على اعتماد رأي المسعوديّ[٢] الذي استبعده بحجَّة تشيُّعه؛ لتوصَّل لنتيجة مُرضية في عمر السيِّدة خديجة وابنتها السيِّدة فاطمة عليهما السلام، لكن لأنَّه لا يقبل إلَّا البحوث التي يظهر فيها انتقاص وتشويه لآل البيت عليهم السلام، فقد استبعدها لأنَّه كما يعتقد متشيِّع أو محبّ للعلويِّين، أو من الآراء الشيعيَّة.

ثمَّ تحدَّثت المستشرقة فاجليري عن حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام خلال العهد المكِّيّ، فقالت: «أمَّا عن طفولتها وحياتها في مكَّة، فبين أيدينا واقعتَين، أولاهما أنَّ فاطمة عندما اشتدَّ بها الحزن لوفاة أمِّها خديجة، طمأنها الرسول صلى الله عليه وآله بأنَّ الله قد بنى لها قصرًا في الجنَّة، لا صخب فيه ولا نصب، وثانيها أنَّها لعنت من أهان أباها وهو يصلِّي»[٣].

فما ذُكِر من قلَّة ذكرها في العهد المكِّيّ، فهو يبيِّن حجم الإقصاء والتغييب الذي تعرَّض له آل البيت عليهم السلام، وأحاديث السيِّدة فاطمة عليها السلام تحديدًا، فهي التي رافقت النبيّ صلى الله عليه وآله مدَّة زمنيَّة أكثر من غيرها، فمن غير المعقول أن تكون أحاديثها ودورها في العهد المكِّيّ أقلّ ممَّن هو أقلُّ مرافقة ومصاحبة للنبيّ صلى الله عليه وآله، لكن لأنَّ أحاديثها لا تخدم السلطات السياسيَّة التي خلَفت النبيّ صلى الله عليه وآله، وصادرت حقوق آل البيت عليهم السلام، ولأنَّ تلك الأحاديث ستبيِّن حجم الظلم والإقصاء والتهميش الذي تعرَّض له آل البيت عليهم السلام، خاصَّة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، تمَّ تغييبها أو إقصائها.

ولعلَّه غاب عن المستشرقة فاجليري أنَّ الرواية الموجودة في كتب التاريخ كانت قد وضعتها وصنعتها السلطات الأمويَّة والعبَّاسيَّة، بدفعها وتوجيهها وتشجيعها ماديًّا

(١) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٦٧.

(٢) مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٩، «حيث قال بولادتها في السنة الثامنة قبل هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة».

(٣) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧١١.

(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 842.

واجتماعيًّا وإداريًّا لرواة يعدُّون روَّادًا في رواية السيرة النبويَّة، وأحداث القرن الأوَّل للهجرة، لأن يزيِّفوا أو يحرِّفوا أو يكيِّفوا، والأكثر أهميَّة أن يغيِّبوا دور السيِّدة فاطمة عليها السلام التاريخيّ ومواقفها، وأن يقلِّلوا من أهميَّة التشيُّع في هذا القرن المهم، الذي عرَّفه عدد من المستشرقين بأنَّه يمثِّل المرحلة التكوينيَّة للإسلام الشيعيّ، لذا لا مبالغة في القول إنَّ التدوين التاريخيّ الإسلاميّ عامَّة، والتدوين المتعلِّق بالسيرة النبويَّة، وبتاريخ الشيعة والتشيُّع بصورة خاصَّة قد تعرَّض إلى عمليَّات مقصودة وغير مقصودة من التشويه والتزوير والكذب، بدافع معيَّن أو بجملة من الدوافع، منذ بوادر نشوء التدوين في القرن الأوَّل الهجريّ/ السابع الميلاديّ، لذا عمدت السلطات الحاكمة إلى طمس الحقائق التاريخيَّة المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام[1].

٢. صفات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وكناها:

حاولت المستشرقة فاجليري تقديم بعض صفات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فذكرت في هذا الجانب ما نصُّه: «كان لفاطمة كنية غريبة، هي (أمُّ أبيها)، والتفسيرات التي دارت حول هذه الكنية تجعلنا نظنُّ أنَّ انتشارها كان بين الشيعة أساسًا، ومن الواضح أنَّ هذه الكنية لم تظهر إلَّا في المراجع المتأخِّرة، مثل أسد الغابة، وتقول مصادر الشيعة الإماميَّة إنَّها سمِّيت بأمِّ أبيها؛ لأنَّها علمت عن طريق الوحي أنَّ اسم آخر واحد من سلالتها سيكون اسمه محمَّدًا كاسم أبيها.. وقد لفت المستشرق ماسينيون (Louis Massignon)[2] الأنظار إلى وجود صلة بين عقيدة المسيحيِّين في مريم،

(١) عبد الجبَّار ناجي، التشيُّع والاستشراق، ص٨٥-٨٦، ٤٧٣.

(٢) لويس ماسينيون (ماسينون) (١٨٨٣-١٩٦٢م): مستشرق فرنسيّ، ولِد في ضاحية نوجان على نهر المارن، قضى دراسته الثانويَّة في (ليسيه لوي لوجران) المشهورة في باريس، ثمَّ التحق بالمدرسة (الوطنيَّة الشرقيَّة الحيَّة)، وهي التي تخرَّج فيها أجيال من المستشرقين، تحصَّل على البكالوريا عام (١٩٠٠م) من قسم الآداب والفلسفة، يمتاز أسلوبه بنفوذ النظرة، وعمق الاستبطان، والقدرة على استنباط التيَّارات المستورة وراء المذاهب الظاهرة، والأفكار السطحيَّة،=

باعتبارها (أمَّ الرَّب)، وعقيدة بعض المسلمين في فاطمة بأنَّها (أمُّ أبيها)، فالكنيتان متناظرتان»[١].

وقد ذكرت المستشرقة فاجليري في مكان آخر قولها: «ويلاحَظ أنَّ الاسم (فاطر) يعني الخالق، وبصرف النظر عن أنَّه أتى في صيغة المذكَّر، فإنَّه- أي هذا الاسم- يُستخدَم لتعظيم فاطمة عند الإسماعيليَّة، وبعض المذاهب كالنُّصيريَّة، واعتبار فاطمة (فاطر)، أي خالق، يفسِّر لنا كنية (أمّ أبيها)»[٢].

ولا شكَّ أنَّ إحدى الكنى للسيِّدة فاطمة عليها السلام هي (أمُّ أبيها)، ولم يكن انتشار هذه الكنية بين الشيعة وحدهم، فالمستشرقة فاجليري تحاول إبراز هذه الآراء بأنَّها شيعيَّة فقط، وهي تتَّبع منهجيَّة في تصنيف المؤرِّخين حسب المدارس الفكريَّة، وتقبل وترفض ما يخدم توجُّهاتها البحثيَّة، فهي تعمل على انتقاء النصوص في ما يؤيِّد كلامها، وتنبذ ما يخالفها، فلم يكن ظهور تلك الكنية متأخِّرًا كما تحاول توصيفها، فقد ذكرها عدد

=وتخصَّص بالدراسات الصوفيَّة، وفي شخصيَّة الحلَّاج خاصَّة، بدأ حياته الاستشراقيَّة بالاشتراك في المؤتمر الدوليّ الرابع عشر للمستشرقين (١٩٠٥م) في الجزائر، عيِّن عضوًا في المعهد الفرنسيّ للآثار الشرقيَّة في القاهرة (١٩٠٦م)، عاد بعدها إلى باريس (١٩٠٧م)، ثمَّ عهد إليه القيام بأبحاث وحفائر في العراق (١٩٠٧-١٩٠٨م)، شارك في كتابة العديد من المقالات في دائرة المعارف الإسلاميَّة، وقد اختصَّ كما أسلفنا بالتصوُّف، وبمذهب الشيعة وما تفرَّع منها من مذاهب مغالية، كتب عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فكتب عن مكانتها عند الشيعة في كتاب (إيرانوس)، ج٥ (١٩٣٨-١٩٣٩)، وعن المباهلة في المدينة وفاطمة (باريس ١٩٥٥م)، تكريم الإسلام لفاطمة (الدراسات الاستشراقيَّة لدلافيدا ج٢، ١٩٥٦م)، وله العديد من الأبحاث حول التصوُّف. للمزيد من التفاصيل ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٢٩-٥٣٥، العقيقيّ، المستشرقون، ج١، ص٢٦٣-٢٦٨.

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٢١، وينظر: الطبعة الإنكليزيَّة: (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 845.

(٢) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٢٩، وينظر: الطبعة الإنكليزيَّة: (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 848.

من المصادر قبل ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)، ولم تقتصر على المؤلَّفات الشيعيَّة[١]، أمَّا أنَّها سمِّيت بأمِّ أبيها؛ فلأنَّها علمت عن طريق الوحي أنَّ اسم آخر سلالتها سيكون اسمه محمَّد كاسم أبيها، فهذا القول لا يتَّفق مع الكنية، فلا يمكن أن تكون هي من تكنِّي نفسها، وقد وردَ أنَّ النبيّ ﷺ هو من كنَّاها بهذه الكنية[٢].

كنية (أمِّ أبيها) تبيِّن لنا تعامل السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع أبيها، فقد كانت تهتمُّ بهِ كما تهتمُّ الأم بوليدها، فهي بمثابة الأمِّ الروحيَّة التي لها حقٌّ معنويّ على الإنسان[٣]، كما قال النبيّ ﷺ لفاطمة بنت أسد: «**هي أمِّي**»[٤]، لدورها في رعايته، ولعلَّ هذا القول يردُّ ما سبق من القول بعدم معرفة شيء عن السيِّدة فاطمة ﷺ قبل الهجرة، سوى نصَّين روائيَّين، فهذا اللقب لم تلقَّب به من دون دور أو موقف كان لها بكلِّ تأكيد، فقد كانت في العهد المكِّيّ كالأمِّ لأبيها في وقوفها إلى جانبه، وقد ورد دور السيِّدة فاطمة عليها السلام خلال العهد المكِّيّ في بعض النصوص الروائيَّة[٥]، على الرغم من الرقابة التي كانت تفرضها

(١) الطبريّ، المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، ص٦، أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين، ص٢٩، الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٧، ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٩، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٤٠، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٠.

(٢) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج٢، ص٩٠.

(٣) الشيرازيّ، الأمثل، ج١٣، ص١٧٠.

(٤) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمُّها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر ابن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، تزوَّجها أبو طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم، فولدت له عليًّا، وجعفرًا، وعقيلًا، وأمُّ هانئ، وجمانة، وريطة بنت أبي طالب، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفِّيت بها. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٥١، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥١٧، وينظر: لقول النبيّ ﷺ: «**هي أمِّي**». الأربلِّيّ، كشف الغمَّة، ج١، ص٦٥.

(٥) ينظر على سبيل المثال: وقوفها بوجه قريش بعد رميهم سلا جزور على ظهر النبيّ ﷺ عند الصلاة عند البيت الحرام. ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٩٣، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج١، ص٦٥. وينظر موقفها في غسل التراب من رأس رسول الله ﷺ بعد ما نالت=

السلطة على تدوين السيرة النبويَّة في عدم ذِكر فضائل آل البيت عليهم السلام، أو تحجيم بعضها، وتغييب بعضها الآخر.

ولم يكن أحد أسماء السيِّدة فاطمة عليها السلام، هو فاطر، بل إنَّ التسمية هي فاطمة، والله هو الفاطر، وإن اختُلف في معنى فاطمة، ولا يوجد أي دلالة على ما تذكر المستشرقة[١]، اللهمَّ إلَّا في مصادر بعض الفرق المنتمية للتشيُّع، وليس كلُّ الشيعة لها رؤية واحدة بتلك الآراء، فلم يذكر مصدر من المصادر الإسلاميَّة الشيعيَّة الإماميَّة أنَّ معنى فاطمة هو فاطر، أي الخالق (الخالقة)، وهذا الاستنتاج الخاطئ هو ما ذهب بها إلى الاعتقاد من أنَّ تلك الكنية هي كما هو موجود في المعتقد المسيحيّ بجعلهم مريم خالقة (أمٌّ للربِّ)، وهذا ما ذهب إليه ماسينيون[٢]، بوجود مثل هذا الرأي عند بعض الفرق الشيعيَّة، وهذه هي محاولات المستشرقين إلى أن يُظهروا أثر الديانة المسيحيَّة ومعتقداتها في العقيدة الشيعيَّة، وتعميم حالات فرديَّة عند بعض الفرق الشيعيَّة على التشيُّع بصورة عامَّة، فكيف يفعل الشيعة ما نهى عنه القرآن الكريم؟![٣]، لذا كانت ثمَّة محاولات لإبراز الانقسام والتجزئة بين صفوف المسلمين سياسيًّا، وفكريًّا، ودينيًّا، وهذه واحدة من أهداف الاستشراق، فقد جاء الإسلام لتصحيح مسار الانحراف في العقيدة المسيحيَّة، باتِّخاذهم مريم وعيسى عليهما السلام إلهَين من دون الله، ومن المستحيل أن يفعل المسلمون خلاف القرآن.

وتناولت المستشرقة فاجليري جمال السيِّدة فاطمة عليها السلام بقولها: «ومن المؤكَّد أنَّ فاطمة لم تكن جميلة؛ لأنَّ المصادر سكتت عن منظرها، بينما تحدَّثت عن جمال أختها

=منه قريش ما نالت بعد وفاة أبوطالب. ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص٤١٦.

(١) ينظر إلى الاختلاف في معنى اسم فاطمة: العوَّاد، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٣٥-٣٦.

(٢) لويس ماسينيون (ماسينون)، المباهلة بين النبيّ ونصارى نجران في سنة ١٠هـ، ضمن كتاب: بدويّ، شخصيَّات قلقة في الإسلام، ص١٧٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

رقيَّة، واكتفت، أي المصادر، بأن ذكرت أنَّ مشيتها كانت تشبه مشية أبيها، ولا يمكن وصفها بأنَّها امرأة واهنة مريضة، كما ذهب لامنس اعتمادًا على حديثَين (شريفَين) لا بدَّ أنَّهما قيلا في ظروف خاصَّة، فهناك حقائق أخرى تفيد عكس ما ذكره لامنس، فقد كانت ولودًا، أنجبت خمسًا، كما كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وقامت برحلتَين إلى مكَّة، كلُّ ذلك يشير إلى أنَّها كانت صحيحة البدن»[١].

تأكيد المستشرقة الإيطالية فاجليري بأنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام لم تكن توصَف بالجمال، ربَّما غاب عنها أنَّ أحد ألقاب السيِّدة فاطمة عليها السلام هو (الزَّهراء)[٢]، وقد ذكرت المستشرقة ذلك اللقب كأحد أسمائها[٣]، والزَّهراء هي المرأة المشرقة الوجه، والبيضاء المستنيرة المشربة بحمرة، والأزهر كلُّ لون أبيض كالدرَّة الزَّهراء[٤]، وقد وُصِف النبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّه أزهر[٥]، وعلى ذلك تكون هذه أحدى الصفات التي ورثتها عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وسكوت المصادر عن وصف جمالها دلالة على الدور السلطويّ في تغييب مكانة أهل البيت عليهم السلام وصفاتهم، في حين تمَّ إبراز جمال رقية؛ لأنَّها كانت زوجه عثمان بن عفَّان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس[٦]، فهنا برز الدور الأمويّ في تدوين السيرة النبويَّة في تغييب

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٢٥، ص٧٧٢١-٧٧٢٩.
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 845-848.

(٢) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣، المسعوديّ، مروج الذهب، ج٢، ص٤٢٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٣٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٤٩.

(٣) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٢٥، ص٧٧٢٨. وينظر الطبعة الإنكليزيَّة:
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 847.

(٤) ينظر: الفراهيديّ، كتاب العين، ج٤، ص١٣، الجوهريّ، الصِّحاح، ج٢، ص٦٧٤، ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٣٢-٣٣٣، الزبيديّ، تاج العروس، ج٦، ص٤٨٦.

(٥) ينظر ما ورد نقلًا عن الإمام عليّ عليه السلام: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤١١، ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٨٩. وينظر ما نُقِل عن أنس بن مالك: البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص١٦٤، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٨١.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦، ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٤٠-١٨٤١.

صفات السيِّدة فاطمة عليها السلام؛ لأنَّها زوجة الإمام عليّ عليه السلام، ولعلَّ فاجليري تماشت وتأثَّرت بما ذكره المستشرق لامنس من صفات السيِّدة فاطمة عليها السلام، حين وصفها بأنَّها لم تكن ذات جمال، خلاف رقيَّة زوجة عثمان بن عفَّان[1].

وفي هذا الجانب يقول المستشرق الألمانيّ بيكر: «لا بدَّ للمرء من أن يسجِّل بعض التحفُّظات، لكن هل على مَن يعلم الأثر الذي خلَّفته معركة صفِّين، ومن يُخبر من قبل لامنس عن تصحيفات أتباع عليّ، أن يؤمن من دون تحقيق أنَّ أعداء العلويِّين كانوا ينتهجون نهجًا تاريخيًّا موضوعيًّا عندما يحاولون إظهار دور فاطمة وكأنَّه دور سطحيّ، أو عندما يعطونها القليل من الملامح اللطيفة، فالعرب يتحاربون فيما بينهم عندما يهين بعضهم أمَّهات بعض، لكنَّ فاطمة أُبقيت بعيدة عن الفواحش، ذلك لأنَّها بنت الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، لكنَّها صُوِّرت وكأنَّها لم يكن لها أثر على الرسول صلى الله عليه وآله، وأنَّها لم يكن لها أدنى هيبة عنده، وأنَّ طلعتها ليست ذات تأثير، ولم تكن زيجتها مع العدو اللدود- للطرف الآخر- عليّ عليه السلام مليئة بالسعادة، ولم تكن تتمتَّع بالاحترام في هذه الزيجة، وبهذا النوع من الأحاديث تمَّ ضرب أتباع عليّ عليه السلام دون المساس بالرسول صلى الله عليه وآله»[2].

لذا نجد أنَّ المستشرقة فاجليري، بالرغم من محاولتها رفض بعض ما ذكره لامنس من صورة مشوَّهة وتحريف لما هو معروف من سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، لم تستطع التخلُّص من تلك الصورة التي رسمها لامنس، ولعلَّها تأثَّرت بها، على الرغم من محاولتها أن تكون حياديَّة في مقالها.

(1) Fatima Et Les Filles de Mahomet, P. 16-18.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٨٠.

وينظر ما أورده الكعبيّ في الردِّ على آراء هنري لامنس: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٨٠-٣٩٦.

(2) Prinzipielles zu Lammens Sirastudien, P. 266.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص١٧٣-١٧٩.

ولعلَّ المستشرق الفرنسيّ هنري لامنس اعتمد في جمال رقيَّة على المصادر المتأخِّرة، ومنها ما ذكره الدميريّ (ت٨٠٨هـ)، حيث قال: «ولـمَّا هاجرت رقيَّة إلى الحبشة، كان فتيان الحبشة يتعرَّضون لرؤيتها، ويتعجَّبون من جمالها، فآذاها ذلك، فدعت عليهم، فهلكوا جميعًا»[1]. ولم ينقل الدميريّ (ت٨٠٨هـ) سند تلك الرواية التي تلقَّفها منه الديار بكريّ (ت٩٦٦هـ)، فهي رواية مجهولة السند، ولا يمكن الركون إليها أو الأخذ بها، زيادة على ذلك، ليس من عادة أهل الحبشة التعرُّض لنساء المسلمين في أرضهم، ولاسيما أنَّهم في ضيافة حاكم الحبشة النجاشيّ وجواره، فمن يتعرَّض لهم بالسوء يتعرَّض لصاحب الجوار بالسوء، ولا أحد من أهل الحبشة يستطيع مواجهة ضيوف ملك الحبشة، أو التعرُّض لهم، وهذا الكلام يخالف ما ورد في السيرة النبويَّة عن أمِّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله بقولها: «لـمَّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشيّ، آمنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه»[2]، وهذا يدلُّ على كذب مثل تلك المرويَّات عن التعرُّض لنساء المسلمين في أرض الحبشة من قِبَل فتيانهم، فهذه هي الإشارة الوحيدة التي استدلَّ بها لامنس على جمال رقيَّة، واعتمدتها المستشرقة فاجليري كحقيقة تاريخيَّة.

٣. الهجرة من مكَّة إلى المدينة:

ذكرت المستشرقة فاجليري هجرة السيِّدة فاطمة عليها السلام من مكَّة إلى المدينة، لكنَّها سردتها بصورة مختلفة، وحاولت انتقاء روايات دون غيرها، فمثلًا تقول حول هذا الأمر: «بعد الهجرة، نقل محمَّد ابنتيه فاطمة وأمّ كلثوم، وزوجته سودة بنت زمعة، من مكَّة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة، وقد كلَّف الرسول ابنه بالتبنِّي (في ذلك الوقت) زيد بن

(١) حياة الحيوان، ج١، ص٤٨٢. ونقل عنه الديار بكريّ ذلك الكلام: ينظر الديار بكريّ، تاريخ الخميس، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص٢٢٢، ابن حنبل، مسند، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

حارثه وأبا رافع بهذه المهمَّة، بعد أن زوَّدهما ببعيرين ومبلغ من المال، إلَّا أنَّ هناك رواية للعبَّاس مفادها أنَّ انتقال ابنتَي النبيّ وزوجته إلى المدينة لم يكن سهلًا ومن دون مشاكل؛ إذ إنَّ الحويرث ابن نقيظ بن وهب قد نخس البعيرَين؛ فتسبَّب ذلك في سقوطهنَّ، لذا فإنَّه يُقال إنَّ النبيّ قد أمر بقتله بعد فتح مكَّة»[١].

وهنا قد غيَّبت المستشرقة فاجليري دور الإمام عليّ عليه السلام في نقل السيِّدة فاطمة عليها السلام، ولعلَّ المستشرقة فاجليري قد تأثَّرت بما ذكره المستشرق لامنس في هذا الجانب، حيث قال: «بعد الهجرة تعهَّد عليّ، أو بالأحرى زيد بن حارثة، بإحضارها إلى المدينة»[٢]، وعلى الرغم من أنَّ بعض المصادر ذكرت هجرة الإمام عليّ عليه السلام بعد أن أمره الرسول صلى الله عليه وآله أن يؤدِّي عنه أماناته ووصاياه، وأن يبيت في فراشه، ويُخرج إليه أهله، ويلحق به في المدينة[٣]، إلَّا أنَّ ذلك لم تذكره المستشرقة فاجليري، وقامت بتغييبه.

وما ورد عن ابن هشام (ت٢١٨هـ) في رواية عن العبَّاس بن عبد المطَّلب، ودوره في هجرة ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله[٤]، هي محاولة تنقية تاريخ جدِّ الأسرة العبَّاسيَّة، ورفع مكانته، ودسِّ جملة أو جملتَين هنا وهناك؛ ليستقيم المعنى لصالح جدِّ العبَّاسيِّين[٥]، ولعلَّ ابن هشام اختلق تلك البداية، وترك لغزه عائماً من دون حل؛ لأنَّه أدرك أنَّ إكمال تلك القصَّة سيترتَّب عليه دسّ العديد من الروايات والمواقف، أو بيان ما سيترتَّب عليه من تقديم إجابة عن سبب عودة العبَّاس بن عبد المطَّلب إلى

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧١١. وينظر الطبعة الإنكليزيَّة:
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 842.
(2) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., V. II, P. 85.
(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٦٨-٦٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٩، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠٦، الحلبيّ، السيرة الحلبيَّة، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣.
(٤) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج٤، ص٨٦٨.
(٥) ناجي، نقد الرواية التاريخيَّة، ص٤٤.

مكَّة[1]، وكيف يستطيع زيد بن حارثة، وهو المولى الذي لا يتمتَّع بأيِّ تقدير عند قريش المشركة، والذي لم يشتهر حتَّى ذلك الحين، بأنَّه صاحب بأسٍ شديدٍ يخوِّله خوض مخاطرة، وتأدية مهمَّة كهذه، وهل الأمر بهذه السهولة والبساطة؟![2]، وكان إرسال زيد ابن حارثة بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لجلب من بقي من المسلمين في مكَّة بسبعة أشهر[3]، فهل من المعقول أن يترك النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته وزوجه طوال هذه المدَّة في مكَّة؟! فهكذا كانت الإزاحة لدور الإمام عليّ عليه السلام في الهجرة، ونسبة نقل ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آخرين.

٤. خطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام:

تناولت المستشرقة فاجليري الحديث عن خطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام فذكرت: «فيما يتعلَّق بخطبة فاطمة، فإنَّ المصادر تقدِّم لنا الكثير من المعلومات، على الرغم من تعارض واختلاف تلك المصادر، فقد تقدَّم كلٌّ من أبي بكر وعمر بن الخطَّاب لخطبة فاطمة، لكنَّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله رفض ذلك قائلًا: إنَّه ينتظر أمر السماء، ولم يجرؤ عليّ بن أبي طالب على خطبتها بسبب فقره، لكن محمَّد خفَّف عليه الأمر ويسَّره له، فذكَّرهُ بالدرع الذي يمتلكه، وثمنه كافٍ كمهر لفاطمة، وأضاف عليّ بن أبي طالب على هذا الدرع جملًا وأشياء أخرى، فبلغ ما مقداره أربعمائة وثمانين درهمًا، فاشترى بثلث المبلغ أو ثلثيه عطورًا، وجهَّز بيت الزوجيَّة بالباقي من المبلغ، وعندما أخبر محمَّد ابنته بوعده لعليّ، صمتت ولم تقل شيئًا، وفسَّر النبيّ سكوتها على أنَّه موافقة على ذلك الأمر، لكن بعض المصادر تذكر أنَّها اعترضت إلَّا أنَّ النبيّ أقنعها بأنَّها إنَّما ستتزوَّج ابن عمِّه، وأنَّه أكثر الناس فقهًا وحكمةً، وأنَّه كان من السابقين للإسلام»[4].

(١) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٥٣٤. وقد بيَّن الباحث زيف الروايات التي تحدَّثت عن بعث النبيّ صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة وأبا رافع، لينقلا أهله إلى المدينة. ينظر: ص٥٣٤-٥٤١.

(٢) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٨٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٣٧.

(٤) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧١١-٧٧١٢، وينظر الطبعة=

حاولت المستشرقة تقديم صورة عن ذلك الرباط المقدَّس الذي ربط الإمام عليًّا والسيِّدة الزَّهراء عليهما السلام بأنَّه غير منسجم، وقد تمَّ دون موافقة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وحاولت كذلك إبراز فقر الإمام عليّ عليه السلام، تمهيدًا لما سينتج عنه هذا الرباط غير المنسجم من مشكلات تعكِّر صفو الحياة الزوجيَّة، كما ستبيِّنه لاحقًا في كلامها.

ولا شكَّ أنَّ سخونة المواقف السياسيَّة وتبدُّلات الدول والكيانات السياسيَّة تدفع إلى الكتابة التاريخيَّة غير المنصفة، والأكثر أهميَّة أنَّها تدفع إلى صناعة مرويَّاتٍ وابتداعها، فضلًا عن تزييفها وتعديلها وتكييفها بالشكل الذي تريده سلطة التدوين التاريخيّ، لهذا كان معاوية بن أبي سفيان يكتب إلى عمَّاله في عدم الرواية في فضائل الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته، ولعنه على المنابر، فكانت هذه مرحلة من مراحل التغييب والتلفيق وصناعة الرواية التاريخيَّة المشوَّهة، لذا كان الحقد والبغض لأهل البيت عليهم السلام قد أدَّيا دورًا مركزيًّا في الصراع، وتحريف الحقائق التاريخيَّة[1]، ولا ريب في أنَّ الكثير من الروايات التي هي أساس تناجز المذاهب الإسلاميَّة، وقد تسرَّبت في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله عوامل الميل والهوى مع تقادم الزمن[2]، فقد ساهمت تلك الأسباب في تشويه سيرة أهل البيت عليهم السلام بصورة عامَّة، وسيرة الإمام عليّ والسيِّدة الزَّهراء عليهما السلام بصورة خاصَّة، فالإمام عليّ عليه السلام كغيره من المهاجرين الذين تركوا جلَّ ما يملكون في مكَّة، وهاجروا في سبيل الدعوة الإسلاميَّة، فمحاولة جعل الحالة الماديَّة سببًا في عدم تقدُّم الإمام عليّ عليه السلام لخطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام أمر مجانب للحقيقة، ولأنَّ أوضاع الدعوة الإسلاميَّة والمهاجرين في بداية الهجرة لم تكن

=الإنكليزيَّة:

(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 842.

(١) ينظر ما ذكره في هذا المجال: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٥٦-٧٣، ايلر لنغ ليروك بيترسون، عليّ ومعاوية في الرواية العربيَّة المبكِّرة، ص١٤-٣٧. (قسم منه كلام المترجِم، والجزء الأخير هو تقديم مؤلِّف الكتاب).

(٢) اميل درمنغم، حياة محمَّد، ص٧-٨ (مقدِّمة المؤلِّف).

تسمح له بالتقدُّم لخطبتها، على خلاف أبي بكر وعمر اللَّذَين سبقا الإمام عليّ عليه السلام في خطبتها، وهذا يبيِّن عامل الميل والهوى في الروايات التي تحاول إبراز فقر الإمام قبال حالة الغنى لدى أبي بكر وعمر، فقد حاولت المستشرقة فاجليري جعل الإمام عليّ عليه السلام في منزلة لا تتسامى إلى منزلة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وهو ما سيسبِّب الخلافات الزوجيَّة بينهما، كما سيرد لاحقًا.

٥. الزواج والفقر والخلافات بين الزوجين كما تراها فاجليري:

بعد المقدِّمة التي تحدَّثت فيها المستشرقة فاجليري عن حالة الفقر التي كان يعيشها الإمام عليّ عليه السلام قبل الزواج، وما ستعكسه تلك الحالة على وجود الخلافات الزوجيَّة بين الطرفين، تقول: «لم يكن عليّ وفاطمة يعيشان في وفاق دائم، وكان عليّ يعامل فاطمة بالغلظة، فكانت تشكوه لأبيها، وكانت السعادة تعلو وجه الرسول عندما يوفِّق بينهما، لكن حدثت مشكلة ذات خطر حقيقيّ، عندما عرض بنو هشام بن المغيرة (من قريش) على عليّ بن أبي طالب أن يتزوَّج منهم، فلم يمانع ذلك، لكن محمَّد رفض ذلك قائلًا: «فاطمة بضعة منِّي، وأنَّ ما يؤذيها يؤذيني»، وكذلك اعترض النبيّ على محاولة عليّ الزواج من ابنة أبي جهل، على أساس أنَّ ابنة نبيِّ الله وابنة عدو الله (أبي جهل) لا تعيشان في بيت واحد، وفي هذه المرَّة كرَّر النبيّ أيضًا قوله: «إنَّها بضعة منِّي»، وذكر النبيّ ما يفيد أنَّ عليًّا إن أراد أن يتزوَّج من ابنة أبي جهل فعليه أن يطلِّق فاطمة أوَّلًا»[1].

قد بيَّنا سابقًا أنَّ سخونة المواقف السياسيَّة وتبدُّلات الدول والكيانات السياسيَّة تدفع إلى الكتابة التاريخيَّة غير المنصفة، والأكثر أهميَّة أنَّها تدفع إلى صناعة مرويَّات وابتداعها، فضلًا عن تزييفها وتعديلها وتكييفها بالشكل الذي تريده سلطة التدوين

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٢٥/ ص ٧٧١٤. وينظر الطبعة الإنكليزيَّة:
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 841-843.

التاريخيّ، فقد اختارت فاجليري على طريقة رواة كتَّاب السلطة بانتقائها روايات مغرضة هدفها تشوية صورة الإمام عليّ عليه السلام، لاسيما ما خلَّفته معركة صفين وما بعدها من أحقاد كانت سببًا في كتابة تاريخيَّة غير منصفة، ناهيك عن العداء القائم بين السلطة الأمويَّة والسلطة العبَّاسيَّة مع عليّ وآل عليّ عليهم السلام، لذا لا تُستبعد الكتابة التاريخيَّة التي يراد منها تشويه الصورة الحقيقيَّة لهم.

وعند العودة لحديث المستشرقة فاجليري بقولها عدم وجود الاتِّفاق بين الزوجين، وكان يعاملها بخشونة، فهي، أي فاجليري، التي ردَّت على رأي لامنس عن مثل تلك النصوص التي اعتبرها لامنس حقائق تاريخيَّة، فهي القائلة: «أمَّا قول لامنس أنَّ عليًّا كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة، فالوقائع التاريخيَّة، بما في ذلك الواردة منها في هذا المقال، تشير إلى تقدير عليّ لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجيَّة سرعان ما تسوَّى»[١]، مع أنهَّا لم تنفِ وجود المشاكل الزوجيَّة بين الطَّرَفين.

واستندت المستشرقة فاجليري على وجود خلافات زوجيَّة على ما موجود في المصادر الإسلاميَّة[٢]، وهي تُريد بتلك الروايات المنتقاة الاتِّكاء على عدم وجود انسجام بين الطَّرَفين، ولتؤكِّد فيه كلامها السابق بعدم الموافقة على الزواج منذ بدايته، ولكن الإمام عليًّا عليه السلام هو القائل عن السيِّدة فاطمة عليها السلام أنَّها لا أغضبته ولا عصت له أمرًا طوال حياتها معهُ، ولقد كان ينظر إليها فتنكشف عنه الغموم والأحزان بنظره إليها[٣]، وهو ما تم تأكيده من قبل السيِّدة فاطمة عليها السلام نفسها في عمق العلاقة بين

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٠٨. وينظر الطبعة الإنكليزيَّة:
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 841-842.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج٢، ص٤٣٤، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٧، ص١٤٠، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٤، البيهقيّ، السنن الكبرىّ، ج٢، ص٤٤٦.

(٣) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب، ص٣٥٣-٣٥٤، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج١، ص٣٧٣.

الطَّرَفين[1]، وهذا يكذِّب ادِّعاء المستشرقة فاجليري من وجود خلافات أسريَّة بينهما، ومن يقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام يستبعد هذا الفعل في معاملته للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهل يمكن تصوُّر الإمام عليّ عليه السلام وهو يسيء إلى زوجته السيِّدة فاطمة عليها السلام، أو يختلف معها كما تدَّعي المستشرقة فاجليري؟! والإمام عليّ عليه السلام كان يسمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله إنَّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها[2].

ويذكر الشيخ الأمينيّ عن مثل تلك النصوص التي تتحدَّث عن الخلافات الزوجيَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليهما السلام في المصادر الإسلاميَّة، فيقول: «إنْ هي إلَّا نفثات قوم حناق، لفظتها رمية القول على عواهنه تلويثًا لقداسة أمير المؤمنين، وتشويهًا لعشرته الحميدة مع حليلته المطهَّرة، وفيها حطّ الصدِّيق الأكبر والصدِّيقة الكبرى عن مكانتهما الراقية في مكارم الأخلاق، وقد أثمر اليوم ما بذرته أمس يد الإحن والشحناء من تلكم المفتعلات حتَّى سوَّد مؤلِّف اليوم صحائف تاريخه بقوله: وكان عليّ يشرد بعد كلِّ منافرة، ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه يربته على كتفيه ويعظه ويوفِّق بينه وبين فاطمة إلى حين»[3]، لذا مثل تلك الأحاديث ذات غرض محدَّد، وهو تشويه العلاقة الزوجيَّة بين الطَّرفين، خلاف ما كانت عليه، الأمر الآخر هو أنَّ غضب السيِّدة فاطمة عليها السلام وعدم رضاها لم يقتصر على مَن سلبوها حقَّها بعد وفاة أبيها، بل يشمل الجميع، بما فيهم زوجها الإمام عليّ عليه السلام، وهنا يبرز الدور السياسيّ والمذهبيّ في تشويه صورته.

ولم يقف الأمر عند الخلافات الزوجيَّة، بل تعدَّته إلى مشكلة أكثر تشويهًا لتلك السيرة، وهو خطبة الإمام عليّ عليه السلام في حياة السيِّدة الزَّهراء امرأة أخرى، فهذه واحدة من المرويَّات التي تمَّ فيها تشويه سيرته لنفس الغرض السابق، وهو نتيجة ما خلَّفته

(١) الفتَّال النيسابوريّ، روضة الواعظين، ص١٥١، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١.
(٢) النصر الله، الإمام عليّ عليه السلام في فكر معتزلة بغداد، ص٢٣٠-٢٣١.
(٣) الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ج٦، ص٣٣٧.

الصراعات السياسيَّة والمذهبيَّة في رسم مثل تلك الصورة المشوَّهة عنه، وما اعتمدته المستشرقة من المصادر في كلامها على خطبة الإمام عليّ عليه السلام لابنه أبي جهل هو ابن حنبل (ت٢٤١هـ)[١]، والبخاريّ (ت٢٥٦هـ)[٢]، والترمذيّ (ت٢٧٩هـ)[٣]، وعند تتبُّع سند الروايات، وجدنا أنَّ جميع تلك المرويَّات كانت عن طريق المسوَّر بن مخرمة الذي يعدُّ من أتباع عبد الله بن الزبير الذي كان من أشدِّ المبغضين للإمام عليّ عليه السلام، فقد كان المسوَّر هذا من المحبِّين لمعاوية، ولا يُذكر عنده معاوية إلَّا صلَّى عليه، ثمَّ بعد ذلك انحاز لابن الزبير عندما سيطر على مكَّة إبان صراعه مع الأمويِّين، فكان عبد الله بن الزبير لا يقطع أمرًا من دون مشورة المسوَّر بن مخرمة، حتَّى مات في حصار مكَّة من قِبَل الأمويِّين، وقد كانت الخوارج تغشاه وينتحلونه وتعظِّم وتبجِّل رأيه وهذا يدلُّ على أنَّه كان ضمن الاتِّجاه المعادي للإمام عليّ عليه السلام[٤]، وقد قيل إنَّ ولادته كانت بعد الهجرة بعامَين في مكَّة، وقد قدِم مع أبيه إلى المدينة عام ثمان للهجرة عقب شهر ذي الحجَّة[٥]، وعلى هذا فهو وأبوه أحد الطلقاء الذين أطلقهم النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ فتح مكَّة كان في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة[٦]، وقدومه في السنة الثامنة من شهر ذي الحجَّة، كما مرَّ بنا سابقًا، فهو لم يدخل الإسلام إلَّا متأخرًا، وإذا كانت ولادته في السنة الثانية من الهجرة، فهذا يعني أنَّ قدومه إلى المدينة كان وهو بعمر الستِّ سنوات، وهذا العمر لا يسمح له بحفظ الأحاديث أو حتَّى ان يعيها، والطرف الآخر لمصدر الرواية هو عبد الله بن الزبير،

(١) مسند، ج٤، ص٥.

(٢) صحيح البخاريّ، ج٤، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٦٠.

(٤) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٩٩-١٤٠٠، الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٤.

(٥) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٩٩-١٤٠٠، الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٤.

(٦) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج٤، ص٨٥١.

وهو معروف بالعداء للإمام عليّ عليه السلام، وقد ولِد هو الآخر في السنة الثانية من الهجرة، وهو أكبر من المسوَّر بن مخرمة بأربعة أشهر(١)، وعلى هذا الرأي، هو الآخر لم يكن بعمر يسمح له بأن يعي ويحفظ ما سمع من الأحاديث، فقد كان حينها لم يتجاوز السابعة من العمر، قاتل ضدَّ الإمام عليّ عليه السلام في معركة الجمل، وقد ذمَّه الإمام عليّ عليه السلام، ومات خلال حصار الأمويِّين له في مكَّة عام ثلاثة وسبعين من الهجرة(٢)، وعلى هذا يكون هو الآخر من أشدِّ أعداء الإمام عليّ عليه السلام، فمثل هذه الأحاديث تحمل تأثيرات الخلافات السياسيَّة في تدوين المرويَّات التاريخيَّة، فهذا التشويه كان لدوافع محدَّدة وأطراف محدَّدة تنصبُ العداء للطرف الآخر.

ويكفي في تفنيد رأي المستشرقة فاجليري أنَّ ابنة أبي جهل بقيت على الكفر حتَّى فتح مكَّة في السنة الثامنة من الهجرة، ولا تزال تحمل أحقاد مَن قُتِل في معركة بدر من أهلها، ومدَّعية أنَّ أباها قد جاءه ما جاء النبيّ صلى الله عليه وآله من الوحي، لكنَّه خشي مخالفة قومه(٣)، فهي على هذا القول كانت لا تؤمن بنبوَّة النبيّ صلى الله عليه وآله ورسالته السماويَّة حتَّى فتح مكَّة، فلا يمكن أن يقدم الإمام عليّ عليه السلام على خطبتها، وهي مشركة، استنادًا للنصِّ القرآنيّ الذي حرَّم الارتباط بالمرأة الكافرة(٤)، زيادة على الخلاف بشخصيَّتها(٥)، وهذا الدَّس

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٩٩-١٤٠٠.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن حياته وسيرته ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص١٦١-١٦٤، الذهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٦٣-٣٨٠.

(٣) ينظر ترجمة جويرية بنت أبي جهل: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦٢، ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص٧٢. وينظر حديثها عند فتح مكَّة: الواقديّ، المغازي، ج٢، ص٨٤٦، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٣٥٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢١، سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٥) فقد قيل هي جويرية بنت أبي جهل، وقيل هي العوراء بنت أبي جهل، حتَّى رجَّح ابن حجر العسقلانيّ أن يكون العوراء هو لقبها. ينظر: البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٣-٤٠٤، ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة، ج٨، ص٢٥٣.

والتزوير في المرويَّات يدلُّ على حجم التشويه الذي تعرَّضت له سيرة الإمام عليّ عليه السلام، وعلاقته بالسيِّدة فاطمة عليها السلام.

ومَن ذَكر هذا الحديث من غير المصدَرَين السابقين، فروايته مؤكَّد سمعها منهم، وأسقط الراوي للحدث، فعلى هذا تكون باقي المرويَّات التي ذُكِرت بغير هذا السَّند هي منقطعة السَّند؛ لأنَّ مصدر الرواية هما هذان المصدران.

ولو فرضنا صحَّة مثل تلك الروايات، فهل يعقل أن يكون بنو هشام بن المغيرة أكثر فهمًا ودراية بأمور الدين والحرص على رضى الرسول من الإمام عليّ عليه السلام، حتَّى إنَّهم استشاروا النبيّ بهذا الأمر، والإمام عليه السلام لم يفعل ذلك!! ولو فرضنا قيام الإمام عليّ عليه السلام بهذا الفعل، فهل هذا الفعل محرَّمٌ بتشريع سماويّ؟ فتعدُّد الزَّوجات أحلَّه الله تعالى لجميع المسلمين[1]، فكيف يحرِّم النبيّ صلى الله عليه وآله ما أحلَّه الله عليه وعلى المسلمين؟! وكيف تعارض السيِّدة فاطمة عليها السلام ما أحلَّه الله من تشريع سماوي؟! فمثل تلك المرويَّات كان يُراد منها ليس الإساءة للسيِّدة فاطمة والإمام عليّ عليهما السلام فحسب، بل شملت الإساءة للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّه يحرِّم حلال الله.

٦. الشهرة التي حقَّقتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام:

وتذكر المستشرقة فاجليري في المقال الذي أُسند إليها كتابته عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقالت: «ربَّما ترجع الشهرة التي حقَّقتها فاطمة إلى عَظَمة أبيها النبيّ، ولأهميَّة الدور التاريخيّ الذي قام به زوجها الإمام عليّ وأبناؤها منه، وربَّما لما نسبه المسلمون إليها - بمرور الوقت- من صفات وخلائق باهرة، ومن المألوف أن يُضاف إلى اسمها صفة تشريفيَّة في العالم الإسلامي كلِّه، فيُقال لها فاطمة الزَّهراء، ويتحدَّث عنها كلُّ المسلمين بتجلَّة واحترام، إلَّا أنَّ الشيعة على نحوٍ خاصٍّ يحيطونها بهالة من القداسة، وراحوا

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

يعظِّمونها بعد موتها لعدَّة قرون، ففاطمة امرأة لا كالنساء، وإنَّما هي امرأة ارتبط اسمها باسم رسول الله، وظلَّت في الظلِّ لا تلقى اهتمامًا كثيرًا في سنوات الإسلام الأولى، نظرًا للأحداث العظيمة والمهمَّة التي شهدتها تلكم السنوات، وكان لا بدَّ- وقد انتهت هذه الأحداث- أن يشتعل الخيال حول فاطمة، فتتحوَّل إلى ما يشبه الأسطورة، وما كان هذا ليسبِّب مشكلة لدى المؤمنين المسلمين، لكنَّ الباحثين الغربيِّين، من ناحية أخرى، كان عليهم أن يعملوا بدأب ليكتشفوا جوهر فاطمة، بمناقشة ما أحاط بها من هالة وضباب ومبالغة، أحقًّا كانت فاطمة تمتلك من المزايا والصفات ما جعلها أهلًا لهذه الشهرة التي طبَّقت الآفاق بعد وفاتها، أم أنَّ هذه الشهرة نتجت عن ظروف متشابكة جعلت الناس يميلون لتوقيرها توقيرًا شديدًا كامرأة»[1].

حاولت المستشرقة فاجليري في بداية حديثها سلب وإقصاء دور السيِّدة فاطمة عليها السلام في الدعوة الإسلاميَّة، من خلال إرجاع الشهرة التي نالتها في قلوب المؤمنين إلى عظمة أبيها، والدور الذي قام به زوجها وأبناؤها من بعدهِ، من دون أن يكون لها أي دور محوريّ، وحاولت الإيحاء بدور المستشرقين في كشف ما أحاط بها من هالة وضباب ومبالغة، حسب ما تعتقد، لتوهِم القرَّاء بأنَّها كانت موضوعيَّة وعلميَّة وحياديَّة في طرحها، لكن في بداية مقالها ذكرت أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام ظلَّت في الظلِّ، ولا تلقى اهتمامًا كثيرًا في سنوات الإسلام الأولى، نظرًا للأحداث المهمَّة التي شهدتها الدولة وقتها، وراحت تتَّهم الشيعة على نحوٍ خاصٍّ بإحاطتها بنوع من التقديس والتعظيم بعد موتها، هكذا كانت رؤيتها في بداية حديثها، وهي- المستشرقة فاجليري- بهذا القول تكون قد خضعت، بل تأثَّرت بالرواية التاريخيَّة الشائعة والسائدة التي وضعتها وصنعتها السلطات الأمويَّة والعبَّاسيَّة، بدفعها وتوجيهها وتشجيعها ماديًّا واجتماعيًّا وإداريًّا

(١) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٠٧-٧٧٠٩.
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 841-842.

لرواة يعدُّون روَّادًا في رواية السيرة النبويَّة وأحداث القرن الأوَّل للهجرة؛ لأن يزيِّفوا أو يحرِّفوا أو يكيِّفوا، والأكثر أهميَّة أن يغيِّبوا دور السيِّدة فاطمة عليها السلام التاريخيّ ومواقفها، وأن يقلِّلوا من أهميَّة التشيُّع في هذا القرن المهم، الذي عرَّفه عدد من المستشرقين بأنَّه يمثِّل المرحلة التكوينيَّة للإسلام الشيعيّ، لذا لا مبالغة في القول إنَّ التدوين التاريخيّ الإسلاميّ عامَّة، والتدوين المتعلِّق بالسيرة النبويَّة، وبتاريخ الشيعة والتشيُّع بصورة خاصَّة، قد تعرَّض إلى عمليَّات مقصودة وغير مقصودة من التشويه والتزوير والكذب، بدافع معيَّن، أو بجملة من الدوافع، منذ بوادر نشوء التدوين في القرن الأوَّل الهجريّ/ السابع الميلاديّ، لذا عمدت السلطات الحاكمة إلى طمس الحقائق التاريخيَّة المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام[1]، وتغييبها وتزييفها، كما مرَّ بنا في الحديث الموضوع عن زواج الإمام عليّ عليه السلام من ابنة أبي جهل، وبيَّنَّا كيف كان للخلافات السياسيَّة دور في تزييف الحقائق التاريخيَّة وتشويهها.

وقد اتَّهمت المستشرقة فاجليري الشيعة على نحوٍ خاصٍّ بإحاطتها السيِّدة فاطمة عليها السلام بهالة من القداسة والتعظيم بعد موتها، وهناك حقيقة تاريخيَّة كانت غائبة عن ذهن المستشرقة فاجليري، ولا بدَّ من التذكير بها، وهي أنَّ فرق الشيعة خلال مراحل التاريخ الإسلاميّ قد تعرَّضت إلى انقسامات، تبعًا لعدَّة عوامل وأسباب، فما زال المستشرقون حتَّى يومنا هذا حينما يتطرَّقون إلى التشيُّع يصرُّون على أنَّ الفِرق التي انشقَّت عن حركة التشيُّع الإماميّ، تلك التي طوَّرت لنفسها آراء ومعتقدات لا تمتُّ إلى التشيُّع الصحيح بصلة سوى في المظاهر العامَّة، وهي إنَّما تهدف إلى تضليل مؤيِّديهم ومناصريهم، من ضمن الشيعة، وهم يعتقدون بأنَّ الغلوَّ جزء لا يتجزَّأ من عقيدة التشيُّع، وأنَّ الغلاة هم شيعة، لكنَّهم متطرِّفون، ولهذا لعلَّنا لا نبالغ في القول بأنَّ الكثير من المستشرقين قد ركَّزوا على الفرق الشيعيَّة، وعلى فرق الغلاة خاصَّة، تركيزًا

(١) عبد الجبَّار ناجي، التشيُّع والاستشراق، ص٨٥-٨٦، ٤٧٣.

يشير إلى أنَّ هناك أهدافًا محدَّدة وواضحة في مواقفهم، ولذلك فقد شاع في دراساتهم بعض الاستعمال لمصطلحات متطرِّفة بشأن الشيعة، حتَّى إنَّهم توجَّهوا بسبب ذلك المفهوم غير الصحيح إلى اختيار عناوين لدراساتهم تتضمَّن تعبيرات تنمُّ عن مواقفهم غير المنصفة[1].

وهذا الاحترام والتعظيم الذي تراه المستشرقة فاجليري راجع وبلا شك للمكانة التي كانت عليها فاطمة عليها السلام في عهد الرسالة، والنصوص القرآنيَّة التي تحثُّ على المودَّة لآل النبيّ عليهم السلام، ففي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[2]، دليل الأهميَّة والمحوريَّة لآل البيت عليهم السلام في العقيدة الإسلاميَّة، ولا شكَّ في أنَّ حادثة المباهلة وحدها بما شكَّلتها من محوريَّة وارتكاز للإسلام، كافية لبيان مقدار الأهميَّة والمركزيَّة التي كانت تمثِّلها السيِّدة فاطمة عليها السلام مع أبيها وبعلها وولدَيها، فقد كان هؤلاء الخمسة قوام الإسلام أو قطبيَّته ككل، في قبال النصارى، وبالنتيجة قيمتهم ومكانتهم في نفوس المسلمين، ولاسيما المعاصرين، إنَّما هي من قيمة ومكانة النبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام بحدِّ ذاته[3]، لذا يذكر المستشرق لويس ماسينيون عن هذه الحادثة، فيقول: «ومنذ ذلك الحين، استحال عند بعض صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله ما كانوا يحملون من مودَّة نحو الخمسة إلى حبِّ عبادة، فقدَّسوا آل عليّ؛ لأنَّ قرابتهم الدمويَّة المتفاوتة في قربهم من النبيّ، قد تحوَّلت بنوع من الشعيرة العلنيَّة (المباهلة)، نقلت كلَّ أملهم في العدل بعد موت النبيّ، وفريق آخر أبغضهم، ناقلين إلى آل عليّ تأثُّرهم بموتاهم الكفَّار الذين قُتِلوا ببدر بأمر من الرسول بيد عليّ»[4]، فليس حبُّ العبادة والتقديس المقصود منه اتِّخاذهم أربابًا من

(١) ناجي، التشيُّع والاستشراق، ص٤١٧-٤٢١.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٧٧.
(٤) سلمان الفارسيّ والبواكير الروحيَّة للإسلام في إيران، بحث ضمن كتاب: عبد الرحمن بدويّ، شخصيَّات قلقة في الإسلام، ص٤٤-٤٥.

دون الله، كما قالت النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام، حين اتَّخذوهما إلهَين من دون الله[١]، بل هي مودَّة وحب لدورهم المركزيّ والمحوريّ في العقيدة الإسلاميَّة، وقرابتهم القريبة من خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

والمستشرقة فاجليري بنفسها هي مَن ذكرت ذلك في بداية مقالها، حيث قالت: «قد حقَّقت شهرة عظيمة تفوق شهرة سواها من بنات محمَّد وقد حظيت بتقدير وتوقير عظيمَين من المسلمين كافَّة؛ لأنَّها عاشت لصيقة بأبيها، كما أنَّها عاشت فترة أطول من أخواتها، ورزق محمَّد بأحفاد كُثر منها»[٢]. وهنا كلامها يردُّ بعضهُ بعضًا، فكانت فاجليري تريد القول بوجوب تجريد السيِّدة فاطمة عليها السلام من هالة القداسة والمبالغة، وجعلها كغيرها من النساء، حتَّى تكتشف جوهرها، وهذه هي طبيعة الدراسات الاستشراقيَّة التي تناولت حياة السيِّدة فاطمة عليها السلام، كما فعل المستشرق الفرنسيّ المتعصِّب هنري لامنس بقوله: «لأجل الحصول على صورة واضحة ودقيقة عن شخصيَّة فاطمة، يجب علينا تجريدها من الأكاليل الذهبيَّة التي عقدها المؤرِّخون على شخصيَّتها، وأن يعرض لها وفقًا للنقد التاريخيّ المعاصر»[٣]، لذا هذه صورة من صور الدراسات الاستشراقيَّة لاكتشاف جوهر فاطمة عليها السلام، كما يدَّعي الاستشراق، ومَن يدري، فلعلَّها وقعت تحت تأثير مَن سبقها في هذا المجال، ولا يُستبعَد تأثير لامنس على ما كتبته، ولاسيما أنَّها وافقته في بعض كلامه، وانتقدت القسم الآخر.

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٢) مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٠٦.

(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., V. II, P. 841-841.

(3) Lammens, Fatima Et Les Filles de Mahomet, P. 15.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٦٧.

الخاتمة

١. لا يختلف الاستشراق الإيطاليّ كثيرًا عن الخصائص العامَّة للدراسات الاستشراقيَّة الغربيَّة الأخرى؛ لأنَّ أهدافها وتوجُّهاتها واحدة ومشتركة في بعض الأحيان، ربَّما ساعدها في ذلك قربها من الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، إذ أسهم ذلك التقارب في ربطها بعلاقات ثقافيَّة مع تلك البلدان، التي كانت موجودة منذ القِدَم، ممَّا سهَّل للمدرسة الإيطاليَّة التوسُّع في الدراسات عن الشرق والإسلام.

٢. تأثَّرت المستشرقة الإيطاليَّة كثيرًا بالطروحات الاستشراقيَّة السابقة لها، كدراسة هنري لامنس للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، على الرغم من أنَّها قد انتقدت منهجيَّة لامنس في دراسته لسيرة السيِّدة الزَّهراء، ولكنَّها وقعت تحت تأثير كتاباته في هذا المجال.

٣. من خلال الدراسة تبيَّن انتقائيَّة المستشرقة فاجليري، فهي قد ذهبت إلى تأخُّر زواج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وكبر سنِّها، وغيَّبت الحديث عن هجرتها مع الإمام عليّ عليه السلام، وحاولت انتقاء الروايات التي تبيِّن فقر الإمام عليّ عليه السلام؛ لتؤيِّد طرحها بوجود مشكلات في الحياة الزوجيَّة بين الطرَفين، لأسباب الفقر وعدم التوافق، واستندت على بعض المرويَّات الضعيفة التي لا تصمد أمام النقد والتحليل.

٤. اتَّضح من خلال الدراسة الصورة غير الحقيقية التي يستند إليها الاستشراق في صفات السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فنجدها تصفها بصفات بعيدة عن الواقع، استنادًا إلى بعض النصوص الضعيفة في المصادر الإسلاميَّة، لذا وجدتها تعتمد على كلِّ ضعيفٍ وشاذٍّ في وصف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٥. تبيَّن من الدراسة اتِّهام واضح وصريح للشيعة، على وجه التحديد، بتعظيم سيرة فاطمة عليها السلام وتضخيم صورتها في المصادر الشيعيَّة، وإحاطتها بهالة من القداسة، وعلى الرغم من تعدُّد الفرق الشيعيَّة وانقسامها إلى طوائف متعدِّدة، فإنَّها اتَّهمت الشيعة بصورة عامَّة من دون تحديد، وراحت تقسِّم الكتاب سنَّة وشيعة، وكلَّما وجدت حديثًا يتعارض مع طرحها، رفضته وحيَّدته، وانصاعت للرواية التي أشرفت على تدوينها السلطة الأمويَّة والعبَّاسيَّة، التي كان لها السبق في تشويه تراث أهل البيت عليهم السلام بصورة عامَّة، وسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بصورة خاصَّة.

٦. ومن باب الإنصاف، فقد كانت المستشرقة الإيطاليَّة فاجليري منصفة في بعض الجوانب، خاصَّة في نقدها لدراسة لامنس التي تناول فيها دراسة سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لكن هذا لا يعني حياديَّتها.

٧. إنَّ موسوعة الإسلام (دائرة المعارف الإسلاميَّة) كانت معدَّة للقارئ الغربيّ، لذا نلاحظ حجم الصورة المشوَّهة التي قدَّمها الاستشراق الإيطاليّ عن سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء، لذا هذا الأمر يوجِب على الباحثين والمتخصِّصين في الدراسات الاستشراقيَّة فحص النتاج الاستشراقيّ وتحليله ونقده، وعمل ترجمة إسلاميَّة بلغات غير عربيَّة لسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ليطلَّع عليها القارئ الغربيّ، وليعرف الصورة الحقيقيَّة لسيرتها العطرة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوَّلًا: المصادر الأوَّليَّة

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، (د.ط، بيروت، دار الكتاب العربيّ، د.ت).

٢. الكامل في التاريخ، (د.ط، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م).

الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).

٣. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، (ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م).

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٤. صحيح البخاريّ، (د.ط، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨١م).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٥. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد حميد الله، (د.ط، مصر، دار المعارف، ١٩٥٩م).

البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسن (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٦. دلائل النبوَّة، تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٥م).

٧. السنن الكبرى، (د.م، دار الفكر، د.ت).

الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٨. سنن الترمذيّ (الجامع الصحيح)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م).

الثعلبي، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م).

٩. الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، (ط١، لبنان، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٢م).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، (ط٤، لبنان، دار العلم، ١٩٨٧م).

ابن حبيب، محمَّد بن حبيب البغداديّ (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م).

١١. المحبَّر، (د.ط، بيروت، دار الأوقاف الجديدة، د.ت).

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمَّد معوَّض، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م).

ابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد هبة الله (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

١٣. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، د.م، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٩٥٩م).

الحلبيّ، عليّ بن برهان الدين الشافعيّ (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م).

١٤. إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبيَّة)، (د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٠م).

ابن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

١٥. مسند أحمد بن حنبل، (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

الدميريّ، كمال الدين (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

١٦. حياة الحيوان الكبرى، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٤هـ).

الديار بكريّ، حسين محمَّد بن حسن (ت٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م).

١٧. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (ط١، بيروت، مؤسَّسة شعبان، د.ت).

الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٨. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، (ط٩، بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٩٣م).

ابن سعد، محمَّد بن سعد بن منيع الزهريّ (ت٢٣٠هـ/ ٩٤١م).

١٩. الطبقات الكبرى، (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

ابن شهر آشوب، أبو عبد الله محمَّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ/ ١١٩١م).

٢٠. مناقب آل أبي طالب، (د.ط، النجف، المطبعة الحيدريَّة، ١٩٥٦م).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م).

٢١. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٥م).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدَّم له: خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطَّار (د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م).

٢٣. المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، (د.ط، بيروت، الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٣٩م).

ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م).

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٢٥. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، (د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م).

الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٥م).

٢٦. روضة الواعظين، (قم.منشورات الشريف الرضيّ، د.ت).

الفخر الرازي، محمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م).

٢٧. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخر الرازي)، (ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م).

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م).

٢٨. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، (ط٢، إيران، دار الهجرة، ١٩٩٠م).

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين بن محمَّد بن أحمد بن الهيثم (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٢٩. مقاتل الطالبيِّين، (ط٢، النجف، منشورات المكتبة الحيدريَّة، ١٩٦٥م).

أبو القاسم الكوفيّ، عليّ بن أحمد بن موسى (ت٣٥٢هـ/ ٩٦٣٠م).

٣٠. كتاب الاستغاثة، (بلا معلومات).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٣١. البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٨م).

٣٢. السيرة النبويَّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د.ط، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م).

المجلسيّ، محمَّد باقر (١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٣٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: إبراهيم الميانجيّ ومحمَّد الباقر البهبوديّ، (ط٢، بيروت، مؤسَّسة الوفاء، ١٩٨٣م).

المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٣٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط٢، قم، دار الهجرة، ١٩٨٤م).

مسلم، أبو الحسين بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م).

٣٥. الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، (د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت).

المقريزيّ، تقي الدين أحمد بن عليّ بن عبد القادر بن محمَّد (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٣٦. امتاع الأسماع بما للنبيّ ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٩م).

ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣٧. لسان العرب، (د.ط، قم، أدب الحوزة، ١٩٨٥م).

الموفَّق الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م).

٣٨. المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، (ط٢، قم، النشر الإسلاميّ، ١٩٩٣م).

ابن هشام، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميريّ (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م).

٣٩. السيرة النبويَّة، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، (ط١، القاهرة، مطبعة المدنيّ، ١٩٦٣م).

الواقديّ، محمَّد بن عمر (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

٤٠. كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م).

ثانيا: المراجع الثانويَّة

الأمينيّ، عبد الحسين أحمد.

٤١. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، (ط٤، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٧٧م).

بيترسون، ايلر لنغ ليروك.

٤٢. عليّ ومعاوية في الرواية العربيَّة المبكِّرة، (ترجمة: عبد الجبَّار ناجي، ط١، قم، مطبعة الاعتماد، ٢٠٠٨م).

بدوي، عبد الرحمن.

٤٣. شخصيَّات قلقة في الإسلام، (ط٢، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٤م).

الحاج، ساسي سالم.

٤٤. نقد الخطاب الاستشراقيّ، (ط١، بنغازي، دار المدار الإسلاميّ، ٢٠٠٢م).

حسن، أصلان عبد السلام.

٤٥. قراءة نقديَّة في كتب السيرة، (د.ط.، القاهرة، الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٨٩م).

درمنغم، إميل.

٤٦. حياة محمَّد، ترجمة: عادل زعيتر، (ط٣، القاهرة، دار العالم العربيّ، ٢٠١٦م).

الدهيس، نزار ناجي محمَّد

٤٧. زواج النبيّ ﷺ دراسة تاريخيَّة، (ط١، كربلاء، دار الرسول الأعظم، ٢٠٢٠م).

الرويلي، ميجان، وسعد البازعي.

٤٨. دليل الناقد الأدبيّ، (ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافيّ العربيّ، ٢٠٠٢م).

الزبيديّ، محبُّ الدين أبو الفيض السيِّد مرتضى الحسينيّ (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

٤٩. تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري (د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤).

زمانيّ، محمَّد حسن.

٥٠. الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة لدى الغربيِّين، ترجمة: محمَّد نور الدين عبد المنعم، (ط١، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٠م).

الزياديّ، محمَّد فتح الله.

٥١. الاستشراق أهدافه ووسائلة، (ط١، طرابلس، دار قتيبة، ١٩٩٨م).

الساموك، سعدون.

٥٢. الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلاميَّة، (ط١، عمَّان، دار المناهج، ٢٠١٠م).

السايح، أحمد عبد الرحيم.

٥٣. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ، (ط١، القاهرة، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، ١٩٩٦م).

سمايلوفتش، أحمد.

٥٤. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربيّ المعاصر، (د.ط، القاهرة، دار الفكر العربيّ، ١٩٩٨م).

الشيرازيّ، ناصر مكارم.

٥٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (بلا معلومات).

العامليّ، جعفر مرتضى.

٥٦. بنات النبيّ أم ربائبه، (ط٢، بيروت، المركز الإسلاميّ للدراسات، ٢٠٠٥م).

العقيقيّ، نجيب.

٥٧. المستشرقون، (ط٤، القاهرة، دار المعارف، د.ت).

العوَّاد، انتصار عدنان عبد الواحد.

٥٨. السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تاريخيَّة، (ط١، بيروت، مؤسَّسة البديل، ٢٠٠٩م).

فاجليري، لورا فيشيا.

٥٩. دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكِّيّ، (ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م).

فوك، يوهان.

٦٠. الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، (ط١، القاهرة، زهرة الشرق، ٢٠٠٦م).

الكعبيّ، شهيد كريم محمَّد.

٦١. صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النص واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، (ط١، كربلاء، دار الكفيل، ٢٠١٥م).

مراد، يحيى.

٦٢. معجم أسماء المستشرقين، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٤م).

ناجي، عبد الجبَّار.

٦٣. الاستشراق في التاريخ، (ط١، بيروت، المركز الأكاديميّ للأبحاث، ٢٠١٣م).

٦٤. التشيُّع والاستشراق: عرض نقديّ مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الإسلاميَّة وأئمَّتها، (ط١، بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١م).

٦٥. نقد الرواية التاريخيَّة، (ط١، بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١٠م).

النصر الله، جواد كاظم.

٦٦. الإمام عليّ عليه السلام في فكر معتزلة بغداد، (ط١، كربلاء، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٧م).

وات، مونتغمري.

٦٧. محمَّد في مكَّة، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى، (د.ط، القاهرة، الهيئة المصريَّة للكتاب، ٢٠٠٢م).

ثالثًا: المصادر الأجنبيَّة

Cuddon, J.A.

68. Dictionary of Literary terms & Literary theory, Revised by: C.E. Preston, 5th ed., Published by the Penguin Croup, London, 1999.

Lammens, H.

69. Fatima Etles Filles de Mahomet: Notes Critiquss Pour L'etude dela Sira, Romae, 1912.

رابعًا: البحوث الأجنبيَّة

Bekker, C.H.

70. Prinzipielles zu Lammens SiraStudien, Der Islam Zeitschrift Fur Geschichte Und Kultur Des Islamischen Orients (Der Islam), Vierter Band, Strassburg, 1913.

خامسًا: المقالات العربيَّة والأجنبيَّة

٧١. بوهل، ف. مادَّة (رقيَّة)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: أحمد الشنتناويّ، (ط١، القاهرة، د.ن، ١٩٣٣م)، ج١٠.

٧٢. مادَّة (أمُّ كلثوم)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، (بلا اسم مترجم)، (ط١، القاهرة، د.ن، ١٩٣٣م)، ج٢.

٧٣. فاجليري، لورا فيشيا. مادَّة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: حسن حبشي، (ط١، الشارقة، مركز الشارقة، ١٩٩٨م)، ج٢٥.

٧٤. فكا، فرجينيا، مادَّة (زينب بنت محمَّد)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: أحمد الشنتناويّ، (ط١، القاهرة، د.ن، ١٩٣٣م)، ج١١.

75. Lammens, H., (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Leiden, E.J. Brill, 1927, V. II.

76. Vaglieri, L.V., (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Leiden, E.J. Brill, 1991, V. II.

77. Waardenburg, J.D.J., (Mustashrikun), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Leiden, E.J. Brill, 1993, V. VII.

فدك في كتب المسيحيِّين
سليمان كتَّاني أنموذجًا

أ.د. زينب فاضل مرجان
جامعة بابل/ كليَّة التربيَّة للعلوم الإنسانيَّة

ملخَّص البحث

تعدُّ قضيَّة فدك من القضايا المهمَّة في التاريخ الإسلاميّ، إذ كتب عنها الكثير من المؤلِّفين المسلمين وغير المسلمين، ومازالت هي موضع اهتمام الباحثين، وكان للأديب المسيحيّ اللبنانيّ سليمان كتَّاني دور مهم في هذا الموضوع، إذ تناول في كتابه (فاطمة الزَّهراء.. وتر في غمد) موضوع فدك مرَّة، وموضوع الإرث مرَّة أخرى، إذ أعطى صورة واضحة، بأسلوب أدبيّ مميَّز، فضلًا عن مؤلَّفاته الأخرى التي تناول فيها سيرة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، إذ تناول خروج فاطمة عليها السلام، ووقوفها بوجه الخليفة أبي بكر من أجل المطالبة بحقِّها في فدك وإرثها من أبيها، لكنَّ أبا بكر أنكر وصيَّة أبيها، وقال قولته المشهورة: إنَّي سمعت النبيّ يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة»، على الرغم من أنَّ فاطمة عليها السلام قدَّمت الأدلَّة والشهود على ذلك، لكنَّ كلَّ هذه الأدلَّة لا تنفع مع هؤلاء القوم الذين اغتصبوا حقَّ فاطمة وزوجها الإمام عليّ عليهما السلام، فإنَّ كتَّاني لم يغفل عن هذا الموضوع، ورسم لنا صورة واضحة عن قيام هؤلاء باغتصاب فدك، وهو موضوع دراستنا.

الكلمات المفتاحية: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فدك، سليمان كتَّاني، الإرث.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمَّدﷺ وعلى آله الطيِّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يعدُّ موضوع فدك من المواضيع السياسيَّة والعقائديَّة المهمَّة في التاريخ الإسلاميّ، وقد كثرت الكتابات الإسلاميَّة في هذا الخصوص، ومنها فدك في التاريخ، للمرجع الكبير السيِّد محمَّد باقر الصدرﷺ، فضلًا عن الكتابات الأكاديميَّة الأخرى.

إنَّ ما دفعنا لتناول هذا الموضوع، وجعله موضع اهتمامنا، هو أن نتناول موضوع فدك من وجهة نظر الكتابات المسيحيَّة؛ لأنَّ الكاتب والأديب المسيحيّ اللبنانيّ سليمان كتَّاني، الذي تميَّز بكتاباته الإسلاميَّة، وحصد العديد من الجوائز في العراق ولبنان وإيران وغيرها؛ تميَّز بأسلوبه الأدبيّ الجميل، وتحليله واستنتاجه المتقن للأحداث، هذا ما دفعنا أن نتناول فدكًا في ضوء كتابه (فاطمة الزَّهراء.. وتر في غمد)، الذي حصل فيه على المركز الأوَّل في المؤتمر العلميّ الذي عُقِد في النجف الأشرف، فوضعنا عنوان هذا البحث (فدك في الكتابات المسيحيَّة سليمان كتَّاني أنموذجًا)، الذي احتوى على مقدِّمة ومبحثين وخاتمة.

تناولت في المبحث الأوَّل جزءًا بسيطًا عن حياة الأديب كتَّاني وبعض مؤلَّفاته، وتطرَّقت في المبحث الثاني إلى فدك في ضوء ما ذكره كتَّاني، ثمَّ انتهى البحث بخاتمه ضمَّت أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، مع وجود ملحق للخطبة الفدكيَّة، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث.

المبحث الأوَّل

الأديب سليمان كتَّاني- حياته، أساتذته، بعض مؤلَّفاته

حياته

ولد الأديب المسيحيّ سليمان كتَّاني في أمريكا، ولاية ماين (Maine)، مدينة كاريبو (Caribo) سنة ١٩١٢، حمله والده يوسف وأمه إلى بلدتهما بسكنتا، وهو في الثانية من العمر، وتناول دروسه الابتدائية في مدارس بسكنتا، وباكرًا نقله الأب إلى معهد عينطورة، فأمضى فيه سنتَين، ثمَّ انتقل إلى معهد الحكمة في بيروت، حيث تابع ونال شهادة الفلسفة بامتياز سنة ١٩٣٢، وانخرط في سلك التعليم بعنوان أستاذ مادَّتي اللغة والأدب العربيّ قرابة العشرين عامًا في عدَّة مدارس لبنانيَّة، وتزوَّج سنه ١٩٤١ من السيِّدة إيلان قرباش من ذوق مكايل[١].

واعتنق العقيدة القوميَّة، وانضوى في صفوف الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ على يد الزعيم أنطون سعادة عام ١٩٣٣، وأصبح عضوًا في اتِّحاد الكتَّاب اللبنانيّ منذ العام ١٩٨٧، وكان رجلًا ثابتًا حيّ الضمير ومتَّقد الفكر من نور أهل البيت، إذ ترك عشرات من المؤلَّفات الأدبيَّة، ولاسيما في شرح حياة الأئمَّة المعصومين، ومنها كتاب (فاطمة الزَّهراء وتر في غمد)[٢].

(١) فاطمة الزَّهراء، سليمان كتَّاني، تحقيق: محمَّد الساعديّ، مطبعة ليلى، المجمع العلميّ لأهل البيت، ١٤٢٩هـ، ص١٢.

(٢) الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف. Iabibhasif.blogspot.com

بدأ الكتاب بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله عن مكانه الزَّهراء عليها السلام، منها: «**إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**»، وكتب عن فدك مبيِّنًا حقَّ الزَّهراء عليها السلام فيها، بأسلوب أدبيّ متميِّز، فهو يصفها بالبطلة، ويضيف على ذلك «كان إرثها مع أبيها نبوَّة، وأصبح في زواجها من عليّ إمامة»(١).

لقد كتب الكثير من المؤرِّخين عن فدك وحقِّ الزَّهراء عليها السلام في المطالبة بإرثها، لكن أن يكون الكاتب أديبًا مسيحيًّا، وبأسلوب مميَّز، حتَّى أنَّه حصل على الجائزة الأولى كأفضل بحث مقدَّم حول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سنة ١٣٨٧هجريَّة، وراح يصدر من مدَّة إلى أخرى كتبه المزدانة بأدب أنيق، وفكر عميق، ومعالجات وفيرة الصدق، محفوفة بالرصانة، ممَّا جعل بعضها يفوز بالجائزة الأولى، سواء أكان ذلك في العراق، أو في بيروت، وإنتاجه هذا هو صورته الملوَّنة بفكره، ووحي عقيدته، وديباجة أدبه، وريادة أسلوبه، وأناقة كلمته، وصدقه النفسيّ، وخلقه المتين(٢).

توفِّي سليمان كتَّاني في ٢٩ شباط ٢٠٠٤(٣).

أساتذته

العلَّامة الخوريّ روفائيل البستانيّ، والأستاذ طانيوس ملحمة، والأب فيليب السمرانيّ، وكان ينسلُّ إلى الطابق العلويّ من المعهد، ليزور العلَّامة الشيخ عبد الله البستانيّ، الذي توفِّي في معهد الحكمة(٤).

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٠٨.
(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص١٢، الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف:
Iabibhasif.blogspot.com.
(٣) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص١٢.
(٤) الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف:
Iabibhasif.blogspot.com.

مؤلَّفاته

١. أملٌ ويأس (تمثيليَّة):

هي باكورة أدبه، ٢٨ صفحة، طبع سنة ١٩٣٢، وكان المعلِّم سليمان كتَّاني، يعمد إلى تأليف مسرحيَّات صغيرة في نهاية كلِّ سنة مدرسيَّة، يقوم بتمثيلها تلامذةُ المدرسة، متوخِّيًا من ذلك تمرينهم على خشبة المسرح، أمَّا الغاية من تمثيليَّة (أمل ويأس)، فهي الانتصار الدائم للأمل في صراع الحياة[١].

٢. لبنان على نزيف خواصره:

يُشكِّل الكتاب أطروحة في معالجة ريف من أرياف لبنان، وهو (بسكنتا)، ويبحث الناحية الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، ثمَّ يشير إلى أنَّ كلَّ لبنان ينزف، إن لم يركِّز تركيزًا صحيحًا على اقتصاد موجَّه، ينبع من أرضه ومحاصيله، ومن طبيعة جغرافيَّته المرتبطة بكامل بيئته، والكتاب مؤلَّف من ١٨٦ صفحة، طبع سنة ١٩٦٤[٢].

٣. الإمام عليّ نبراس ومتراس:

هو نتيجة مباراة، اشترك فيها أكثر من عشرين أديبًا عربيًّا، تلبيةً لنداءٍ عامٍّ وجَّهته لجنة في النجف الأشرف، وأحرز الكتاب الجائزة الأولى، وطُبع في العراق عام ١٩٦٧، ثمَّ أُعيد طبعه في بيروت، كما تُرجِم إلى الفارسيَّة، الباكستانيَّة، التركيَّة، والإنكليزيَّة في لندن، وكتاب الإمام عليّ نبراس ومتراس، سيرة نفسيَّة، عولج بأسلوب لم يعرف حقل السِّيرة مثله، لقد قال رئيس لجنة المباراة الكتابيَّة، ورئيس جماعة العلماء في النجف الأشرف، سماحة الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين: لعلَّ الكتاب بأسلوبه البلاغيّ أوَّل

(١) الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف:
Iabibhasif.blogspot.com.

(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٥، الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف:
Iabibhasif.blogspot.com.

كتاب في موضوعه جاء منسجمًا مع شخصيَّة لها مثل نهج البلاغة، إذ تمكَّن الأديب كتَّاني في العنوان أن يرسم الإمام بطلًا بسيفه، وعقلًا منوِّرًا بنهجه، وهكذا يحمل عنوان الكتاب كلَّ بلاغة المعنى، والكتاب مؤلَّف من ٢٣٦ صفحة[١].

٤. فاطمة الزَّهراء وتر في غمد:

طبع الكتاب في العراق وبيروت في آنٍ واحد سنة ١٩٦٨، وهو مؤلَّف من ١٩٢ صفحة، وكان وليد مباراة حقَّقت الجائزة الأولى في النجف الأشرف، وشهد عنوان الكتاب أنَّ فاطمة الزَّهراء ابنة الرسول الأعظم محمَّدﷺ، وزوجة الإمام الكريم عليّعليه السلام، فهي وتر في غمد، أي إنَّها الرهيفة، حرَّكت على ثورة، سحبت السيف من غمده، ويعالج الكتاب سيرة ناعمة، اعتمدت الأسلوب القصصيّ المشوِّق، ولقد ركَّز في التعريف عن المرأة، وكيف رافقت أباها النبيّﷺ، وزوجها الإمام الأوَّلعليه السلام، وكيف ربَّت ابنَيها الإمامَين الحسن والحسينعليهما السلام، وكلُّ ذلك ضمن سياق مشرق، وأسلوب أدبيّ رفيع[٢].

٥. محمَّد شاطئ وسحاب:

طبع للمرَّة الأولى في بيروت سنة ١٩٧٠، ضمن سلسلة الخالدون، عن دار نشر للأمين منصور عازار، نُهبت الدار والكتاب في الأزمة اللبنانيَّة القاسية، ثمَّ طبع للمرَّة الثانية في دار المرتضى في بيروت، والكتاب مؤلَّف من ٢٦٠ صفحة، ويجسِّد الكتاب سيرة النبيِّ العظيم، بذائقة فنيَّة، وأسلوب شيِّق[٣].

٦. يسوع أبد الإنسان:

طُبع سنة ١٩٧٩، وهو مؤلَّف من ٣٦٥ صفحة، وهو كتاب موازٍ لسابقه محمَّد

(١) فاطمه الزَّهراء، كتَّاني، ص١٣.
(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص١٢.
(٣) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٠.

شاطئ وسحاب، وهو يؤلِّف سيرة يسوع، ويجسِّد المحبَّة في أبهى مظاهرها وجمالها على كثير من الكثافة، التي تزيِّن الإنسان في مجتمعات الإنسان[١].

٧. جبران خليل جبران في مداره الواسع:

طبع في بيروت سنة ١٩٧٣، وهو مؤلَّف من ٣٨١ صفحة، وهو عمل تلفزيونيّ للقنال ١١، ولهذه القنال حقَّ إخراجه؛ لأنَّها قامت بدفع بدل أتعابه، ويُظهر الكتاب سيرة جبران الكاملة في ثلاث عشرة حلقة، يتحفها أدب وفن[٢].

٨. الجذور:

طُبع في بيروت عام ١٩٨٥، وهو مؤلَّف من ١٩٩ صفحة، وهو بحثٌ في تظهير أدبيّ لأوَّل مهد حضاريّ في العالم، يعني به الأديب سليمان كتَّاني المهد الحضاريّ الأوَّل، المحصور بحدود الهلال الخصيب، منذ عهود السومريِّين، الأكديِّين، البابليِّين، الآشوريِّين، الفينيقيِّين، الذين هم جذور الأمَّة نفسها التي لاتزال متمادية فوق ذات الأرض الباقية حتَّى اللحظة بأبنائها في حقيقة وجديَّة الميراث[٣].

٩. الإمام الحسن الكوثر المهدور:

طبع في بيروت ١٩٨٩، وهو مؤلَّف من ١٦٤ صفحة، وهو نتيجة مباراة نال الكاتب فيها الجائزة الأولى، بواسطة مؤسَّسة آل البيت في بيروت، أمَّا سيرة الحسن هذه، فهي معالجة ممتازة لنهج الإمام، الأخلاقيّ والاجتماعيّ، إذ تنازل عن الحكم في سبيل رأب الصَّدع وحقن دماء الأمَّة، وجعل السياسة صائنة للمصلحة العليا في

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٥، الموسوعة الحرَّة، الكاتب لبيب ناصيف: Iabibhasif.blogspot.com.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

عدم هدر الطاقات الإنتاجية والروحيَّة على السواء، وجمع العراق والشام توحيدًا للأمَّة[1].

١٠. ميخائيل نعيمة بيدر مفطوم:

طُبع في بيروت عام ١٩٩٠، وهو مؤلَّف من ٣٧١ صفحة، ويحمل الكتاب الجدَّة والرصانة، والنقد المجرَّد، وما نشط النقد فيه، إلَّا لأنَّ ميخائيل نعيمة الأديب الكبير تعلَّق بمبادئ فلسفيَّة غيبيَّة، قلَّلت كثيرًا من اهتماماته القوميَّة الاجتماعيَّة[2].

١١. الإمام الحسين في حلَّة البرفير:

طبع في بيروت سنة ١٩٩٠، وهو مؤلَّف من ١٧٦ صفحة، وكتاب الإمام الحسين عليه السلام من ذات العجينة التي خُبز بها رغيف الإمام الحسن، ولكن بدلال آخر، يساوي دلال العنفوان الذي تسربل به هذا الإمام الشهيد، مقدِمًا على بذل الدَّم في سبيل المحافظة على نبل النفس، وهي في كلِّ حالٍ ترفض حياة الذُّلِّ، وما ذلك كلُّه إلَّا في سبيل تقديم القدرة الحيَّة للأمَّة[3].

فضلًا عن مؤلَّفات أخرى له، منها: الإمام زين العابدين عنقود مرصَّع، والإمام الباقر نجيّ الرسول، والإمام الصادق ضمير المعادلات، والإمام الكاظم، والإمام الخمينيّ، وغيرها[4].

وصف الكتاب

يعدُّ كتاب (فاطمة الزَّهراء.. وتر في غمد) ثالث كتاب ألَّفه الأديب المسيحيّ الذي تنوَّر بأنوار أهل البيت عليهم السلام في سلسلة كتبه، إذ سبقه في الظهور كتاب (محمَّد.. شاطىء

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢١.
(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٥.
(٣) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٢.
(٤) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص١٢-١٨.

وسحاب)، وكتاب « الإمام عليّ.. نبراس ومتراس»، وقد ألَّفه بطلب من مكتبة العَلَمَين الطوسيّ وبحر العلوم العامَّة في النجف الأشرف، بكتابة بحوث حول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وذلك سنه ١٣٨٧هـ، وحصل هذا الكتاب على المركز الأوَّل في المؤتمر، إذ كان مقسَّمًا على شكل عناصر ومفردات دُوِّنت بأسلوب أدبيّ بعيدًا عن السَّرد في المعلومات، كما هو متعارَف في دراسة السِّيَر، وطُبع هذا الكتاب أكثر من مرَّة، الأولى في النجف، وكان عدد صفحاته (١٧٦)، ثمَّ طبع في بيروت سنه ١٤٠٤هـ، وكانت عدد صفحاته (١٩٢)، في دار الكتاب اللبنانيّ[١]، وتمَّ ترجمته إلى اللغة الفارسيَّة والباكستانيَّة والإنكليزيَّة، أمَّا الكتاب الذي تناولناه في البحث، والذي كان بصيغه (pdf)، فتكوَّن من ٢٩٣ صفحة.

وكان السيِّد موسى الصدر مصاحبًا الأديب كتَّاني طوال المدَّة التي كان يكتب فيها الكتاب، إذ ذكر موسى الصدر بأنَّه كان يستمع إلى الأستاذ الجليل والأديب العبقريّ كتَّاني في بلدته بسكنتا، وهو يتلو عليه الكتاب، إذ قال: «كنت استمع إليه، وأرى أمامي لوحات رائعة، تكشف بوضوح جمال ذوقه وروعه فنِّه»[٢]، ويستمر السيِّد موسى الصدر أيضًا إذ قال: «سرت معه ساعات في دنيا فاطمة الزَّحبة المشرقة، فأشعر بسموِّ الرِّفعة، وأنعم البصر والبصيرة، وأعتزُّ بعقلي وقلبي أمام هذا التراث المجيد الموجَّه»[٣].

وبعد حوار كبير بين السيِّد موسى الصدر وكتَّاني، إذ طلب كتَّاني من السيِّد موسى الصدر أن يكتب مقدِّمة هذا الكتاب، إذ قال: «لقد تركت لك هذا الأمر، حتَّى تكتب في مقدِّمة الكتاب، وتؤدِّي هذه المهمَّة، فيكتمل العقد، ويبلغ الكتاب النِّصاب»[٤]، فذكر السيِّد موسى الصدر بأنَّه شعر بالإحراج الكبير أمام الغاية السامية، فقلت له كلام

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٥.
(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٣٥.
(٣) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٣٥.
(٤) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٣٦.

الإمام السيِّد عبد الحسين شرف الدين في تفريظٍ له على كتاب (الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيَّة، مخاطبًا مؤلِّفه الأديب اللامع: «أعرني قلمك لكي أقرظ به كتابك»[1].

موارد الكتاب ومنهجه

اعتمد سليمان كتَّاني في كتابه هذا على الكثير من المؤلَّفات الإسلاميَّة الشيعيَّة والسنيَّة، فضلًا عن استخدامه كتب بعض المستشرقين، وإنَّ جمع هذا الموارد التي اعتمدها مثبَّتة في نهاية الكتاب[2]، أمَّا بخصوص المنهج الذي استخدمه، فقد استخدم منهج التحليل والاستنتاج في ذِكر الأحداث التاريخيَّة، بأسلوب أدبيّ جميل، مختلفًا عن المتعارَف عليه في كتابه السِّيَر.

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٣٧.
(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٣٥-٢٩٣.

المبحث الثاني

فدك[١]

تعدُّ قضيَّة فدك من القضايا المهمَّة في التاريخ الإسلاميّ، ليس لكونها أرضًا في الحجاز، وإنَّما هي قضيَّة سياسيَّة وعقائديَّة امتدَّت من استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا، أي إنَّه بعد سيطرة الرسول صلى الله عليه وآله على أرض خيبر، خاف يهود فدك، وأرسلوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله يطلبون الصلح بالنصف في أرض فدك، وبهذا أصبحت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٢]، أي كلُّ ما يحصل عليه المسلمون بدون قتال

(١) فدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله على الرسول صلى الله عليه وآله في سنة ٧ هجريَّة صلحًا، وذلك عندما تمكَّن المسلمون من فتح خيبر وحصونها، ولم يبقَ إلَّا ثلث، واشتدَّ الحصار عليهم، فراسلوا الرسول أن يصالحهم على النصف من ثمارها وأموالها، فأجابهم إلى ذلك، فهي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، إذ نحلها إلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهذا ما احتجَّت به أمام أبي بكر. معجم البلدان، الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ط٢، ج٤، ص٢٣٨.

(٢) السيرة النبويَّة، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريّ المعافيريّ (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقَّا وإبراهيم المعافيريّ، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٥٥، ط٢، ج٢، ص٣٣٧، تاريخ خليفه بن خيَّاط، خليفة بن خياط، أبو عمر بن خليفة الشيبانيّ العصفريّ البصريّ (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، دار القلم، بيروت، ١٣٩٧هـ، ط٢، ص٨٣، فتوح البلدان، البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (ت٢٧٩هـ)، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص٣٨، تفسير القرآن، ابن المنذر، أبو بكر محمَّد بن إبراهيم النيسابوريّ (ت٣١٩هـ)، تحقيق: سعد بن محمَّد السعد، دار المآثر، المدينة النبويَّة، ٢٠٠٢، ص٢٤١، جوامع السِّير النبويَّة، ابن حزم، أبو محمَّد عليّ بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ القرطبيّ (ت٤٥٦هـ)،=

فهو لرسول الله ﷺ، كما ذكر في كتاب الله ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فإنَّ فدكًا كانت خالصة لرسول الله ﷺ، لكن عند ما نزل قول الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2]، دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدكًا[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ فدك نحلها الرسول ﷺ في حياته إلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولها حقُّ التصرُّف فيها، وهذا ما أكَّده أبو سعيد الخدري[4]، إذ قال: لمَّا نزلت الآية: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[5]، دعا رسول الله ﷺ

=دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت، ص١٧٣، تفسير البغويّ، البغويّ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود الشافعيّ (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٤، ص٢٣٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص١٠٠، المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن محمَّد (ت٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينيَّة المصريَّة، مصر، د.ت، ص١٤٠، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، ٢٠٠٣، ج١، ص٢٨٣، تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد بن محمَّد أبو زيد الحضرميّ الإشبيليّ (ت٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ج٢، ص٤٥٥.

(١) الحشر: ٦.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الغارات، الثقفيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد (ت٢٨٣هـ)، تحقيق: جلال الدين المحدِّث، د.م، د.ت، ج١، ص٩٩، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين المقدسيّ، مكتبة المقدسيّ، القاهرة، ١٩٩٤، ج٦، ص١٤٩.

(٤) أبو سعيد الخدريّ: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر المعروف بعبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدريّ وأمُّه أمُّ عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن قيس من الأوس، وهو كثير الحديث، توفِّي سنة ١١٢هـ. الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠)، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠، ج٥، ص٢٠٥.

(٥) الإسراء: ٢٦.

فاطمة فأعطاها فدكًا[١].

وبعد استشهاد رسول الله ﷺ، وأخذ البيعة لأبي بكر، ظهرت شخصيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام للمطالبة بحقِّها وحقِّ زوجها الإمام عليّ عليه السلام؛ لأنَّه كان هو الأولى بالخلافة، وهو وصيُّ رسول الله ﷺ، لذلك أخذت من فدك انطلاقة للمطالبة بالحقوق، وهذا ما ذكره سليمان كتَّاني، إذ قال: «كان في موت النبيّ بروز هذه الشخصيَّة، وكان التصرُّف بالخلافة على النحو الذي انتقلت فيه إلى أبي بكر الصديق ما عيَّن بروز فاطمة إلى الساحة المكشوفة بروزًا أضفى عليها هالة كبيرة من البطولات، وكانت فدك مفتاحًا للبوَّابة التي أطلَّت منها على رحاب التاريخ»[٢].

يعدُّ التعدِّي على اغتصاب فدك بالحقيقة هو التعدِّي على ما أوصى به الرسول ﷺ بأنَّ الخليفة من بعدي هو الإمام عليّ عليه السلام، وهذا ما أكَّده كتَّاني بأحقيَّة الإمام بالخلافة، وهو وصيُّ رسول الله ﷺ، وذكر الكثير من الأحاديث بهذا الصدد، إذ قال في أيَّام البعثة: «**هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم**»[٣]، وذكر أيضًا في حقِّ الإمام عليّ عليه السلام في غزوة الخندق، عندما برز الإمام عليّ عليه السلام إلى عمرو بن ود: «**برز الإيمان كلُّه إلى الشِّرك كلِّه**»[٤]، أي إنَّ الرسول ﷺ كان يشير إلى الإمام عليّ عليه السلام، ويجعله في مقدِّمة الأمَّة الإسلاميَّة؛ لأنَّه هو الخليفة والوصي من بعده، وهذا ما تناوله كتَّاني، إذ قال: «**أنت منِّي بمنزله هارون من موسى، غير أنَّه لا نبيَّ من بعدي**»[٥].

(١) الدرُّ المنثور، السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٥، ص٢٧٣، تفسير المظهري، المظهري، محمَّد بن ثناء الله، تحقيق: غلام بني التونسيّ، مكتبة الرشديَّة، باكستان، ١٤١٢هـ، ج٥، ص٤٣٣.

(٢) فاطمة الزَّهراء وتر في غمد، ص٢١٧.

(٣) فاطمة الزَّهراء، ص٢٠١.

(٤) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٠١.

(٥) فاطمة الزَّهراء، ص٢٠١.

ممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ الخليفة الشرعيّ للرسولﷺ هو الإمام عليّ، لكن الخلافة اغتُصِبت منه في مؤتمر السقيفة؛ لذلك عندما طالبت فاطمة الزَّهراءعليها السلام بفدك، لا تقصد الأرض أو بعض النخيل، لكن طالبت بالحقِّ المغتصَب، وهو الخلافة.

وفي رواية عن ابن عبَّاس أنَّ النبيّﷺ قال: «**إنَّه لا ينبغي أن أذهب إلَّا وأنت خليفتي**»[1]، أي إنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام كانت تسمع أباها يمهِّد لها ولأهل بيتها بالإرث والوصاية[2].

ويعدُّ موضوع الوصيَّة من المواضيع الأزليَّة والثابتة عند سائر الأنبياء (عليهم وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام)؛ لأنَّ لكلِّ نبيّ وصيًّا، وأنَّ وصيَّ نبينا محمَّدﷺ هو الإمام عليّ، وهذا ما أكَّدته بعض المصادر الإسلاميَّة، وأشار إليه كتَّاني بأنَّه لا يمكن لأي نبيّ أن يذهب عن هذه الدنيا، وليس له وصيّ، مستندًا بكلامه هذا إلى قول الرسولﷺ: «**لكلِّ نبيٍّ وصيّ ووريث، وإنَّ وصيِّي ووارثي عليّ**»[3]، فضلًا عن ذلك، فبعد انتهاء الرسولﷺ من حجَّة الوداع والرجوع حتَّى الانتهاء إلى غدير خم[4]، قام بجمع الناس، وخطب فيهم خطبته المشهورة، ثمَّ قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَن**

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٠١.

(٢) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني،ص٢٠٢.

(٣) فاطمة الزَّهراء، ص٢٠٣، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدائم القرشيّ التيميّ البكريّ (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج١٩،ص٤٦٧.

(٤) غدير خم: وادي بين مكَّة والمدينة عند الجحفة، فيه غدير، خطب به الرسولﷺ بعد عودته من حجَّة الوداع، وتمَّ فيه تنصيب الإمام عليّعليه السلام بالخلافة. معجم البلدان، الحمويّ، ج٢، ص٣٨٩، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، الأندلسيّ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمَّد البكريّ (ت٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص٣٦٨، الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار السراج، بيروت، ١٩٨٠، ط٢، ج١، ص١٥٦.

والاه، وعادِ من عاداه»[١].

ومن ذلك يتَّضح أنَّ اغتصاب فدك من فاطمة، هو اغتصاب الخلافة من وارثها الحقيقيّ، لذلك جعل من السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام الخروج والمطالبة بحقِّها وحقِّ زوجها بالخلافة، وهذا ما مهَّد إليه الرسولصلى الله عليه وآله قبل أن يرحل من هذه الدنيا، وهذا ما أكَّده كتَّاني، إذ قال: «إنَّ نظرة النبيّصلى الله عليه وآله إلى قضيَّة الخلافة عينها هو قبل أن يرحل، فكلُّ المصادر تشير إلى كونه قد عيَّنها من وحي هذا الحرص وهذا الواقع.. أنَّ الذي كان بمكنته أن يسنَّ شرعًا ودستورًا للناس ولأجيال الناس، لم تفته هذه الحواشي»[٢].

يعدُّ الإمام عليّعليه السلام هو الرجل الذي تشير إليه كلّ الوصاية والكتابات التاريخيَّة بأنَّه هو الموصى إليه بالخلافة؛ لأنَّه هو الرجل العظيم الذي نحته الرسولصلى الله عليه وآله ليكون على الخطِّ الطويل، ولكانت أزمة الخلافة انتهت، لو أنَّ الأمور أخذت مجراها المنحوت[٣].

إنَّ فدكًا هي محلّ الانطلاقة للمطالبة بالحقوق المغتصبة من قِبَل مؤتمر السقيفة، ولايزال يلاحق القضيَّة تحت اسم فدك، وليس الهدف هو فيئًا في قرية بالحجاز تُعرَف باسم فدك[٤]، فضلًا عن أنَّ الذين قطعوا فدكًا عن بيت فاطمة، كان هدفهم سياسيًّا

(١) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٠٣، الملل والنحل، الشهرستانيّ، أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ)، موسَّسة الحلبيّ، د.ط، د.ت، ص١٦٣، الانتصار في الردِّ على المعتزلة القدريَّة الأشرار، الشافعيّ، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمرانيّ (ت٥٥٨هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩، ج٣، ص٨٦١، غاية المرام في علم الكلام، الثعلبيّ، أبو الحسن عليّ بن أبي علي بن محمَّد بن سالم الآمديّ (ت٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، د.ت، ص٣٧٥.

(٢) فاطمة الزَّهراء، ص٢١٨.

(٣) فاطمة الزَّهراء، كتَّاني، ص٢١٩.

(٤) كتَّاني، فاطمة الزَّهراء، ص٢٢٠.

مخطَّطًا له وفق خريطة مرسومة ومحكمة، لكن التغيير في الخريطة من شأنه أن يؤدِّي إلى خلل عام في خطوط الهندسة، ولم يكن إصلاح هذا الخلل منوطًا بغير المخطِّط نفسه، وها هو الأصيل غاب، وها هو الوكيل تُفرَض عليه القيود[1].

ويبدو أنَّ اغتصاب فدك كان مخطَّطًا له، وكان الهدف منه هو إبعاد الوكيل، وفرض القيود عليه، أي إنَّه بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، الذي كان في الأصل له الحقُّ بالتصرُّف في كلِّ شيء، لأنَّه أولى من المؤمنين بأنفسهم، وهو الذي مهَّد للخلافة من بعده للإمام عليّ عليه السلام، اغُتصب حقُّ الوكيل، وفُرضت عليه القيود، أي بالمعنى الأكثر وضوحًا. إنَّ القصد من اغتصاب فدك هو نفسه اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعيّ، على الرغم من وجود الأدلَّة والاحاديث النبويَّة القاطعة في هذا الخصوص.

ولم يغفل سليمان كتَّاني عن الحوار الذي دار بين هارون العبَّاسيّ والإمام موسى ابن جعفر عليه السلام، عندما سُئِل عن فدك حتَّى يردَّها إليه، إذ قال: «إنَّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خُذ فدكًا حتَّى أردَّها اليك، فيأبى حتَّى ألحَّ عليه، فقال عليه السلام: **لا آخذها إلَّا بحدودها**. قال: وما حدودها؟ قال عليه السلام: **إن حدَّدتها لم تردَّها**. قال: بحقِّ جدِّك إلَّا فعلت، قال عليه السلام: **الحدُّ الأوَّل فعدن**. فتغيَّر لون الرشيد، وقال: إيها! قال عليه السلام: **الحدُّ الثاني سمرقند**. فاربد وجهه، **والحدُّ الثالث افريقية**. فاسودَّ وجهه، وقال: هيه. قال: **الرابع سيف البحر ممَّا يلي الخزر وأرمينية**. قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شي! فتحوَّل إلى مجلسي، قال موسى عليه السلام: **قد أعلمتك أنَّني إن حدَّدتها لم تردَّها**. فعند ذلك عزم على قتله»[2].

(١) فاطمه الزَّهراء، كتَّاني، ص٢٢٠.

(٢) فاطمة الزَّهراء، ص١٩٠، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمَّد بن عمرو بن أحمد (ت ٣٥٨هـ)، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤١٢هـ، ج١، ص٢٥٩.

ويتَّضح أنَّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام أشار إلى حدود الدولة الإسلاميَّة آنذاك، أي أراد من هذا أنَّ يوضِّح القصد من وراء ذلك، أن ليس فدك هي قطعة الأرض المغتصبة، وإنَّما الخلافة هي المقصودة؛ لأنَّها اغتُصِبت من سيِّدها الأوَّل، وهو الإمام عليّ عليه السلام، على الرغم من وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، وأقواله في حقِّ الإمام عليّ عليه السلام، لكن كلّ هذه الأقوال لم تُجدِ نفعًا أمام قوم استحوذ عليهم الشيطان في حبِّ السلطة، فأنكروا الحقَّ واتَّبعوا ما يُرضي أنفسهم في مؤتمر السقيفة.

وتعدُّ فدك قضيَّة سياسيَّة عقائديَّة، أكثر من أنَّها إرث لفاطمة، وهذا ما أكَّده كتَّاني، إذ قال: «ما اضيق فدكًا إرثًا لفاطمة»[١]، أي إنَّ فدكًا ليست القرية الموجودة في الحجاز التي وعدها أبوها بها بكلِّ ميراثها، بل هي أبعد من ذلك بكثير، وتمتدُّ مع وجود الإنسان، وذلك لأنَّها من القضايا العقائديَّة المهمَّة في الفكر الشيعيّ، ولا يمكن أن تخضع لحدود معيَّنة مثلما يتناول بأنَّها قطعة أرض اغتُصِبت، إذ تطرَّق كتَّاني وقال: «إنَّ أولئك الذين كانوا يطلبون خلافة قد ضيَّعوا لـمَّا وضعوا لها حدودًا، وجزَّؤوها لـمَّا اقتطعوا منها ما أسموه بفدك، وما كانت خلافة محمَّد إلَّا نظرة متطاولة إلى أبعاد: مع التراب وعبر التراب، مع الأثير وعبر الأثير، مع الإنسان وعبر وجود الإنسان..»[٢].

وبعد استشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله، وقفت فاطمة تنشد إرثها، فلا تجد حدودًا له أوسع من قرية في الحجاز، فيها واحة وفيها نخيل وفيها عنصر من الناس، ما كادوا يذوبون حتَّى عادوا فانفجروا أسافين[٣]، تقوِّض عزّ إمبراطوريَّة كانت تفتَّش عن حدودها فوق

(١) فاطمة الزَّهراء، ص١٨٩.

(٢) فاطمة الزَّهراء، ص١٨٩.

(٣) الأسفين: هو وتد يستعمل لأغراض عديدة، منها ربط جسم بآخر، أو الإبقاء على الانفراج، يُقال: دقَّ بينهم أسفينًا أي فرَّق بينهم. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ص١٨.

الأرض وتحت الأرض، وفوق السماء وتحت السماء[١].

لم يغفل كتّاني عن فرح أهل الجزيرة باغتصابهم فدكًا وحقّ الإمام عليّ عليه السلام من أجل إشباع رغباتهم الشخصيَّة، فضلًا عن أنَّه وصف تمسُّكهم بالسلطة وسلب الحقوق من أصحابها كوصف تمسُّك اليهود بأرض كنعان، واصفًا ذلك بالانتصار لهم، إذ قال: «ولقد انتصرت الجزيرة على فدك في الساعة التي انغمرت فيها بالنور، في اللحظة التي وجد فيها الإنسان حدود الإنسان، في تلك اللحظة فقط تقلَّص القزم اليهوديّ، وذاب وهمُ أرض الميعاد، في تلك اللحظة فقط ماد جبل طور سيناء تحت خفقه ومضة الحقِّ..»[٢].

واتَّخذ كتّاني من خيانة يهوذا مثالًا لوصف لأهل الجزيرة بأنَّهم خانوا الأمانة ونقضوا العهد، وخالفوا وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، إذ وصفهم بيهوذا الاسخريوطيّ الذي خان النبيّ عيسى (عليه وعلى نبيِّنا وآله السلام)، من أجل دوافع الجشع والطمع، حتَّى يحصل على الأموال، أي إنَّ كتّاني وصف هؤلاء الذين سلبوا حقَّ الإمام عليّ عليه السلام بيهوذا الخائن إذ قال: «في تلك اللحظة انخبطت أسباط بني اسرائيل، وفُقِئت عين الأسخريوطيّ، وتصدَّع حجاب الهيكل، وطغى الزَّبد على مرفأ إيلات..»[٣].

وإنَّ كلَّ الذين يرثون يتعيَّن ميراثهم إلَّا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فإنَّ إرثها لم يكن ليتعيَّن، فهو في الوقت الذي كان يُشار إليه في فدك، كانت حقيقته تمتدُّ من مكَّة إلى المدينة، إلى خيبر، إلى هوازن، ثمَّ إلى الشام والكوفة، ثمَّ أخذ يمتدُّ إلى فارس والهند، وإلى مصر وأفريقيا[٤].

(١) فاطمة الزَّهراء، كتّاني، ص١٩٢.
(٢) فاطمة الزَّهراء، ص١٩١.
(٣) فاطمة الزَّهراء، ص١٩١.
(٤) فاطمة الزَّهراء، كتّاني، ص٢٠٨.

وتطرَّق كتَّاني في كتابه عندما تناول قضيَّة فدك وإرث فاطمة عليها السلام، إذ قال: «وكان إرثها مع أبيها نبوَّة، وأصبح في زواجها من عليّ إمامة، ثمَّ ارتبط ببطولات، وتطوَّر في فدك إلى صنوج[1] تستثير إلى جهاد، وانقلب مع الحسن والحسين إلى امتداد لقضيَّة، ثمَّ إلى استشهاد، ثمَّ تطاول الظلُّ، فأصبح الإرث ولاء تعشَّقته الأجيال عفَّة مسلك، وطيب تذكر، وحبَّات مسابح، ووجه قدوات، وحقًّا مشروعًا يطلب، وذكرًا لا تطاله النسوة»[2].

ويتَّضح أنَّ اغتصاب حقّ الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة، جعل فاطمة الزَّهراء عليها السلام تخرج إلى باحة المسجد وتطالب بحقِّها وحقِّ زوجها تحت شعار المطالبة بحقِّها في فدك، وخطبت خطبتها المشهورة بالخطبة الفدكيَّة التي ذكرتها المصادر الإسلاميَّة[3].

الخطاب في ساحة المسجد

تناول كتَّاني مطالبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بإرثها في فدك وخروجها إلى باحة المسجد، للوقوف بوجه أبي بكر، على الرغم من أنَّها كانت تعلم أنَّ إرثها لن يعود إليها، إذ قال: «ولقد كانت تعلم فاطمة تمام العلم أنَّ المطالبة بفدك لن تعيد إليها الأرض، ولم تكن لتطلب أرضًا فيها نخيل.. إنَّها كانت تطالب بإرث آخر، فيه عزَّة النفس، فيه أصالة الحقِّ، فيه عنفوان الرسالة، فيه امتداد أبيها.. هذا هو الإرث الذي جاءت تنادي به في

(١) الصنوج: جمع صنح، آلة موسيقيَّة ذات أوتار. المعجم الوسيط، مجمع اللغه العربيَّة، ص٥٢٥.
(٢) فاطمة الزَّهراء، ص٢٠٨.
(٣) بلاغات النساء، ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، مطبعة والدة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ١٩٠٨، ح١، ص١٦-٢٣، السقيفة وفدك، الجوهريّ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصريّ (ت٣٢٣هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأمينيّ، مطبعة الكتبي، بيروت، ١٩٩٣، ط٢، ص١٠٠-١٠٤، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمَّد الطناحي، مكتبه الخانجيّ، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ج٢، ص٥٠١-٥٠٨.

ساحه المسجد»[1] أي إنَّ فاطمة عليها السلام أقبلت إلى المسجد، ومعها عدد من نساء قومها، بعد أن لبست خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، حتَّى وصلت إلى أبي بكر ومعه حشد من المهاجرين والأنصار، وخطبت خطبتها المشهورة بالخطبة الفدكيَّة[2].

وشرحت في الخطاب رسالة أبيها، وكان هدفها في الخطاب هو تعيين مركزها من الرسالة، ومركز الإمام عليّ عليه السلام منها، وهذا ما تناوله كتَّاني، إذ قال: «طالبت بالإرث، مثبتة أنَّ لها حقًا فيه، كما لكلِّ البنين من وراء آبائهم، ولقد ندَّدت بالحاكم، قالت له: إنَّه مغتصب، ولقد ندَّدت أيضا بالمهاجرين الصحابيِّين والأنصار، ولقد انفجرت نقمتها على كلِّ هؤلاء الذين هم أشباه الرجال في تخلُّفهم عن رؤية الحقِّ ونصرته، ولقد غمزت بتنبُّؤاتها بما ينتظر الظالمين الكافرين..»[3].

ولقد جاء خطابها إلى الأنصار بالتنديد والوعيد؛ لأنَّهم لم يحرِّكوا ساكنًا في ظلامتها، ولم يدافعوا عن حقِّها، إذ خاطبتهم بهذه الصيغة: «**معشر البقيَّة وأعضاد الملَّة وحصون الإسلام ما هذه الغميزة في حقِّي والسِّنة في ظلامتي، أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء يُحفظ في ولده. سرعان ما أجدبتم فأكديتم وعجلان ما أحدثتم..**»[4].

ويبدو أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام أرادت بهذه الخطبة أن تُلقي الحجَّة على الأمَّة في بيان الحقِّ الذي أغفلوا عنه واتَّبعوا غيره، فضلًا عن بيان حقِّ الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة، وذلك أنَّ بيعة المهاجرين والأنصار له في غدير خم هي أكبر دليل وشاهد عليهم، لكن كلُّ هذا لا ينفع مع هؤلاء؛ لأنَّ هدفهم حبُّ الدنيا والتسلُّط على الآخرين، بغضِّ النظر عن الطريق الذي يصل بهم، حتَّى وإن كان على حساب حقوق الآخرين، لذلك لم يغيِّر الخطاب بداخلهم شي.

(١) فاطمة الزَّهراء، ص١٦٦.
(٢) بلاغات النساء، ابن طيفور، ج١، ص١٦.
(٣) فاطمة الزَّهراء، ص١٦٧.
(٤) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص٢١، السقيفة وفدك، الجوهريّ، ص١٠٢.

وعن عائشة ذكرت أنَّ فاطمةعليها السلام والعبَّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهما حينئذٍ يطلبان أرض فدك وسهمهم من خيبر، فقال أبو بكر: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة[١]، إنَّما يأكل آل محمَّد في هذا المال حقَّ الغنائم»[٢].

وكان خطاب فاطمةعليها السلام أمام الخليفة، في جمع كبير من المهاجرين والأنصار، خطابًا كبيرًا عبَّرت به عن ما بداخلها، وبيَّنت للجميع عن مكانتها ومكانة زوجها من الرسولصلى الله عليه وآله ومن الإسلام، فضلًا عن فصاحتها وتمرُّدها بوجه كلِّ ظلم وجَور، وهذا ما أكَّده كتَّاني إذ قال: «يكفي أن تقود فاطمة قدَمَيها إلى باحة المسجد، أن تقف أمام الخليفة بجبَّة وخمار، أن ترمي إليه نظرة شزراء، أن تحرِّك يدًا بمعصمٍ نحيل، أن تومىء، أن تقف لحظة، ثمَّ تنسحب كما ينسحب الظل»[٣].

ممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ أبا بكر كان مصرًّا على عدم إعطاء حقِّ فاطمةعليها السلام وإرثها، وهذا ما دفع فاطمةعليها السلام إلى أن تردَّ عليه بخطبتها المشهورة، فضلا عن سياق الأدلَّة القاطعة من القرآن الكريم والحديث النبويّ، وقولها: كيف ترث أباك ولا أرث أبي، كلُّ هذا موضَّح في خطبتها في نموذج رقم (١)[٤].

(١) تاريخ الإسلام، الذهبيّ، ج٦، ص٢٠٥، المختصر، أبو الفداء، ج١، ص١٦٩.

(٢) تفسير الماتريدي، الماتريدي، محمَّد بن محمَّد بن محمود أبو منصور (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٥، ج٥، ص٢١٦، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبيّ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢، ج٤، ص ٣٥٩.

(٣) فاطمة الزَّهراء، ص١٦٦.

(٤) بلاغات النساء، ابن طيفور، ج١، ص١٦-٢٣، السقيفة وفدك، الجوهريّ، ص١٠٠-١٠٤، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، ابن الأثير، ج٢، ص٥٠١-٥٠٨

نموذج رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام المعروفة بالخطبة الفدكيَّة

روى عبد الله ابن الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام أنَّه لَمَّا أَجْمَعَ أبو بكر عَلى مَنْعِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكًا، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَغَيْرِهِمْ، فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ. ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها، فَقالَتْ عليها السلام:

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عَدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلايِقِ بِإِجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْب إلى أَمْثالِها، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ، اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إِلَّا تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإِظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنّ أبي مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أَنِ

اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مِنَ اللهِ تَعالى بِمآلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْمامًا لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذًا لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقًا في أدْيانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍﷺ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلَّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ. ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍﷺ عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدَّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبَّارِ. صلَّى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس، وقالت:

أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدِّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًّا لِلإسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْنًا لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضًا

لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجابًا عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجابًا لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصًا لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وَأطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثُمَّ قالت: أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ ﷺ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطًا، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطًا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ ﷺ. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأَكْظامِهِمْ، داعِيًا إِلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ، فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ،

ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلبْابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين،فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ الله بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَإِطْفاءِ أَنْوارِالدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا، وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ أَلَّا إِرْثَ لَنا، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ، أَيُّها الْمُسْلِمونَ أَأُغْلَبُ عَلى ارْثِي يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أَفي كِتابِ الله أَنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أَرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ الله، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام إِذْ قالَ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وَقالَ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وزَعَمْتُمْ أَلَّا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أبي ولارَحِمَ بَيْنَنَا!، أَفَخَصَّكُمُ

اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يخسَرُ المبطلون، وَلايَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ، فَقالَتْ:

يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ!، أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ ﷺ؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ -جَلَّ ثَناؤُهُ- فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافًا وَصُراخًا وَتِلاوَةً وَإِلحانًا، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾، أَيْهًا بَنِي قَيْلَةَ! أَ أُهْضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأًى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّخْبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الاُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ،

وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُم بَعْدَ الإِيمانِ؟ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، أَلا قَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فـ﴿إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. ألا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ، فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبَعْيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، فـ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

فَأَجابَها أَبُوبَكْرٍ (عَبْدُاللهِ بْنُ عُثْمانَ)، فَقالَ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا ؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النِّساءِ، وَأَخًا لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلاّءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ -يا خَيْرَةَ النِّساءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ- صادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَوَاللهِ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً وَلا دارًا وَلا عِقارًا، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا

أنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ». وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الكُراعِ وَالسِّلاحِ يُقابِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الْكُفّارَ، وَيُجالِدُونَ الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجّارَ، وَذلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهذِهِ حالي، وَمالي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لا نَزْوِي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرينَ أَنْ أُخالِفَ فِي ذلِكِ أباكِ ﷺ؟ فَقالَتْ عليها السلام: **سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفًا، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إِلى الْغَدْرِ اعْتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَناطِقًا فَصْلًا، يَقُولُ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فَبَيَّنَ عليه السلام فِيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ فِي الغابِرِينَ، كَلَّا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.**

فَقالَ أَبو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ الْمُسْلِمونَ بَيْنِي وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ.

فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ عليها السلام وَقالَتْ: **مَعاشِرَ النَّاسِ الْمُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، الْمُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ، وَ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.**

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقالَتْ:

قَـدْ كـان بَـعْـدَكَ أَنْـبـاءٌ وَهَنْبَثَـةٌ
لَـوْ كُـنْـتَ شاهِدَها لَمْ تَـكْـبُرِ الخطبُ
إِنّـا فَـقَـدْنـاكَ فَـقْـدَ الأَرْضِ وابِلَها
وَاخْتَلَّ قَومُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَقَـدْ نَكِبوا
وَكُـلُّ أَهْـلٍ لَـهُ قُـرْبـى وَمَنْزِلَـةٌ
عِـنْـدَ الإِلـهِ عَـلَى الأَدْنَـيْنِ مُقْتَـرِبُ
أَبْـدَتْ رِجـالٌ لَنا نَجْوى صُـدورِهِـم
لَمَّا مَضَيْتَ وَحـالَـتْ دونَـكَ الـتُّرَبُ
تَجَـهَّـمَـتْـنـا رِجـالٌ واسْـتُـخِـفَّ بِنا
لَمّا فُقِدْتَ وَكُـلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَـبُ
وَكُـنْـتَ بَـدْرًا وَنُـورًا يُسْتَضاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تُـنْـزَلُ مِـنْ ذي الـعِـزَّةِ الكُتُـبُ
وَكـانَ جِـبْـريـلُ بِـالآيـاتِ يونِسُنا
فَـقَـدْ فُـقِـدْتَ فَـكُـلُّ الخَـيْرِ مُحْتَجِـبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كـانَ الـمَـوْتُ صادَفَنا
لِـما مَضَيْتَ وَحـالَـتْ دونَـكَ الكُتُبُ
إِنّـا رُزِئْـنـا بِـما لَمْ يُـرْزَ ذُو شَجَـنٍ
مِـنَ الـبَرِيَّـةِ لا عُـجْـمٌ وَلا عَـرَبُ

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عليها السلام وأميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَها إِلَيْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدّارُ قالتْ لأمير المُؤمنينَ عليه السلام: **يا ابْنَ أَبِي طالِب! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِين، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِين! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدِلِ، فَخانَكَ ريشُ الأَعْزَلِ؛ هذا**

ابْنُ أبي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أجْهَرَ في خِصامِي، وَالفَيْتُهُ أَلَدَّ في كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُونِي طَرْفَها؛ فَلا دافِعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، اِفْتَرَسْتَ الذِّئابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرابَ، ما كَفَفْتُ قائِلًا، وَلا أَغْنَيْتُ باطِلًا، وَلا خِيارَ لي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هَنِيَّتِي وَدُونَ زَلَّتِي [ذِلَّتي]، عَذيريَ اللهُ مِنْكَ عادِيًا وَمِنْكَ حامِيًا. وَيْلايَ في كُلِّ شارِقٍ، ماتَ الْعَمَدُ، وَوَهَتِ الْعَضُدُ. شَكْوايَ إلى أبي، وَعَدْوايَ إلى رَبِّي. اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلًا، وَأَحَدُّ بَأْسًا وَتَنْكِيلًا. فَقالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لا وَيْلَ عَلَيْكِ، الْوَيْلُ لِشانِئِكِ، نَهْنِهي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِيني، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُوري، فَإنْ كُنْتِ تُريدينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفيلُكِ مَأْمُونٌ، وَما أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ. فَقالَتْ: حَسْبِيَ اللهُ. وَأَمْسَكَتْ.

الخاتمة

توصَّل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها:

١. إنَّ الأديب المسيحيّ سليمان كتَّاني على الرغم أنَّه لم يكن مسلمًا، لكن كان منصفًا في تناول فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ تكلَّم بكلِّ الحقائق بأسلوب أدبيّ، وتحليل للأحداث بشكلٍ متقَن.

٢. تناول كتَّاني أبرز الأحداث التاريخيَّة التي عاشتها الزَّهراء عليها السلام بشكل قصصيّ قصير وجميل، برز فيه بطولات فاطمة عليها السلام، ووقوفها بوجه الخليفة.

٣. إنَّ بروز فاطمة عليها السلام إلى ساحة المسجد والمطالبة بحقِّها عزَّز لدى الآخرين عدم السكوت عند الظلم، وأنَّه يجب الوقوف بوجه الحاكم الظالم والمغتصب للحقوق مهما كلَّف الأمر.

٤. إنَّ خروج فاطمة عليها السلام هو الخروج من أجل الإصلاح، والابتعاد عن الظلم والفساد الذي أسَّسه هؤلاء في مؤتمر السقيفة.

٥. أظهر خطاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام الزيف الكبير عند هؤلاء القوم الذين يدَّعون بأنَّهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ذكَّرت في خطابها الموجَّة للمهاجرين والأنصار: «**ما هذه الغميرة في حقِّي والسِّنة في ظلامتي**»، أي لماذا هذا السكوت وأنتم من تدَّعون الصحبة من أبي.

٦. أظهرت فاطمة الزَّهراء عليها السلام للأمَّة أنَّ حقَّها وحقَّ زوجها مغتصَب، وأنَّ هؤلاء لم يلتزموا بوصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله.

٧. إنَّ قضيَّة فدك أصبحت قضيَّة سياسيَّة وعقائديَّة إلى يومنا هذا، وهي ميزان للحقِّ والباطل؛ لأنَّ الاعتراف بحقِّ فاطمة عليها السلام يعني الاعتراف بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ونكرانها هو نكران هذه الولاية؛ لأنَّ فدكًا تمثِّل الحقَّ الشرعيّ بالخلافة للإمام عليّ عليه السلام، وليس فقط قطعة الأرض في الحجاز، استنادًا إلى قول الإمام الكاظم عليه السلام عندما عيَّن حدود فدك، وشمل جميع حدود الإمبراطوريَّة الإسلاميَّة.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم.**

ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواجد الشيبانيّ الجزريّ (ت٦٣٠هـ).

١. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٧.

ابن الاثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد (ت٦٠٦هـ).

٢. منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق: محمود محمَّد الطناحى، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

الأندلسيّ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمَّد البكريّ (ت٤٨٧هـ).

٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

البغويّ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود الشافعيّ (ت٥١٠هـ).

٤. تفسير البغويّ، تحقيق: عبد الرزَّاق المهدي، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (ت٢٧٩هـ).

٥. فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨.

الثعلبيّ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت٤٢٧هـ).

٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢.

الثعلبيّ، أبو الحسن عليّ بن أبي علي بن محمَّد بن سالم الآمديّ (ت٦٣١هـ).

٧. غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، د.ت.

الثقفيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد (ت٢٨٣هـ).

٨. الغارات، تحقيق: جلال الدين المحدث، د.م، د.ت.

الجوهري، أبو بكر احمد بن عبد العزيز البصري (ت٣٢٣هـ).

٩. السقيفة وفدك، تحقيق: محمَّد هادي الاميني، مطبعة الكتبي، بيروت، ١٩٩٣، ط٢.

ابن حزم، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسيّ القرطبيّ (ت٤٥٦هـ).

١٠. جوامع السير النبويَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت.

الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ (ت٦٢٦هـ).

١١. معجم البلدان،دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ط٢.

الحميريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ).

١٢. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار السراج، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد بن محمَّد أبو زيد الحضرميّ الإشبيليّ (ت٨٠٨هـ).

١٣. تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

خليفة بن خيَّاط، أبو عمر بن خليفة الشيبانيّ العصفريّ البصريّ (ت٢٤٠هـ).

١٤. تاريخ خليفه بن خيَّاط،تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، دار القلم، بيروت، ١٣٩هـ، ط٢.

الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمَّد بن عمرو بن أحمد (ت٣٥٨هـ).

١٥. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤١٢هـ.

الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ).

١٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، د.ط، ٢٠٠٣.

ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ).

١٧. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠.

السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ).

١٨. الدرُّ المنثور، دار الفكر، بيروت، د.ت.

سليمان كتَّاني.

١٩. فاطمة الزَّهراء، تحقيق: محمَّد الساعديّ، مطبعة ليلى، المجمع العلميّ لأهل البيت، ١٤٢٩هـ.

الشافعيّ، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمرانيّ (ت٥٥٨هـ).

٢٠. الانتصار في الردِّ على المعتزلة القدريَّة الأشرار، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ).

٢١. بلاغات النساء، مطبعة والدة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ١٩٠٨.

أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستانيّ (ت٥٤٨هـ).

٢٢. الملل والنحل، موسَّسة الحلبيّ، د.ط، د.ت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن محمَّد (ت٧٣٢هـ).

٢٣. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينيَّة المصريَّة، مصر، د.ت.

الماتريدي، محمَّد بن محمَّد بن محمود أبو منصور (ت٣٣٣هـ).

٢٤. تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٥.

مجمع للغه العربية.

٢٥. المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.

المظهري، محمَّد بن ثناء الله.

٢٦. تفسير المظهري تحقيق: غلام بني التونسي، مكتبة الرشديَّة، باكستان، ١٤١٢هـ.

ابن المنذر،ابو بكر محمَّد بن إبراهيم النيسابوريّ (ت ٣١٩هـ).

٢٧. تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمَّد السعد، دار المآثر، المدينه النبويَّة، ٢٠٠٢.

الموسوعة الحرَّة.

٢٨. الكاتب لبيب ناصيف: Iabibhasif.blogspot.com

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدائم القرشيّ التيميّ البكريّ (ت٧٣٣هـ).

٢٩. نهايه الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريّ المعافيريّ (ت٢١٣هـ).

٣٠. السيرة النبويَّة، تحقيق: مصطفى السقَّا وإبراهيم المعافيريّ، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٩٥٥، ط٢.

الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ).

٣١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين المقدسيّ، مكتبة المقدسيّ، القاهرة، ١٩٩٤.

مظلوميَّةُ الزَّهراء عليها السلام في كتاباتِ المُستَشرِقين
بينَ الجَهْل والتعمُّد
كتابُ (فاطمةُ وبناتُ محمَّد) أنموذَجًا

أ.د. كاظم عبد فريح المولى
جامعة ميسان/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

مازالت مساحةُ الحديث في رحابِ أهلِ البيت (صلوات الله عليهم) رحبةً، وتُغري الباحثينَ، وتأخذُ بتلابيبهم للخوضِ فيها وسبر أغوارِها، هيَ ساحةٌ مِعْطاءةٌ ولَّادةٌ مُتجَدِّدَةٌ، وفي الوقتِ عَينهِ مازالَ التَجنِّي عيلهم (صلوات الله عليهم) مُتزايِدًا مُتعاظِمًا وكاشِفًا عنْ عظيمِ المَظلوميَّةِ التي كانتْ ومازالت تنبضُ بحقْدٍ وجَهالةٍ، أو كليهما معًا، ولم تكن ساحة الاستشراق في كثير من الأحيان بريئة ممَّا لَحِقَ بآل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله من ظلمٍ مقصودٍ تارةً ، وغير مقصود- لجهالة- تارةً أُخرى، فقد عُرِفَ عَن بعضِ المُستَشرِقين، على الرغم مِن تَعدُّد مشاربِهم ومرجعيَّاتِهم الثقافيَّة، تعصُّبهم الأعمى لِمدارسِهم التبشيريَّة التي كانت سببًا رئيسًا في ابتعادهم عنِ الروحِ العلميَّة الدقيقة والمنهج العلميّ المُحايد الذي زعموا أنَّهم رُوَّاده والساعين إلى اعتماده في كتاباتهم، وعلى الرغم مِن تَبحُّر الكثيرِ منهم في شتَّى العلوم وإحاطتهم لعلوم اللغات والتاريخ والأدب، وإتقانهم لآليَّةِ المنهجِ العلميّ القويم، لم يكن بعضهم مُنصِفين فيما سطَّروه من تاريخ العِترة الطاهرة، ولاسيَّما ما يتعلَّق برسول الله وعترتهِ الطاهرة، كما سيتَّضح.

لم يكُن كلُّ ما تقدَّم منْ مُؤهِّلاتٍ دافعًا للبعضِ منهم لِتَحرِّي المعلومة الدقيقة مِن مَظانِّها الحقيقية، أو للابتعادِ عنِ التحريفِ والتعصُّب الأعمى الذي تُمليه الميولُ والرغباتُ لأغراضٍ مُتعدِّدةٍ، وفي مقدِّمتها الحركةُ التبشيريَّةُ المُوجِّهةُ لكثيرٍ منَ الرُّؤى والأفكار، فقد دَعمَت الحركةُ الاستشراقيَّةُ رؤيةَ الكهنوت فيما يتعلَّق بالتَبشير وأدواته السياسيَّة المُرتبطة بالحركةِ الاستعمارية التي كانت بوادرُها دراساتُ هؤلاء المُستَشرقين، من هنا شابَ الكثيرَ من كتاباتِ المُستَشرقين الدَّسُّ والتحريفُ تارةً، وتجاهُلًا للمصادر الأساسيَّة، أو الاعتماد على نصوصٍ مبتورةٍ منقوصةٍ، تارةً أُخرى.

إنَّ النيلَ مِن فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها) يُمثِّل نيلًا من الإسلام ونبيِّه؛ بوصفها ابنةً لرسول الإسلام، ونيلًا من الإمامة، بوصفها الرحم الذي خرجَ منه خطُّ الإمامة، فانْبرى بعضٌ من هؤلاء بينَ قصدٍ وجهلٍ للنيل منها، بينَ تحريفٍ وقراءةٍ لنصوصٍ لم تكُن محلَّ اتِّفاقٍ وإجماع في تاريخ المُسلمين، غير أنَّ هنالك فريقًا آخر انبرى لردِّ هذه التخرُّصات اللاعلميَّة من خطِّ المُنتج الاستشراقيّ نفسه، لذلك توزَّع البحثُ على مبحَثَين؛ الأوَّل منها للوقوف عند أهمِّ مصاديق الافتراء عليها (صلواتُ الله عليها وسلامه)، وفي المبحث الثاني كانت وقفةٌ أُخرى لدفاعِ الفريق المُقابل، ممَّن لم يرتضِ تلك المظلوميَّة التي لم تصدر عمَّا يسندها من حجيَّةٍ تاريخيَّة مُعتمدة، فاستدعى ذلك اعتِمادًا كُليًّا على المُدوَّنةِ الاستشراقيَّةِ، باعتبارها المُنطلق لِكلَا المَبحَثين المُتناقِضين، وهُما الافتراءُ وردُّه، وبأقلامِ كبارِ المستشرقين أنفسهم.

مقدِّمة البحث

مازالت مساحةُ الحديث في رحابِ أهلِ البيت (صلوات الله عليهم) رحبةً، وتُغري الباحثينَ، وتأخذُ بتلابيبهم للخوضِ فيها وسبر أغوارِها، هيَ ساحةٌ مِعْطاءةٌ ولَّادةٌ مُتجَدِّدَةٌ، وفي الوقتِ عَينِهِ مازالَ التَجنِّي عيلهم (صلوات الله عليهم) مُتزايِدًا مُتعاظِمًا وكاشِفًا عنْ عظيمِ المَظلوميَّةِ التي كانتْ ومازالت تنبضُ بحقْدٍ وجَهالةٍ، أو كليهما معًا، ولم تكن ساحة الاستشراق في كثير من الأحيان بريئة ممَّا لَحِقَ بآل بيت النبيّ ﷺ من ظلمٍ مقصودٍ تارةً ، وغير مقصود- لجهالة- تارةً أُخرى، فقد عُرِفَ عَن بعضِ المُستَشرِقين، على الرغم مِن تَعدُّد مشاربِهم ومرجعيَّاتِهم الثقافيَّة، تعصُّبهم الأعمى لِمدارسِهم التبشيريَّة التي كانت سببًا رئيسًا في ابتعادهم عنِ الروحِ العلميَّة الدقيقة والمنهج العلميّ المُحايد الذي زعموا أنَّهم رُوَّاده والساعين إلى اعتماده في كتاباتهم، وعلى الرغم مِن تَبحُّر الكثيرِ منهم في شتَّى العلوم وإحاطتهم لعلوم اللغات والتاريخ والأدب، وإتقانهم لآليَّةِ المنهجِ العلميّ القويم، لم يكن بعضهم مُنصِفين فيما سطَّروه من تاريخ العِترة الطاهرة، ولاسيَّما ما يتعلَّق برسولُ الله وعترتهِ الطاهرة، كما سيتَّضح[1].

لم يكُن كلُّ ما تقدَّم منْ مُؤهِّلاتٍ دافعًا للبعضِ منهم لِتَحرِّي المعلومة الدقيقة مِن مَظانِّها الحقيقية، أو للابتعادِ عنِ التحريفِ والتعصُّب الأعمى الذي تُمليه الميولُ والرغباتُ لأغراضٍ مُتعدِّدةٍ، وفي مقدِّمتها الحركةُ التبشيريَّةُ المُوجِّهةُ لكثيرٍ منَ الرُّؤى والأفكار، فقد دَعمَت الحركةُ الاستشراقيَّةُ رؤيةَ الكهنوت فيما يتعلَّق بالتَبشير وأدواته

(١) ينظر: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلاميّ، مجموعة باحثين، دار الكفيل للطباعة والنشر، ٢٠١٤م: ١٢.

السياسيَّة المُرتبطة بالحركةِ الاستعمارية التي كانت بوادرُها دراساتُ هؤلاء المُستَشرقين، من هنا شابَ الكثيرَ من كتاباتِ المُستَشرقين الدَّسُّ والتحريفُ تارةً، وتجاهُلًا للمصادر الأساسيَّة، أو الاعتماد على نصوصٍ مبتورةٍ منقوصةٍ، تارةً أُخرى[1].

إنَّ النيلَ مِن فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها) يُمثِّل نيلًا من الإسلام ونبيِّه؛ بوصفها ابنةً لرسول الإسلام، ونيلًا من الإمامة، بوصفها الرحم الذي خرجَ منه خطُّ الإمامة، فانْبرى بعضٌ من هؤلاء بينَ قصدٍ وجهلٍ للنيل منها، بينَ تحريفٍ وقراءةٍ لنصوصٍ لم تكُن محلَّ اتِّفاقٍ وإجماع في تاريخ المُسلمين، غير أنَّ هنالك فريقًا آخر انبرى لردِّ هذه التخرُّصات اللاعلميَّة من خطِّ المُنتج الاستشراقيّ نفسه، لذلك توزَّع البحثُ على مبحَثَين؛ الأوَّل منها للوقوف عند أهمِّ مصاديق الافتراء عليها (صلواتُ الله عليها وسلامه)، وفي المبحث الثاني كانت وقفة أُخرى لدفاعِ الفريق المُقابل، ممَّن لم يرتضِ تلك المظلوميَّة التي لم تصدر عمَّا يسندها من حجيَّةٍ تاريخيَّة مُعتمدة، فاستدعى ذلك اعتِمادًا كُليًّا على المُدوَّنةِ الاستشراقيَّةِ، باعتبارها المُنطلق لِكلَا المَبحَثين المُتناقِضين، وهُما الافتراءُ وردُّه، وبأقلامِ كبارِ المستشرقين أنفسهم.

(١) ينظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسَّسة الأبحاث العربيَّة، بيروت، ١٩٧٨م: ٦٩.

مدخل

مثَّلت فاطمةُ الزَّهراء عليها السلام الخطَّ الثالثَ بعد بعلِها وأبيها منْ حيث الأثرِ والتَّوثيق، غيرَ أنَّها وقعتْ معَهم في خطٍّ واحدٍ منَ المظلوميَّة التأريخيَّة، ولا فرقَ في ذلك بينَ القُدماء والمُحدَثين، وكانَ منَ المُتوقَّع أنْ نجدَ دراساتٍ مُنصِفةً عند المُستشرِقين الذين عُرِفوا بالمنهجيَّة العلميَّة والاستقصاء والتتبُّع الدقيقَين، وبما عُرِفوا بهِ منَ الموسوعيَّة والاطِّلاع والإتقان، نعم ارتبطت الحركةُ الاستشراقيَّةُ بالتبشير والاستعمار، ولكن أنْ ينجرَّ بعضُ علمائِها الكبار نحو الانحياز والتَجنِّي دونَما دليلٍ رصينٍ، فهذا أمرٌ يُثير الريبةَ، ومَدعاةٌ للاستهجان والتعجُّب.

نجد مثلَ هذا التحريف والتشويه في نتاجاتِ بعضِ مَن عُرفَ بالتشدُّد والتعصُّب بفعلِ الأثر التبشيريّ الذي انْخرطَ فيهِ، وفي حدودِ الإسلام ورسولِه، حينَ أصرُّوا على بطلانِ وتكذيبِ هذا الدين الذي سمَّوه بالدين المحمَّديّ استخفافًا[1]، ونفي رسالة هذا النبيّ حينَ زعم بعضُهم أنَّه ليسَ سوى مُصلِحٍ طامحٍ للمُلك[2].

لمْ يقِف الظلمُ والحَيفُ على نبيِّ الأمَّة فقط، بل تعدَّاهُ إلى أهلِ بيتهِ وفي مُقدَّمتِهم فاطمةُ الزَّهراء (سلام الله عليها)، فنالها منَ الظُّلم الكثيرِ في سطورِ بعضِ المُستَشرقين الذين تأثَّروا بالروايةِ الأمويَّة والعبَّاسيَّة، أو مَن جنَّد قلمَه وعلمَه لحربٍ صَليبيَّةٍ كانت

(١) والغريب أنَّ غوستاف لوبون حين نفى تهمةَ الصرعِ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، اتهَّمه بالهَوَس، وهذا أمرٌ غريبٌ. ينظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسَّسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م: ١٣٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ١٢٤.

بسلاحِ العلمِ والقَلم، دونَ أدنى علميَّةٍ أو حِياديَّةٍ كان مَن المُفتَرضِ أنْ يتحلَّى بها هؤلاء الذين صدَّعوا رؤوسَ العلماء بالمَنهجيَّة والحياديَّة والتجرُّد منَ الميولِ والهوى، دونَ أدنى تطبيقٍ في نتاجاتِهم، كما سيتَّضح في سطورِ هذا البحث.

المبحثُ الأوَّل

لامنس وكتابُه (فاطمة وبنات محمَّد، ملاحظات نقديَّة لدراسة السيرة)[١]

لامنس هو راهبٌ بلجيكيٌّ (١٨٦٢-١٩٣٧م)، كان مُبشِّرًا وناشِطًا في مجال التبشير، ومُتأثِّرًا بالمُستشرق الإيطاليّ (ليوني كاتيان) صاحبِ كتاب (حوليَّات الإسلام)، لكنَّه تجاوز قدوتَه في النَيلِ منَ الإسلام وقرآنِه ونبيِّه، وَعُدَّ أنموذجًا سيِّئا للاستشراق، فقد اصطبغَتْ كتاباتُه بنَفَسِهِ التبشيريّ الذي اضطرَّهُ للنَّيل منَ الإسلام بعيدًا عنِ المنهجيَّة العلميَّة المُحايدة، فقد كانَ هدفُهُ نقلَ صورةٍ سيِّئةٍ مُشوَّهةٍ عن الإسلام، وكلِّ ما يتعلق به، وقد انماز بعلميَّته وتبحُّرِهِ وتمكُّنِه منَ اللغة والأدب والتاريخ، وكان غزيرًا في إنتاجه الذي وصل إلى اكثرِ من (١٨٥) مقالًا، و(٢٧) كتابًا بالعربيَّة[٢].

(١) لم يوافق الفاتيكان في حينه على طباعة الكتاب، لكنَّه طُبع سنة ٢٠٠٧ عن دار التبشير في لبنان، وتوقَّف نشره بعد حين. وصدرتْ مُصنَّفاتٌ كثيرةٌ لباحثين ومُفكِّرين أوربيِّين مِن مُستشرِقين وأكاديميِّين تحمل عنواناتٍ قريبةً جدًّا من عنوان كتاب لامنس منها (فاطمةُ بنتُ محمَّد) لون دهسن، و(فاطمةُ سلامُ الله عليها بنتُ مُحَمَّد تغيِّر شخصيةُ المرأة في الإسلام المُبكِّر) لبربل باينهاور، و(فاطمةُ سلامُ الله عليها بنتُ محمَّد) لكريستوفر كلوهسي، و(فاطمةُ سلامُ الله عليها بنتُ مُحَمَّد) لملاني تريكسلر، و(آخرُ أيَّام فاطمة سلامُ الله عليها بنتُ محمَّد) لمارغوليوث ديفيد صاموئيل، و(فاطمةُ سلامُ الله عليها بنتُ محمَّد في موسوعة الدين) لجين دمن مك أوليف، و(فاطمةُ سلامُ الله عليها بنتُ محمَّد في موسوعة أُكسفورد للنساء في تاريخ العالم) لسيمونتا كالدريني.

(٢) ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م: ١/ ٢١١.

لقد توزَّعت نتاجاتُه على مَجموعتَين؛ الأولى اختصَّت بالسيرةِ النبويَّة، والثانية اختصَّت بالدولة الأمويَّة ونشوئها، وسنُلاحظ مِن مصنَّفات المجموعةِ الأولى والمَجموعة الثانية سعة اطِّلاعه، وتبحُّره في التاريخِ الإسلاميّ، والسيرةِ النبويَّة على وجهِ الخصوص، ومِن نتاجاتِه في المجموعة الأولى:

١. مَهدُ الأسلام، ١٩١٤م.
٢. مكَّة عَشيَّةَ الهجرة، ١٩٢٤م.
٣. مدينةُ الطائف العربية عَشيَّةَ الهجرة، ١٩٢٢م.
٤. غربي الجزيرة العربيَّة قبلَ الهجرة، ١٩٢٨م.
٥. المَعابد قبلَ الإسلام في غربِ الجزيرة العربيَّة قبلَ الهجرة.
٦. القرآنُ والسنَّةُ كيف ألَّفتْ حياةً مُحمد، ١٩١٠م.
٧. هل كانَ محمَّدٌ نبيًّا، ١٩١١م.
٨. عصرُ محمَّدٍ وتاريخ السيرة، ١٩١١م.
٩. فاطمةُ وبناتُ محمَّد، تعليقاتٌ نقديَّةٌ لدراسةِ السيرة، ١٩١٢م.
١٠. الحكومةُ الثلاثيَّة منْ أبي بكرٍ وعُمر وأبي عُبيدة، ١٩٠٩م.

ومِن نتاجاتِ المجموعةِ الثانية المُتعلِّقة بالدولةِ الأُمويَّة:

١. دراساتٌ عن الحُكم الأمويّ، معاوية الأوَّل، ١٩٠٧م.
٢. خلافةُ يزيد الأوَّل، ١٩٢١م.
٣. زيادُ ابن أبيه والي العراق ونائبُ معاوية الأوَّل، ١٩١٢م.
٤. معاويةُ الثاني، آخر السفيانيِّين.
٥. دراساتٌ عن العَهد الأمويّ، ١٩٣٠.

٦. مجيءُ المروانيِّين وخلافةُ مروان الأوَّل.

٧. دراساتٌ في الإسلامِ وتاريخُ سوريَّة[١].

مِمَّا تقدَّم استنتجَ الباحثون أمورًا منها سعة إطِّلاعه وخلفيَّته الموسوعيَّة، ونقمته على شخصِ رسولِ الله، ودعوته بالتَحريف والتأويل المُخالف لِما هو مألوف، وتحيُّزه للأمويِّين دَفَعهُ إلى تسويغ كلِّ ما قاموا به مِن جرائم ضدَّ رسولِ الله وأهلِ بيتِهِ الكرام، في المجموعة الأولى صبَّ حقدَه الدفين على الرسول الكريم وآله، وفي الثانية مجَّد الأمويِّين ودافع عنْهم دفاعًا مُستَميتًا، وفي كلتَيهما افتقد النزاهةَ والدقَّة والعدالة في نقل النصوص، طغَت السطحيَّةُ على معظم مؤلَّفاته، بعيدًا عن الروح العلميَّة، ومُبديًا كراهيةً للإسلام ونبيِّه وكتابه، على الرغم مِن زعمه أنَّه اعتمد القرآنَ الكريم في ما يتعلَّق بالسيرة النبويَّة، وفي تسويغٍ يفضَح تحاملَه وتعصبُّه، حين يقول: إنَّ كتبَ الأحاديث كلَّها موضوعة مِن أجلِ تمجيد محمَّد[٢].

لم يكُن لامنس ظاهرةً جديدةً في تاريخ التحريف الاستشراقيّ للسيرة النبويَّة، بل هناك الكثير ممَّن شابهه في حقده وعصبيَّته وتحيُّزه، يُعَدُّ مِن أتباع المستشرق (كيتاني)، فقد كرَّر تخرُّصاته، وهذا الأخير كرَّر ما تقوَّلَه مَن سبقه فيما يتعلَّق بنبوَّة النبيِّ محمَّد وتأليفه للقرآن وقصّة الغرانيق التي اعتمدوها مَن بعض مصادرنا للأسف[٣]، وانتقلت مثل هذه الروايات عبر القرون، وما جاورها مِن آراء، فغدت المصدرَ الأساس لكثيرٍ مِن المستشرقين، لاسيَّما حين تعسَّف بعضهم تعسُّفًا أبعدهم عنِ الموضوعيَّة والمنهج العلميّ المُحايد الدقيق، فزعَموا أنَّ القرآنَ نسيجٌ من الخرافات، وأنَّ الوحيَ مجموعةٌ منَ

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ١/ ٢١٣.

(٢) ينظر: حياة محمَّد، محمَّد حسين هيكل، ١٩٨٣م: ٣٣٦.

(٣) للمزيد من الاطِّلاع حول هذه الإشكاليَّة التي أوْردَها صاحبُ الطبقات، ينظر: الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد، تحقيق محمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م: ١/ ١٧٤

البِدع[1]، بعيدًا عنِ المُتواتر والمنطقيّ والصواب، ولم يتخلَّص مِن هذه الأوهام حتَّى مَن عُرِف بالاعتدال والإنصاف[2].

كتابُ فاطمةَ وبنات محمَّد أوجز فيه لامنس كُتُبَه ومقالاتِه المذكورة آنفًا؛ لأنَّه جمع فيه حقدَه وبغضَه للنبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله من جهةٍ، وانحيازه للأمويِّين مِن جهة أُخرى، تحامَل فيه تحامُلًا حاقِدًا يُمثِّل إمتدادًا للخطِّ الأُمويّ إلى الحدِّ الذي امتنعَ فيه الفاتيكان عن طبعِ هذا الكتاب في حينه.

مثَّل هذا الكتاب مُلخَّصًا للمحوَرين اللذين أُلِّف فيهما ؛ الأوَّل أظهر فيه بغضَه لآلِ محمَّد، والآخر أوضحَ فيه نَفَسَه الانحيازيّ لبني أُميَّة، بُغضًا برسول الله وآله، وليس بجديد هذا الأمر إذا ما تذكَّرنا مَن سبقه من المُتقدِّمين والمُتأخِّرين، فقد سبقه (يوحنَّا المشرقيّ (ت١٣٢هـ)، وعبد المسيح بن إسحاق، بل سبقه المسيح بن إسحاق الكنديّ، وكرَّر ادِّعاءاتهما أنَّ نُبوَّة محمَّدٍ كاذبةٌ.

لقد مثَّل ماسنيون مِصداقًا مِن ظاهرةِ الحرب الصليبيَّة الفكريَّة التي سبقتْه، وتبعهُ فيها كثيرٌ من أشباهه، وردَّدوا مرويَّاتٍ آحاد وضعيفة وردَت مُخالفة للمُتواتر مِن تراث المسلمين، واتَّبعوا من المصادر ما شذَّ، فقد اعتمد مثيلُه (مَتِّي)[3] كتاب (بقايا الفرق الباطنيَّة في لواء الموصل) الذي ألَّفه عبد المنعم الغلَّاب سنة ١٩٥٠، وهكذا فعل (كلير)[4] حين تحدَّث عن إضافاتٍ إلى القرآن الكريم.

(١) ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنيَّة، د. محمَّد حسين الصغير، دار المؤرِّخ العربيّ، ١٩٩٩م: ١٦.
(٢) ينظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون: ١٣٣.
(٣) ينظر: موسوعة المستشرقين: ١/ ٢٥٤.
(٤) ينظر: التشيُّع الاستشراق، د.عبد الجبَّار ناجي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١: ٥٥.

غير أنَّ هذا لا ينفي وجود آخرين مُنْصفين تحرَّوا المعلومةَ من مصدرٍ موثوق، فالمُستشرق الألمانيّ (فرانك)[١]، حين درس دورَ المجتهد في التشيُّع، اعتمد رسالةً شيعيَّة خالصةً، حصل عليها خلال التقائه بأحد العلماء البارزين[٢]، فأدْخل معلومات توافرت لهُ مِن علاقاته الشخصيَّة مع العلماء الشيعة الذين تعلَّق الأمرُ بهم، ولم ينقل عن غرمائِهم وخصومهم، كما فعل ماسنيون في حديثه عنِ الرسول وأهلِ البيت (صلوات الله عليهم)؛ إذْ كانت جلُّ مصادره مِن خصومهم الأمويِّين والعبَّاسيِّين.

لم يقِف الأمرُ عند لامنس ومَن شابهه في خطِّه الصليبيّ عند هذا الحدِّ، وإنَّما وصل بهم الأمرُ إلى امتحان المَتن امتحانًا لا يقوم على قواعد منهجيَّة، وليِّ ذراع النصِّ وتطويعه إلى افتراضاتٍ رسموها وابتغوا الوصل إليها، ولتسويغ صحَّة تلك الافتراضات المُخالفة للمشهور[٣]، بل تعدَّوا ذلك إلى اعتبار القرآن نسيجًا من الخرافات، وبأنَّ الوحيَ مجموعةٌ مِن البِدَع[٤].

استمرَّ هؤلاء بوصف القرآن والوحي بالسِّحر الذي مارسه الرسولُ، وبعد أنْ فشلَ في الوصول إلى كرسيِّ البابويَّة؛ اخترع دينًا جديدا ليَنتَقم من زملائه[٥]، هكذا تعسَّف الكثيرُ منهم تعسفا أبعدهم عن الموضوعية والمنهج العلميّ الدقيق والمُحايد، ولم تكن هذه التقوُّلات بجديدة صدرت عن هؤلاء، وإنَّما لها جذورها القديمة، وما كان منهم إلَّا الإعادة والتكرار ليس إلَّا، فلم يأتِ بجديد، فقد كرَّر مقولاتِ مَن سبقه، فهذا يوحنَّا المشرقيّ (ت١٣٢هـ) يرى نبوَّةَ النبيِّ محمَّدﷺ كاذبةً، وأنَّ القرآن

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين: ١/ ٢٥٦.
(٢) ينظر: ينظر التشيُّع والاستشراق: ١٦٢م.
(٣) ينظر: القراءات واللهجات: ٢٠٢.
(٤) ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنيَّة: ١٦.
(٥) ينظر: موسوعة المستشرقين: ١/ ٢٦١.

منحولٌ بشهواتٍ جنسيَّةٍ، وأخذ النبيُّ معظمَه مِن (بحيرا)، وأنَّ الإسلامَ انتشرَ بحدِّ السيف(١).

وهكذا قال (عبدُ المسيح بن إسحق الكنديّ)، فقد صوَّر النبيَّ عاشقًا للنساء، وقاتِلًا، والعياذ بالله(٢)، ولم يكُن لامنس وحده مَن تأثَّر بهذا الإرْث المُتحامِل، فقد فعلَ الأمرَ نفسه المُستشرق الإنكليزيّ (وليام موير) ١٩٠٥م، وقد كان ناشِطًا في مجالِ التبشير في الهند، فألَّف كتابًا في حياة النبيِّ محمَّد، استجابةً لطلبِ أحَد المُبشِّرين، فدوَّن التُهمَ القديمة نفسها التي نُسِبَت إلى النبيِّ والقرآن والإسلام(٣)، وقد عُرف لامنس وموير، بأنَّهما مِن أشدِّ المُتحاملين على الإسلام، وتهمة الغرانيق(٤).

وانتقلت هذه الافتراءات وتردَّدت في عصرِ النهضة، والمُتعلِّقة بالصَّرَع والوحي، والسيف ونشر الإسلام، والنبيِّ وعشق النساء(٥)، فقد كتب (فولتير) مسرحية (التعصب، أو محمَّد النبيّ) سنة ١٩٤٢م، وأهداها إلى البابا بنوان الرابع عشر للردِّ على صاحب الديانة الكاذبة والمتوحِّشة، قاصدًا به نبيَّ الرحمة محمَّدًا صلى الله عليه وآله(٦).

(١) ينظر: المستشرقون والدراسات القرآنيَّة: ١/ ٤٧.
(٢) ينظر: المصدر السابق: ١/ ٥٢.
(٣) ينظر: نقد مقدمات الأب لامنس النقديَّة لكتاب السيرةِ النبويَّة، حسن بزاينيَّة، مجلَّة دراسات استشراقيَّة، العدد ١١، السنة الرابعة، ٢٠١٧م: ١٢٤.
(٤) قصَّةُ الغرانيق التي تتضمَّن أنَّ الشيطان خدعَ النبيَّ، ونزل عليه بهيأة جبريل، فأدخلَ مِن وساوسهِ في كتاب الله ما ليس منه، وهو يُصلِّي في الناس بمكَّة، وهي رواية ضعيفة السند، ومردودة؛ لاستحالةِ التقاء الشيطان برسول الله صلى الله عليه وآله، وحكمَ عليها الألبانيّ بعدَم صحَّتها، وأجمعَ العلماءُ على عدمِ صحَّتها، ولتفاصيل هذه القصَّة ينظر: الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد: ١/ ١٧٤-١٧٦.
(٥) ينظر: موسوعة المستشرقين: ١/ ٢٥٦.
(٦) مسرحية مِن خمسة فصول كتبَها المسرحيُّ فولتير (١٧٣٦م)، وعُرِضت للمرَّة الأولى في مدينة ليل الفرنسيَّة في ٢٥ أبريل عام ١٧٤١م.

حينَ كتب لامنس عن النبيّ المصطفى وعترته، استَحضر معَه أمرَين؛ مشاعرَه التي حرَّكها تحيُّزُه المُفرط للأمويِّين مِن جهة، ونزعته التبشيريَّة الحاقدة والمُستحضرة لنوايا مُسبقة بعيدة عن المنهجيَّة العلميَّة العادلة مِن جهةٍ أُخرى، وعلى الرغم مِن علميَّته المَشهودة، غيرَ أنَّنا نستطيع أنْ نُصنِّفه مِن مجموعة المُستشرقين المُنحازين، كما سيتبيَّن في هذه الدراسة.

بدأ الطعنُ بالزَّهراء بدايةً مِن الطعنِ بأبيها صلواتُ الله عليه، وحين صدر كتابُه (هل كان محمَّد نبيًّا)، لم تُوافق إدارة الفاتيكان على طبعه؛ لِما فيه من تخرُّصات قد تُؤدِّي إلى اعتراض الأمم الإسلاميَّة؛ لِما فيه منَ الطعن بالنبيِّ (صلوات الله عليه وآله)، فهو كتابٌ فيه مِن الافتراء والسُّخرية والمشاعر العدائيَّة ما يُخرجه عن صفةِ الباحث المُحايد والباحث عن الحقيقة، كانَ لامنس امتدادًا للخطِّ الاستشراقيّ التبشيريّ الذي مثَّله كثيرٌ من المُستشرقين، أمثال المُستشرق المِجري (غولدستر) في كتابه (دراسات محمَّديَّة)، الذي صدرَ عام ١٨٨١م، والإيطالي (ليوني كيتاني) الذي كتبَ في حوليَّات الإسلام، فكرَّر لامنس الافتراءات القديمة التي تحدَّثت في أكذوبةِ القرآن وافتراء النبوَّة، والسيفِ وانتشار الإسلام، وحبِّ النبي للنساء على حدِّ زعمهم، وهي افتراءاتٌ لها جذرٌ قديمٌ في المَوروث التاريخيّ الصليبيّ، فقد سبقهُم (يوحنَّا المشرقيّ) (ت١٣٢هـ)، كما روى جواد عليّ حين استعرضَ تلك الافتراءات المُتعلِّقة بالقرآن المَنحول، وشهوات النبيِّ الجنسيَّة، وكيف أنَّه تلقَّى القرآنَ مِن (بحيرا) الكاهن[1]، والتي ذكرها أخيرًا الكاتبُ المُرتَد سلمان رشدي في كتابهِ سيِّء الصيت (آيات شيطانيَّة).

وكذلك (متِّي موسى) الأمريكي الذي أخذَ عن (وليم الصوريّ)[2] بعضَ

(١) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام السيرة النبويَّة، واد علي، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٨م: ٢٦.

(٢) وليم الصوريّ كان رأيُه بالعقيدة الشيعيَّة مَبنيًّا على معلوماتٍ خاطئةٍ وبسيطة، مِن خلال=

التخريفات، فقدَّمها في كتابه (الشيعة المُتطرِّفون الغلاة)، تحدَّث في فصلٍ خاصٍّ بالنبيّ عنْ عليٍّ وفاطمة عليهما السلام بإجحافٍ كبير، وقدْ استند إلى معلوماتِ ابن بابويه في كتابه (علل الشرائع)، ودوَّن (متِّي) روايات أراد بها ضرب الإسلام، ويُعتبر مِن كتَّاب الحروب الصليبيَّة، فقد اعتمد أيضا كتابَ (بقايا الفرق الباطنيَّة في لواء الموصل)، الذي ألَّفه عبد المنعم الغلَّاب سنة ١٩٥٠م، وهو كتابٌ مُنحازٌ مليءٌ بالمُغالطات والتَّهجُّم، والمُستشرق المُبشِّر الدومينكانيّ (ريكولدوري مونتي)، الذي زار بغداد والتقى بأحد علماء الطائفة الأخرى، فدوَّن عنه معلوماتٍ عن التشيُّع لا تخلو من تحريفٍ ودسٍّ كبيرَين[١]، ولم يكن ببعيدٍ عن مصادرنا التي كانت في مكتبات علمائِنا في بغداد، ومثلهما فعل المُستشرق الفرنسي (لاوسن)؛ فقد كتب عن (مكانة أو دور عليّ في السيرة الشيعيَّة)، ركَّز فيه على المعلومات التي وفَّرتها لهُ كتبُ الطائفة الأخرى[٢]، من دونَ الرجوع إلى مصادر شيعيَّة، وهذا خطأٌ منهجيٌّ ظاهر.

شابَ ذلك كلَّه اتِّباع منهجيَّة مُضلِّلة اعتمدت رواياتٍ آحاد مبتورة، مع ليٍّ عنقِ كثير من الروايات التي أرادوا تثبيتها وترسيخها في الأذهان، وهي رواياتٌ مردودةٌ ومنافيةٌ لما تواتر في التاريخ الإسلاميّ، تدوينٌ اعتمد الانتقائيَّةَ والتشويهَ، والبترَ، والتأويلَ، والنحلَ، ولعلَّ السبب الأكبر يعود إلى اعتمادهم على مصادر تَميل في الأغلب إلى الأُمويِّين والعبَّاسيِّين؛ فقد أخذوا عن الواقديّ المعروف بميله للعبَّاسيِّين؛ حيث تولَّى قضاءَ الجانب الغربيّ من بغداد حتَّى وفاته سنة ٢٠٧م[٣]، وقد وقف منهُ علماء الحديث

=عرضهِ لحقيقة الإسلام، ويرى أنَّ الشيعةَ ترى في الإمام عليّ النبيَّ الحقّ، وإنَّ جبريلَ توهَّم في تسليمِ الرسالة والعياذ بالله. ينظر: التشيُّع والاستشراق: ٣٦٤.

(١) ينظر:. موسوعة المستشرقين: ١/ ٢٧٤.

(٢) ينظر: التشيع والاستشراق: ٤٠١.

(٣) ينظر: تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبيّ (ت٢٩٢هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ: ٣/ ٤.

وأئمَّته موقفًا سلبيًّا، فطعنَ فيه الشافعيّ، واتَّهمه أحمد بن حنبل بالكذب، بقوله: «كان ينسب الأحاديثَ الشريفة إلى غيرِ رواتها تارةً، وبالكذب تارةً أُخرى»[١].

ابتعد أغلبُ المُستشرقين مِن أمثال لامنس عنِ المصادر التي هيَ أقرب للحديث، مثل (المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردَّة) لابن عثمان المتوفَّى حوالي (١٧٠هـ)، و(المبتدأ والمبعث والمغازي سيرة ابن إسحق) لمحمَّد بن إسحق بن يسار (ت١٥١هـ)، و(فضائل أمير المؤمنين) للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ).

غير أنَّ هذا لا ينفي جهودًا لمستشرقين عارضوا هذا الخطَّ، وردُّوا عليه بروحٍ علميَّةٍ حياديَّةٍ منهجيَّةٍ عادلةٍ؛ وفي مُقدَّمتهم (جان ديون ادوارد) صاحب كتاب (الاعتذار، محمَّد والقرآن)، فقد أنصفَ فيه النبيَّ المصطفى، وردَّ كثيرًا من الاتِّهامات التي سجَّلها زملاؤُه مِن المستشرقين، وكان مُنصِفًا في نظرته للتوراة والإنجيل، حين انتقدهما في كثيرٍ من المواضع التي خالفت فيها القرآنَ الكريم[٢].

ومنهم المُستشرق (توماس كارليل) الذي كان موضوعيًّا في كتابه (الأبطال)؛ وهو عبارة عن محاضرات ألقاها سنة ١٨٤٠م، تعرَّض في الثانية منها إلى النبيِّ محمَّدﷺ تحت عنوان (البطل نبيًّا)، وقد ترجمها محمَّد السباعيّ[٣]، وكان (تولستوي) على النقيض من (فولتير) حين كتب عنِ النبيّ صلوات الله عليه وعلى آله.

ومنهم المُستشرقة (لندل) التي تعرَّضت لموقف لامنس المُبغِض والسَّلبي مِن رسول الله وآله، ثمَّ اعتمدتْ على ردِّ (فيشا فاجيليري) المُستشرقة الإيطاليَّة في كتابها

(١) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٥٢: ٨/ ٢٠. وينظر: ضعفاء العقيليّ، محمَّد بن عمرو بن حماد العقيليّ، تحقيق عبد المعطي أمين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٤م: ٤/ ١٠٨م.

(٢) صدر هذا الكتاب سنة ١٣٧٥ هجرية عن مطبعة الإقبال في طهران، وقد ترجمه عبَّاس الخليليّ، وأعيد طبعه عدَّة مرَّات.

(٣) ينظر: الأبطال، ترجمة محمَّد السباعي، المطبعة المصريَّة، ط٣، ١٩٣٠م.

(فاطمة للتاريخ)[1]، فقد اعتمدت مصادرَ لمؤلِّفين أقرب للواقعيَّة من أمثال الواقديّ، وابن سعد، والبلاذريّ، مثلما أخذت مصادرَ الشيعة أنفسهم لتكون موضوعيَّة أكثر، مثل (بحار الأنوار) وغيرها من المصادر، وقدَّمت (فاجيليري) في بحثها (عليّ بن أبي طالب) معالجاتٍ موضوعيةً لكثيرٍ مِن تقَوُّلات المُستشرقين، حين اعتمدت مصادر أساسيَّة متنوِّعة[2].

وكان للمستشرق البريطاني (مارشال هود جبسون) موقفٌ متميِّزٌ في كتابه (مغامرة الإسلام) المطبوع في شيكاغو عام ١٩٧٤م، فقد رأى أنَّ المُستشرقين يتوجَّب عليهم أنْ يعيدوا النَّظرَ في طروحاتهم التي اعتمدوا فيها على مؤلَّفات ابنِ حزم الظاهريّ، والشهرستانيّ، والمقريزيّ، أولئك الذين نظروا إلى التشيُّع بمنظارِ الهرطقة[3].

كذلك الحال مع المُستشرق المُبشِّر (دوايت دونالسون) الذي كان أكثر انصافًا مِن كثير منَ المُبشِّرين في كتابه (الديانة الشيعيَّة)، حينَ وقف عند سيرة الحَسن والحسين عليهما السلام في فصلٍ خاصٍّ بهما، واعتمد مسند أحمد، والعلَّامة الشيخ الكلينيّ في كتابه (أصول الكافي)، فضلًا عن تاريخ اليعقوبيّ، وأبي حنيفة الدينوريّ، وصحيح البخاريّ، وما ورد عن المسعوديّ[4].

(١) ينظر: التشيع والاستشراق: ٣٧٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٩.

المبحثُ الثاني

مَظلوميَّة الزَّهراء في كتابِ هنري لامنس (فاطمة وبنات محمَّد)

كانت الزَّهراءُ عليها السلام محلَّ اهتمام الباحثين والمُفكِّرين مِن المُسلمين وغيرهم مُنذ عهدٍ مُبكِّر، بغضِّ النظر عن نوايا أصحاب تلك الدراسات التي توزَّعت بينَ مَضامين نافعة، وهي الأغلب، وتلك التي جاء بها أصحابُها لنوايا مُبيَّتة ومسبوقة، بينَ دراساتٍ مُحايدةٍ علميَّةٍ ومنهجيّة، وأُخرى مُتطرِّفة ومُغرِضة، رُبَّما تعود أسبابُها إلى عدمِ معرفةِ المصادر والأصول التاريخيَّة، أو القصديَّة التي أراد بعضهم الوصول إليها عبر هذه الأعمال، وقد قام بعضُ الباحثين باستقصاء وفهرسةِ الإنجازات التي تناولت حياتَها، وأبعادَ شخصيَّتها، وما يتعلَّق بها عليها السلام من مقالاتٍ وكُتبٍ وفهارسَ، ولاسيَّما ما يتعلَّق بالغربيِّين والدراسات الصادرة باللغات الأوربيَّة، مِمَّا لا يدع المجالَ مُتاحًا أمام مَن يُخالف هذا الإجماع على الخطوط العامَّة التي افتضَح بمخالفتها البعضُ، ومنهم لامنس، حين خالفها، وغرَّد خارج السرب، مِن غير أدلَّة تدعمُ ما ذهب إليه هو وأمثاله، ومنها ما صدر بعنوان (فهرسة كتابات الغربيِّين حولَ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام)[1]، فقد رصد الباحثان ما صدر مِن كتاباتٍ بحقِّها عليها السلام باللغات الأوربيَّة منذ عام ١٩١٢م إلى يومنا، على اختلاف النسخ المطبوعة والإلكترونيَّة، بما يشمل (٥٣) عنوانًا من الكتب أو الفصول المستقلة.

(١) ينظر: صدر عن دراسات استشراقيَّة، رضا ياري تيا والسيِّد مصطفى المطهَّريّ، العدد١٣، لسنة ٢٠١٨م.

ومِن ملامحِ مظلوميَّتها عندَ لامنس في كتابه المُشار إليه:

بدأتْ مظلوميَّتها مع لامنس في كتابهِ هذا قبل ولادتِها بإشاراتٍ خبيثةٍ، مثل قوله: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله تزوَّج خديجة وهي شيخةٌ كبيرةٌ[1]، وقد ردَّ هاشم جعيط على مثلِ هذه الشُبهة بقوله: «كيفَ ولدت وهيَ عجوزٌ ولم يرَ المسلمون ذلك مُعجزةً»[2]، وهي حجَّةٌ عقليَّةٌ علميَّةٌ منطقيَّةٌ. إنَّها إشارةٌ خبيثةٌ أراد بها لامنس الطعنَ بخديجةَ الكُبرى عليها السلام، هي روايةٌ ضعيفةٌ مُضَلِّلة[3]، أراد أنْ يُثبت بزواجِ النبيِّ أنَّه أبتر، في حين أكَّد القرآنُ الكريمُ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[4]، ويدَّعي أنَّ السيرةَ النبويةَ اختلقت للنبيِّ أبناءً مثل «الطاهر والطيِّب وإبراهيم»[5]، وإنَّ السيرةَ النبويَّة ضاعفت بناته لدفعِ شبهَة أنَّه أبتر[6]، يحُاول أنْ يتَّخذ الشكَّ أساسًا للرواية، وهذا ما يُخالف النقدَ التاريخيّ الغربيّ، في حين «أنَّ الشكَّ الإخباريّ يجب أنْ يَستند إلى وجود تلفيقٍ مُغرضٍ، أو تناقضٍ داخليٍّ بينَ الروايات»[7]، وسبقَ لواط أنْ ساقَ ملاحظةَ نولدكة حولَ أهمال لامنس الَّتي تتَّسم بالإسرافِ في الشكِّ[8].

تعودُ مظلوميتُها عليها السلام إلى جذورِ حركةِ التأليف الأُولى في السيرةِ النبويَّة عند كثيرٍ مِن المُصنِّفين، كابنِ حزم، والواقديّ، وابنِ قتيبة والبلاذريّ، وكما هو الحال عند ابن هشام، ابن عبد البرِّ، وابن الأثير، وابن حجر، ثمَّ امتدَّ هذا النَّيلُ إلى زوجِ البتول الإمام عليّ عليه السلام، حين تطرَّق إلى زواجِها بدأ التحريف الجليّ، فقد ظلَّ عليّ مُتردِّدًا في منافسة خُطَّابها ذوي

(١) ينظر: فاطمة وبنات محمَّد: ٧.
(٢) ينظر: الوحي والقرآن ومحمَّد، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، ط٢: ١١٥.
(٣) ينظر: حياة محمَّد، محمَّد حسين هيكل: ١٤٧.
(٤) ينظر: سورة الكوثر: ٣.
(٥) ينظر: فاطمة وبنات محمَّد: ٨.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩.
(٧) ينظر: نقد مقدِّمات الأب لامنس النقديَّة لكتاب السيرة النبويَّة، حسن بزاينية: ٤٦.
(٨) ينظر:المصدر نفسه: ٤٧.

الجاه والحظوة، غير أنَّ أباها صلوات الله عليه، ولأنَّ بيوتَ خطَّابها تعجُّ بالنساء وحريمٍ أُخْريات، لذلك كره أنْ يضَع ابنتَه قليلةَ الخبرة في تلك الأوساط الصاخبة[١].

كان عليٌّ عليه السلام عند لامنس خاملَ الذِّكر مِن بينِ الصحابة، وكان اختيار رسول الله صلى الله عليه وآله له زوجًا لابنتهِ؛ لأنَّه لا يُجيِّد الزواجَ الثاني والثالث، ويكفي ردًّا على هذه التقوُّلات ما تواتر مِن زواجه منها (سلام الله عليها) منذ وقتٍ مُبكّر، وأنَّ زواجَه منها كان معروفًا، وبالتفاصيل التي أوردتْها مصادرُ التاريخ المتواتر بينَ المسلمين[٢]، وذهب إلى أبعدَ مِن ذلك لـمَّا زعم أنَّ الصحابةَ لم يأبَهوا أنْ يكونوا أصهارًا للنبيّ[٣]، وفي ذلك حطٌّ مِن شأنها وشأنِ رسول الله صلى الله عليه وآله.

بهذا جَانَبَ لامنس الصوابَ بعمديَّةٍ ظاهرةٍ جليَّة انفرد فيها تقريبًا، وقامت المُستشرقةُ الكنديَّة (ليندا كلارك)، بالاشتراك مع البروفيسور محمود أيُّوب، بترجمةِ إعلام الورى بأعلام الهدى للعلَّامة الطبريّ، ومِن المُتيقَّن أنَّ هذا التاريخ وغيره منَ المُصنَّفات لم تكُن بعيدةً عن لامنس وعلميَّته، وإتقانه للغة وآدابها، ومصنَّفات التاريخ الرئيسة[٤].

لم تكُن المعلومةُ المتواترةُ والصحيحةُ بعيدةً عن غيره مِن المُستشرقين، لكنَّه غضَّ الطَّرفَ عنها تعمُّدًا؛ ليعتمد غيرَها ممَّا ينال مِنها، ومِن بعلها وأبيها، والدليلُ على ذلك ما مرَّ مِن ذِكر للمستشرقة الكنديَّة (ليندا كلارك)، بالاشتراك مع البروفيسور محمود أيُّوب في كتاب (إشعاعات النور)، وماسطَّرته المُستشرقة الإيطاليَّة (فاجيليري) في

(١) ينظر: بنات محمَّد: ٥٣.

(٢) ينظر على سبيل المثال: الطبقات الكبرى، ١٩٩٠م: ٨/ ١٩، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السَّلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١/ ١٥٦.

(٣) ينظر: فاطمة وبنات محمَّد: ٤٤.

(٤) ينظر: صدر هذا الكتاب بعنوان (إشعاعات النور، محمَّد النبيّ وفاطمة المشعَّة) عن دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.

بحثها المُفصَّل في دائرة المعارف الإسلاميَّة، تناولا فيه ولادتَها وطفولتَها ورحلتَها مِن مكَّة إلى المدينة، وخطبتَها وزواجَها وأحوالَها بعدَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وسلبَ فَدَكٍ منها، في لوحةٍ تعكسُ واقعَها الحقيقيّ المُتواتر عند المسلمين، بعيدًا عَمَّا شذَّ مِن الروايات التي ذكرها لامنس ومَن لفَّ لفَّه، وأهميَّتها في التاريخ الإسلاميّ، فقد وردَ في الطبقات «أنَّ أبا بكر خطبَ فاطمةَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال له: يا أبا بكر إنِّي أنتظرُ بها القضاء، فذكر ذلك لعمر، فقال له عُمر: ردَّك يا أبا بكر، ثمَّ قال إنَّ أبا بكر قال لعُمر: إخطب فاطمةَ إلى النبيِّ، فخطبها فقالَ له مثلما قال لأبي بكر: أنتظر بها القضاء، فجاء عُمر إلى أبي بكر فأخبره، فقال لهُ: لقد ردَّك يا عمر»[1]. وجاء في تذكرة الخواص: «عن أحمد في الفضائل، قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: إنَّها صغيرةٌ وإنِّي أنتظرُ بها القضاء»[2]، وفي المناقب: «اشتهر في الصِّحاح بالأسانيد عن أميرِ المؤمنين عليه السلام، وابن عبَّاس، وابن مسعود، وجابر الأنصاريّ، وأنس ابن مالك، والبراء، وأُم سَلمة، بألفاظٍ مُختلفةٍ، أنَّ أبا بكر وعمر خطبا إلى النبيِّ فاطمةَ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، فردَّهما»[3]

لقد ذكرت مُصنَّفات وبتواترٍ خطبةَ أبي بكرٍ لفاطمةَ ومنها، مجمع الزوائد[4]، وكنز العمَّال[5]، ومُستدرك الحاكم[6]، وسُنن النسائيّ[7]،

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٩.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٧٦.
(٣) المناقب: ٣/ ١٢٢.
(٤) ينظر: مجمع الزوائد، دار المأمون للتراث، عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ، تحقيق حسام الدين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ٢٠١٥م. نقله الهيثمي عن الطبرانيّ: ٩/ ٢٠٤.
(٥) ينظر: كنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق صفوت السقَّا وبكري الحيَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٨م: ١٣/ ١١٤.
(٦) ينظر: المستدرك على الصَّحيحَين، محمَّد بن عبد الله النيسابوريّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٢/ ١٦٧. وقد صحَّحه على شروط الشَّيخَين.
(٧) ينظر: سنن النسائيّ: ٦/ ٦٢.

والسُنن الكُبرى[١]، وطبقات ابن سعد[٢]، وأُسد الغابة[٣].

وفي قبالة ذلك أحاديث مستفيضة تُبيِّن أنَّ تزويج النبيّ الأكرمﷺ لفاطمة مِن عليٍّعليه السلام كان قرارا إلهيًّا، لقولهﷺ: «**اللهُ أمرني أنْ أُزوِّج فاطمةَ لعَلِيٍّ**»، فقد ذكر ذلك الطبرانيّ في معجمه[٤]، والهيثميّ في مجمعه[٥]، ومحبّ الدين الطبريّ في ذخائره[٦]، والمُتَّقي الهنديّ في كنزِ عُمَّالِه[٧]، كما وردَ في الكافي عنِ الإمام الباقرِعليه السلام أَنَّهُ قال: «**قال رسولُ اللهﷺ: إنَّما أنا بشرٌ مثلكم أتزوَّجُ فيكم، وأُزوِّجكم، إلَّا فاطمةَ فإنَّ تزويجَها نزلَ منَ السماء**»[٨]، وكذلك ذكرت مصادر مُستفيضة مُتواترة، فلا يظنُّ عاقلٌ أنَّ لامنس كانَ بعيدًا عن هذه المصادر، معَ ما عُرِفَ به مِن تبَحُّرٍ في العِلم، وسعةٍ في الاطِّلاع.

كما ذهبَ إلى القول في حقِّهاعليها السلام؛ إنَّها شخصيةٌ لا قيمةَ لها[٩]، ووصف بعلَها عليًّا أيضًا بقوله: خاملٌ له ملامحٌ مُضحكةٌ، بطينٌ، يداه صغيرتان، رأسٌ ضخمٌ، وأنفٌ أفطسُ[١٠]، وقد كرَّر الصِّفاتِ الشنيعةَ لأسامة بن زيد، مثلما فعلَ مع عليٍّعليه السلام، من دون أنْ يذكر مصادره، وإنَّ القارىءَ لينذهش منْ هذا التحامل الشنيع، حتَّى قال عنه (رودنسن): «إنَّه مسكونٌ بحقدٍ مُقدَّس على عليٍّ»[١١]. ولامنس حين يستعرض الإمامَ

(١) ينظر: السنن الكبرى: ٣/ ٢٩٥.
(٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ١٩.
(٣) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٣٨٦.
(٤) ينظر: المعجم الكبير، الطبرانيّ: ١/ ١٥٦.
(٥) ينظر: مجمع الزوائد، الهيثميّ: ٦/ ٢٠٤.
(٦) ينظر: ذخائر العقبى، محبُّ الدين الطبريّ: ٣٠-٣١.
(٧) ينظر: كنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ: ١١/ ٦٠٠.
(٨) ينظر: الكافي: ٥/ ٥٦٨.
(٩) ينظر: بنات محمَّد: ١١
(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٥
(١١) ينظر: النبوَّة المحمَّديَّة في الدراسات الاستشراقيَّة، مكسيم رودنسون، ١٩٩٨م، القاهرة: ١١٤.

عليًّا عليه السلام بهذه الصورة، إنَّما يُريد كسرَ هيبة فاطمة الزَّهراء وأبيها (صلوات الله عليهما)، وهنا وقعَ في أقصى درجاتِ التعصُّب في التعامل معَ بيت رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وبذلك يصحُّ أنْ نُسمِّي كتابَه (فاطمة وبنات محمَّد) بمثالب آلِ مُحَمَّد، ولم يكن قولُ لامنس ببَعيدٍ عن قولِ المُستشرق (بودلي) الذي قال: «كانت فاطمةُ عاطلةً عن الجمال، لا شخصيَّةَ قويَّة لها، وكانَ ذكاؤُها فوقَ متوسِّط ذكاء المرأة العربيَّة»(١).

إنَّ هذه الأراجيف تتناقضُ مع النصوص المُتواترة التي أجْمعت على صفاتِ عليٍّ وفاطمة، ومنزلتِهما عند رسول الله، وكيفَ أنَّ الصحابةَ سعَوا جادِّين وبإلحاحٍ كبيرٍ على خطبتِها من رسولِ الله، الذي أبى إلَّا تزويج النور منَ النور، لقد وصفها أبوها رسولُ الله بأمِّ أبيها كما سيتَّضح، وفي هذا القول ما فيه؛ لعظمتها وشخصيَّتها عندَ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آبائه)، وهذه الأقوال لهذَين الرجُلين تناقضُ ما نقله غيرُهما منَ المُستشرِقين الذين اسْتَستقَوا أقوالَهم في عليٍّ وفاطمة ممَّا تواتر مِن صفاتٍ لهُما عُرفا بها، قال المُستشرق (أرفنج): «تمَّ زواج فاطمة.. منَ المؤمن الصالح عليّ بنِ أبي طالب.. على جانبٍ كبيرٍ من الجمال»(٢)، وقال الإمامُ الصادق عليه السلام في حقِّها: «**إنَّ فاطمة إذا قامتْ في محرابها زهَرَ نورُها لأهلِ السماوات والأرض كَما يزهِرُ الكوكبُ الدرِّيُّ لأهلِ الأرض**»(٣)، ولَو لم يكُن لها شأنٌ عظيمٌ، لَما وصفها رسولُ الله، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، بسيِّدة نساء العالمين(٤).

(١) ينظر: الرسول حياة محمَّد، بودلي، ترجمة عبد الحميد الستَّار ومحمَّد محمَّد فرج، القاهرة، ١٩٦٤م: ٢٣٨

(٢) ينظر: حياة محمَّد، أرفنج واستنجنون، ترجمة عليّ حسني الخربوطليّ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠: ١٣٣

(٣) ينظر: بحار الأنوار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، دار إحياء التراث، بيروت: ٤٣/ ١٢. وينظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق السيِّد فضل الله الطباطبائيّ، مكتبة افتخار، قم، ١٤٠١م: ١/ ١٨١.

(٤) ينظر: بحار الأنوار: ٢٩/ ٣٤٥.

ولَو لم تكُن في منزلةٍ ساميةٍ، ما وصفَها النبيُّ الأعظم بسيِّدةِ نساء العالمين، فقد جاء في البخاريّ في بابِ علامات النبوَّة، في الحديث (٣٣٥٣) ما نصَّه «حدَّثنا أبو نعيم، حدثَّنا زكريَّا عن فراس عن عامر عن مَسروق عن عائشة، قالت: أقبلتْ فاطمةُ تمشي كأنَّ مشيتَها مشي النبيّ، فقال النبيُّ: **مرحبًا يا بنيَّتي**. ثمَّ أجلسَها عَن يمينه أو عَن شماله، ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا فبكتْ، فقلتُ لها: **لم تَبكين؟** ثمَّ أسرَّ إليها حديثًا فضحِكت، فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم فرحًا أقربَ مِن حزن، فسألتُها عمَّا قال، فقالت: **ما كنتُ لأفشي سرَّ رسولِ الله**. حتَّى قبضَ اللهُ النبيَّ، فسألتُها، فقالت: **سرَّ إليَّ أبي أنَّ جبريل كان يُعارضني القرآنَ كلَّ عامٍ مرَّةً، وأنَّه عارضني هذا العام مرَّتَين، ولا أراهُ إلَّا حضر أَجَلي، وأنَّكِ أوَّل أهلَ بيتي لِحاقًا بي، فبكيتُ. فقال: أما ترضَيْن أنْ تكوني سيِّدة نساءِ أهل الجنَّة، أو نساء المُؤمنين؟ فضَحِكْتُ لذلك**»[١]، وذكر ذلك مسلم في صحيحه[٢]، وأحمد في مسنده[٣].

ولا يخفى على مُسلم كذلك أنَّ رسولَ اللهﷺ لقَّبها بعدَّة ألقابٍ، ولعلَّ مِن أحبِّها إليه وإليها قولُهﷺ: «**أُمُّ أبيها**»، فهيَ كنايةٌ أطلقهاﷺ تحبُّبًا وتعظيمًا لهاعليها السلام، فقد أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة[٤]، مثلما أورده صاحب المستدرك على الصحيحَين[٥]، وصاحب سير الأعلام[٦]، وفي هذا ما يُفنِّد إدِّعاءَ لامنس بأنهَّا شخصيةٌ لا قيمةَ لها.

(١) صحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠١٨، باب علامات النبوَّة، رقم الحديث (٣٣٥٣).

(٢) ينظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م، باب فضائل الصحابة، فضائل فاطمة بنت النبيّ، رقم الحديث (٤٤٨٧).

(٣) ينظر: مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، ١٩٩٥م، في ذكر مرض الرسول، رقم الحديث (١١٣٣٢).

(٤) ينظر:الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق عادل أحمد عبد وعلي محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٥م: ١٤/ ٨٧.

(٥) ينظر:المستدرك على الصحيحَين: ٣/ ٢٤١، رقم الحديث (٤٧٦٠).

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء، محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وبشار=

أمَّا ما يتعلَّق بعدمِ مبالاة الصحابة، وأنَّهم لم يأبهوا أنْ يكونوا أصهارًا للمصطفى، فهو قولٌ تردُّه الرواياتُ والأخبارُ، كما تبيَّنَ، والتي كشفتْ عنْ سعيِ الصحابة الحثيث لِخطبتِها صلواتُ الله عليها، لا يمكن أنْ نردَّ هذا القولَ إلى عدمِ معرفة لامنس المصادر أو قلَّة الاطِّلاع عليها، فهوَ رجلٌ مُتبحِّرٌ ومُتخصِّصٌ ومُطَّلعٌ على سيرةِ النبيِّ (صلواتُ الله عليه وآبائه). إنَّها آراءٌ صدرت عَن سوءِ نيَّةٍ مُسبقةٍ، وبطريقةٍ خرجت عنِ المنهجيَّة والاعتدال، آراءٌ مُتطرِّفةٌ مُغرضَةٌ، قبل أنْ تكون نتاجَ تحليلٍ خاطىءٍ، فمِن المعلوم أنَّ الثابتَ والمتواتر لا يردُّه إلَّا الأثبتُ والأكثرُ دورانًا في التواتر، والمُسلَّم به في مُصنَّفات السِيَرِ والتاريخ.

الخاتمة

١. تبيَّنَ بعدَ الاطِّلاع على شخصيَّة المُستشرق لامنس، تأثره الكبير بالروحِ التبشيريَّة التي انطلقَ منها، بعيدًا عن الحياديَّة المَنهجيَّة التي يجب أنْ يتحلَّى بها الباحثُ، على الرغم مِن سعةِ علمهِ واطِّلاعه.

٢. لقد كان انتقائيًا في مصادره؛ لإثبات ما يُريد تثبيته بنيَّةٍ مستحضرةٍ مُسبقةٍ، بعيدًا عنِ التحرِّي والاطِّلاع على المصادر التي كانت متوافرة آنذاك، بدليل اعتماد كثيرٍ مِن المُستشرقين المُزامنين لحقبتهِ التي كتبَ فيها بحوثه ودراساته.

٣. اعتمدَ آليَّةً توزَّعت بينَ الانتقائيَّة في اعتمادِ المصدر، وبترٍ وتشويهٍ لمصادر أُخرى تُناقض ادِّعاءاته؛ ليلوي أعناقَ تلك المصادر، ولتصبَّ في جدول آرائهِ وادِّعاءاته، مع التأويل البعيد الذي لا تنهضُ بهِ القرائنُ والدلالات.

=معروف، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٢م: ٢٢/ ١٩٩.

٤. اعتمد كثيرًا منَ الرويات المنحولة والشاذَّة مع وجودِ ما تواتر في ردِّها وتفنيدها، ويذكِرُ أحيانًا بعضَ الروايات من دونَ ذِكر المصادر الَّتي اسْتَسقى منها تلك المعلومات.

٥. اعتمدَ رواياتٍ مُضلِّلَةٍ من دون الوقوف عندها ومناقشتها، كما يفعل مع الروايات التي لا تخدم أفكارَهُ ورُؤاه في كثيرٍ من المواقف، مثلما اعتمد رواياتٍ منحازةً للأمويِّين، على الرغم من شذوذها عن الإجماع الروائيّ.

٦. تأثَّر تأثيرًا كبيرًا بِمَن سبقه مِن القُدماء والمُعاصرين في رؤاه التبشيريَّة المُحاربة للإسلام وكتابه ونبيِّه، فهو في منهجه ينالُ منْ ذلك كلِّه، ولاسيَّما رسول الله وآل بيته، ويُمجِّد الأمويينَ ودولتَهم، في محاولةٍ لدفع كلِّ الفضائل إليهم، ودفع كلِّ ما ذكرت المصادر المستقيضة في ذمِّهم.

٧. أظهر عدائيَّةً وتعصُّبًا لمسيحيَّته، بعيدًا عنِ المنهجيَّة العلميَّةِ العادلة وغير المنحازة، مُنافيًا لقواعد وأصول المنهج العلميّ الرَّصين، القائم على الحياديَّة والتجرُّد، فقد ظهرَ ذلك وفي ظاهرةٍ بارزةٍ، ولذلك انتقد موقفَه الكثيرُ مِن زملائهِ المُستَشرقين الَّذين عاصروه، والذين جاؤا مِن بَعده.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الأبطال، ترجمة محمَّد السباعي، المطبعة المصريَّة، ط٣، ١٩٣٠م.

٢. الاستشراق، ادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسَّسة الأبحاث العربيَّة، بيروت، ١٩٧٨م.

٣. إشعاعات النور، محمَّد النبيّ وفاطمة المشعَّة، عن دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤. الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق عادل أحمد عبد وعليّ محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٥م.

٥. بحار الأنوار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٠م.

٦. تاريخ العرب قبل الإسلام السيرة النبويَّة، جواد عليّ، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٨م.

٧. تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبيّ (ت٢٩٢هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٨. التشيع الاستشراق، د. عبد الجبَّار ناجي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١.

٩. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٥٢.

١٠. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسَّسة هنداوي للنشر والثقافة.

١١. حياة محمَّد، أرفنج واستنجنون، ترجمة عليّ حسني الخربوطليّ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

١٢. الرسول حياة محمَّد، بودلي، ترجمة عبد الحميد الستَّار ومحمَّد محمَّد فرج، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٣. سير أعلام النبلاء، محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وبشَّار معروف، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٢م.

١٤. صحيح البخاريّ، محمَّد ابن إسماعيل البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠١٨.

١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م.

١٦. ضعفاء العقيليّ، د. العقيليّ، تحقيق عبد المعطي أمين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٧. الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد، تحقيق محمَّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٨. الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد، تحقيق محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠م.

١٩. علل الشرائع، أبو جعفر محمَّد بن عليّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق السيِّد فضل الله الطباطبائيّ، مكتبة افتخار، قم، ١٤٠١م.

٢٠. فهرست كتابات الغربيِّين حول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، صدر عن دراسات استشراقيَّة، رضا ياري تيا والسيِّد مصطفى المطهَّري، العدد ١٣، لسنة ٢٠١٨م.

٢١. كنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ، تحقيق صفوت السقَّا وبكري الحيَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٨م.

٢٢. مجمع الزوائد،، عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ، دار المأمون للتراث،، تحقيق حسام الدين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ٢٠١٥م.

٢٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).

٢٤. المستدرَك على الصحيحين، محمَّد بن عبد الله النيسابوريّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٥. المستشرقون والدراسات القرآنيَّة، د. محمَّد حسين الصغير، دار المؤرِّخ العربيّ، ١٩٩٩م.

٢٦. المستشرقون وموقفهم من التراث العربيّ الإسلاميّ، مجموعة باحثين، دار الكفيل للطباعة والنشر، ٢٠١٤م.

٢٧. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، ١٩٩٥م.

٢٨. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢٩. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايِّين، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٠. النبوَّة المحمَّديَّة في الدراسات الاستشراقيَّة، مكسيم رودنسون، ١٩٩٨م، القاهرة.

٣١. نقد مقدِّمات الأب لامنس النقديَّة لكتاب السيرةِ النبويَّة، حسن بزاينية، مجلَّة دراسات استشراقيَّة، العدد ١١، السنة الرابعة، ٢٠١٧م.

٣٢. الوحي والقرآن ومحمَّد، هشام جعيط، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧م، ط٢.

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في التراث الإسلاميّ
قدوة المرأة المؤمنة في كلِّ عصر

أ.د. وجدان فريق عناد

جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلميّ العربيّ

لا تزال المصادر التاريخيَّة المعين الذي لا ينضب، فمن عبَرِها وتجاربها الإنسانيَّة نستمد دروسًا يمكن الإفادة منها في الحاضر والمستقبل، فقد حوت تلك المصادر معلومات عن شخصيَّات تركت بصمة كانت وما زالت مؤثِّرة، فغدت القدوة والمنار الذي تهتدي به الأجيال المتعاقبة، وبذلك حازت سمة الخلود، ومن الذين كانت لهم هذه الكرامة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

الكلمات المفتاحيَّة: فاطمة الزَّهراء، قدوة، المرأة المؤمنة.

المقدِّمة

كانت ولا تزال السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، المثل الأعلى لكلِّ النساء المؤمنات، فإنَّنا نجد في سيرتها أنموذجًا للمرأة في تحمُّل المسؤوليَّة إزاء دينها، وزوجها، وأبنائها. ومن سلوكيَّاتها في حياتها اليوميَّة الخاصَّة والعامَّة، نرسم إستراتيجيَّة الدين الإسلاميّ، لكونها نهلت من نبع أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله.

وفي هذا البحث نحاول أن نتلمَّس من سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سلوكيَّات يجب على المرأة المؤمنة أن تلتزم بها؛ لتكون راعية ومسؤولة عن رعيَّتها في الكيفيَّة التي يجب أن تتعامل بها مع الأهل ومع الزوج والأبناء؛ لتكون مدرسة إن صلحت صلحت بها الحياة كلُّها.

وسيتناول البحث لمحة تاريخيَّة عن حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأثرها في حياة أبيها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأثرها في حياة الإمام عليّ والإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام.

ومن ذلك نبيِّن سلوكها، وكيف كانت تواجه الصِّعاب، وتؤدِّي رسالتها في كلِّ جوانب حياتها، لتكون بحقٍّ سيِّدة نساء العالمين.

لذلك قرَّرنا الكتابة في موضوع (السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في التراث الإسلاميّ قدوة المرأة المؤمنة في كلِّ عصر)، ومن الأسباب التي كانت وراء اختيار هذا العنوان أنَّه يقع ضمن دائرة اهتمامنا، فضلًا عمَّا نراه في مجتمعنا من تشتُّت للمرأة المسلمة في ظلِّ تأثير وسائل التواصل الاجتماعيّ، وما يعيشه مجتمعنا من ظروف صعبة، وانهيار للمنظومة

الأخلاقيَّة فهذه الأسباب وغيرها كفيلة بمحو شخصيَّتها الإسلاميَّة، والانقياد وراء التقليد الأعمى للمرأة التي تعيش في كنف الحضارة الغربيَّة التي لها مبادئ وأُسس مختلفة جذريًّا عن الحضارة الإسلاميَّة.

أهمية الدراسة: تتمثَّل أهميَّة الدراسة في كونها تحاول المساعدة في إعادة ركائز المجتمع الإسلاميّ، من خلال توعية المرأة المسلمة بأهميَّتها في استعادة مجد الحضارة الإسلاميَّة.

مشكلة الدراسة: تعيش المرأة المسلمة حالة من فقدان الاتِّزان، الأمر الذي ينعكس سلبًا على الحاضر والمستقبل، فلا بد من تذكيرها بنساء خالدات في تاريخنا؛ لتتَّخذ من سيرتهنَّ عبرة وموعظة في أسلوب إدارة حياتهنَّ في الحاضر والمستقبل.

منهج البحث: منهج الدراسة يعتمد على منهج البحث التاريخيّ، ولأنَّ حياتها عليها السلام غنيَّة بالأحداث، ولكون البحث محدَّدًا بعددٍ من الصفحات، لذلك ابتعدنا عن الخوض في الأحداث السياسيَّة، وعرَّجنا على السمات العامَّة لمحطَّات حياتها، وركَّزنا على وصيَّتها قبل انتقالها لجوار ربِّها، كونها عكست مشاعر الأمومة والزوجة المحبَّة، فمنها نلمس دروسًا نافعة للمرأة المؤمنة في حياتها العصريَّة.

فرضيَّة الدراسة: تقوم الدراسة على فرضيَّة أنَّ المرأة المسلمة في الوقت الحاضر تعيش أزمة هويَّة حضارية؛ بسبب تأثير وسائل التواصل الاجتماعيّ، فضلًا عن الأحداث السياسيَّة الخطيرة التي مرَّت على العالم الإسلاميّ، فكانت سببًا في انهيار الكثير من القيم لدى الشباب.

حدود الدراسة: ستكون حدود الدراسة ضمن إطار المدَّة الزمنيَّة التي عاشت فيها السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، كونها موضوع الدراسة الأساس.

هيكليَّة الدراسة: الدراسة مقسَّمة إلى:

- مقدِّمة.
- أوَّلًا: من سمات حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في بيت أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله.
- ثانيًا: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الزوجة.
- ثالثًا: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأم.
- خاتمة تتضمَّن أبرز نتائج الدراسة.

أوَّلًا: سمات من حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في بيت أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله

جمعت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام خصالًا لم تكن في غيرها من النساء، بدءًا من النسب الشريف، فهي ابنة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، وأمُّها السيِّدة خديجة، فهي وليدة بيت النبوَّة، وهي الأكثر قربًا للرسول الله صلى الله عليه وآله خلقًا وسلوكًا وسيرة، وزوجها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وابناها الحسن والحسين عليهما السلام، وحصر الله سبحانه وتعالى في ولدِها ذريَّة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله[١].

ولها أسماء عديدة منها: الصدِّيقة، الطاهرة، الراضية، المحدَّثة، الزَّهراء، الحرَّة، السيِّدة، البتول، وتكنَّى أم السِّبطَين، وأم الأئمَّة، وأم الحسن وأم الحسين، ومن ألقابها سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء المؤمنين، وسيِّدة نساء هذه الأمَّة، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة[٢]. الآيات القرآنيَّة النازلة في السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي عليها السلام من آل البيت الذين ذكرهم الله تعالى في عدد من الآيات القرآنيَّة، ومنها:

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣].
- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٤].

(١) ابن سعد، محمَّد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت: ٨/ ٢١٦-٢١٧.
(٢) عبد العزيز كاظم البهادلي، أمَّهات المعصومين سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، قم، ١٤٢٥هـ ٧٠.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٤) سورة آل عمران: ٦١

- ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].
- ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2].

كما أنَّ لها ذِكرًا في الأحاديث النبويَّة الشريفة[3]، ومن تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة بضعة مني يُريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»[4]، و«**وقال: إنها بضعة منِّي**»[5].

وقال النبيّ لفاطمة: «**إنَّ الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك**»[6].

وقال صلى الله عليه وآله: «**رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني**»[7]

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) عن الأحاديث الواردة في فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ينظر: البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفيّ (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد، ١٩٤٢: ٧/ ٦٥-٦٦، الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سوره (ت٢٩٧هـ)، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذيّ، تحقيق أحمد محمَّد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٩٧٧: ٥/ ٦٩٨، الرهان فوري، علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام الدين الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩: ٦/ ٢١٩، عليّ الفتلاوي، النوران الزَّهراء والحوراء، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ٢٠٠٨: ٨٥.

(٤) الأصبهانيّ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٦٧: ٢/ ٤٠، تقي يوسف الحكيم، مودَّة أهل البيت وفضائلهم في الكتاب والسنَّة، مركز الرسالة، قم، ١٤٢٦هـ: ٨٦.

(٥) الأصبهانيّ، حلية الأولياء: ٢/ ٤١.

(٦) ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، ١٩٧٩: ٤/ ٥٠٢

(٧) ابن قتيبة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم الدينوريّ (ت٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، منسوب إليه، تحقيق طه محمَّد الزينيّ، مطابع سجل العرب، القاهرة،=

وهناك روايات كثيرة عن مكانتها من الرسولﷺ، ولعلَّ الرواية التي تذكر أنَّ الرسولﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قَدِم من سفر، كان أوَّل الناس به عهدًا فاطمة[1]، تختصر بوضوح مكانتهاعليها السلام عند الرسولﷺ.

لقد كان من سمات الحياة التي عاشتها السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام في كنف أبيها الرسول محمَّدﷺ أنَّها استشعرت المسؤوليَّة الملقاة على عاتقها، كونها ابنة نبيّ، فكانت له السند والعون في تحمُّل أعباء الدعوة الإسلاميَّة، ولاسيما في مراحلها الأولى[2].

=١٩٦٧، الأولياء: ١/ ١٣-١٤.

(١) عبد العزيز كاظم البهادلي، أمَّهات المعصومين: ٧٥.

(٢) ينظر عن حياتها في بيت الرسول: الأصبهانيّ، حلية الأولياء: ٢/ ٤٢-٤٣.

ثانيا: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الزوجة

عاشت الزَّهراء حياتها في كنف أبيها في زهد وتقشُّف، ثمَّ انتقلت إلى بيت زوجها، وذلك بعد مراسيم زفاف ومتطلَّبات عرس تتَّسم بالبساطة الشديدة[1]، ولـمَّـا انتقلت إلى بيت زوجها الإمام عليّ عليه السلام، كانت على المستوى نفسه في تحمُّل أعباء الحياة الزوجيَّة، فضلا عن واجبات الأمومة إزاء أولادهـا؛ ليكونوا على نهج أبيهم الإمام وجدِّهم الرسول صلى الله عليه وآله[2].

كانت الزَّهراء عليها السلام الزوج الصالحة التي صبرت مع زوجها وتحمَّلت معه الظروف القاسية، وكان ذلك الصبر عن إيمان وقناعة نابعة من الإحساس العالي بالمسؤوليَّة التي تحمَّلتها، لكونها ابنة نبيّ، وأفعالها ستكون المنار الذي تهتدي به المرأة المؤمنة؛ لأنَّها المرآة العاكسة لتعاليم الدين الإسلاميّ[3].

فمن الروايات التاريخيَّة التي وصفت حالها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لـمَّا زوَّج فاطمة، «بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف، ورحاءين وسقاءين.. فقال عليّ لفاطمة

(١) ينظر عن تفاصيل خطبة وزواج السيِّدة فاطمة الزَّهراء من الإمام عليّ عليه السلام، ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٦٦: ٤/ ٣٧٨-٣٧٩، ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٢٧٣.

(٢) عليّ محمَّد عليّ دخيل، أئمَّتنا سيرة الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤: ٥٠.

(٣) ينظر عن صعوبة حياتها مع زوجها: ابن حجر: ٤/ ٥٠٢، المازندرانيّ، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهرآشوب السرويّ (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: ٢/ ١١٢.

يومًا: لقد شقوت حتَّى اسليت صدرى، وقد جاء الله بسَبي، فاذهبي فاستخدمي. فقالت: وأنا والله قد طحنت حتَّى محلت يداى. فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما جاء بك أي بنيَّة؟ فقالت: جئت لأسلِّم عليك. واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعًا فذكر له عليّ حالها. قال: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونها.. فقال: مكانكما ألا أخبركما بخير ممَّا سألتماني؟ فقالا: بلى. فقال: **كلمات علَّمنيهنَّ جبريل تسبِّحان في دبر كلِّ صلاة عشرًا وتحمدان عشرًا وتكبرِّان عشرًا، وإذا آويتما إلى فراشكما تسبِّحان ثلاث وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين..**»[1].

وفي راية اخرى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله دمعت عيناه لشدَّة تعبها، فقدر رآها «وهي تلبس كساء من أجلَّة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله، فقال: **يا بنتاه تجرَّعي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة**»[2]. فنجدها تتحمَّل العسر والجوع دون الشكوى، ونجدها تقدِّم الأبناء والزوج على نفسها في توفير الطعام لهم.

ذكرت الرواية التاريخيَّة أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام سأل الزَّهراء عليها السلام إن كان عندها شيء من الطعام، فكان جوابها عليها السلام: **منذ يومين كنت أوثرك والحسن والحسين عليهما السلام على نفسي بما كان عندنا من الطعام**. فقال الإمام عليّ: «**يا فاطمة؟ ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئًا**. فقالت: **يا أبا الحسن إنِّي لأستحي من إلهي أن أكلِّف نفسك ما لا تقدر عليه**»[3].

أمَّا عن إدارة البيت، فالروايات التاريخيَّة كانت واضحة في أنَّها كانت تدير شؤون بيتها بنفسها من دون مساعدة، ومن تلك الروايات هناك رواية ذكرت محاورة بين الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله والزَّهراء.

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٥٠٤.

(٢) عبَّاس القمِّيّ (ت١٣٥٩هـ)، الأنوار البهيَّة، تحقيق مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٧هـ: ١/ ٥٧١.

(٣) المصدر نفسه.

إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله رأى فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلَّة الإبل، وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا الرسول صلى الله عليه وآله فقال: **يا بنتاه تعجَّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.** فقالت: **يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه.** فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1].

إنَّ الرواية ناطقة بحال السيِّدة الزَّهراء، فهي تدبِّر أمر بيتها، وتقوم بواجباتها من دون مساعدة من أحد، فلم يكن في بيتها خادمة، وكانت تفعل ذلك بحبٍّ وإيمان، بأنَّ ذلك من صميم واجباتها كزوجة وأم.

ودليل ذلك أنَّها عندما جاءت إلى أبيها النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله تطلب منه خادمًا يعينها، لأنَّها «استقت بالقربة حتَّى أثَّرت في صدرها، وجرَّت بالرحى حتَّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتَّى دكنت ثيابها[2]»، إلَّا أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله رفض فكرة الخادمة، على الرغم من أنَّ ذلك لم يكن بالصعب عليه. ولم يكن فيه خروج عن الأطر الإسلاميَّة، وإنَّما كان رفضه من يقينه أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لا تشبه النساء الأخريات، فالتاريخ سيحفظ كلَّ تفاصيل حياتها، وأنَّ المسلمين يهتدون بسلوكها في حياتهم، فأراد أن يعلِّم المرأة المسلمة أنَّ إدارة المرأة لشؤون بيتها بنفسها هو الأفضل؛ لأنَّ فيه من المعاني والآثار النفسيَّة والإنسانيَّة التي تنعكس على أجواء البيت، وأراد أن يعلِّم المسلمين دروسًا إسلاميَّة تعتمد عليها المرأة المسلمة في حياتها في كلِّ عصر، وتكون السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوتها. وبالمقابل نجد السيِّدة فاطمة تفهم رسالة أبيها ورفضه فكرة الخادم، كونها شريكة معه في حمل الرسالة السماويَّة، وأنَّها القدوة في مجتمعها لجميع النساء، فكانت عليها السلام مستوعبة هدف رفض الرسول صلى الله عليه وآله لطلبها[3].

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، طهران، ١٣٨٥هـ. مج١٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٥٠٤.

ثالثًا: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأم

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الأمَّ الحاضرة في بيتها مع أولادها، القريبة من زوجها، المدبِّرة لشؤون حياة أسرتها بكلِّ محبَّة وإدراك لدور الأمِّ ومكانتها في حياة عائلتها.

فهي النبراس الذي تلوذ به الأمُّ المؤمنة عندما تحاصرها مغريات الحياة ومؤثِّراتها، لتجد في سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام الإجابة الصادقة عن دور الأم، وكيف يجب أن تقوم بواجباتها بالرغم من كلِّ ما تعانيه من ألم المرض والتعب الجسديّ، فهي في الوقت الذي كانت تستعد لمغادرة الدنيا، نجد في الأخبار المنقولة عنها عليها السلام إشارة إلى الأحاسيس التي كانت في نفسها، فهناك خلجات من الفرح لقرب لقائها مع أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، وألم إحساس الأمومة والزوجة المحبَّة لفراق عائلتها.

ونستشفُّ ذلك من وصيَّتها لزوجها الإمام عليّ عليه السلام الذي دخل عليها فوجدها تقوم بأعمال بيتها، وهي المريضة، فسألها عن سبب قيامها وهي مريضة متعبة، فكان جوابها أنَّ هذا اليوم هو الأخير لها، وأنَّها رأت أباها الرسول صلى الله عليه وآله وأخبرها بذلك[1].

لذلك عندما أحسَّت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بدنوِّ أجلها واشتدَّ عليها المرض، فقد مكثت أربعين ليلة في مرض شديد، وأيقنت أنَّ موعد الرحيل اقترب، فأرسلت خلف الإمام عليّ ليحضر، فقالت: «**يا بن عم، إنَّه قد نعيت إليَّ نفسي، وإنِّي لا أرى ما بي إلَّا أنِّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي**. قال لها عليّ: **أوصيني**

(١) عبَّاس حسن الموسويّ، دررالبحار في سيرة النبيّ وآله الأطهار، مؤسَّسة أنصاريان، إيران، ٢٠٠٥: ١١١.

بما أحببت يا بنت رسول الله». فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثمَّ قالت: «**يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني**. فقال عليّ: **معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفًا من الله من أن أوبِّخك بمخالفتي، قد عزَّ عليَّ مفارقتك وفقدك، إلَّا أنَّه أمر لا بدَّ منه. والله جدَّدت عليَّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزيَّة لا خلف لها**. ثمَّ بكيا جميعًا ساعة، وأخذ رأسها وضمَّها إلى صدره ثمَّ قال: **أوصيني بما شئت فإنَّك تجديني فيها كما أمرتِني به، وأختار أمرك على أمري**»[1].

وفي رواية أخرى جاءت الوصية «**يا ابن العم، إذا قضيت نحبي فغسِّلني ولا تكشف عنِّي، فإنِّي طاهرة مطهَّرة، وحنِّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، وصلِّ عليَّ، وليصلِّ معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، وادفنِّي ليلًا لا نهارا، وسرًّا.. يا ابن العم، أنا أعلم أنَّك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي، فإن أنت تزوَّجت امرأة اجعل لها يومًا وليلة، وأجعل لأولادي يومًا وليلة، يا أبا الحسن، ولا تصِح في وجهها فيصبحان يتيمَين غريبَين منكسرين، فإنَّهما بالأمس فقدا جدَّهما واليوم يفقدان أمَّهما..**»[2].

أيًّا كانت صيغة الوصيَّة في المصادر التاريخيَّة، فإنَّ معانيها أجمعت على بيان أحاسيسها في تلك الساعات الأخيرة من حياتها، ورغبتها في أداء مسؤوليَّتها وهي تودِّع بيتها وزوجها وأولادها، فقامت على الرغم من المرض بالاعتناء بهم وبنظافتهم. وفي وصيَّتها لزوجها يبدو واضحًا أنَّ أمرهم يشغلها، وحاولت أن ترتِّب شؤونهم في تلك المرحلة من حياتهم التي تكون فيها بعيدة عنهم.

فقد ذكرت الرواية التاريخيَّة أنَّها غسلت لهم وعانقتهم وقبَّلتهم ثمَّ أمرتهم بالخروج

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٩١-١٢٠.
(٢) عبَّاس حسن الموسويّ، درر البحار: ١٤٢-١٤٣.

إلى قبر جدِّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ اغتسلت ولبست ثيابها، وطلبت وضع فراشها في وسط البيت، واضطجعت عليه، واستقبلت القبلة، وجعلت يدها تحت خدِّها، وقالت: «**إنّي مقبوضة الآن، وقد طهرت فلا يكشفني أحد**. فقبضت مكانها»[١].

ومن تلك السيرة العطرة يمكن أن تلتمس المرأة المؤمنة في كلِّ عصر من وصيَّتها عليها السلام العديد من الدروس، في مقدِّمتها مراعاة الظروف العامَّة التي تحيط بالأولاد، فيجب احتضانهم بحبٍّ وعناية.

كما أنَّها قدَّرت الحاجات النفسيَّة لزوجها، وأنَّه بحاجة إلى امرأة أخرى بجانبه، ولكن في نفس الوقت توصيه بهم وأن يراعي إحساسهم بفقدان الأم، توصيه بحسن اختيار الزوجة، فلا بدَّ أن تكون فيها من الصفات ما يخفِّف عن أولادها حزن فراقها. رحلت الزَّهراء بعد أن ودَّعت الحسن بسنواته السبع، والحسين بسنواته الستّ، وزينب بسنواتها الخمس، وأم كلثوم بسنواتها الثلاث[٢].

الخاتمة

قيل إنَّ التاريخ عبرة وموعظة، ومن يعِ دروسه يعِش بنجاح، ويبنِ مستقبلًا زاهرًا، وهذا ما تحتاج إليه الأمَّة الإسلاميَّة الآن لتنهض من جديد، ولن يكون ذلك إلَّا إن كانت المرأة المؤمنة في حصانة ممَّا يحيط بها، مدركة قيمتها وأثرها في بناء المجتمع الإسلاميّ، ولكي يتحقَّق ذلك لا بدَّ لها من قدوة تقتدي بها، وتكون لها مصباحًا تستمدُّ منه طاقة تعينها في تحمُّل مسؤوليَّاتها الصعبة مع تعقُّد الحياة المعاصرة.

ومن هذا المنطلق تكون السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مرتبة الصدارة، ففي سيرتها تلتمس المرأة المؤمنة المنهج الإسلاميّ لسلوكيَّاتها، فعندما تقوم المرأة بالرعاية والعناية

(١) في رواية أنَّ أم سلمة كانت معها، وفي رواية أخرى كانت معها أسماء بنت عميس. ينظر: المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٨٧-١٨٨.

(٢) عبَّاس حسن الموسويّ، درر البحار: ١١١.

بالبيت والأولاد، فضلًا عن تحمُّلها لصعوبات الحياة ومشاكلها، فإنَّ ذلك من صميم واجباتها، كونها المسؤولة عن التنشئة للجيل الجديد، والمؤثِّرة في غرس القيم والمبادئ والأخلاق الإسلاميَّة، وتتحقَّق هذه الغاية عندما تكون قريبة جسدًا وروحًا من بيتها وزوجها وأولادها.

كما أنَّ الرجل المؤمن يلتمس من سيرتها روح المحبَّة والرحمة التي تجمع بين الزوج وزوجته، فمن تلك الأحاسيس الطيِّبة تستمد المرأة المؤمنة قوَّتها؛ لتكون عمود البيت بما تحمله من الصبر والحنان.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ابن حجر، شهاب الدين، أبي الفضل أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، ١٩٧٩.
- ابن سعد، محمَّد بن منيع (ت٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
- ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، ١٩٦٦.
- ابن قتيبة، ابو محمَّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء منسوب إليه، تحقيق طه محمَّد الزينيّ، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧.
- الأصبهانيّ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٦٧.

- البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفيّ (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد، ١٩٤٢.
- البرهان فوري، علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام الدين الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.
- الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سوره (ت٢٩٧هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذيّ، تحقيق أحمد محمَّد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ١٩٧٧.
- عبَّاس القمِّيّ (ت١٣٥٩هـ)، الأنوار البهيَّة، تحقيق مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٧هـ.
- المازندرانيّ، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهرآشوب السرويّ (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- المجلسي، محمَّد باقر (ت ١١١١ هـ). بحار الأنوار، طهران، ١٣٨٥هـ.

المراجع:

- تقي يوسف الحكيم، مودَّة أهل البيت وفضائلهم في الكتاب والسنَّة، مركز الرسالة، قم، ١٤٢٦هـ.
- عبَّاس حسن الموسويّ، درر البحار في سيرة النبيّ وآله الأطهار، مؤسَّسة أنصاريان، إيران، ٢٠٠٥.
- عبد العزيز كاظم البهادليّ، أمَّهات المعصومين سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، قم، ١٤٢٥هـ.

- عليّ الفتلاويّ، النوران الزَّهراء والحوراء، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ٢٠٠٨.
- عليّ محمَّد علي دخيل، أئمَّتنا سيرة الأئمَّة الاثني عشر عليهم السلام، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤.

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قراءة تحليليَّة نقديَّة في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة

أ.د. فضيلة عبُّوسي محسن العامريّ

جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، أمَّا بعد..

فإنَّ الاطِّلاع على رأي الآخر، وما كتب عن غيره، أمر لا يخلو من الفائدة في معرفة الإيجابيَّات والسلبيَّات، وكذلك معرفة موقف الآخر ممَّا نقله أو كتبه، وهل كان منصفًا أو محقًّا فيما قال أو نقل أو علَّق على المنقول؟ فكيف إذا كان الآخر من المؤلَّفات التي تعدُّ نتاج عمل مشترك بين الشرق والغرب من المهتمِّين بالحضارة الإسلاميَّة التي استمدَّت جذورها من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، وكان ممَّا نقل سيرة السيَّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ جاءت الترجمة لها في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ومن أجل الاطِّلاع على ما قيل ونُقِل عن سيرة الزَّهراء عليها السلام، وقراءته قراءة تحليليَّة نقديَّة، جاء البحث بعنوان (سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قراءة تحليليَّة نقديَّة في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة)، الذي تألَّف من مبحَثَين: تناول الأوَّل: التعريف بكتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، والتعريف بمفهوم الاستشراق والمستشرقين. وتطرَّق

المبحث الثاني إلى القراءة النقديَّة لسيرة الزَّهراء عليها السلام في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ومن ثمَّ جاءت الخاتمة ونتائج البحث، مشفوعة بالمصادر، فكانت مشكلة البحث تدور حول سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وفرضيَّة البحث تركِّز على ماجاء في كتاب موجز دائرة المعارفة الإسلاميَّة عن السيرة الشريفة، والمنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج التحليليّ النقديّ، وكان من أهمِّ أسباب اختيار البحث، هو الاطِّلاع على آراء المستشرقين في مؤلَّفاتهم عن أهل البيت عليهم السلام، ومنهم سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ فهي الشجرة الطيِّبة التي أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وهي المحدَّثة والمحدِّثة، التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، خاتم النبيِّين، وصاحب المعجزة الخالدة، وهو القرآن الكريم.

ومن أهمِّ النتائج ما يأتي:

١. لم يكن المستشرقون على مستوى عالٍ من الدقَّة في نقل ما جاء عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الصفات وتعليلاتها، ومن ذلك قولهم: إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لم تكن جميلة، والسبب عندهم أنَّ المصادر لم تصف سوى أنَّ مشيتها كانت تشبه مشية أبيها، وسكتت عن منظرها. ونقول: إنَّ عدم وصفها كان من باب العفَّة والحجاب، وليس من باب انعدام الجمال.

٢. لم يكن للزَّهراء عليها السلام في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة شيء من القداسة اللفظيَّة، إذ ورد الحديث عن سيرتها تحت عنوان (فاطمة) من غير (رضي الله عنها) أو (عليها السلام)، وإن جاءت الأولى في المتن في بعض الموضوعات، وهي لها الحقُّ في هذا التقديس اللفظيّ، أولى من غيرها ممَّن وردت أسماؤهم تحمل جزءًا من هذا التقديس في هذا الكتاب.

٣. أشار المستشرقون إلى كثير من القضايا التي تخصُّ الحياة الزوجيَّة لفاطمة

الزَّهراء عليها السلام، لكنَّها عارية عن الصحَّة، والدليل على ذلك ما ورد بعنوان الخلافات الزوجيَّة، في أخبار منها: أنَّه لم يكن عليّ وفاطمة يعيشان في وفاق دائم، وكانت كثيرًا ما تشتكي إلى أبيها منه، وهذا يعدُّ خلاف الموضوعيَّة والأمانة العلميَّة في التحرِّي والدقَّة في نقل أمور كهذه تتعلَّق بالمعصومين عليهم السلام، ومنهم فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهم قد أكدَّوا ذلك أنفسهم بالردِّ على المستشرق لامنس الذي تحدَّث عن شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، ولم يكن منصفًا.

٤. تحدَّثوا عن كنية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأبي تراب، معلِّلين ذلك تعليلًا يفتقر إلى الدقَّة والموضوعية والصحَّة، وهو أنَّ عليًّا عليه السلام؛ كان إذا اختلف مع زوجته فاطمة، كظم غيظه وترك البيت حتَّى لا يردَّ عليها ردًّا غليظًا، ووضع التراب على رأسه، فلمَّا رآه محمَّد صلى الله عليه وآله يفعل ذلك، سمَّاه أبا تراب، ولم يشيروا إلى المصادر التي نقلوا عنها.

الكلمات الافتتاحيَّة: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، قراءة، نقديَّة.

المبحث الأوَّل

التعريف بموجز دائرة المعارف الإسلاميَّة ومفهوم الاستشراق والمستشرقين

أوَّلًا: التعريف بموجز دائرة المعارف الإسلاميَّة

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ اسم موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، هو الاسم الذي جاء في الطبعة التي حُذِف منها بعض المعلومات المتعلِّقة ببعض الشعراء والأماكن، التي وجِدت في الطبعات السابقة لها، والتي كانت تُعرف بدائرة المعارف الإسلاميَّة، «وقد ركِّز في هذه الطبعة على المواد ذات الأهميَّة الكبرى والأساسيَّة، وحذفت بعض المواد مثل أسماء بعض الشعراء، أو الشخصيَّات، أو الأماكن التى لا تمثِّل أهميَّة خاصَّة بالنسبة لمسيرة الحضارة الإسلاميَّة، ومن هنا كان وصف (موجز) مصاحبًا لهذه الطبعة الجديدة من هذا العمل الكبير، ولا يسعنا إلَّا أن نتقدَّم بالشكر إلى دار الشعب، ورئيسها الأستاذ جمال زكي على المعاونة فى إصدار هذه الأجزاء الأولى»[1].

أمَّا هذه الطبعة، فكانت من إنتاج مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، بإشراف الشيخ الدكتور سلطان بن محمَّد القاسميّ، حاكم الشارقة، راعي الثقافة، وصاحب فكرة مشروع (مركز الشارقة للإبداع الفكريّ)[2].

(١) ينظر: المقدِّمة في دائرة المعارف الإسلامية، ٢٢ من رمضان سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٩٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

وقد جاء الحديث عن المراحل التي مرَّت بها دائرة المعارف الإسلاميَّة، وسبب تأليفها، ومَن تولَّى نشرها في المقدِّمة التي كُتِبت بقلم فضيلة الدكتور محمَّد سيِّد طنطاوي، شيخ الأزهر الشريف، والتي جاء فيها بعد حمد الله، والصلاة على رُسله ومن والاه، ثمَّ بيَّن فضيلة العلم والعلماء، ونفي المساواة بينهم وبين غيرهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩)، ثمَّ تحدَّث عن فضيلة العلم في الحديث الشريف، وأنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنَّ دائرة المعارف الإسلاميَّة التى قامت الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب بنشرها، بالتعاون مع مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، تعدُّ على رأس المشروعات العلميَّة الضخمة التى تهدي العقول إلى كنوز من المعارف الجليلة، إذ اشتملت على ألوان كثيرة من العلوم الطبيَّة والهندسيَّة والزراعيَّة والصناعيَّة والفلسفيَّة والدينيَّة والقانونيَّة والفنيَّة والتاريخيَّة والجغرافيَّة، وعلى غير ذلك من معارف يصعب حصرها[١].

وتحدَّث الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب، والمشرف العام على الدائرة، واصفًا إيَّاها بأنَّها نتاج عمل مشترك بين الشرق والغرب المهتمِّين بالحضارة الإسلاميَّة التي استمدَّت جذورها من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، قائلًا: «الموسوعة هي نتاج عمل صفوة علماء الشرق والغرب المهتمِّين بالدراسات الإسلاميَّة، والذين عكفوا على دراسة الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة وعناصرها المختلفة التى استمدَّت جذورها من القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة الشريفة»[٢].

يرجع تاريخ المحاولة الأولى في ترجمتها إلى ثلاثينيَّات القرن العشرين، ففى عام ١٩٣٣ اجتمعت كلمة نخبة من الباحثين الشباب، وهم الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد،

(١) ينظر: المقدِّمة في دائرة المعارف الإسلاميَّة، شيخ الأزهر الشريف د. محمَّد سيِّد طنطاوي، ٢٢ من رمضان سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٩٨.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، المقدِّمة: ٨.

والأستاذ أحمد الشنتناويّ، والدكتور عبد الحميد يونس، والأستاذ محمَّد ثابت الفندي، الذين عكفوا على ترجمة مواد الموسوعة، وأنجزوا جزءًا كبيرًا منها، حتَّى وصلوا إلى بداية حرف العين، ولكن لم يقدَّر لهذه المحاولة الاستمرار(١).

وفي عام ١٩٦٩م، أعادوا المحاولة من جديد، وبدؤوا إخراج طبعة ثانية من المواد المترجَمة، مضافًا إليها المواد المستحدثة في الطبعة الثانية من الموسوعة الأصليَّة التي صدرت عن دار بريل الهولنديَّة، وتمَّت خلالها ترجمة مواد الموسوعة في طبعتها الثانية الموسَّعة من حرف الألف إلى بداية حرف الخاء(٢).

وفي منتصف التسعينيَّات، بدأ التفكير الجدِّيّ في استكمال مشروع ترجمة دائرة المعارف الإسلاميَّة بعد حرف العين، انتهاءً بحرف الياء، فكانت هذه الموسوعة التي تصدر في (٣٢ جزءًا)، مرتَّبة ترتيبًا أبجديًّا، ومزوَّدة بالكشَّافات التحليليَّة للأعلام والأماكن والوقائع والأحداث التاريخيَّة؛ ليتيسَّر للقارئ الوصول إلى المعلومة المطلوبة في أيِّ جزءٍ منها(٣).

والطبعة العربيَّة التي لم تكتمل حتَّى الآن، فلم يُنشر منها إلَّا ١٦ جزءًا، تغطِّي الحروف من الألف إلى الحاء، وساهم عدد من علماء مصر، سواء كانوا من علماء الأزهر الشريف، أم من أساتذة دار العلوم، أو الجامعات المصريَّة، بنصيب وافر في مراجعة الترجمة والتعليق على بعض الفقرات، وتصحيح بعض المفاهيم، أو التكملة أو درء مطعن حتَّى أصبحت النسخة العربيَّة من عدَّة وجوه أكثر اكتمالًا من الأصل(٤).

(١) ينظر: المقدِّمة في دائرة المعارف الإسلاميَّة: ٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢

أمَّا الأجزاء الباقية في الموسوعة، فهي التى تغطي الحروف من الهاء إلى الياء، فتتوافر الآن مجموعة ممتازة من الأساتذة والمترجمين والمراجعين لإتمامها، حتَّى تصدر الموسوعة كاملة بإذن الله تعالى خدمةً للإسلام، والحضارة الإسلاميَّة، وإثباتًا لهذا التراث العظيم على مرِّ الأجيال القادمة[١].

ثانيًا: مفهوم الاستشراق

اختلف الباحثون في تعريف الاستشراق، فهناك من عرَّفه بأنَّه: «عبارة عن اتِّجاه فكريّ غربيّ يقوم بدراسة حضارة الأمم من جوانبها الثقافيَّة والفكريَّة والدينيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة كافَّة؛ لغرض التأثير فيها»[٢]، وقد عرَّفه إدوارد سعيد بأنَّه «تحيُّز خفيّ ومستمر محوره تفوُّق الحضارة الأوربيَّة ضدَّ الشعوب العربيَّة الإسلاميَّة وحضارتها»[٣]، وذكر أحمد عبد الحميد غراب[٤] تعريفات كثيرة للاستشراق من الغربيِّين وغيرهم، وقسَّمها على قسمَين، عام وخاص.

أمَّا التعريف العام: فهو أنَّ الاستشراق أسلوب فكريّ غربيّ (أي منهج غربيّ في رؤية الأشياء والتعامل معها)، يقوم على أنَّ هناك اختلافًا جذريًّا في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق، وأنَّ الأوَّل يتميَّز بالتفوُّق العنصريّ والثقافيّ على الثاني[٥].

وأمَّا التعريف الخاص: فهو عبارة عن دراسات (أكاديميَّة)، يقوم بها غربيُّون من الدول الاستعماريَّة، للشرق بشتَّى جوانبه: تاريخه وثقافاته، وأديانه، ولغاته، ونُظمه الاجتماعيَّة والسياسيَّة، وثرواته، وإمكاناته.. من منطلق التفوُّق العنصريّ والثقافيّ

(١) ينظر: مقدِّمة الناشر في دائرة المعارف الإسلاميَّة: ١٣.
(٢) الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة، فالح الصغير: ٢.
(٣) الاستشراق، ادوارد سعيد: ٢-٣، وينظر: الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة: ٢.
(٤) رؤية إسلاميَّة للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب: ٧-٨، وينظر: الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة: ٢
(٥) الاستشراق: ٢-٣، وينظر: الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة: ٢.

على الشرق، وبهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتسويغ هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريَّات تتظاهر بالعلميَّة والموضوعيَّة[1].

ويظهر من التعاريف السابقة الدوافع الغربيَّة لهذه الدراسات الاستشراقيَّة، بدافع التميُّز على العرب أوَّلًا، والاطِّلاع على تاريخهم وثقافاتهم ولغاتهم وأديانهم، والأخير يكون مبنيًّا على هدف الدارس للشرق، فأحيانًا يكون بدافع الاطِّلاع الموضوعيّ، وأحيانًا يكون بدافع الاطِّلاع العنصريّ من أجل السيطرة على التاريخ الشرقيّ، وتشويه الحقائق، بالاعتماد على مصادر تاريخيَّة دون مصادر أخرى، بما يتَّفق وأهواءهم، وهذا ما سوف يظهر لنا في أثناء الدراسة لسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ثالثًا: التعريف بالمستشرقين الذين وردت أسماؤهم مع عنوان كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة

١. رتشار هارتمان (R. Hartmann)، المولود عام ١٨٨١م[2]:

تخرَّج في جامعتَي توبنجين وبرلين، وعيِّن مساعدًا لأمين مكتبة جامعة توبنجين (١٩٠٥-١٩١٠)، وعاون على نشر دائرة المعارف الإسلاميَّة (١٩١٣)، وسمِّي معيدًا في جامعة ييل (١٩١٤-١٩١٨)، وأستاذًا فوق العادة في ليبزيج (١٩١٨-١٩٣٠)، وجوتنجين (١٩٣٠-١٩٣٦)، وأستاذًا للعربيَّة في جامعة برلين (١٩٣٦)، ومديرًا لمعهد اللغات الشرقيَّة ببرلين، وانتُخب عضوًا في مجامع كثيرة، منها المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، وقد صنف كتاب لتكريمه (برلين ١٩٥٢)، وله مؤلَّفات عدَّة[3].

(١) رؤية إسلامية للاستشراق: ٧-٨، وينظر: الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة: ٢
(٢) المستشرقون، نجيب العقيقي: ٢/ ٧٩٠-٧٩١.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٧٩٠-٧٩١.

٢. رينيه باسِّيه (René Basset) (١٢٧١-١٣٤٢هـ/ ١٨٥٥-١٩٢٤م):

هو مستشرق فرنسيّ، من أعضاء المجمع العلميّ العربيّ[١].

من آثاره: (الشعر العربيّ قبل الإسلام)، باريس ١٨٨٠م، كما اشترك في اللجنة الأولى التي أصدرت دائرة المعارف الإسلاميَّة.

٣. هوتسما[٢] (M.Th. Houtsma) (١٨٥١-١٩٤٣م):

تخرَّج باللغات العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة في جامعة أوترخت، وعلَّم فيها، وفي ليدن سنين طويلة. ثمَّ اعتزل التدريس (١٩٠٧) إلى التأليف. وكُلِّف بإنشاء دائرة المعارف الإسلاميَّة (١٨٩٥)، واضطلع بالإشراف عليها (١٩١٣-١٩٢٤)، وقد انتُخِب عضوًا في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، وفي مجامع وجمعيَّات عدَّة، وله: نصوص متعلِّقة بتاريخ السلاجقة، وهي خير من دراسات ديفريمري، في أربعة أجزاء: تاريخ سلاجقة كرمان بالفارسيَّة، لمحمَّد بن إبراهيم، وتاريخ سلاجقة العراق، للبنداريّ، وتاريخ سلاجقة الأناضول بالفارسيَّة، مع ترجمة إلى التركيَّة، لابن بيني، (ليدن ١٨٨٦-١٩٠٢)، وساعد في نشر الطبريّ في خمسة عشر جزءًا، (ليدن ١٨٧٦-١٩٠١)، وله دراسات عن كليلة ودمنة (الدراسات الشرقيَّة لنولدكة ١٩٠٦)، والحركة الإسلاميَّة في الهند (العالم الإسلاميّ ١٩٠٧)، ونظام الملك (صحيفة تاريخ الهند ١٩٢٤)، وتاريخ السلاجقة (الأعمال الشرقيَّة ١٩٢٥)[٣].

٤. السير توماس أرنولد (Sir Thomas W. Arnold) (١٨٦٤-١٩٣٠)[٤]:

تعلَّم في كمبريدج، وقضى عدَّة سنوات في الهند، أستاذًا في جامعة عليجرة

(١) ينظر: رينيه باسيه، ويكيبيديا.
(٢) ينظر: المستشرقون: ٢/ ١٦٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٥٠٤.

(١٨٨٨-١٨٩٨)، وأستاذًا للفلسفة في لاهور (١٨٩٨-١٩٠٤)، ومساعدًا لأمين مكتبة ديوان الهند (١٩٠٤-١٩٠٩)، وهو أوَّل من جلس على كرسي الأستاذيَّة في قسم الدراسات العربيَّة في مدرسة اللغات الشرقيَّة بلندن (١٩٠٤)، ثمَّ اختير عميدًا لها (١٩٢١-١٩٣٠)، وقد زار مصر في أوائل سنة (١٩٣٠)، وحاضر في الجامعة المصريَّة عن التاريخ الإسلاميّ. وكان معجبًا بالإسلام، متضلِّعًا من علومه، منصفًا له في أبحاثه عنه، فلم تعهد عليه هفوة واحدة في كلِّ ما كتبه في دائرة المعارف الإسلاميَّة، وحقَّق من المصنَّفات فيه، وهو مقترح وضع مصنَّف في تراثه ومرس أسسه، فعدَّ مرجعًا في الدراسات الإسلاميَّة[1].

(١) المستشرقون، نجيب العقيقيّ: ٢/ ٥٠٤.

المبحث الثاني

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة قراءة تحليليَّة نقديَّة

إنَّ الجزء الذي ورد فيه ذِكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام هو الجزء الخامس والعشرون، وقد تناولنا القراءة التحليليَّة النقديَّة لسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء، التي جاءت في هذا الجزء، على النحو الآتي:

ولادتها

وُضعت ترجمتها تحت حرف الفاء بـ(فاطمة)، وقالوا عنها إنَّها ابنة محمَّد صلى الله عليه وآله من زوجته خديجة بنت خويلد، وزوج عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وأمُّ الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، والاختلاف في تاريخ ولادتها، والأقرب هو أنَّها ولِدت في عام إعادة بناء الكعبة المشرَّفة، أي قبل بداية البعثة النبويَّة بخمس سنوات، وأنَّها تزوَّجت عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها[1].

عصمتها

ووصفوا مكانتها عند الله وعظمتها بين الناس بالشهرة العظيمة، ولم يصفوها بالعصمة والاختيار من الله سبحانه وتعالى، وأوعزوا ذلك إلى قربها من الرسول صلى الله عليه وآله، إذ قالوا: «وقد حقَّقت شهرة عظيمة تفوق شهرة سواها من بنات محمَّد صلى الله عليه وآله، وقد حظيت

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ١١-٧٧.

بتقدير وتوقير عظيمَين من المسلمين كافَّة؛ لأنَّها عاشت لصيقة بأبيها»[1]، ثمَّ ذكروا سببًا غير واقعيّ لمكانتها، بأنَّها عاشت فترة طويلة، في حين أن المصادر تؤكِّد عمرها ثماني عشرة سنة، بقولهم: «كما أنَّها عاشت فترة أطول من إخوتها»[2].

أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة الزَّهراء عليها السلام كثر:

نقول من الإنصاف أنَّهم ذكروا أنَّ لرسول الله صلى الله عليه وآله أحفادًا كُثرًا من فاطمة الزَّهراء عليها السلام، دون غيرها من أخواتها اللواتي ماتت ذريَّتهنَّ، وتمتدُّ سلالة أحفاد الرسول صلى الله عليه وآله إلى مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، لكن لم يصرِّحوا بأسمائهم، وسبب انتشارهم في مختلف بقاع العالم، بقولهم: «ورُزِق محمَّد صلى الله عليه وآله بأحفاد كُثُر منها، كان منهم سلالة انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، أمَّا أبناء محمَّد صلى الله عليه وآله الذكور فماتوا صغارًا، وأمَّا بناته الأُخريات، فاللائي أنجبن منهن ماتت ذريَّتهنَّ»[3].

وصف اصطفاء الله تعالى لفاطمة بالشهرة:

لم ينصف المستشرقون حين وصفوا اصطفاء فاطمة الزَّهراء عليها السلام واختيارها بالشهرة التي ترجع إلى نبوَّة أبيها، وشجاعة زوجها وبنيها، وتناسَوا، وتغافلوا عمَّا ورد من أنَّ اصطفاء فاطمة عليها السلام واختيارها بنصِّ القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، فضلًا عن كونها بنت الرسول صلى الله عليه وآله، وزوج فحل الفحول عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمَّ الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، في قولهم: «وربَّما ترجع الشهرة التى حقَّقتها فاطمة (رضي الله عنها) إلى عظمة أبيها النبيّ، ولأهميَّة الدور التاريخيّ الذي قام به زوجها الإمام عليّ وأبناؤها منه»[4].

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٠٧.

(٤) المصدر نفسه.

عدم الموضوعيَّة في وصف خلق الزَّهراء عليها السلام

أضاف المستشرقون سببًا غير موضوعيّ، وغير دقيق وغامض في الدلالة التي يريدون الوصول إليها في إيعاز خلق الزَّهراء عليها السلام وصِفاتها الباهرة إلى ما نسبه المسلمون بمرور الوقت، ولم يوضِّحوا المقصود بالنسبة، والمقصود بمرور الوقت، ومَن هم المسلمون الذين أضفوا هذه الصفات، إن كان زعمهم صحيحًا، كان لا بد لهم، بل يجب عليهم طرح الأدلَّة الثابتة عند وصف بضعة الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الوصف، وليس الاعتماد على التعبير الوهميّ الذي يوحي بوضع الأحاديث ونسبتها للزَّهراء من قِبَل المتأخِّرين، بقولهم: «... وربَّما لما نسبه المسلمون إليها، بمرور الوقت، من صفات وخلائق باهرة»[1].

فاطمة الزَّهراء عليها السلام صفة تشريفيَّة تُضاف لاسمها:

من الإنصاف أنَّهم جعلوا وصف (فاطمة الزَّهراء) بالتشريفيّ المألوف في العالم الإسلاميّ كلّه، بقولهم: «... ومن المألوف أن يُضاف إلى اسمها صفة تشريفيَّة فى العالم الإسلاميّ كلّه، فيُقال لها فاطمة الزَّهراء»[2].

مكانة الزَّهراء عليها السلام بين المسلمين والشيعة:

ذكر المستشرقون أنَّ للزَّهراء عليها السلام مكانة عظيمة، ويتحدَّث عنها بالاحترام المسلمون كلُّهم، ولها مكانتها الخاصَّة عند الشيعة، من حيث التقديس لها، والذِّكر الدائم بعد اسشهادها، الذي وصفوه على حدِّ تعبيرهم بالموت، وأنَّها تختلف عن باقي النساء؛ لارتباط اسمها برسول الله صلى الله عليه وآله، في قولهم: «.. ويتحدَّث عنها كلُّ المسلمين بتجلَّة واحترام، إلَّا أنَّ الشيعة على نحوٍ خاصٍّ يحيطونها بهالة من القدَاسة، وراحوا يعظِّمونها بعد موتها لعدَّة قرون؛ ففاطمة امرأة لا كالنساء، وإنَّما هي امرأة ارتبط اسمها

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٧.

(٢) المصدر نفسه.

باسم رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وصف فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالأسطورة:

لم ينصف المستشرقون فاطمة الزَّهراء عليها السلام حين تحدَّثوا عن الأحداث التاريخيَّة التي وصفوها بالمهمَّة والعظيمة، ولم يبيِّنوا المقصود من ذلك، ووقعوا بخطأ جسيم حين وصفوا ما مرَّت به الزَّهراء عليها السلام في تلك السنوات التي لم يصرِّحوا بأحداثها، بالأسطورة التي اشتعل بها الخيال، على حدِّ تعبيرهم، فحوَّل فاطمة عليها السلام، التي عاشت في الظلِّ في تلك السنوات، إلى أسطورة من نسج الخيال بعد انتهائها، ولم يوضِّحوا أيضًا ما المقصود بالظلِّ، ثمَّ يناقضوا ما بنوه بأنَّ ذلك لم يسبِّب مشكلة للمؤمنين والمسلمين، بقولهم: «.. وظلَّت فى الظلِّ لا تلقى اهتمامًا كثيرًا فى سنوات الإسلام الأولى، نظرًا للأحداث العظيمة والمهمَّة التى شهدتها تلكم السنوات، وكان لا بدَّ، وقد انتهت هذه الأحداث، أن يشتعل الخيال حول فاطمة (رضي الله عنها)، فتتحوَّل إلى ما يشبه الأسطورة، وما كان هذا ليسبِّب مشكلة لدى المؤمنين المسلمين»[2].

مشكلة الغربيِّين في المزايا والصفات التي ذُكِرت عنها:

يرى المستشرقون أنَّ الصفات والمزايا التي انمازت بها الزَّهراء عليها السلام، لا تشكِّل مشكلة عند المؤمنين والمسلمين، ولكنَّ الغربيين عليهم أن يكشفوا جوهر فاطمة على حدِّ تعبيرهم، وأرى هذا اللفظ غير لائق بشخص الزَّهراء عليها السلام، فجوهر الزَّهراء عليها السلام لا يكشفه بحث الغربيِّين الدؤوب؛ لكونها حوراء إنسيَّة، خلقها الله تعالى في السماء قبل الأرض، وكثير من الأحاديث والروايات التي أشارت إليها كثير من البحوث والدراسات، لكن كان على الغربيِّين أن يمتازوا بالموضوعيَّة والاحترام في طرح ما يتعلَّق بالزَّهراء عليها السلام، والدقَّة في النقل من الروايات وعرضها ونقدها؛ ليتسنى للقارئ والمتلقِّي

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٧.
(٢) المصدر نفسه.

أن يعرف مكانة الزَّهراء عليها السلام عند الله ورسوله والناس أجمعين، وليست الظروف المتشابكة التي وصفتموها هي التي خلق الميل لحبِّ الزَّهراء عليها السلام وتوقيرها توقيرًا شديدًا، متعجِّبين من ذلك كما زعمتم بقولكم: «.. لكنَّ الباحثين الغربيِّين، من ناحية أخرى، كان عليهم أن يعملوا بدأب ليكتشفوا جوهر فاطمة (رضي الله عنها)، بمناقشة ما أحاط بها من هالة وضباب ومبالغة. أحقًّا كانت فاطمة (رضي الله عنها) تمتلك من المزايا والصفات ما جعلها أهلًا لهذه الشهرة التى طبَّقت الآفاق بعد وفاتها، أم أنَّ هذه الشهرة نتجت عن ظروف متشابكة جعلت الناس يميلون لتوقيرها توقيرًا شديدًا كامرأة؟!»[1].

تناقض المستشرقين في أحكامهم عن الزَّهراء عليها السلام:

فقد جاء في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة أنَّ اثنين من المستشرقين، وهما الأب هنري لامنس، ولويس ماسينون، قد تناقضت أحكامهما حول شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، فقد وصفها الأوَّل في كتابه فاطمة وبنات محمَّد، بأوصاف لا تليق بشخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، وعِظَم منزلتها عند الله ورسوله، بأنَّها نزَّاعة للبكاء، وماتت بالسلِّ، وتعاني من الأمراض، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يقدِّرها، وعليًّا عليه السلام يعاملها معاملة سيِّئة، على حدِّ تعبير المستشرق هنري، ونحن نردُّ عليه، فنقول: هل هناك دليل يفوق القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة الشريفة في كتب العامَّة والخاصَّة، التي تشير إلى خصائص الزَّهراء عليها السلام وسماتها ومكانتها عند الرسول صلى الله عليه وآله، وعلاقتها مع أسرتها وأبيها قبل الزواج وبعده، فمن أين جئت يا هنري لامنس بهذا الوصف القادح الذي لا يليق ببنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فينبغي أن يمتاز الباحث بالتأدُّب والاحترام والموضوعيَّة عند الطرح والدراسة، وأن لا يقوده الغلُّ والحقد والعدوانيَّة في طرح هكذا شخصيَّة عالميَّة، وهي سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وخير دليل على تخبُّط المستشرق هنري، هو ردُّ المستشرق لويس ماسينون عليه الذي ورد في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، والتعليق على ذلك بقولهم:

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٧.

«إنَّ اثنين من المستشرقين البارزين، هما الأب هنرى لامنس، ولويس ماسينون، قدَّما لنا أحكاما متناقضة عن فاطمة (رضي الله عنها)، فنحن نجد أنَّ الأب هنرى لامنس فى كتابه (فاطمة وبنات محمَّد Fatima et les filles de Mahomet)، يرسم لفاطمة (رضي الله عنها) صورة من خلال أسلوبه المفعم حيوية يستفاد منها أنَّها كانت طيِّبة طِيبة لا تخلو من دهاء، ويعطينا صورة غير مشرقة لابنة النبيّ[صلى الله عليه وآله]، فهى امرأة غير جذَّابة، ذات ذكاء متوسِّط، مهمَلة تمامًا، لا يقدرِّها أبوها النبىّ[صلى الله عليه وآله] إلَّا قليلًا، ويعاملها زوجها (الإمام عليّ) معاملة سيِّئة، مصابة بفقر الدَّم، تعاني المرض فى غالب أيَّامها، نزَّاعة للبكاء، وربَّما تكون قد ماتت بداء السلِّ»[1].

وعلَّق المترجم على استنتاجات لامنس، ووصفها بأنَّها غير صحيحة بقوله: «من الواضح أنَّ استنتاجات لامنس غير صحيحة، ونصوص أحاديث الرسول[صلى الله عليه وآله] تشير إلى تقدير للإناث، فما بال إن كنَّ بناته»[2]. ثمَّ عرض المؤلِّفون لبعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله التي تعكس مظاهر سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله، وما يحسب لهم، هو ذِكر المصادر التي ترد فيها، وممَّا يعزِّز القول إنَّ أغلب المصادر هي من العامَّة، وتعجَّب المؤلِّفون بعد عرض هذه الأحاديث والروايات، كيف ماتت فاطمة بالمرض، وكيف صوَّر معاملتها من غير دليل يقينيّ، بقولهم: «أمَّا قول لامنس إنَّ عليًّا كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة، فالوقائع التاريخيَّة، بما فى ذلك الوارد منها فى هذا المقال تشير إلى تقدير عليّ لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجيَّة سرعان ما تسوَّى. ولا ندري فى الحقيقة كيف استنتج لامنس أنَّها ماتت بالسل، وأنَّها كانت مريضة دائمًا، فما ورد فى هذا الصدد ليس هناك دليل يقينيّ عليه، وقد تكَّفل مستشرقون آخرون بالردِّ على أقوال لامنس»[3].

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٧-٧٧٠٨.
(٢) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٠٨.

وعلَّق المترجم على ذلك بقوله: «من الواضح أنَّ استنتاجات لامنس غير صحيحة، ونصوص أحاديث الرسولﷺ تشير إلى تقديره للإناث، فما البال إن كنَّ بناته»[١]، ثمَّ أشار المؤلِّفون إلى أنَّ عددًا من المستشرقين قد انتقد هذه الصورة التى رسمها لامنس لفاطمة الزَّهراء، واعتبرها غير حقيقية. ومن هؤلاء ج. ليفى ديلافيدا (G. Levi DellaVida) في (Rivista degli Studi RSO, Oriental) المجلَّد السادس (١٩١٣): ٥٣٦-٥٤٧، س.هـ. بيكر (C.H Becker) في (Grundsatzliches Zur Leben Muhammed-Farschung) في دوريَّة الدراسات الإسلاميَّة (Islam Studien)، ج١، ص٢٢٠-٢٢٧، ونشره بعنوان آخر، هو (Prinzipielles Zu lammens Sirastudien)، في (ISL)، مجلَّد ٤، ١٩١٣، ص٢٦٣-٢٦٩[٢].

وممَّا يُحسب لما جاء في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ذِكر ردِّ ماسينون على هنري، إذ رسم للزَّهراءعليها السلام صورة طيِّبة، على حدِّ تعبيرهم، وأنَّها ربَّة بيت النبوَّة، الذى هو خيمة الكرم والفضل، وانتقد لامنس لاجتزائه الوقائع والأحداث التاريخيَّة، وهذا خير دليل على نقض ما جاء به من وصف بقولهم: «أمَّا المستشرق ماسينون، فقد رسم لفاطمة (رضي الله عنها) صورة طيِّبة، إذ رفع فاطمة مكانًا عليًّا، فجعل مكانتها بين المسلمين كمكانة العذراء مريم بين المسيحيِّين، وانتقد ما ذكره لامنس واتَّهمه بأنَّه راح يجتزئ الوقائع والأحداث التاريخيَّة، دون أن يجمع كلَّ الحقائق ويصفها فى سياق كامل واحد، يكون قادرًا على تقديم صورة صادقة وحيَّة، فتلك هى الطريقة الوحيدة، فيما يقول ماسينون، التى تمكِّننا من فهم كيف أن أعمال فاطمة الحدسيَّة قد تغلغلت فى نظريَّات الإسلام ومذاهبه وتكيُّفاته، بل واستُخدمت كوسيلة للخداع، طوال التاريخ

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

الإسلاميّ، ففاطمة (رضي الله عنها)، كما يتصوَّرها ماسينون امرأة لم تحظَ إمكاناتها الروحيَّة بالتقدير الكافي أثناء حياتها. إنَّها امرأة انتقلت إليها بعض خصائص روح أبيها. إنَّها ربَّة بيت النبوَّة الذي هو خيمة الكرم والفضل»[1]، ووصفها ماسينون بأنَّها مُضَيِّفة عُتقاء النبيّ صلى الله عليه وآله، الذين تحوَّلوا للإسلام من غير العرب، لذا فهي تمثِّل بداية عالميَّة الإسلام[2].

ويظهر ممَّا تقدَّم أنَّ للزَّهراء عليها السلام منزلة عظيمة عند الله تعالى، وعند رسوله صلى الله عليه وآله، وليس ما امتازت به الزَّهراء عليها السلام، هو وليد الحوادث التاريخيَّة، كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين، وخير ما يؤيد ذلك هو رد المستشرقين بعضهم على بعض في اثبات مواقفها المختلفة التي تعكس الخلق العظيم للزَّهراء عليها السلام، والخير ما شهد به الأعداء.

خِطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

اتَّفق المستشرقُّون على توافق المعلومات في المصادر، بما يتعلَّق بخطبة فاطمة عليها السلام، ورفض النبيّ صلى الله عليه وآله لطلب أبي بكر وعمر في خطبتها، وتزويجها من عليّ بن أبي طالب، ومهرها الدرع وأربعمائة وثمانون درهمًا، واصفين ذلك بانتظار القدر، لا بانتظار أمر السماء في الزواج بقولهم: «لكنَّ محمَّدًا[صلى الله عليه وآله] لم يوافق على خطبتها لأيٍّ منهما، قائلًا: إنَّه ينتظر اللحظة التى يحدِّدها القدر، ولم يجسر عليّ (رضي الله عنه) على التقدُّم لخطبتها؛ نظرًا لفقره، لكن محمَّدا صلى الله عليه وآله يسَّر هذا الأمر بنفسه، فذكَّره أنَّه-أي عليّ- يمتلك درعًا يكفي ثمنه كمهر لفاطمة، وأضاف عليّ للدرع جملًا وأشياء أخرى فبلغ ما دبره من المال حوالى أربعمائة وثمانين درهما، فاشترى بثلث المبلغ أو ثلثيه عطورًا وجهز بيت الزوجية بالباقي، وعندما أخبر محمَّد ابنته فاطمة بوعده لعليّ، صمتت، ولم تقل شيئًا، وفسَّر

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٠٩.
(٢) المصدر نفسه.

النبيّ سكوتها بالرِّضى والقَبول»[١]، وممَّا يؤخذ عليهم نقل خبر اعتراض الزَّهراءعليها السلام على خطوبتها من عليّعليه السلام، وإقناع الرسولصلى الله عليه وآله لها بأنَّها إنَّما ستتزوج ابن عمِّه، وأنَّه أكثر الناس فقهًا وحكمةً، وأنَّه كان من السابقين للإسلام، ولم يُشِيروا إلى تلك المصادر[٢].

الخلافات الزوجيَّة:

وممَّا يؤخذ على المستشرقين وضع عنوان يخصُّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام كهذا، ومن ثمَّ قولهم من غير دليل: «لم يكن عليّ وفاطمة يعيشان في وفاق دائم، وكان عليّ (كرم الله وجهه) يعامل فاطمة بالغِلظة، فكانت تشكوه لأبيها، وكان البِشر يعلو وجه الرسولصلى الله عليه وآله عندما يوفِّق بينهما»[٣].

كنية عليّعليه السلام بأبي تراب في نظر المستشرقين:

ذكر المستشرقون سببًا غريبًا لهذا الوصف لعليعليه السلام مِن قِبَل النبيّصلى الله عليه وآله، عندما يختلف مع فاطمة الزَّهراءعليها السلام، يضع التراب على رأسه، وهو تعليل لا يقبله العقل ولا النقل، إذ قالوا: «وقد كنَّى النبيّ[صلى الله عليه وآله] عليّ بن أبي طالب بأبي تراب؛ لأنَّ عليًّا كان إذا اختلف مع زوجته فاطمة، كظم غيظه، وترك البيت، حتَّى لا يردَّ عليها ردًّا غليظًا، ووضع التراب على رأسه، فلمَّا رآه محمَّدصلى الله عليه وآله يفعل ذلك أسماه أبا تراب»[٤].

وردَّ المترجِم على ذلك بقوله: «التفسير المعروف لهذه الكنية أنَّ الرسولصلى الله عليه وآله وجد عليّ بن أبي طالب نائمًا في المسجد، وقد تساقط عليه التراب، فنفضه عنه وأيقظه، وقال له مداعبًا: «**قُم يا أبا تراب**»[٥]، فالموضوع ليس له علاقة بالخلافات الزوجيَّة، بقدر تعلُّقه

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧١٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٣٥/ ٥١.

بالعبادة، والوصف الظاهريّ للإمام عليّ عليه السلام بأنَّه حجَّة الله في الأرض، كما ورد عن عبد الله بن عبَّاس: «لِمَ كنَّى رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا أبا تراب؟ فقال: لأنَّه صاحب الأرض، وحجَّة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها»[1].

أهل البيت خمسة، منهم فاطمة:

حدَّد المستشرقون أهل البيت بخمسة، ومنهم فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وإنَّ صدر الآية يتضمَّن تعليمات لزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله، بقولهم: «الآية الكريمة رقم ٣٣ من سورة الأحزاب تنصُّ في جانبٍ منها ﴿.. إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ويتضمَّن صدر الآية نفسها والآية التي قبلها تعليمات لزوجات النبيّ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ..﴾»[2].

أثبت المستشرقون أنَّ الخمسة عليهم السلام هم أهل الكساء فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام، ويؤيِّد ذلك ما حدث يوم المباهلة، وما يقوم به الرسول صلى الله عليه وآله بالدقِّ على باب عليّ و فاطمة عليها السلام بميقات صلاة الصبح، وتلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ..﴾، وعلى الرغم من الجهود المبذولة على حدِّ تعبيرهم لضمِّ زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله لأهل الكساء؛ «إلَّا أنَّ هؤلاء الخمسة ظلُّوا بشكلٍ عام هم أهل الكساء، ويقول الشيعة بدون استثناء، وكذلك السنَّة، قبل ظهور حركة التشيُّع لعليّ: إنَّ أهل الكساء تعني أهل البيت، وقد ارتبطت الآيتان القرآنيَّتان الواردَتان في صدر هذا المقال بعليّ (كرَّم الله وجهه)، وفاطمة (رضي الله عنها)، إذ يروى أنَّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله كان يستيقظ مبكِّرًا لصلاة الصبح ويدقُّ على بيت عليّ وفاطمة، مذكِّرًا إيَّاهما بميقات الصلاة، تاليًا

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧١٦.
(٢) المصدر نفسه.

الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ..﴾»[١].

فاطمة في أثناء مرض النبيّ صلى الله عليه وآله:

ذكر المستشرقون تحت هذا العنوان القصة كاملة بإخبار النبي محمَّد صلى الله عليه وآله لفاطمة عن قُرب أجله فبكت، وأنَّها أسرع اللاحقين به، ففرحت، وذلك في قولهم: «حزنت فاطمة لمرض والدها حزنًا شديدًا، فقد كانت تحبُّه حبًّا جمًّا، وأراد محمَّد صلى الله عليه وآله أن يخفِّف من حزنها، فأسرَّ إليها بكلمات فتبسَّمت، فيما تروي السيِّدة عائشة، وبعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، سألت السيِّدة عائشة فاطمة عمَّا كان يقوله الرسول صلى الله عليه وآله لها، وما الذى جعلها تبتسم. فقالت فاطمة إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبرها أنَّ جبريل عليه السلام كان يأتيه فى كلِّ عامٍ مرَّة، لكنَّه فى هذا العام قد أتاه مرَّتَين، واستنتج الرسول صلى الله عليه وآله من ذلك أنَّ أجله قد قَرُب، وأخبرها الرسول صلى الله عليه وآله أنَّها ستكون أوَّل من يلحق به من أهل بيته، فبكت فاطمة لكن محمَّدا صلى الله عليه وآله أخبرها أنَّها ستكون سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فتبسَّمت»[٢].

صفات فاطمة عليها السلام

وقف المستشرقون عند بعض الصفات وعللُّوها على النحو الآتي:

١. أمُّ أبيها: كنية غريبة عند المستشرقين، وهي كنية متأخِّرة وردت في المراجع المتأخِّرة، مثل أسد الغابة، وعند الشيعة الإماميَّة «إنَّها سمِّيت بأمِّ أبيها؛ لأنَّها علمت عن طريق الوحى أنَّ اسم آخر واحد من سلالتها سيكون اسمه محمَّدًا كاسم أبيها»[٣]، ونقلوا قول المستشرق الذي لفت الأنظار، بحسب تعبيرهم، إلى وجود صلة بين عقيدة المسيحيِّين فى مريم باعتبارها (أمُّ الرَّبِّ)، وعقيدة بعض المسلمين في فاطمة (أمّ أبيها)، فالكنيتان متناظرتان، وردَّ على ذلك

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٢١.

(٣) المصدر نفسه.

المترجم في الهامش، واصفًا قوله بالتعنُّت الشديد، فالمسلمون لم يؤلِّهوا محمَّدًا أو عيسى عليهما السلام قائلًا: «لا شكَّ أن هذا تعنُّت شديد في الرَّبط والتفسير، فلم يَقُل أحد من المسلمين؛ سنَّة أو شيعة أنَّ محمَّدًا إلهٌ أو ربٌّ، وبالتالي فليس هناك وجه للمقارنة، كما أنَّه من المعلوم أنَّ المسلمين يرفضون أيَّ تأليه لمحمَّد أو عيسى عليهما السلام»[1].

٢. إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لم تكن جميلة، والسبب عندهم أنَّ المصادر لم تَصِف سوى مشيتها، كانت تشبه مشية أبيها، وسكتت عن منظرها، ونقول: إنَّ عدم وصفها كان من باب العفَّة والحجاب، وليس من باب انعدام الجمال، وردَّ عليهم المترجِم في الهامش، قائلًا: «ولا يمكن وصفها بأنَّها امرأة واهنة مريضة، كما ذهب لامنس اعتمادًا على (حديثَين شريفَين)، لا بدَّ أنَّهما قيلا في ظروف خاصَّة، فهناك حقائق أخرى تفيد عكس ما ذكره لامنس، فقد كانت ولودًا أنجبت خمسًا، كما كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وقامت برحلَتَين إلى مكَّة، كلُّ ذلك يُشير إلى أنَّها كانت صحيحة البدن. وتشير كلُّ الوقائع إلى أنَّها كانت امرأة صبورة دؤوبة، تعمل بجدّ، وأنَّها كانت تجد متعة في مساعدة الآخرين، وكانت تقوم بدور المتحدِّث بلسان زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله عندما شكون من تفضيله عائشة عليهنَّ، وأدَّت فاطمة ما طُلِب منها، خاصَّة أنَّها لم تكن تميل لعائشة كثيرًا، لكنَّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما سألها إن كانت تحبُّ مَن يُحب، أجابت بالإيجاب..»[2].

٣. وصف المستشرقون حديث تفَّاحة الجنَّة، وحديث النور بالأسطورة، ولم يبيِّنوا المقصود من مصطلح الأسطورة، فالأسطورة في اللغة هي الحديث الذي

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٢٢.
(٢) المصدر نفسه.

لا أصل له، أي يؤلَّف[١]، وجعلوا لكل حديث عنوانًا اسطوريًا على النحو الآتي:

أسطورة التفاحة السماويَّة[٢]:

تعود هذه الأسطورة لما رواه الغلابيّ المتوفَّى ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، ومؤدَّاها أنَّ محمَّدًا ﷺ عندما كان يقترب ليحتضن فاطمة دون سواها من أخواتها، قال: إنَّ جبريل كان قد أتاه وقدَّم له تفاحَّة من الجنَّة، فلمَّا أكلها استحالت إلى ماء سرى فى عضوه التناسليّ، فقذف به في خديجة، فحملت بفاطمة، لذا فقد كان الرسول يشمُّ في فاطمة ريح الجنَّة[٣].

وثمَّة رواية أخرى مؤدَّاها أنَّ محمَّدًا ﷺ أكل هذه التفاحة المقدَّسة، وكذلك تمرًا مقدَّسًا في أثناء رحلة المعراج.. ثمَّ تستمر الحكاية، وثمَّة رواية أخرى، تفسِّر كنية فاطمة (أم أبيها)، وهى أنَّ الله بدأ بخلق نور فاطمة، ووضعه فى شجرة فى الجنَّة، والتى أشعَّت نور محمَّد ﷺ، فلمَّا صعد محمَّد ﷺ للجنَّة فى رحلة المعراج، أمره الله باقتطاف ثمرة من هذه الشجرة، فانتقل إليه نور فاطمة، فوضعه فى رحم خديجة، فولدت فاطمة، ومن هنا فهي (أم أبيها)[٤]، ولم يشيروا إلى مصادر هذه الروايات التي وصِفت بالأسطورة، في حين أكثرها صحيحة ووردت عن أهل البيت عليهم السلام[٥].

أسطورة نور فاطمة:

وصف المستشرقون حديث النور بالكذب والوضع، ووصفوه بالقصَّة التي تدخل في بعض عقائد الإسماعيليَّة من غير دليل، في حين أنَّه من الأحاديث التي

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٣٦٣.
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مجموعة من المؤلِّفين: ٢٥/ ٧٧٢٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ينظر: بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٤٢/ ١٨.

رويت عن أهل البيت عليهم السلام[1]، وعندهم تروي الأسطورة «حديثًا مكذوبًا موضوعًا عن رسول الله[صلى الله عليه وآله] مـؤدَّاه أنَّ الله خلق محمَّدا وعليًّا من نور، وانتقل نورهما إلى أهل البيت وذريَّتيهما، ثمَّ من نور محمَّد صلى الله عليه وآله وعليّ كان نور العرش، ومن نور ذريَّتهما خلق الله نور الشمس والقمر، وعلَّم أهل البيت الملائكة كيف يكبِّرون ويهلِّلون ويحمدون (علَّموهم التكبير والتهليل والتحميد)، ثمَّ قال الله: بعزَّتي وجلالي إنِّني سأخلق، فخلق نور فاطمة كالمصباح، وبنور فاطمة أضاءت السماوات، لذا سميت فاطمة بالزَّهراء، وهذه القصة تعتبر ذات أهميَّة خاصَّة؛ لأنَّها تدخل في بعض عقائد الإسماعيليَّة»[2].

أسماء فاطمة:

ذكر المستشرقون أنَّ من أسماء الزَّهراء عليها السلام (فاطمة)، مع بيان دلالته في اللغة: «فطم العود فطمًا أي قطعه، وفطم الصبي فهو فطيم، أي فصله عن الرضاع، وفطام الصبي فصاله عن أمِّه، وقيل: إنَّ فاطمة سمِّيت بهذا الاسم لأنَّها وذريَّتها فصلت عن الشرِّ أو أبعدت عن جهنَّم، أو لأنَّها مبرَّأة من الشرك»[3]، وأشاروا إلى أنَّ المصادر الشيعيَّة ذكرت أسماء فاطمة، منها: فاطمة، الصدِّيقة، الرَّاضية، المباركة، المحدَّثة، (وقد سمِّيت المحدَّثة؛ لأنَّ الملك تحدَّث إليها على نحو ما تحدَّث لمريم العذراء)، والزَّهراء، والطاهرة، والرضيَّة، والراضية، والزكيَّة. ووفقًا لمصدر شيعيّ آخر، فإنَّ أسماءها على الأرض هي: فاطم، فاطر، الزَّهراء، البتول، الحَصَان، الحوراء، السيِّدة، الصدِّيقة، مريم الكبرى[4].

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٤٣/ ٤.
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة: ٢٥/ ٧٧٢٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٢٨.
(٤) المصدر نفسه: ٢٥/ ٧٧٢٨.

وأشار المستشرقون إلى أنَّ بعض الأسماء أرضيَّة، وبعضها سماويَّة، «وقد ذكر ابن بابويا المتوفَّى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م ستَّة عشر اسمًا أرضيًّا، وثلاثة أسماء سماويَّة لفاطمة، وقد ألحق ابن شهرآشوب بهذه الأسماء قائمة بتسعة وستِّين اسمًا آخر»[١].

فاطر:

ذكر المستشرقون أنَّ (فاطر) من أسماء فاطمة عليها السلام، ورد بصيغة المذكَّر بمعنى (الخالق)، ويُستخدم لتعظيم فاطمة الزَّهراء عليها السلام عند الإسماعيليَّة، وبعض المذاهب النصيريَّة، ويفسِّر كنية أمّ أبيها عندهم[٢].

وهناك كثير من الآيات والحوادث التي تخصُّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولم ينتبه إليها المستشرقون، ومنها:

١. الذِّكر الكثير في كتاب معاني الأخبار، وقد روي في خبر آخر عن الصادق عليه السلام أنَّه يقول قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٤١)، ما هذا الذِّكر الكثير؟ قال: من سبَّح تسبيح فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقد ذكر الله الذِّكر الكثير ٤٠. سئل: ما هذا الذكر الكثير؟ قال: «**مَن سبَّح تسبيحَ فاطمة الزَّهراء، فقد ذَكرَ الله كثيرًا**». وفي رواية: «**مَن ذكر الله في السرِّ، فقد ذكر الله كثيرًا**»[٣].

٢. آية الاصطفاء: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، وعن أبي مسلم الخولانيّ، قال: دخل النبيّ صلى الله عليه وآله على فاطمة الزَّهراء عليها السلام وعائشة، وهما يفتخران، وقد احمرَّت وجوههما، فسألهما عن خبرهما، فأخبرتاه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عائشة

(١) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة: ٢٥/ ٧٧٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١٩٣، وينظر: تفسير نور الثَّقلَين، الحويزي: ٧/ ٧٧.

أوَ ما علمت أنَّ الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران وعليًّا والحسن والحسين وحمزة وجعفر وفاطمة وخديجة على العالمين[1].

٣. الصراط المستقيم: عن حمران، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤١)، قال: **(أمير المؤمنين) عليّ بن أبي طالب، والأئمَّة من ولد فاطمة الزَّهراء**[2]. روى الحافظ محمَّد بن مؤمن الشيرازيّ بإسناده إلى قتادة عن الحسن البصريّ، قال: كان يقرأ هذا الحرف ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾، فقلت للحسن: وما معناه؟ قال: **يقول هذا طريق عليّ ابن أبي طالب ودينه طريق ودين مستقيم، فاتَّبعوه وتمسَّكوا به؛ فإنَّه واضح لا عوج فيه**[3]

٤. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١)، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: خُلِقت الأرض لسبعة، بهم يُرزَقون وبهم يُنصَرون وبهم يُنظَرون، وهم عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وعمَّار بن ياسر، وسلمان الفارسيّ، ومقداد ابن الأسود، وحذيفة، وأنا إمامهم السابع، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، هؤلاء الذين صلُّوا على فاطمة الزَّهراء عليها السلام، و[4].

وأمَّا ما ورد من الحوادث المهمَّة التي تخصُّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومنها:

فاجعة كربلاء في علم الزَّهراء عليها السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان الحسين عليه السلام مع أمِّه تحمله، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال:

(١) ينظر: الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشانيّ: ٣/ ١٩٥.
(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ٦/ ٤.
(٣) المصدر نفسه: ٩/ ٥.
(٤) ينظر: شرح أصول الكافي، المازندرانيّ: ٧/ ٩١.

لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلكَ الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة الزَّهراءعليها السلام: يا أبه أي شيء تقول؟ قال: **يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذٍ في عصبة كأنَّهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأنِّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتُربتهم.** قالت: يا أبه وأنَّى هذا الموضع الذي تصف؟ قال: **موضع يُقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمَّة، يخرج شرار أمَّتي، وأنَّ أحدهم لو يشفع له مَن في السماوات والأرَضين، ما شفعوا فيه، وهم المخلَّدون في النار.** قالت: يا أبه فيقتل؟ قال: **نعم يا بنتاه، وما قُتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرض**[1].

فاطمة الزَّهراءعليها السلام تُخبَر بوفاة والدهاصلى الله عليه وآله:

عن عبد الله بن عبَّاسرضي الله عنه قال: سمعت سلمان الفارسيّرضي الله عنه، وهو يقول: لما أن مرض النبيّصلى الله عليه وآله المرضة التي قبضه الله فيها، دخلت فجلست بين يديه، ودخلت عليه فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فلمَّا رأت ما به خنقتها العبرة حتَّى فاضت دموعها على خدَّيها، فلمَّا أن رآها رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: **ما يبكيك يا بنيَّة؟** قالت: **وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بك من الضعف فمن لنا بعدك يا رسول الله؟** قال لها: **لكم الله فتوكَّلي عليه واصبري كما صبر آباؤك من الأنبياء وأمَّهاتك من أزواجهم. يا فاطمة أوَما علمت أنَّ الله تبارك وتعالى اختار أباك فجعله نبيًّا وبعثه رسولًا ثمَّ عليًّا فزوَّجك إيَّاه وجعله وصيًّا، فهو أعظم الناس حقًّا على المسلمين بعد أبيك، وأقدمهم سلمًا وأعزَّهم خطرًا، وأجملهم خلقًا، وأشدّهم في الله وفيَّ غضبًا، وأشجعهم قلبًا، وأثبتهم وأربطهم جأشًا، وأسخاهم كفًّا.** ففرحت بذلك فاطمة الزَّهراءعليها السلام فرحًا شديدًا. فقال لها رسول اللهصلى الله عليه وآله: **هل سررتك يا بنيَّة؟** قالت: **نعم يا رسول الله لقد سررتني وأحزنتني**[2].

(١) شرح أصول الكافي: ٢/ ٨٣.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ١٢/ ٢٠.

قال: **كذلك أمور الدنيا يشوب سرورها بحزنها. أفلا أزيدك في زوجك من مزيد الخير كلّه؟** قالت: بلى يا رسول الله. قال: **إنَّ عليًّا أوَّل من آمن بالله، وهو ابن عمِّ رسول الله، وأخو الرسول ووصيّ رسول الله، وزوج بنت رسول الله، وابناه سبطا رسول الله، وعمّه سيِّد الشهداء عمّ رسول الله، وأخوه جعفر**[1].

فاطمة في العبادات المعاصرة:

ممَّا يحسب للمستشرقين الإشارة إلى المناسبات الدينيَّة بعنوان فاطمة في العبادات المعاصرة، لكنَّهم عدُّوها من باب تعاطف الشيعة مع فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وجعلوا بعضها دينيَّة، وبعضها غير رسميَّة، ولم يبيِّنوا السبب بقولهم: «كان لتعاطف الشيعة الشديد مع فاطمة أثر في إقامتهم عدَّة أعياد ومناسبات دينيَّة مرتبطة بفاطمة، فثمَّة عيد رسمي بمناسبة المباهلة يعقد فى ٢١ و٢٤ أو ٢٥ من شهر ذي الحجَّة، لكن هناك مناسبات أخرى غير رسميَّة يجري الاحتفال بها كالاحتفال بمولدها فى العشرين من رمضان، وتقديم السمِّ للحسن، واستشهاد الحسين»[2]، وأشاروا إلى عقائد الشيعة في التمسُّك بأهل البيت الخمسة في المواقف الصعبة التى تمرُّ بالناس، ويسمعون دعاءهم، والحقيقة أنَّ أهل البيت عليهم السلام جميعهم شفعاء لنا عند الله تعالى في استجابة الدعاء، ودفع البلاء.

الخاتمة ونتائج البحث

١. لم يكن المستشرقون على مستوًى عالٍ من الدقَّة في نقل ما جاء عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الصفات وتعليلاتها، ومن ذلك قولهم: إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لم تكن جميلة، والسبب عندهم أنَّ المصادر لم تصف سوى أنَّ مشيتها كانت

(١) تفسير فرات الكوفيّ: ٢/ ٥٣.
(٢) موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة: ٢٥/ ٧٧٣٠-٧٧٣.

تشبه مشية أبيها، وسكتت عن منظرها. ونقول: إنَّ عدم وصفها كان من باب العفَّة والحجاب، وليس من باب انعدام الجمال.

٢. لم يكن للزَّهراء عليها السلام في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة شيء من القداسة اللفظيَّة، إذ ورد الحديث عن سيرتها تحت عنوان (فاطمة) من غير (رضي الله عنها) أو (عليها السلام)، وإن جاءت الأولى في المتن في بعض الموضوعات، وهي لها الحقُّ في هذا التقديس اللفظيّ، أولى من غيرها ممَّن وردت أسماؤهم تحمل جزءًا من هذا التقديس في هذا الكتاب.

٣. وصفوا كثيرًا من الأحاديث التي وردت بحق الزَّهراء عليها السلام بالأسطورة، من غير دليل شرعيّ أو نقليّ أو عقليّ يؤيِّد ما يذهبون إليه من الوصف، في حين أنَّ كثيرًا من الروايات في مصادر أهل البيت عليهم السلام تُشير إلى هذا الحدث المهمّ في التاريخ، مثل أسطورة التفَّاحة، وغيرها على حدِّ تعبيرهم.

٤. نقلوا من القرآن الكريم بعض الآيات القرآنيَّة التي قالوا عنها إنَّها تشير إلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام في المعنى الباطنيّ، لكنَّهم لم يحدِّدوا مَن قال ذلك، وما المقصود بالمعنى الباطنيّ، وفي أي تفسير ورد ذلك، فقد نسبوا القول إلى المفسِّرين ولم يشيروا إلى أسمائهم أو مؤلَّفاتهم، وهذا يوحي بعدم الدقَّة العلميَّة في النقل، ممَّا نسب إلى المفسِّرين قولهم: كلُّ لفظ أنثى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكلُّ لفظ (ذكر) هو عليّ عليه السلام، وكما قلت هم يذكرون الأسماء من غير تقديسٍ لفظيّ، في التسليم عليهم أو الرضا عنهم أحيانًا.

٥. ممَّا يحسب لهم ذِكر رأي أحد المستشرقين والردّ عليه، ومن تلك الردود على وصفها بأنَّها امرأة واهنة مريضة، كما ذهب لامنس اعتمادًا على (حديثَين شريفَين)، لا بدَّ أنَّهما قيلا في ظروف خاصَّة، فهناك حقائق أخرى تفيد عكس ما ذكره لامنس، فقد كانت ولودًا أنجبت خمسة، كما كانت تقوم بأعمال بيتها

بنفسها، وقامت برحلتَين إلى مكَّة، كلُّ ذلك يشير إلى أنَّها كانت صحيحة البدن.

٦. وممَّا يحسب لهم أنَّهم جعلوا التشفُّع بأهل البيت عليهم السلام من عقائد الشيعة في استجابة الدعاء ورفع البلاء، لكنَّهم حصروا ذلك في خمسة من أهل البيت عليهم السلام تحت عنوان فاطمة في العبادات المعاصرة، في حين أنَّ أهل البيت عليهم السلام هم كلُّهم يشفعون لمن رضي الله عنه.

٧. أشار المستشرقون إلى كثير من القضايا التي تخصُّ الحياة الزوجيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، لكنَّها عارية عن الصحَّة، والدليل على ذلك ما ورد بعنوان الخلافات الزوجيَّة، في أخبار منها: أنَّه لم يكن عليّ وفاطمة يعيشان في وفاق دائم، وكانت كثيرًا ما تشتكي إلى أبيها منه، وهذا يعدُّ خلاف الموضوعيَّة والأمانة العلميَّة في التحرِّي والدقَّة في نقل هكذا أمور تتعلَّق بالمعصومين عليهم السلام، ومنهم فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهم قد أكدَّوا ذلك أنفسهم بالردِّ على المستشرق لامنس الذي تحدَّث عن شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، ولم يكن منصفًا.

٨. تحدَّثوا عن كنية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأبي تراب، معلِّلين ذلك تعليلًا يفتقر إلى الدقَّة والموضوعية والصحَّة، وهو أنَّ عليًّا عليه السلام؛ كان إذا اختلف مع زوجته فاطمة، كظم غيظه وترك البيت حتَّى لا يردَّ عليها ردًّا غليظًا، ووضع التراب على رأسه، فلمَّا رآه محمَّد صلى الله عليه وآله يفعل ذلك، سمَّاه أبا تراب، ولم يشيروا إلى المصادر التي نقلوا عنها.

٩. وصف المستشرقون حديث تفَّاحة الجنَّة وحديث النور بالأسطورة، ولم يبيِّنوا المقصود من مصطلح الأسطورة، فالأسطورة في اللغة هي الحديث الذي لا أصل له، أي يؤلَّف.

١٠. وصف المستشرقون حديث النور بالكذب والوضع، ووصفوه بالقصَّة التي تدخل في بعض عقائد الإسماعيليَّة، وهذا الرأي يفتقر إلى الدليل القاطع.

١١. أثبت المستشرقون أنَّ الخمسة عليهم السلام هم أهل الكساء، فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام، ويؤيِّد ذلك ما حدث يوم المباهلة، وما يقوم به الرسول صلى الله عليه وآله بالدقِّ على باب عليّ و فاطمة عليهما السلام بميقات صلاة الصبح، وتلاوة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ..﴾ (الأحزاب: ٣٣).

١٢. أم أبيها كنية غريبة عند المستشرقين، وهي كنية متأخِّرة وردت في المراجع المتأخِّرة، مثل أسد الغابة، ونقلوا قول المستشرق الذي لفت الأنظار، بحسب تعبيرهم، إلى وجود صلة بين عقيدة المسيحيِّين في مريم باعتبارها (أمُّ الرَّبِّ)، وعقيدة بعض المسلمين في فاطمة (أمّ أبيها)، فالكنيتان متناظرتان ، وردَّ على ذلك المترجِم في الهامش، واصفًا قوله بالتعنُّت الشديد، فالمسلمون لم يؤلِّهوا محمَّدًا أو عيسى عليهما السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاستشراق المعرفة. السلطة. الإنشاء: إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسَّسة الأبحاث العربيَّة، ١٩٧٨م.

٢. الاستشراق وموقفه من السنَّة النبويَّة: فالح بن محمَّد بن فالح الصغير، مجمع الملك فهد للطباعة.

٣. بحار الأنوار: العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

٤. التفسير الأصفى: الفيض الكاشانيّ، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، محمَّد حسين درايتي، محمَّد رضا نعمتي، ط١، ١٤٢٠/ ١٣٧٨ش.

٥. تفسير فرات الكوفيّ: فرات الكوفيّ، تحقيق: محمَّد الكاظم، مؤسَّسة الإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٠ق.

٦. تفسير نور الثَّقلَين: عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، المطبعة العلميَّة، ١٩٦٥.

٧. رؤية إسلاميَّة للاستشراق: أحمد عبد الحميد غراب، ١٩٨٨م.

٨. شرح أصول الكافي: مولي صالح المازندرانيّ، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح: السيِّد عليّ عاشور، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩. لسان العرب: أبو الفضل محمَّد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ، تحقيق: عبد الله عليّ الكبير وآخرون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٤هـ.

١٠. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش.

١١. موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، تأليف مجموعة من المؤلِّفين، تحرير: م.ت. هوتسما، ت.و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، تحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناويّ، عبد الحميد يونس، حسن حبشيّ، عبد الرحمن الشيخ، محمَّد عناني، ط١، مركز الشارقة للابداع الفكريّ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، عدد المجلَّدات٣٣.

مرويات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

د. ميثاق كاظم الخفاجيّ

ملخَّص البحث

حظيت الزَّهراء عليها السلام باهتمام النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله ورعايته، ونجد ذلك واضحًا في روايات جمَّة عند الفريقَين من العامَّةِ والخاصَّةِ، في فضلها وتقدُّمها على سائر نساء العالمين، فـأورد الصحابة والتابعون أخبار الطاهرة ما لا يمكن حصره في بحثٍ مُقتضبٍ، فاختار الباحث مرويَّات السيِّدة عائشة بنت أبي بكر، زوج النبيّ صلى الله عليه وآله دون غيرها من مرويَّات خاصَّة عن سيِّدة نساء العالمين، للوقوف على ما ورد عن زوج الرسول صلى الله عليه وآله بحقِّ الزَّهراء عليها السلام، وهنا تَكْمُنُ أسباب اختيار البحث، ثمَّ اختزال مرويَّات عائشة عمَّا ورد بحقِّ الزَّهراء عليها السلام عن غيرها من العامَّة والخاصَّة في الموروث التاريخيّ الإسلاميّ؛ لبيان ما اختصَّت به السيِّدة عائشة في مرويَّاتها عن الزَّهراء عليها السلام، وهنا تتمثَّل أهميَّة البحث.

وعلى هذا الأساس، وَسمتُ البحث بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بعد أنْ قسَّمته على مبحثَين، جاء المبحث الأوَّل بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة منذ الولادة وحتَّى وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، لتسليط الضوء على ما ورد من مرويَّات بحقِّ الزَّهراء عليها السلام إبَّان تلك الحقبة، أمَّا المبحث الثاني فكان بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله؛ ليخلص الباحث إلى أهمِّ الاستنتاجات التي تَمَخَّضَ عنها البحث، ويقع في مقدِّمتها أنَّ السيِّدة عائشة كانت مُقلَّة للرواية عن

سيِّدة نساء العالمين، على الرَّغم من كثرة ما ورد عنها من روايات، متكئًا على بعض المصادر والمراجع التي أغنت البحث، منها كتاب صحيح مسلم، لمسلم بن الحجَّاج (ت٢٦١هـ)، وكتاب ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى، لمحبِّ الدين الطبريّ (ت٦٩٤هـ)، وكتاب الثغور الباسمة في مناقب السيِّدة فاطمة، للسيوطيّ (ت٩١١هـ)، وغيرها، التي قُيِّدت في ثبت المصادر والمراجع. وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

الكلمات المفتاحيَّة: الزَّهراء، عائشة، مرويَّة، فاطمة.

المُقَدَّمةُ

وردَ عن الزَّهراءعليها السلام روايات جمَّة عند الفريقَين من العامَّةِ والخاصَّةِ، في فضلها وتقدُّمها على سائر نساء العالمين، فأورد الصحابة والتابعون أخبار الطاهرة ما لا يمكن حصره في بحثٍ مُقتضبٍ، فاختار الباحث مرويَّات السيِّدة عائشة بنت أبي بكر، زوج النبيّصلى الله عليه وآله دون غيرها من مرويَّات خاصَّة عن سيِّدة نساء العالمين، للوقوف على ما ورد عن زوج الرسولصلى الله عليه وآله بحقِّ الزَّهراءعليها السلام، وهنا تَكْمُنُ أسباب اختيار البحث، ثمَّ اختزال مرويَّات عائشة عمَّا ورد بحقِّ الزَّهراءعليها السلام عن غيرها من العامَّة والخاصَّة في الموروث التاريخيّ الإسلاميّ؛ لبيان ما اختصَّت به السيِّدة عائشة في مرويَّاتها عن الزَّهراءعليها السلام، فبلغت سبعًا وثلاثين مرويَّة، الكثير منها تكرَّر بالفاظ مختلفة، ومتَّفقة في المعنى والمضمون، وهنا عمل الباحث على اختزال المتكرِّر منها، واعتمد مرويَّة واحدة، وهنا تتمثَّل أهميَّة البحث، واتَّبع الباحث المنهج التحليليّ في إيراد المرويَّة التاريخيَّة، وبيان مظانِّها.

وعلى هذا الأساس، وَسمتُ البحث بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، بعد أنْ قسَّمته على مبحثَين، جاء المبحث الأوَّل بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة منذ الولادة وحتَّى وفاة النبيّصلى الله عليه وآله، لتسليط الضوء على ما ورد من مرويَّات بحقِّ الزَّهراءعليها السلام إبَّان تلك الحقبة، أمَّا المبحث الثاني فكان بعنوان مرويَّات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بعد وفاة النبيِّ الأكرمصلى الله عليه وآله؛ ليخلص الباحث إلى أهمِّ الاستنتاجات التي تَمَخَّضَ عنها البحث، ويقع في مقدِّمتها أنَّ السيِّدة عائشة كانت مُقلَّة للرواية عن

سيِّدة نساء العالمين، على الرَّغم من كثرة ما ورد عنها من روايات، متكئًا على بعض المصادر والمراجع التي أغنت البحث، منها كتاب صحيح مسلم، لمسلم بن الحجَّاج (ت٢٦١هـ)، وكتاب ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى، لمحبِّ الدين الطبريّ (ت٦٩٤هـ)، وكتاب الثغور الباسمة في مناقب السيِّدة فاطمة، للسيوطيّ (ت٩١١هـ)، وغيرها، التي قُيِّدت في قائمة ثبت المصادر والمراجع. وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

مرويَّات السيِّدة عائشة عن الزَّهراء عليها السلام قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله

ورد عن السيِّدة عائشة مرويَّات تُسلِّط الضوء على طهارة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام من حيث المولد في النطفة التي تكوَّنتْ منها إبَّان الإسراء والمعراج، وعلى الرَّغم من ورود تلك الرواية عند الخاصَّة، إلَّا أنَّ الباحث اختزل مرويَّة عائشة من بين المرويَّات والروايات التي ذكرت الخبر بصيغة الحِوار مع عائشة، إذ تشير المرويَّة إلى أنَّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أُسريَ به إلى السماء ودخل الجنَّة، رأى شجرة من نورٍ، فسأل عنها جبرائيل عليه السلام، فأخبره بأنَّها لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتشير المرويَّة إلى أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله حينما سألته عائشة قال لها: «... **يا عائشة إنِّي لـمَّا أُسري بي إلى السماء، أدخلني جبريل الجنَّة، فناولني منها تفَّاحة فأكلتها، فصارت نطفة في صُلبي، فلمَّا نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة...**»[1]، وفي سياق هذه المرويَّة، ورد عن عائشة حال حديثها مع النبيّ صلى الله عليه وآله، قال فيه: «.. **يا حميراء إنَّ فاطمة ليست كنساء الآدميِّين ولا تعتلُّ كما يعتلُّون**»[2]، فتُشير

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٢م: ٥/ ٨٧، للمزيد ينظر: المعجم الكبير، الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢: ٢٢/ ٤٠٠، علل الشرايع، الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، دار قارئ، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م: ١/ ٢٦٣، الخصائص الكبرى، السيوطيّ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٥م: ٣٠١.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨م: ٩/ ٣٢٩.

المرويَّة إلى أنَّ الزَّهراء عليها السلام خُلقتْ من ثمار الجنَّة، فهي النُّطفةُ التي تكوَّنتْ بعد أكل التفَّاحة من لدن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وبالنتيجة هي لم تكن كسائر البشر، والتصريح بالنصِّ له ما يعضده، إذ إنَّ المقاربة فيما بين الروايات الواردة، التي تتَّصل بذات المعنى، منها ما ورد عن عائشة، أنَّها قالت: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قَدِم من سَفَر، قبَّلَ نحرَ فاطمة عليها السلام، فقال: **منها أشمُّ رائحةَ الجنَّة**»(١)، وهذه المرويَّة أيضًا تكون قد ربَطت ما بين المرويَّة السابق ذِكرها مع غيرها من المرويَّات، ومن ثمَّ فإنَّ المروية التي وردت عن عائشة حينما قالت: «كنَّا نخيِّط، ونغزل، ونُنظم الإبرة باللَّيل في ضوء وجه فاطمة عليها السلام»، دليل النور الذي يسطع من تلك الإنسية، ولم أكن مغاليًا بهذا الصدد، إذ ما علمنا أنَّ مَن وردَ عنه هو الصادق الأمين محمَّد صلى الله عليه وآله، الذي لم ينطق عن الهوى، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنَّ المروية وردت عند العامَّة والخاصَّة، ولم يرد ما يناهضها أو يضعِّفها- بحدود اطِّلاع الباحث- ومن ثمَّ فإنَّ الاعتقاد بها له ما يسوِّغه.

إنَّ الاهتمام الذي كان يكنُّه النبيُّ صلى الله عليه وآله للزَّهراء عليها السلام، لم يكن نابعًا من الارتباط النَّسبيّ (رابطة الدم)، بقدر ما يعطي انطباعًا واضحًا عن أنَّه أراد من ذلك توجيه أنظار الكافَّة إلى فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أنَّها الوعاء الحاضن للإمامة، بل ستكون الامتداد الطبيعيّ لرسالة السماء؛ فهي من صُلب النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن ثمَّ اقترانها بالإمام عليّ عليه السلام، ومِن كِلَا النورَين سيسطعُ نورُ الإمامةَ لإتمامِ الرسالة الإلهيَّة؛ ومن مصاديق ذلك أنَّ النبيّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله كان يترجم ذلك للناس؛ ليبيِّن لهم مدى أهميَّة الزَّهراء عليها السلام، إذ ورد عن عائشة أنَّها قالت: «... وكانت إذا دخلت على النبيّ صلَّى الله عليه [وآله]، أخذ بيدها فقبَّلها، ورحَّبَ بها، وأجلسَها في مجلسه، وكان إذا دخلَ عليها قامت إليه، ورحَّبَت

(١) ينابيع المودَّة لذوي القربى، القندوزيّ، سليمان بن خوجه بن إبراهيم الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: السيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، ط١: ٢/ ٤٨.

به، وأخذت بيده فقبَّلَتْها...»[١]، واللطيف بهذا الصدد أنَّ الحاكم النيسابوريّ[٢] ذَكر الرواية في مستدركه، فقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخَين، ولم يخرجاه»، ويأتي الذهبيّ[٣] معلِّقًا على ذلك، فقال: «بل صحيح»، ويبدو أنَّ قناعة الذهبيّ في صحَّة الحديث لم تأتِ عن فراغ، بوصفه العالم المتبَّحِر الحصيف، يكون قد أدرك جيِّدًا صحَّة الرواية، فأثبت رأيه فيها.

كما ورد عن عائشة مرويَّة تصفُ بها مشية الزَّهراء عليها السلام، وأنَّها عين مشية أبيها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فقالت: «أقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم شيئًا، فلمَّا رآها رحَّبَ بها، فقال: مرحبًا يا بنتي، ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمَّ سارَّها فبكت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى جزَعها، سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها خصَّك رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم من بين نسائه بالسِّرار، ثمَّ أنت تبكين، فلمَّا قام رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، سألتها ما قال لك رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم سرَّه...»[٤]، كيف لا تكون مشيتها عين مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي بضعته

(١) ينابيع المودَّة: ٢/ ٤٨. للمزيد ينظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوريّ، محمَّد ابن عبد الله أبو عبد الله (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م: ٣/ ١٦٧، شُعب الإيمان، البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ الخرسانيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمَّد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١: ٦/ ٤٦٦.

(٢) المستدرك: ٣/ ١٦٧.

(٣) تعليقات الذهبيّ على كتاب المستدرك للحاكم النيسابوريّ: ٣/ ١٦٧.

(٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول صلَّى الله عليه وسلَّم العروف بـ(صحيح مسلم)، مسلم، أبو الحسن بن الحجَّاج النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٧/ ١٤٣. للمزيد ينظر: سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمَّد بن يزيد أبو عبد الله القزوينيّ (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: ١/ ٥١٨، السنن الكبرى، النسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ (٣٠٣هـ)، تحقيق: أحسن عبد المنعم شلبي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م: ٥/ ٩٦،=

الطاهرة، وخُلِقتْ من صُلبه، إذ ورد عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي**»[1]، كما أنَّ المرويَّة تؤكِّد اهتمامه وعنايته صلى الله عليه وآله بفاطمة عليها السلام، ثمَّ ورد في ذيل المرويَّة أنَّ عائشة سألت الزَّهراء عليها السلام عن سبب بكائها وضحكتها، حينما أسرَّها النبيّ صلى الله عليه وآله فقالتْ عليها السلام: «... **أسرَّ إلي أنَّه ميت فبكيت، ثمَّ أسرَّ إليَّ فأخبرني أنِّي أوَّل أهله لحوقًا به**»[2].

إنَّ مسألة إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بالمغيَّبات من القضايا التي درج المسلمون للأخذ بها من دون تردُّد؛ لأنَّها من جانب، صدرت من نبيِّهم وقائدهم المُسدَّد من الله تبارك وتعالى، ومن جانب آخر أنَّهم ألفوا منه صدق الحديث حتَّى لُقِّبَ بالصادق الأمين، ومن ثمَّ فإنَّه حديثٌ صادقٌ مُصدَّقٌ، وعلى هذا الأساس فإنَّ إخباره صلى الله عليه وآله بأنَّ الزَّهراء عليها السلام أوَّل أهله لحوقًا به، لا يُعطِّل قاعدة ربط الأسباب بالمسبَّبات، بمعنى أنَّ وفاتها عليها السلام لا بدَّ من أن يقترن بسبب، ولعلَّ السبب يعود إلى كثرة المصائب التي تعرَّضت لها، فكانت السبب في وفاتها، بل استشهادها في وقت مبكِّر، ولعلَّ القصيدة التي ذكرتها عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله تُفصح عن ذلك، إذ قالتْ عليها السلام:

=المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٢٠، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين الطبريّ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد (ت٦٦٤هـ)، دار المعرفة، بيروت: ٣٩.

(١) السنن الكبرى، البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ الخرسانيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، ط٣، بيروت، ٢٠٠٣م: ٢/ ٦٢. الحديث الشريف ورد بألفاظ مختلفة تعطي ذات الدلالة، ولكن المأسوف عليه أنَّ الحديث رُبِط بحادثة مفتعلة من أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام رام الزواج من ابنة أبي جهل، فغاض ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله. ينظر: الجامع الصحيح المختصر المعروف بـ(صحيح البخاريّ)، البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ٢٠٠١م: ٣/ ١٣، صحيح ابن حبَّان، ابن حبَّان، محمَّد بن حبَّان بن أحمد أبو حاتم التميميّ البستيّ (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م: ١٥/ ٥٢١، سنن الترمذيّ: ٥/ ٦٩٨.

(٢) صحيح ابن حبَّان: ١٥/ ٤٠٣، المستدرك: ٤/ ٣٠٣.

مـــاذا عـــلى مـــن شـــمَّ تـــربـــة أحمـد
ألَّا يـشـمَّ مـــدى الـــزَّمـــانِ غـوالـيـا
صُـبـــتَّ عـــليَّ مـصـائـبٌ لـــو أنَّهـــا
صُـبـتَّ عـلى الأيَّـــامِ عـــدنَ لـيـالـيـا[1]

يُفهم من هذَين البيتَين أنَّ الزَّهراءعليها السلام تكون أوَّل مَنْ رثى النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي الوقت نفسه أنَّها تعرَّضت لمضايقاتٍ ومصائب جمَّة، لعلَّها السبب وراء التحاقها بالنبيّ صلى الله عليه وآله مبكِّرًا، ولفظة لحوقًا في اللغة تعني: الإدراك، فيقال: «اللَّحْقُ واللُّحُوق والإلْحاقُ الإدراك لَـحِقَ الـشيءَ»[2]، وعلى هذا فإنَّ الزَّهراءعليها السلام تكون أوَّل من يُدرك رسول اللهصلى الله عليه وآله، عند مليك مقتدر، في جنَّة عرضها السماوات والأرض، أُعدَّت للمتَّقين.

أمَّا عن صدق حديثهاعليها السلام، فقد قالت عائشة: «ما رأيت أحدًا قطُّ أصدقَ من فاطمة غير أبيها.. فقالت: يا رسولَ الله سَلها فإنَّها لا تكذب»[3]. يشير مضمون المرويَّة إلى أنَّ

(١) نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، النويريّ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق المصريَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م: ١/ ٩٣، الثغور الباسمة في مناقب السيِّدة فاطمة، السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الحكيم الأنيس، دار الشؤون الإسلاميَّة والعمل الخيريّ، دبي، ط١، ٢٠١١م: ٨٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، محمَّد بن مكرم بن عليّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م: ١٠/ ٣٢٧. للمزيد ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق الحسينيّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهدايَّة، بيروت: ١/ ٦٥٦٧- ٦٥٦٩.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨م: ٢/ ٤٢. للمزيد ينظر: مسند أبو يعلى، أبو يعلى، أحمد ابن عليّ بن المثنَّى بن يحيى الموصلِّيّ (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م: ٨/ ١٥٣، المعجم الأوسط، الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمَّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرَمَين، القاهرة: ٣/ ١٣٧.

حادثة قد وقعت بين الزَّهراء عليها السلام وعائشة، من دون ذِكر تفاصيلها أو سببها، فتقِفان في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله، على الرغم من أنَّ المرويَّة فيها توكيد بالجزم بعدم وجود مَن هو أصدق من فاطمة غير النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ سلَّمنا للمرويَّة كونها جاءت بصدق الحديث لسيِّدة نساء العالمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله من النساء، إذا ما استثنينا الرجال، وبخلافه فإنَّ ذلك يعني تضعيفًا للإمام عليّ عليه السلام، وهذا لا يمكن تجاهله؛ للمواقف المعروفة بين عائشة والإمام عليه السلام[1]؛ لذلك جزمت عائشة بصدق الحديث للزَّهراء عليها السلام، ولم تُجانب الصواب، بيد أنَّها وظَّفتْ مفهوم المخالفة بالضدِّ من وصيِّ رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لتكون قد حقَّقت مرامها، لكن ذلك لا يقلِّل من شأنيَّة الإمام عليه السلام عند الرواة، الذين لم يستطيعوا أن يأتوا بواحدة يخطِّئون فيها الإمام عليه السلام، فضلًا عن صدق حديثه[2].

سُئلت عائشة: أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «فاطمة. قيل من الرجال، قالت: زوجها، إنَّه كان صوَّامًا قوَّامًا»[3]. كما ورد عن عائشة أنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان جالسًا عند النبيّ صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام عنده، فسأله الإمام عليه السلام قائلًا: «**أيُّنا أحبُّ إليك أنا، أو هي؟** فقال: **هي أحبُّ إليَّ، وأنتَ أعزُّ عليَّ منها**»[4]، فالمحبَّة

(١) أشهرها حادثة الإفك، حينما استشار رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليًّا عليه السلام، أجابه قائلًا: «إنَّ النساء لكثير، وسَل الخادم تَصْدقْك». الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م، ٢/ ١٩٧، وبهذا تكون قد اتَّخذت منه موقفًا مناوئًا.

(٢) سُئل الخليل بن أحمد الفراهيديّ: ما تقول في فضائل عليّ عليه السلام، فقال: «ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسدًا، وأخفاها محبُّوه خوفًا، وظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافِقَين». مشارق أنوار اليقين، البرسيّ، رجب: ١٧١، الكنى والألقاب، القمّيّ: ٢/ ٣٥٠.

(٣) المستدرك: ٣/ ١٥٧.

(٤) فضائل الصحابة، ابن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصيّ الله محمَّد عبَّاس، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م: ٣/ ٥٤.

صفة المحبِّ بثناء من المحبِّ للمحبوب، والعزُّ صفة العزيز، يبدو فيه على من يعزّ عليه، والنبيّ صلى الله عليه وآله حينما أخبر عن حبِّه لفاطمة عليها السلام يكون قد أخبر عن صفةٍ ورِقَّةٍ وميلٍ يجدها في نفسه لفاطمة عليها السلام، أمَّا عليّ عليه السلام فكان عزيزًا، والعزَّة على من يعزّ عليه العزيز ليس للطبع فيه أثر، ولا للنفس فيه نسبة، بل هي بثناء من العزيز، فتقهر نفس من يعزّ عليه ويغلب طبعه، والصفتان جميعًا، أعني المحبَّة والعزَّة، فعل الله تعالى في المحبِّ والعزيز[1].

(١) بحر الفوائد، الكلاباذي: ١/ ٣٥١.

المبحث الثاني

مرويَّات عائشة عن الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله

بعد التحاق نبيّ الأمَّة بالرفيق الأعلى، حصلت حوادث جمَّة كادت أنْ تُنهي ما بناه النبيّ صلى الله عليه وآله من الدين الإسلاميّ، لولا ما تحلَّى به الإمام عليّ عليه السلام من الحكمة والصبر، ومَن تبعه من بني هاشم والصحابة المُنتجَبين، ويقع في مقدِّمة تلك الحوادث، حادثة السقيفة، وما نتج عنها من تولِّي إمرة المسلمين، ثمَّ امتناع عديد من القبائل في إعطاء الصدقات (الزكاة)، فشُنَّت عليهم حروب شعواء حتَّى تمَّ إخضاعهم بالقوَّة، وتقع قبيلة مالك ابن النويرة[1] في مقدِّمتها، وقد اشتهر ابن النويرة بـ: جافل الإبل؛ لأنَّه جفل إبل الصدقة، فهو حينما قَدِمَ إلى المدينة المنوَّرة بزكاة قومه، وجد أنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد توفِّي، فامتنع عن تسليم إبل الصدقة، فعاد بها حيث

(١) مالك بن نويرة بن جمرة بن شدَّاد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميميّ، يكنَّى أبو حنظلة، وهو شاعر شريف أحد فرسان بن يربوع بن حنظلة، ولقِّب بـ(الجفول)؛ لأنَّه جفل إبل الصدقة، إذ جعله رسول الله صلى الله عليه وآله على صدقات قومه، وأخيه متمِّم الشاعر الذي رثاه بقصائد عدَّة بعد أنْ قتله خالد بن الوليد، ودخل بزوجته الحسناء عام (١٢هـ/ ٦٣٤م). كتاب الفتوح، ابن أعثم، أحمد بن محمَّد بن عليّ الكوفيّ (ت٣١٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م: ١/ ١٩، معجم الشعراء، المرزبانيّ، أبو عبيد الله، محمَّد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م: ٣٦٠، المؤتلف والمختلف، الدارقطنيّ، أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد البغداديّ (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٦م: ٢/ ٦٠٠، أُسد الغابة، ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م: ٤/ ٢٧٦-٢٧٨.

أتى[١]؛ لأنَّه يرى بأنَّ هذا الأمر لا يصحُّ، ودليل ذلك واضح حينما خاطب قومه قائلاً: «... ولا بدَّ لهذا الأمر من قائم يقوم به...»[٢]، ممَّا يعني اعتراضه على منْ تولَّى إمرة المسلمين بعد النبي محمَّدﷺ، فجاءت النتيجة أن تمَّ قتله[٣] مع ثلَّة من قومه، وأُخِذت زوجته على مرأى ومسمع منه، ودُخِل بها من دون مراعاة لحدود الشريعة الإسلاميَّة، وقُتِل ابن النويرة على الرغم من قوله الشهادَتَين[٤].

ثمَّ من الحوادث المهمَّة والفاصلة في التاريخ الإسلاميّ[٥] حادثة فدك[٦]، إذ إنَّ الزَّهراءعليها السلام حينما خرجت من دارها قاصدة المسجد النبويّ الشريف، حيث يجتمع الأنصار والمهاجرين عند أبي بكر الذي تزَّعم إمرة المسلمين في حادثة السقيفة، ألقت خطبة فصيحة بليغة، استعرضت فيها فضل أبيها النبيّ الأكرمﷺ، ثمَّ زوجها الإمام عليّعليه السلام وسابِقتهُ في الإسلام، ثمَّ عرَّجت على فدك التي نَحَلها رسول اللهﷺ، فساقت

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلَّام، محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله (ت٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة: ١/ ٢٠٥، معجم الشعراء: ٣٦٠.

(٢) كتاب الفتوح: ١/ ١٩.

(٣) كتاب الردَّة، الواقديّ، محمَّد بن عمر بن واقد السهميّ (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: يحيى الجبوريّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٠م: ٢٠٧، كتاب الفتوح: ١/ ٢٠، تتمَّة المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ(تاريخ ابن الورديّ)، ابن الورديّ، عمر بن مظفَّر (ت٧٤٩هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٦م: ١/ ١٥٣-١٣٦.

(٤) للمزيد عن تفاصيل تلك الحادثة ينظر: أثر رأس المال في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة حتَّى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، الخفاجيّ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة كربلاء، ٢٠٢٢م: ١١٧-١١٩، ١٢٨.

(٥) صحيح البخاريّ: ١١/ ١٨٨، ١٨٧، ٢٢/ ٢٠٤ ، الاحتجاج، الطبرسيّ، الفضل بن الحسن ابن الفضل (ت٥٤٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت: ٤-٩.

(٦) قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسولهﷺ صلحًا عام (٧هـ/ ٦٢٩م). أرض خصبة فيها عين فوَّارة ونخل. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحمويّ، دار الفكر، بيروت: ٤/ ٢٣٨-٢٣٩، مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ابن عبد الحقِّ البغداديّ، عبد المؤمن، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م: ٢/ ١٠٢٠.

الحجج والبراهين التي أفحمت القوم فيها، ولكن دون جدوى، احتجُّوا بحديث نسبوه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو منه براء؛ لمخالفته النصَّ القرآنيّ[1]، وممَّا يمكن قوله إنَّ خطبة الزَّهراء عليها السلام في المسجد النبويّ، على الرغم من شهرتها في الموروث الإسلاميّ، إلَّا أنَّ السيِّدة عائشة لم تورد الحادثة بتفاصيلها، وإنَّما اقتصرت على مطالبة الزَّهراء عليها السلام بنصيبها من إرث أبيها، إذ ورد عن عائشة أنَّها قالت: «إنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام... أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْـمَدِينَةِ وَفَدَك، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ... فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ...»[2].

إنَّ حادثة فدك، ومطالبة الزَّهراء فيها لم يكن بالحدث العابر الذي يمكن أن يمر بسلام، ولاسيما أنَّها من الحوادث المهمَّة والفاصلة في التاريخ الإسلاميّ، حتَّى وإنْ أغفل الرواة بعض جزئيَّات تلك الحادثة، فهي أشهر من نار على علم، ومن ثمَّ لا بدَّ من بيان إحجامهم عن ذِكر التفاصيل، ولعلَّ ذلك يندرج تحت الأسباب الآتيَّة:

١. إنَّ أبا بكر تزعَّم إمرة المسلمين، وفاطمة عليها السلام ما زالت على قيد الحياة، وهي العالمة بكلِّ ما نزل على نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله من نصٍّ قرآنيّ أو حديث نبويّ، ومن ثمَّ فإنَّ القول: بعدم علمها بالنصِّ القرآنيّ يعدُّ جهلًا مطبقًا؛ لأنَّ القرآن نزل في بيت فاطمة عليها السلام، وعلى صدر أبيها صلى الله عليه وآله، فتكون بذلك قد علمت بكلِّ ما كان وما يكون، وعليه فإنَّ إحجام القوم عن ذِكر تفاصيل الحادث لا يغيِّر من الحقائق شيئًا، ولكن عمدوا إلى ذلك كي لا يعكِّر صفو الأمر حدث يكون بالضدِّ من السياسة التي انتهجت بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وخير دليل على أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت قد وَجَدتْ على أبي بكر ولم تكلِّمه حتَّى توفيَّت بعد

(١) للمزيد عن تفاصيل تلك الحادثة، ينظر: أثر رأس المال: ١٥٢.
(٢) صحيح البخاريّ: ١٤/ ١٣٥.

ستَّة أشهر من وفاة أبيها، وحينما تكون الزَّهراءعليها السلام واجدة على شخص فهذا مصداق قول النبيّ صلى الله عليه وآله حينما قال: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي**»[1]، وبلا أدنى شك إنَّ وَجد الزَّهراءعليها السلام ما هو إلَّا لحصول الأذى لها، ثمَّ إنَّها لم تكلِّمهُ حتَّى وفاتها، كما أنَّ أبا بكر عندما قربت منيَّتهُ قال: «إنِّي لا آسي على شيء من الدنيا إلَّا على ثلاث فعلتهنَّ، وددت أنِّي تركتهنَّ... فأمَّا الثلاث اللاتي وددت أنِّي تركتهنَّ؛ فوددت أنِّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلقوه على الحرب...»[2]، ممَّا يؤكِّد وَجْدَ الزَّهراءعليها السلام على أبي بكر، وأنَّه أظهر الندم على ما فعل، وندمه دليل ارتكابه الخطأ بحقِّ بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله.

٢. إنَّ التاريخ دوِّن تحت إشراف الحاكم الجائر ورعايته، ما خلا النزر القليل من الأخبار التي وصلت إلينا عن طريق محبِّي أهل البيتعليهم السلام، ومن ثمَّ يكون قد ضاع وغُيِّبَ منه الشيء الكثير، إذ سُئل الخليل بن أحمد الفراهيديّ ما تقول في فضائل عليّعليه السلام، فقال: «ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسدًا، وأخفاها محبُّوه خوفًا، وظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين»[3]. يُغني هذا القول عن كلِّ ما يمكن إيراده أو سوقه من دليل على أنَّ القوم عزموا

(١) السنن الكبرى: ٢/ ٦٢. الحديث الشريف ورد في الفاظ مختلفة تعطي ذات الدلالة، ولكن المأسوف عليه أنَّ الحديث ربط بحادثة مفتعلة من أنَّ الإمام عليّعليه السلام رام الزواج من ابنة أبي جهل فغاض ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله. ينظر: صحيح البخاريّ: ٣/ ١٣، صحيح ابن حبَّان: ١٥/ ٥٢١، سنن الترمذيّ: ٥/ ٦٩٨.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م: ٢/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإسلام، الذهبيّ، شمس الدين محمَّد ابن أحمد (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م: ١/ ٣٨٥.

(٣) مشارق أنوار اليقين، البرسيّ، رجب: ١٧١، الكنى والألقاب، القمِّيّ: ٢/ ٣٥٠.

على طمس كلّ ما يمتُّ بصلة لأهل البيت عليهم السلام وإخفائه، فما بالك بحدث له من الأهميَّة في بيان مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام في حقبة زمنيَّة شكَّلت بداية النهاية للإرث النبويّ. بعبارة أُخرى: الأساس الذي بناه نبيّ الأمَّة، وكان يرجو ممَّن خلفه في الأمَّة الإسلاميَّة إكماله، لكن سرعان ما انقلبوا على أعقابهم، إلَّا أنَّهم لم يضرُّوا الله شيئًا، والعاقبة للمتَّقين، فهو وعد من الله جلَّ وعلا، ولا يخلف الله وعده.

وعلى هذا الأساس نجد أنَّ السيِّدة عائشة مُقِلَّة في الروايةِ عن سيِّدة نساء العالمين، وما ورد عنها لا ينسجم مع كثرة الأحاديث التي روتها عن باقي الصحابة، بيد أنَّها أوردت مرويَّات اقتصرت على بعض القضايا، منها ما يرتبط بحبِّ النبيّ صلى الله عليه وآله للبضعة الطاهرة، إذ ورد عن عائشة حينما سُئلت: مَنْ أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: «فاطمة، قيل ومن الرجال، قالت: زوجها، إن كانَ ما علمتُ صوَّامًا قوَّامًا»[1]، وكذا عن مكانة الزَّهراء عليها السلام يوم القيامة، إذ ورد عن عائشة أنَّها قالت: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا معشر الخلائق طأطئوا رؤوسكم حتَّى تجوز فاطمة...»[2].

ورد عن عائشة أنَّها قالت لفاطمة عليها السلام: «ألا أبشِّرك؟ إنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سنن الترمذيّ: ٥/ ٧٠١.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر، أحمد بن عليّ بن محمَّد العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظاميَّة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٩٧١م: ٢/ ٣١٣، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر، أحمد بن عليّ بن محمَّد العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركيّ وكامل محمَّد الخرَّاط، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م: ١/ ١٥٣، تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: بشَّار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م: ٨/ ١٤١، سمط النجوم، العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ابن عبد الملك، حسين بن عبد الملك العصاميّ (ت١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م: ١/ ٢٢٣.

يقول: «سيِّدات نساء أهل الجنَّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمَّد، وخديجة بنت خويلد، وآسيا بنت مزاحم»[١].

تشكِّل المرويَّات التي أوردتها السيِّدة عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله عن سيِّدة نساء العالمين، على الرغم من قلَّتها قياسًا بما ورد عن عائشة من روايات جمَّة، بيانًا واضحًا وصريحًا على مكانة وأهميَّة الزَّهراء عليها السلام في التاريخ الإسلاميّ والمجتمع الإسلاميّ بصورة خاصَّة، إذ إنَّها بضعة المصطفى وزوج الإمام عليّ عليه السلام، حظيت بمكانة مهمَّة عند الرسول الأعظم، وما أوردناه من مرويَّات يعدُّ النزر القليل عمَّا ورد عنها عند أهل البيت عليهم السلام، الذين أوضحوا مكانة سيِّدة نساء العالمين في كثير من المواطن، وكذا عند محبِّيها من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

النتائج

بعد أن انتهيت من بحثي عن مرويَّات السيِّدة عائشة بحقِّ سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، فإنِّي أخلص إلى بعض النتائج التي تمخَّض عنها البحث، وهي كالآتي:

١. إنَّ السيِّدة عائشة كانت مُقِلَّة للرواية عن سيِّدة نساء العالمين، قياسًا مع ما ورد من مرويَّات في موارد أخرى، وشخصيات وأحداث لا ترتقي إلى فضل الزَّهراء عليها السلام، فقد أوردت عائشة الكثير من الروايات والحوادث التاريخيَّة التي لا فائدة منها في تثبيت أركان الدين الإسلاميّ، بقدر ما كانت حوادث مؤلمة لا نأمل منها غير التفرقة والشتات في أمَّة الإسلام، وهذا بطبيعة الحال يدخل في إطار المنهجيَّة العامَّة التي وُجِّهت بالضدِّ من أهل بيت النبوَّة عليهم السلام.

٢. أوصى الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله بفاطمة عليها السلام كثيرًا، وحذَّر الناس من غضبها

(١) المستدرك: ٣/ ١٥١.

الذي يعني غضبه، بل وغضب الله عزَّ وجلَّ، وشهدت لها عائشة بأنَّها أصدق الناس لهجةً، فهي الصدِّيقة، كما أنَّ العناية الإلهيَّة كان لها الدور المباشر في صياغة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، فصار أذاها أذى الرسول صلى الله عليه وآله، الذي يعني أذى الرسالة، وحتَّى نزداد يقينًا بارتباط الزَّهراء بالوحي واستقامتها، كانت المباهلة ثمَّ الزواج المبارك الذي تمَّ في السماء قبل أن يتمَّ في الأرض بأمره سبحانه وتعالى، ورعاية الرسول صلى الله عليه وآله الخاصَّة بفاطمة عليها السلام، حتَّى إنَّه عند قدومها يقبِّلها ويُجلسها في مجلسه، ولا يخرج صلى الله عليه وآله في سفرٍ إلَّا أن يكون آخر من يودِّعه ابنته، وأوَّل من يسلِّم عليه عندما يعود، هي سيِّدة نساء العالمين وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، إذ كلُّ فعل تفعله هو فعل أهل الجنَّة، وكلُّ موقف تقفه، هو موقف أهل الجنَّة، ولو نظرت في الجنَّة لرأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا، ويأتي المنادي: غضُّوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة، وتستقرُّ في مقامٍ محمودٍ، منه انطلقت، وإليه تعود.

٣. جُلُّ المرويَّات التي ذكرتها السيِّدة عائشة عن الزَّهراء عليها السلام تندرج تحت مفهوم أفضليَّة الزَّهراء وحبِّ النبيّ لها، وتقدُّمها على سائر النِّساء، وأحجمت عن ذِكر بعض القضايا الخلافيَّة.

٤. إنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله حينما يذكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام فإنَّه لا ينطلق عن عاطفة الأبوَّة؛ لأنَّه لا ينطق عن الهوى، وهو صلى الله عليه وآله في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطي أحدًا أكثر ممَّا يستحقُّه تبعًا لعاطفته، حتَّى لو كان ذلك الشخص ابنته عليها السلام، ولو قلنا بذلك لطعنَّا في نبوَّته وكلماته القُدسيَّة التي نؤمن بأنَّها حجَّة على الكافَّة، لا زيغَ فيها ولا هوى.

٥. حينما يؤكِّد النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله على أهميَّة الزَّهراء عليها السلام، وتقديمها واحترامها؛ فلأنَّها الحاضن للإمامة، والمكمِّلة لرسالة السماء وديمومتها، لذا نجده في مواطن عدَّة

يقوم من مجلسه ليقبِّلها ويحدِّثها ويُجلسها مكانه، يكون مراده بُعدَين، الأوَّل: يتمثَّل في إيصال رسالة للعرب بضرورة احترام المرأة، وإعطائها حقوقها كاملة، ومغادرة النظرة التي كانت سائدة بعدم احترامها ووأدها، والثاني: يكمن في السرِّ المستودع فيها، الذي يتمثَّل بوعاء الإمامة وإكمال رسالة السماء على أحسن وجهٍ وأتـمَّه.

ثبت المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر

* القرآن الكريم.

ابن الأثير، عزّ الدِّين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١. أُسُد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن أعثم، أحمد بن محمَّد بن عليّ الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م).

٣. كتاب الفتوح، تحقيق: عليّ شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٤. صحيح البخاريّ، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ٢٠٠٠م.

البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ الخرسانيّ (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٥. السنن الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، ط٣، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦. شُعَب الإيمان، تحقيق: محمَّد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، (د.ت).

الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سَوْرة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٧. الجامع الكبير، المعروف بـ(سنن الترمذيّ)، تحقيق: بشَّار عوَّاد، الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م.

ابن حبَّان، محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان بن معاذ (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

٨. صحيح ابن حبَّان، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن حجر، أحمد بن عليّ بن محمَّد العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٩. لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظاميَّة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٩٧١م.

الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ).

١٠. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٢م.

ابن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ).

١١. فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمَّد عبَّاس، دار الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

الدار قطنيّ، أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد البغداديّ (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).

١٢. المؤتَلِف والمختَلَف، تحقيق: موفَّق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٦م.

الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربيّ، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٣٣م).

١٤. الخصائص الكبرى، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٥م.

١٥. الثغور الباسمة في مناقب السيِّدة فاطمة، تحقيق: د. عبد الحكيم اللأنيس، دار الشؤون الإسلاميَّة والعمل الخيريّ، دبيّ، ط١، ٢٠١١م.

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م).

١٦. علل الشرائع، دار قارئ، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م.

الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

١٧. تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

الطبرسيّ، الفضل بن الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ)

١٨. الاحتجاج، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د.ت).

محبُّ الدين الطبريّ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م).

١٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

ابن عبد الملك، حسين بن عبد الملك العصاميّ (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٢٠. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد وعليّ محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن سلَّام، محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله (ت٢٣٢هـ/ ٨٤٧م).

٢١. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، (د.ت).

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م).

٢٢. علل الشرائع، دار قارئ، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

٢٣. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، ط٢، القاهرة، (د.ت).

٢٤. المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمَّد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسينيّ، دار الحرمَين، القاهرة، (د.ت).

الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٥. تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق الحسينيّ (ت١٢٠٥هـ).

٢٦. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، بيروت، (د.ت).

القندوزيّ، سليمان بن خوجه بن إبراهيم الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ).

٢٧. ينابيع المودَّة لذوي القربي، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسيني،ط١، (د.ت).

محبُّ الدين الطبريّ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م).

٢٨. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م).

٢٩. سُنن ابن ماجة، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقيّ، دار إحياء الكتب العربيَّة، (د.م)، (د.ت).

المرزبانيّ، أبو عبيد الله، محمَّد بن عمران (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).

٣٠. مُعجم الشعراء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

مُسلم، أبو الحسن بن الحجَّاج النيسابوريّ (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م).

٣١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم العروف بـ(صحيح مسلم)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، (د.ت).

ابن منظور، محمَّد بن مكرم بن عليّ (ت٧١١هـ).

٣٢. لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م.

النسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٣٣. السنن الكبرى، تحقيق: أحسن عبد المنعم شلبي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

أبو نعيم الأصفهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

٣٤. حُلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨م.

النويريّ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

٣٥. نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، دار الكتب والوثائق المصريَّة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

النيسابوريّ، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٥١٨هـ/ ١١٢٤م).

٣٦. المستدرك، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، (د.ت).

الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

٣٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨م.

الواقديّ، محمَّد بن عمر بن واقد السهميّ (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

٣٨. كتاب الـردَّة، تحقيق: يحيى الجبـوريّ، دار الغرب الإسـلاميّ، بيروت، ١٩٩٠م.

أبو يعلى، أحمد بن عليّ بن المثنَّى بن يحيى الموصلِّيّ (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م).

٣٩. مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسـد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

ثانيًا: الرسائل والأطروحات الجامعيَّة:

الخفاجيّ، ميثاق كاظم هادي.

٤٠. أثر رأس المال في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة حتَّى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، أطروحة دكتوراه مقدَّمة إلى مجلس كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة جامعة كربلاء، (غير منشورة، ٢٠٢٢م).

الزَّهراء عليها السلام.. القدوة لشخصيَّة المرأة في أدوارها المتعدِّدة

م.د. حنين عبَّاس سالم
جامعة البصرة/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

الملخَّص

يتلخَّص البحث الموسوم الزَّهراء عليها السلام.. القدوة لشخصيَّة المرأة في أدوارها المتعدِّدة، في تقديم السيِّدة فاطمة الزَّهراء أنموذجًا وقدوة للأمَّة الإسلاميَّة عامَّة، والمراة خاصَّة، في تأدية أدوارها المتعدِّدة في مختلف مجالات الحياة بصورة متكاملة بما يضمن بناء مجتمع مثقَّف واعٍ، وتأتي أهميَّة البحث من أهميَّة وجود القدوة في حياة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، إذ تعدُّ القدوة أساسًا مهمًّا في حياتنا، فحسن اختيار القدوة التي سترتسم له مثالًا أعلى وأنموذجًا يُحتذى به، يساعد على اتِّباع الطريق القويم، ويمدُّ بالتجارب والخبرات التي تساعد في رسم طريق النجاح في الحياة، من خلال اتِّباع المنهج والآليات نفسها، التي ساعدت القدوة بالوصول إلى المكانة الرفيعة والمنزلة العالية.

وبخصوص القدوة في حياة المرأة المسلمة، فقد ذكر لنا القرآن الكريم والتاريخ الإسلاميّ العديد من النساء العظيمات اللواتي كنَّ مثالًا وقدوة يُحتذى بهنَّ، كالسيِّدة مريم بنت عمران، والسيِّدة آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، والسيِّدة خديجة زوجة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّ أعظم هذه النماذج وأكملها على الإطلاق، هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي ربيبة الوحي وخرِّيجة مدرسة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فهي تمثِّل التجسيد

الحقيقيّ للقدوة في حياة المرأة المسلمة، ففيها تنعكس شخصيَّة المرأة بكلِّ أبعادها التي أرادها الإسلام للمرأة ، لذلك سيناقش البحث أهميَّة وجود القدوة الحسنة في حياة المرأة، ولماذا يجب أن تكون السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي القدوة؟ هل تجد كلُّ امرأة (أم، زوجة، ابنة، عالمة، عابدة، مربِّية) ملامح القدوة في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؟.

المقدِّمة

الحَمْدُ للهِ الَّذي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ والصَّلاةُ على مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ وأهل بيته دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَوَلاَئِجُ الِاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إلى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

أمَّا بعد:

فيعدُّ وجود القدوة الحسنة في حياة الإنسان، رجلًا كان أو امرأة، أساسًا مهمًّا في الحياة، فحسن اختيار القدوة التي سترسم له مثالًا أعلى ونموذجًا يحتذى به، يساعد على اتِّباع الطريق القويم، ويمدُّ بالتجارب والخبرات التي تساعد لرسم طريق النجاح في الحياة، من خلال اتِّباع نفس المنهج والآليَّات التي ساعدت القدوة بالوصول إلى المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، وبخصوص القدوة في حياة المرأة المسلمة، فلقد ذكر لنا القرآن الكريم والتاريخ الإسلاميّ العديد من النساء العظيمات اللواتي كنَّ مثالًا وقدوة يُحتذى بهنَّ، كالسيِّدة مريم بنت عمران، والسيِّدة آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، والسيِّدة خديجة زوجة الرسول الأعظمﷺ، إلَّا أنَّ أعظم هذه النماذج وأكملها على الإطلاق هي فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فهي ربيبة الوحي، وخرِّيجة مدرسة النبيِّ الأعظمﷺ، فهي تمثِّل التجسيد الحقيقيّ للقدوة في حياة المرأة المسلمة، ففيها تنعكس شخصيَّة المرأة بكلِّ أبعادها التي أرادها الإسلام للمرأة.

أهميَّة البحث

١. الدور العظيم الذي تؤدِّيه المرأة في جميع مجالات الحياة المختلفة، فبالإضافة إلى دورها في إدارة البيت وتربية الأبناء ورعاية الأسرة، فهي تمثِّل محورًا أساسيًّا في المجتمع الإنسانيّ وازدهار الحياة وتطوُّرها، لذلك فلا بدَّ لها من قدوة وأُسوة حسنة تتَّخذها المرأة نموذجًا تحتذي به في أداء أدوارها في الحياة، وخير ونموذج وقدوة هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٢. صعوبة إيجاد قدوة متكاملة في جميع صفاتها وخصالها ومبادئها وطريقتها في التعامل مع مجريات الحياة، إذ قد تبرز امرأة كونها قدوة في مجال ودور معيَّن من مجالات الحياة، لكن لايمكن اعتبارها كذلك في مجال آخر، فمثلًا النساء الصالحات اللَّاتي ذكرهنَّ القرآن الكريم من قبيل مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم، وإن كنَّ قدوات ونماذج يحتذى بهنَّ في مجال معينَّ، إلَّا أنَّهما لم تتوافر لهما ظروف أسريَّة كاملة، فآسيا بنت مزاحم، وإن كانت زوجة، لكن لم يكن لها أولاد، وكانت زوجة طاغية مستبد، ولم تكن قادرة على أن تعبِّر عن تلك العلاقة القويَّة في إحكام الأسرة وبنائها، فلا يمكن اعتبارها قدوة في الجانب الأسريّ، لكنَّ السيِّدة الزَّهراء امتازت عن هولاء النساء بأنَّها كانت قدوة في جميع الأدوار التي يمكن أن تؤدِّيه المرأة.

٣. محاولات ضرب الإسلام والأسرة من خلال المرأة، وذلك باتِّهام الإسلام بأنَّه ينتقص من المرأة، ويحدُّ من تطوُّرها، ويحاول إلغاء دورها في المجتمع، ومن خلال دعوات الانفتاح ودعوات الحريَّة وعرض نماذج لقدوات مخالفة لما جاء به الدين الإسلاميّ وإبعاد المجتمع عن القدوات الحقيقيَّة والواقعيَّة، فالمشكلة التي نعاني منها ليس فقط غياب القدوات، وإنَّما محاولة إيجاد

قدوات فاسدة تؤدِّي إلى الانحراف عن المسار الصحيح الذي أراده الإسلام للمرأة.

٤. اليوم مع التطوُّرات وظهور العولمة وأدواتها، والثقافات الغربيَّة الزائفة، وما يعانيه العالم من انحرافات ومحاولة إسقاط القدوات، من خلال نشر قدوات فاسدة ومنحرفة غير مؤهَّلة، على أساس الشهرة بمواقع التواصل الاجتماعيّ، وما نراه اليوم من اتِّخاذ قدوات، كعارضة أزياء أو ممثِّلة، فتسير المرأة على خطاها، فتفشل في حياتها؛ بسبب أنَّها لم تختر القدوة المثاليَّة الصحيحة في حياتها، فمن اتَّبع واقتدى بالقدوة الحسنة، علا وارتفع في الدين والأخلاق، وحصل على السعادة في الحياة، وحقَّق المراتب العليا، ومن اتَّبع قدوة سيِّئة، هوت به إلى الحضيض والانحطاط الذي يؤدِّي إلى الانحراف.

لذلك سيقسَّم البحث على محاور، هي:

- **المحور الأوَّل**: أهمية وجود القدوة في حياة المرأة.
- **المحور الثاني**: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.. القدوة.
- **المحور الثالث**: ملامح القدوة في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

المحور الأوَّل

أهميَّة وجود القدوة في حياة المرأة

إنَّ معنى القدوة اسم من اقتُديَ به، إذا فعل مثل فعله تأسِّيًا، وفلان قدوة أي يُقتدى به، والضمُّ أكثر من الكسر، ويُقال إنَّ القدوة الأصل الَّذى يتشعَّب منه الفروع[1]، ومعنى الأسوة كالقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتِّباع غيره، إنْ حسنًا أو قبيحًا، أو سارًّا، أو ضارًّا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، فوصفها بالحسنة[3].

وتعدُّ القدوة من العوامل الأساسيَّة التي لها إسهام في تطوير شخصيَّة الإنسان، والارتقاء بها إلى أوج الكمال، كما أنَّها من الممكن أن تكون عاملًا في انحطاطه إلى أسفل الدرجات، ولا يقتصر تأثيرها على المستوى الفرديّ، بل لها دور كبير ومهم في المجتمعات البشريَّة في مجالات الإيمان والأخلاق والسياسية والحياة الزوجيَّة والتربويَّة والحياة الاجتماعيَّة، ولا أكون مبالغة إن قلت: من الصعب جدًّا أن نجد إنسانًا لا يعيش الاقتداء والتأسِّي سواء أكان المقتدى به حسنًا أم قبيحًا من حيث الأخلاق والسلوك، للأثر الكبير الذي يتركه القدوة في

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفويّ، حسن، مؤسَّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ط١، ١٤١٧م: ٩/ ٢١٥.
(٢) الأحزاب: ٢١.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمَّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م: ١٨.

حياة الفرد والمجتمع[١].

وعليه فإنَّ القدوة تعني الاقتداء والمتابعة والتقليد والتأثُّر بشخصيَّة القدوة التي يمكن أن تكون ذات تأثير إيجابيّ أو سلبيّ في شخصيَّة الفرد؛ لذلك لا بدَّ من توفير قدوات جيِّدة، وتوجيه المجتمع للاقتداء بهم؛ لضمان قيام مجتمعات قادرة على مواجهة كلِّ الظروف والتحدِّيات، وتحمُّل كلِّ المسؤوليَّات التي يتطلَّبها بناء المجتمع الواعي والمثقَّف.

كذلك يعدُّ أسلوب القدوة الحسنة أحد الأساليب التربويَّة في تربية المجتمع؛ لأنَّه يمدُّ بالخبرات والتجارب، لرسم طريق النجاح في الحياة، عن طريق اتِّباع نفس المنهج والآليَّات التي ساعدت القدوة للوصول إلى أعلى درجات التفوُّق في الحياة، لذلك فقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تُرشِد إلى أهميَّة القدوة ودورها في الحياة، إذ قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

فهذه الآية تجعل من منهاج الأنبياء العظام قدوة رفيعة للهداية، إذ تعرض على رسول الإسلام صلى الله عليه وآله، فتقول له: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده[٣]، كذلك أمر الله تعالى بالاقتداء برسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، إذ قال في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

وذكر السيِّد الطباطبائي في تفسيره للآية: الأسوة القدوة، وهي الاقتداء والاتِّباع، وقوله: ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾، أي في مورد رسول الله، والأسوة التي في مورده، هي تأسِّيهم

(١) مقالة حول الزَّهراء عليها السلام هي النموذج الكامل لمفهوم القدوة في حياة المرأة المؤمنة. https://n.annabaa.org/iraq/6686.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازيّ، ناصر مكارم، د.م، د.ت: ٤/ ٣٧٣.

(٤) الأحزاب: ٢١.

به، واتِّباعهم له، والتعبير بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ الدالُّ على الاستقرار والاستمرار في الماضي، إشارة إلى كونه تكليفًا ثابتًا مستمرًّا، والمعنى: ومن حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسّوا به في قوله وفعله، وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله، وحضوره في القتال، وجهاده في الله حقَّ جهاده.. وقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بدل من ضمير الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾؛ للدلالة على أنَّ التأسِّي برسول الله صلى الله عليه وآله خصلة جميلة زاكية، لا يتَّصف بها كلُّ من تسمَّى بالإيمان، وإنَّما يتَّصف بها جمع ممَّن تلبَّس بحقيقة الإيمان، فكان يرجو الله واليوم الآخر، أي تعلَّق قلبه بالله فآمن به، وتعلَّق قلبه باليوم الآخر فعمل صالحًا، ومع ذلك ذكرَ الله كثيرًا، فكان لا يغفل عن ربِّه، فتأسَّى بالنبيّ في أفعاله وأعماله[1].

فهذه الآية تؤكِّد أنَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو خير نموذج للمسلمين في كلِّ مجالات الحياة، فإنَّ كلًّا من معنويَّاته العالية، وصبره واستقامته وصموده، وذكائه ودرايته، وإخلاصه وتوجُّهه إلى الله، وتسلُّطه وسيطرته على الحوادث، وعدم خضوعه وركوعه أمام الصعاب والمشاكل، نموذج يحتذي به كلُّ المسلمين[2]، كذلك حثَّ الله تعالى على الاقتداء بالأنبياء والرُّسل، إذ قال عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3].

إنَّ هذه الآيات القرآنيَّة تبيِّن أنَّ الله تعالى اصطفى قدوات من البشر، وجعلهم نماذج يُحتذى بهم في متخلف مجالات الحياة، إذ إنَّ المبادئ والتعاليم الإلهيَّة تحتاج إلى نماذج من البشر لتجسيدها على أرض الواقع تجسيدًا متكاملًا، لكي تخرج من النظريَّة المثاليَّة إلى الواقع المعيش، فالقدوة الحسنة تمثِّل نماذج من البشر تتجسَّد فيهم القيم والمبادئ الإلهيَّة عملًا وسلوكًا.

(١) تفسير الميزان، الطباطبائيّ، السيِّد محمَّد حسين، نشر الحوزة العلميَّة، قم: ١٦/ ٢٨٨-٢٨٩.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٣/ ١٩٧.
(٣) الممتحنة: ٤.

كما وردت العديد من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، التي تبيِّن أهميَّة ودور القدوة الصالحة في الحياة، إذ ورد عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام: ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنَّه المنهج الأوضح والمقصد الأصح، قال الله عزَّ وجلَّ لأعز خلقه صلى الله عليه وآله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، فلو كان لدين الله تعالى عزَّ وجلَّ مسلك أقوم من الاقتداء؛ لندب أنبياءه وأولياءه إليه. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: في القلوب نور لا يضيء إلَّا من اتِّباع الحقِّ، وقصد السبيل، وهو من نور الأنبياء، مودع في قلوب المؤمنين(١).

ومقابل هذا التأكيد على أهميَّة القدوة، وضرورة الاقتداء والتأسِّي بالقدوة الحسنة، أمر القرآن الكريم بالابتعاد عن القدوة السيِّئة، والأشخاص غير المؤهَّلين وأصحاب المعتقدات والمبادئ المخالفة للمبادئ والقيم الإسلاميَّة، والذي يؤدي اتِّباعهم إلى جرِّ الويلات والوابل على حياة أتباعهم، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٣).

أمَّا بخصوص القدوة في حياة المرأة بوجه الخصوص، فلقد منح الدين الإسلاميّ المرأة منزلة رفيعة ومكانة عالية، وضَمن حقوقها في جميع مجالات الحياة، فأعطاها إضافة إلى دورها الأساسيّ في تربية الأبناء ورعاية الأسرة، دورًا كبيرًا في ازدهار المجتمع وتطوُّره، فالمرأة تشكِّل نصف المجتمع، ومسؤولة عن تربية ورعاية النصف الآخر منه، لذلك فإنَّ المرأة كلَّما كانت على مستوًى عالٍ من الثقافة والوعي، سيكون المجتمع أعلى وعيًّا وثقافةً من الناحية التربويَّة، لذلك نجد الشريعة الإسلاميَّة تولي

(١) مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (منسوب)، الإمام الصادق عليه السلام، جعفر بن محمَّد (ت١٤٨هـ)، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، ١٤٠٠هـ: ١٥٦-١٥٧.

(٢) البقرة: ١٧٠.

(٣) الزخرف: ٢٣.

عناية فائقة واهتمامًا واسعًا بمشروع صناعة القدوة الحسنة؛ ليكونوا قدوات في فعل الخير، رموزًا ونماذج في الاستقامة، وأدوات فعَّاله ومؤثِّرة في إصلاح المجتمع، ومن هنا تظهر ضرورة وأهميَّة إيجاد المرأة القدوة والنموذج الذي تتخذه باقي النساء كقدوة في حياتها وصفاتها وخصائصها ومبادئها، فالمرأة هي صاحبة الدور الأساسيّ في المجتمع من خلال الأسرة الصالحة الواعية، فالمجتمع يتكوَّن من مجموع أُسر، والذي تعدُّ المرأة الأساس في تكوينها، فالأسرة هي اللبنة المصغرة للمجتمع الواعي.

لذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى اصطفاء بعض النساء المؤمنات الصالحات، وجعلهم قدوات، تتَّخذهم المرأة أسوة وقدوة في حياتها العباديَّة والاجتماعية والزوجيَّة والأخلاقيَّة، وليوضِّح قابليَّة وقدرة المرأة للوصول إلى أعلى درجات الكمال ومواقع الريادة والقيادة في المجتمع، في مختلف مجالات الحياة، إذ جعل آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون قدوة في الصبر والثبات على الإيمان، وكذلك السيِّدة مريم بنت عمران إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

إلَّا أنَّ النموذج الأكمل والأرقى التي تفتخر مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم وكلُّ امرأة في كلِّ مكان وزمان بأن تكون قدوة لها، هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فالمرأة التي تريد الوصول إلى أعلى درجات الرُّقي والكمال، وتحقِّق التكامل في أي ناحية من نواحي الحياة، يجب عليها الاقتداء والتأسِّي بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي (البنت، الزوجة، الأم، العابدة، العالمة، المجاهدة)، وهي الإنسانة المتكاملة التي حوت على كلِّ صفات الكمال، ووصلت أعلى مدارج التكامل حتَّى أصبحت معيارًا للتفاضل والتمايز؛ للمحافظة على صورة المرأة وهي تؤدِّي أسمى أدوارها في المجتمع، فهي مثال

(١) سورة ال عمران،/ الاية ٤٢.

كلِّ فضيلة ومحور كلِّ خير، فينبغي اتِّخاذها قدوة وأسوة تسير كلِّ امرأة على هداها، وتستنير بنورها، وتستخلص العِبر والدروس من مسار حياتها، حتَّى تعي ما هو دورها، وما هي حقوقها، وما يمكن أن تؤدِّيه من خدمات للمجتمع؛ لأنَّها القاعدة الأساسيَّة التي يرتكز عليها المجتمع الإنسانيّ في ازدهاره وتطوُّره.

المحور الثاني

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.. القدوة

ثمَّة سؤال يتوجَّب طرحه في هذا المجال: ما هي الصفات التي يجب توفيرها في القدوة؟ وهل تتوفَّر هذه الصفات في السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لتكون القدوة والنموذج للمرأة المسلمة؟ إنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة سيكون على التوالي.

هناك مجموعة من الصفات التي لا بدَّ من توفيرها في الإنسان حتَّى يكون قدوة حسنة، فالله تعالى أمر بالاقتداء والتأسِّي بالأنبياء والرُّسل؛ لما تتوفَّر فيهم من أسس ومقوِّمات القدوة الحسنة، إذ قال تعالى عن النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

فالإيمان بالله تعالى من أوَّل صفات القدوة الحسنة التي ورد ذِكرها في القرآن الكريم، وهي من أوَّل الأسس التي أهَّلت إبراهيم عليه السلام ليكون قدوة حسنة، إذ ورد في تفسير الآية أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنَّه: «كان أمَّة، إنَّه معلِّم الخير قدوة، قانتًا لله مطيعًا، والحنيف المستقيم على طريق الحقِّ. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾، يعني إبراهيم، ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يعبدون مع الله غيره، بل كان موحِّدًا ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ﴾، يعني كان شاكرًا لنعمه، معترفًا بها. ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ يعني اختاره الله واصطفاه، ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي حكم بأنَّه على صراط مستقيم، أي

(١) النحل: ١٢٠-١٢٢.

لطف له حتَّى اهتدى إلى طريق الحقِّ. وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، أي أعطيناه جزاءً على هدايته في هذه الدنيا حسنة، وهي: تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربِّه، ومسارعته إلى مرضاته، وإخلاصه لعبادته، حتَّى صار إمامًا يُقتدى به، وعلمًا يهتدى بسنَّته(١).

كذلك من الأسس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم صفة الصلاح، إذ قال تعالى عن النبيِّ الأعظم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)، فالقدوة الحسنة يهدي الناس إلى طريق الحقِّ والهداية، ويحيد بهم عن الباطل، كذلك تعدُّ الأخلاق الحسنة من أُسس القدوة في القرآن الكريم ومقوِّماتها، إذ قال الله تعالى عن نبيِّه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣)، فلِحُسن الأخلاق أثر كبير في جذب الناس إلى الاقتداء واتِّباع القدوة الحسنة، إذ قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٤)، ويعدُّ الصبر أيضًا من صفات القدوة الحسنة، إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٥).

أمَّا هل تتوافَّر هذه الصفات والأسس في السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لتكون القدوة والنموذج للمرأة المسلمة؟ فإنَّ جميع ما ورد من الصفات والأسس التي جعلت من الأنبياء والرُّسل قدوة حسنة للناس على امتداد التاريخ، متوافرة في السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بأدلَّة معتبرة عدَّة، منها:

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ: ٦/ ٤٣٧-٣٤٨.
(٢) الشورى: ٥٢.
(٣) القلم: ٤.
(٤) آل عمران: ١٥٩.
(٥) السجدة: ٢٤.

١. آية التطهير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

إنَّ أحد أبرز مصاديق هذه الآية، كما دلَّت الروايات المتواترة، هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ روي عن السيِّدة أمّ المومنين أمّ سلمة رضي الله عنها أنَّها قالت: نزلت في بيتي وفيه عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة فجلَّلهم بها، ثمَّ قال: **هؤلاء أهل بيتي، أذهَب الله عنهم الرِّجس، وطهَّرهم تطهيرًا**. فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ فقال: **إنَّك على خير**[2].

وجاء في تفسير معنى الرجس، أنَّه اسم يقع على الإثم، وعلى العذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهبَ الله جميع ذلك عن أهل البيت[3]، لذلك تعدُّ هذه الآية من أهمِّ وأكثر البيانات في اتِّخاذ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قدوة، إذ إنَّها تبيِّن أنَّ من صفات السيِّدة الزَّهراء الإيمان والطهارة من كلِّ سوء وإثم، أي إنَّ السيِّدة الزَّهراء قدوة معصومة عن الخطأ والزَّلل، والتي لا يمكن أن تحيد عن جادَّة الصواب.

٢. حديث الثَّقلين:

لقد ورد عن الرسول الأكرم العديد من الأحاديث التي تبيِّن عصمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، منها حديث الثَّقلين، إذ روي عن الرسول الأكرم: «**إنِّي تارك فيكم الثَّقلين، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف**

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين، الكوفي، محمَّد بن سليمان (ت٣٠٠هـ)، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، مطبعة النهضة، قم، ١٤١٢هـ: ٢/ ١٢٥.

(٣) المحرّر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، ابن عطيَّة الأندلسيّ، أبو محمَّد عبد الحقِّ بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ: ٤/ ٣٨٤.

الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتَّى يردَا عليَّ الحوض»[١].

فبموجب هذه الحديث، صفة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام الهداية إلى الطريق المستقيم في ذلك، شأنها شأن القران الكريم الذي قال عنه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٢]، فهي أحد مصاديق عترة رسول اللهصلى الله عليه وآله، وعليه فهي القدوة الحسنة التي يؤدِّي الاقتداء والتأسِّي بها إلى السموِّ والارتقاء في مجالات الحياة كافَّة.

٣. فاطمة سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين:

لقد كان رسول الله الأكرمصلى الله عليه وآله في كلِّ مرَّة يبيِّن أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام هي القدوة والأسوة والنموذج الأعلى في كلِّ زمان ومكان على امتداد التاريخ، إذ صرَّح بأكثر من مناسبة بذلك، حيث روي عنه: «**إنَّ ابنتي فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»[٣]، وقالصلى الله عليه وآله: «**وأمَّا ابنتي فاطمة، فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين**»[٤]، وقولهصلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة ألَا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين، أو سيِّدة نساء هذه الأمَّة**»[٥].

٤. التكامل والترابط بين النبيِّ الأعظمصلى الله عليه وآله والسيِّدة الزَّهراءعليها السلام:

تحتلُّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام دورًا كبيرًا، ومكانةً متميِّزةً في التاريخ الحضاريّ للإسلام؛ لما تملكه من إمكانيَّات وخصائص امتازت بها دون غيرها من النساء، فهي التي نشأت

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت: ٣/ ١٧.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الأمالي، الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٤هـ: ٨٥.

(٤) الأمالي، الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ: ١٧٥.

(٥) صحيح البخاريّ، البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م: ٧/ ١٤٢.

وترعرعت بمهبط الوحي في بيت نبيِّ الإنسانيَّة، فنهلت من أخلاقه ومبادئه، وتشكَّلت شخصيَّتها وفقًا لشخصيَّته، فكانت النموذج التي تجسِّد صورة لحياة المرأة التي يريدها الله تعالى، ويسعى الدين الإسلاميّ إلى تحقيقها، وقد أكَّد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على ذلك في أكثر من مرَّة، إذ قال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني**»(١)، وقوله صلى الله عليه وآله: «**وأمَّا ابنتي فاطمة، فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيَّة**»(٢).

لقد بيَّن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنَّ السيِّدة الزَّهراء بضعته وروحه التي بين جنبيه، ولأنَّ الرسول ما ينطق عن الهوى، إذ قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾(٣)، فهذا تأكيد من قِبَل الرسول صلى الله عليه وآله أنَّ كلّ ما وُصِف به الرسول من صفات القدوة الحسنة من الهداية والصلاح والأخلاق العالية التي جعلت منه قدوة أمر الله تعالى باتِّباعها والاقتداء بها، تنطبق على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فهي قدوة حسنة كأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك فإنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام توافر فيها جميع الأسس والمقوِّمات التي تجعل منها قدوة حسنة يجب على المرأة المسلمة أن تقتدي بها وتقتفي أثرها وتسير في ركبِها وتهتدي بهداها في كلِّ شؤون الحياة، فلقد أعدَّها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لتكون قدوة للأمَّة المسلمة بكلِّ أجيالها، بل لتكون قدوة ونموذجًا أعلى لكلِّ أولادها الأئمَّة المعصومين، إذ قال الإمام محمَّد المهدي عجل الله فرجه: «**وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة**»(٤).

(١) صحيح البخاريّ: ٤/ ٢١٠.
(٢) بشارة المصطفى، الطبريّ، محمَّد بن أبي القاسم الطبريّ (ت نحو ٥٢٥هـ)، تحقيق: جواد القيُّوميّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٠هـ: ٣٠٧.
(٣) سورة النجم: ٣-٤.
(٤) بحار الأنوار، المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م: ٥٣/ ١٨٠.

لعلَّ الله سبحانه وتعالى عندما جعل شخصيَّة المرأة بكلِّ أبعادها تتجسَّد في الزَّهراء، أراد أن يقدِّم للإنسان مثلًا حيًّا على إمكان المرأة السير في طريق الكمال، وتسلُّق مدارجه، وصعود رتبه حتَّى تصل إلى هذا المستوى العالي منه، بل المستوى الأعلى الذي يمكن أن يوجد لمخلوق من المخلوقات؛ لأنَّ أعلى مستويات الكمال، هو الكمال الإلهيّ، أمَّا الكمال على مستوى مخلوقات الله سبحانه وتعالى، فيتمثَّل في أعلى مستوى له بهذه النخبة الصالحة (الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام)، وفيهم هذه المرأة الصالحة، فكما أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد من الرجل السعي دائمًا باتِّجاه مراتب الكمال ليصل إلى الدرجات القريبة من كمال أهل البيت عليهم السلام، أراد للمرأة الصالحة أن تسعى في مدارجه- الكمال- حتَّى تصل قريبًا من تلك الدرجة الصالحة العالية التي وصلت إليها الزَّهراء عليها السلام، فهي مثال للاقتداء والأسوة الحسنة، فكما لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة، لنا في فاطمة عليها السلام أسوة، وفي كلِّ جانب من حياتها في أسوة[1].

ملامح القدوة في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

لقد توافرت في السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كلُّ الأسس والمقوِّمات التي تجعل منها قدوة حسنة في كلِّ زمان ومكان على امتداد التاريخ، وذلك بشهادة القرآن الكريم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لذلك لا بدَّ من التطرُّق لبعض جوانب حياتها من أجل التعرُّف على ملامح القدوة الحسنة فيها، وحتَّى نستلهم منها الدروس والعِبَر، ونسير على خطاها، ومن هذه الجوانب:

١. الجانب الأسريّ:

إنَّ حسن اختيار القدوة الحسنة للمرأة في الحياة الأسريَّة تكمن في كون المرأة هي المسؤولة عن صناعة الأسرة المثقَّفة الواعية، وبما أنَّ الأسرة هي النواة الأساسيَّة في

(١) الزَّهراء عليها السلام.. أهداف. مواقف. نتائج، الحكيم، محمَّد باقر، مؤسَّسة تراث الشهيد الحكيم، النجف، ط١، ٢٠٠٦م: ٢٣.

تكوين المجتمع، إذ إنَّ مجموعها يؤلِّف المجتمع، فالمرأة هي عنصر أساسيّ في بناء الأسرة الصالحة، إذ يشير الإمام عليّ عليه السلام إلى أثر المرأة الصالحة بقوله: المرأة الصالحة ليست من الدنيا إنَّما هي من الآخرة[1]، أي إنَّ في صلاح المرأة صلاح الدنيا والآخرة، لذلك فإنَّ صلاح المجتمع أو انحرافه يقع على عاتق المرأة، لذا فإنَّ أيّ انحراف في القدوة التي تتبعها يعني انحراف المرأة، وانحراف المرأة يعني انفراط العقد الذي يشدُّ أفراد الأسرة بعضهم إلى بعض، ومن هنا تظهر خطورة حسن اختيار القدوة للمرأة وضرورتها حتَّى تتَّخذها قدوة في حياتها وحياة أسرتها؛ لأنَّ القدوة التي سوف تتَّخذها المرأة في حياتها الأسريَّة ستنعكس على الأسرة كاملة، ومن ثمَّ المجتمع كلّه.

فأيُّ قدوة أفضل من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التي جسَّدت ما هو مطلوب من المرأة إسلاميًّا بنتًا وزوجة وأم بأفضل ما يكون، فقد كانت البنت المثاليَّة لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لما كانت تظهره من أفعال وسلوكيَّات تؤكِّد ذلك، إذ كانت تؤثِر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حتَّى على نفسها وولديها في أبسط الأشياء، ففي رواية أن جارتها أرسلت لها بعض الطعام، ولم يكن عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام غيره، فقالت: والله لأوثرنَّ بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسي ومَن غيري، وكانوا محتاجين إلى شبعة طعام[2]، وكانت لشدَّة تعظيمها وبرِّها برسول الله صلى الله عليه وآله عندما نزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[3]، إذ روي أنَّ السيِّدة الزَّهراء قالت: **لـمَّا نزلت: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾، هبتُ رسول الله أن أقول له: يا أبه، فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عنِّي مرَّة واثنتين أو ثلاثًا، ثمَّ أقبل عليّ، فقال: يا فاطمة إنَّها لم**

(١) ربيع الأبرار، الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ٥/ ٢٥٢.

(٢) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ، قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة الله الراونديّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، المطبعة العلميَّة، قم، ط١، ١٤٠٩هـ: ٢/ ٥٢٨.

(٣) سورة النور: ٦٣.

تنزل فيكِ ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت منِّي وأنا منك، إنَّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكِبَر، قولي يا أبه فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للرَّبِّ»[١].

وكانت عليها السلام لعظيم برِّها برسول الله صلى الله عليه وآله وحبِّها له وعطفها عليه ومداراتها له أن لقَّبها رسول الله صلى الله عليه وآله بـ: **أم أبيها**[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله فيها ثلاث مرَّات: **فداها أبوها**[٣]، ولم تُكَن بأمِّ أبيها اعتباطًا، فقد كانت الزَّهراء إلى جانب أبيها، تزيل بيديها الصغيرتَين غبار الحزن والغمِّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، سواء في مكَّة أو في شِعب أبي طالب، مع كلِّ شدائدهما، أو عندما بقي النبيّ صلى الله عليه وآله وحيدًا مكسور القلب بوقوع حادثَتَين في مدَّة قصيرة، هما وفاة خديجة عليها السلام، ووفاة أبي طالب عليه السلام، إذ أحس النبيّ بالغربة، فهذا هو منشأ كنيتها (أم أبيها)[٤].

وما هذه الروايات سوى نماذج تبيِّن التعامل النموذجيّ للبنت المثاليَّة مع أبيها، فأي امرأة أرادت اتِّخاذ قدوة وأسوة تقتدي بها في علاقتها مع أبيها، فلا أسوة أفضل من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

كما كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مثالًا للزوجة الصالحة، إذ استطاعت تحقيق الاستقرار النفسيّ والروحيّ في حياتها الزوجيَّة، على الرغم من الظروف الصعبة التي تميَّزت بها حياتها عليها السلام، من تحمُّل أعباء الدعوة الإسلاميَّة، وقلَّة الإمكانيَّات، فإنَّها أدَّت واجباتها الزوجيَّة والبيتيَّة بكلِّ إخلاص ورضا، فقد كانت نِعمَ الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، فما

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، أبو عبد الله محمَّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٥٦م: ٣/ ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٩.

(٣) الأمالي: ٣٠٥.

(٤) الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، ط١، ٢٠١٨م: ٦١.

عصت له أمرًا، ولا خالفته، إذ قالت عليها السلام ملخِّصة حياتها الزوجيَّة: **يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني**» فقال عليه السلام: «**معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرُّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفًا من الله أن أوبِّخك غدًا بمخالفتي**»[1].

فبذلك استطاعت أن تكون مثالًا أعلى وقدوة في طاعة الزوج ومراعاة حقوقه، والإخلاص له، والقيام بمسؤليَّات وواجبات البيت، حيث روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمَّا والله أخبرك يا رسول الله أنَّها استقت بالقربة حتَّى أثَّرت في صدرها، وجرت بالرحى حتَّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتَّى دخنت ثيابها**»[2]، كما أدَّت واجبات زوجها، وذلك بشهادة الإمام عليّ عليه السلام، حيث قال: «**فوالله ما أغضبتُها ولا أكرهتُها على أمر حتَّى قبضها الله** عز وجل، **ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحـزان**»[3]، فكانت حياتها الزوجيَّة مع الإمام عليّ عليه السلام تمثِّل المصداق الأبرز لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

لذلك فحياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الزوجيَّة تمثِّل نموذجًا عمليًّا لما أراده الدين الإسلاميّ من المرأة في حياتها الزوجيَّة، فالاقتداء بسيِّدة نساء العالمين يضمن تحقيق السعادة الزوجيَّة، وتكوين الأسرة الصالحة.

(١) روضة الواعظين، الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد (ت٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: محمَّد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم: ١٥١.

(٢) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضيّ، ط٦، ١٣٩٢هـ: ٢٨٠.

(٣) الخصائص الفاطميَّة، الكجوريّ، محمَّد باقر (ت١٢٥٥هـ)، تحقيق: السيِّد عليّ جمال أشرف، انتشارات الشريف الرضيّ، ط١، ١٣٨٠ش: ٢/ ٢٤٩.

(٤) الروم: ٢١.

لذلك فإنَّ المرأة اليوم بأمسِّ الحاجة إلى قدوة ونموذج أعلى كفاطمة الزَّهراء عليها السلام، حتَّى تفهم أسلوب الحياة الزوجيَّة، وسبل تحقيق التوافق والانسجام الروحيّ والنفسيّ في الحياة الزوجيَّة، من أجل بناء الأسرة الصالحة التي تتبع المناهج التربويَّة الصحيحة التي خطَّها كتاب الله سبحانه وتعالى وسنَّة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار (صلوات الله عليهم)، إذ إنَّ عدم الانسجام في الحياة الزوجيَّة داخل الأسرة يؤدِّي إلى انهيار الأسرة، ومن ثمَّ المجتمع.

وكانت الزَّهراء عليها السلام خير أم لأبنائها، وأفضل قدوة للمرأة في تربية الأبناء، إذ إنَّ من أهمِّ الأدوار التي أُنيطت بالمرأة مهمَّة القيام بها، هي مهمَّة تربية الأبناء، فهي مسؤولة عن تربية الأجيال القادمة، إذ إنَّ دور المرأة لا يقتصر على جيلها، وإنَّما على الجيل القادم، عبر تربيته، لذلك يجب عليها أن تحسن اختيار النموذج الذي تقتدي به في التربية، بل إنَّ من حقوق الأبناء على الآباء هي التربية الصحيَّحة والتنشئة السليمة التي تجعل منهم عناصر صالحة في المجتمع، وحتَّى تؤدِّي الأم هذا الحقّ تجاه أبنائها، لا بدَّ لها من اختيار قدوة وأسوة صالحة تقتدي بها في تربية الأبناء، ومَن أفضل من السيِّدة الزَّهراء في الاقتداء به في تربية الأبناء، إذ كان لها مناهجها التربويَّة المبنيَّة على ما أمر به الله تعالى، وما علَّمها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى تخرَّج من مدرستها الحسنان سيِّدا شباب أهل الجنَّة عليهما السلام، والسيِّدة زينب عليها السلام، إذ كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تحرص على القيام بشؤونهم وتغذيتهم بالفضيلة والتقوى، وتربيتهم بأحسن ما يكون، إذ غرست في نفوسهم خصال الخير ومكارم الأخلاق. ويمكننا وضع ثلاثة أسس عامَّة تتَّسمُ بها التربية الفاطميَّة، وهي تشكِّل المنهج الذي اعتمدته في تربيتها لأبنائها، حيث كان مضمون التربية الفاطميَّة قائمًا على: القيم الحقَّة المنبثقة من الدين، وزرعها في نفوس الأولاد، وجبل كيانهم عليها؛ وذلك من خلال تجسيِّدها لتلك القيم بشكلٍ عمليّ، فاعتمدت أسلوب القدوة والأسوة وتقديم النموذج، إذ يندر أن نعثر على موقف كان

للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيه وعظ مباشر لأولادها، بل إنَّ ذلك كلَّه هو تحت رداء الحبِّ والحنان، ولعلَّ هذا ما يميِّز المنهج الخاصّ بالأمهات، ولذا كان دور المرأة بكونها أمًّا لا بديل عنه، فعناصر تربيتها عليها السلام كانت: مضمونًا قيميًّا، بأسلوب تقديم النموذج العمليّ، برداء الحبِّ[1].

لذلك فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام رسمت خارطة الطريق الذي يجب أن تسير عليه المرأة في حياتها الأسرية بما يضمن بناء الأسرة الصالحة التي تستطيع مواجهة الانحرافات في متاهات هذا الواقع.

٢. الجانب العلميّ:

أولى الدين الإسلاميّ الجانب العلميّ أهميَّة كبيرة؛ لما له من دور في بناء الإنسان وتثقيفه وتنمية شخصيَّته وتوسيع مداركه، إذ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**اكتسبوا العلم، يُكسبكم الحياة**»[2]، لذلك فإنَّ اكتساب العلم والمعرفة ضرورة بنفسه، ووجوده مطلوب لكلِّ إنسان، وبما أنَّ المرأة تشكِّل نصف المجتمع، فتعلُّمها يعني رفع نصف المجتمع من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ثمَّ مساهمتها في بناء المجتمع والتطوُّر العلمي له.

ولأهميَّة الجانب العلميّ فإنَّ خير نموذج تتَّخذه المرأة لها قدوة في هذا الجانب، هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ وردت العديد من الشواهد التي تؤكِّد غزارة علمها، حيث ورد في الخبر عن عمَّار بن ياسر، قال: شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام، فلمَّا أبصرتْ به نادت: **أدن لأحدِّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة**[3]. فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت عالمة بالعلم اللدنِّيّ من الله، فقد أُوتيتْ من العلم

(١) السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام القدوة والأسوة: ٩٧.
(٢) ميزان الحكمة، الريشهريّ، محمَّد، دار الحكمة، قم، ط١، ١٤١٦هـ: ١/ ٧١٠.
(٣) نفس الرحمن في فضائل سلمان، الميرزا النوريّ، الحاج ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: جواد القيُّومي، مؤسَّسة الآفاق، ط١، ١٤١١هـ: ٤٢٢.

والمعرفة قدرًا لا يضاهيها فيه أحد سوى الرسول الأعظمﷺ وبعلها أمير المؤمنينعليه السلام، كانت على قدر من المعرفة، بحيث أنَّها تخبر عما هو كائن، وما كان، وما سيكون في المستقبل، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على سعة علمها، وارتفاع مقامها[١].

وخير ما يبيِّن دورها في الجانب العلميّ داخل البيت، ما ورد في الروايات عن أنَّ جاريتها السيِّدة فضَّة التي ما تكلَّمت إلَّا بالقرآن الكريم لمدَّة تزيد على عشرين عامًا[٢].

ولم يقتصر دور السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في الجانب العلميّ داخل بيتها، بل اهتمَّتعليها السلام بنشر العلوم والمعارف الإسلاميَّة بين النساء، فكان لها مجلس علميّ يحضره نساء المهاجرين والأنصار حتَّى يأخذن منها أحكام الإسلام وأخلاقه ومفاهيمه وأسسه وفلسفته، وورد في ذلك العديد من الشواهد، منها: حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمةعليها السلام عن ذلك، فثنَّت فأجابت، ثمَّ ثلَّثت إلى أن عشَّرت، فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا ابنة رسول الله. قالت فاطمةعليها السلام: «**هاتي وسَلي عمَّا بدا لك، أرأيت من اكتري يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه مائة ألف دينار، يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أن لا يثقل عليَّ**»[٣]، وأيضًا ما روي من أنَّ امرأتَين تنازعتا في شيء من أمر الدين، وقد اختصمتا إليها، إحداهما معاندة،

(١) أمَّهات المعصومين، الشيرازيّ، آية الله العظمى الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ، مركز القائميَّة بأصفهان للتحرِّيات الكومبيوتريَّة: ٧٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٢.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوريّ، الحاج ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، ط١، الناشر: مؤسَّسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨هـ: ١٧/ ٣١٨.

والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجَّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحًا شديدًا، فقالت فاطمة: **إنَّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدُّ من فرحك، وإنَّ حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشدُّ من حزنها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ممَّا كنتُ أعددت لها، واجعلوا هذه سنَّة في كلِّ من يفتح على أسير مسكين، فيغلب معاندًا مثل ألف ألف ما كان له معدًّا من الجنان»**[1].

كذلك ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام قال: **كنَّا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أخبروني أيّ شيء خير للنساء، فعيينا بذلك كلّنا حتَّى تفرَّقنا، فرجعت إلى فاطمة عليها السلام، فأخبرتها الذي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس أحد منَّا علمه ولا عرفه. فقالت: ولكنِّي أعرفه، خيرٌ للنِّساء أنْ لا يَرينَ الرجال، ولا يراهنَّ الرجال. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء. وخيرٌ لهنَّ أن لا يرين الرجال ولا يراهنَّ الرجال، قال: مَن أخبرك، فلم تعلمه وأنت عندي؟ قلت: فاطمة. فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إنَّ فاطمة بضعة منِّي**[2].

وهذه الشواهد تبيِّن المكانة العلميَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام فحقَّ لها بذلك أن تكون قدوة للنساء هذا العصر في الجانب العلمي من أجل النهوض بواقع المرأة من خلال القيام بالنشاطات العلميَّة والثقافيَّة التي ترفع من شأن المرأة وتمكِّنها علميًّا من أجل الوصول إلى أعلى مراتب العلم والمعرفة، إذ إنَّ تعلُّم المرأة وقيامها بدورها التثقيفيّ في نشر العلوم والمعارف وتنمية الوعي العلميّ والثقافي لديها يساهم بدوره في تنمية الوعي الثقافيّ والعلميّ لأفراد المجتمع لأنَّ المرأة هي المسؤولة عن تربية أفراد المجتمع.

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م: ١/ ١١.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٤.

٣. الجانب العبادي:

يعدُّ الجانب العباديّ جانبًا مهمًّا في حياة الإنسان، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فهي طريق الوصول إلى الله تعالى، إذ تمثِّل العبادة منهجًا متكاملًا، تعمل على تطهير النفس الإنسانيَّة وتخليصها من كلِّ المعوِّقات والانحرافات، كالجشع والأنانيَّة والحقد والنفاق، حتَّى تصل إلى مرحلة التكامل الروحيّ؛ فتترك أثرًا واضحًا في الجانب العمليّ في حياة الإنسان، ولأهميَّة هذا الجانب العباديّ في حياة الإنسان، فالسيِّدة الزَّهراء تمثِّل خير قدوة وأسوة حسنة للمرأة في هذا الجانب، إذ بلغت درجة عالية في العبادة وتهذيب النفس، حتَّى أصبحت تمثِّل حياتها العباديَّة نموذجًا فريدًا للمؤمنة العابدة، إذ يصف الرسول صلى الله عليه وآله عبادتها بقوله: «**أمَّا ابنتي.. متى قامت في محرابها بين يدي ربِّها جلَّ جلاله، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويباهي بها الله ملائكته، ويقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيِّدة إِمائِي قائمة بين يدَيَّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنِّي قد آمنت شيعتها من النار**»[٢]، فقد كان الجانب العباديّ يمثِّل جزءًا مهمًّا من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حتَّى أصبحت صفة مميَّزة لها، حيث ورد في الأحاديث: «**ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة عليها السلام، كانت تقوم حتَّى تتورَّم قَدَماها**»[٣].

إذ كان لها منهجها العباديّ الذي يؤدِّي الالتزام به واتِّباعه إلى الوصول إلى أعلى مراتب الارتباط بالله تعالى، حيث قام منهجها العباديّ على الاهتمام بتفاصيل الأعمال العباديَّة، كوقت استجابة الدعاء[٤]، والدعاء للآخرين، إذ وورد عن الإمام الحسن عليه السلام:

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ٢٨/ ٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٧٦.

(٤) مسند ابن راهويه، ابن راهويه، الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلَّد الحنظليّ المروزيّ (ت٢٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحقِّ حسين برد البلوسيّ، الناشر: مكتبة الإيمان،=

«رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمَّاه لم لا تَدعِين لنفسك كما تَدعِين لغيرك ؟ فقالت: يا بني! الجار ثمَّ الدار»[1]، كذلك قام نهجها العباديّ على الاهتمام بعبادة أهلها، إذ روي عن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنَّ رسول الله كان يطوي فراشه، ويشدُّ مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين. وكان يرشُّ وجوه النيام بالماء في تلك الليلة، وكانت فاطمة لا تدع أحدًا من أهلها ينام تلك الليلة، وتداويهم بقلَّة الطعام، وتتأهَّب لها من النهار، وتقول: محروم مَن حُرِم خيرها»**[2].

وبذلك «شكَّلت الزَّهراء عليها السلام المثل الصالح والقدوة الحسنة من حيث المبدأ والعقيدة، والخلق والسلوك، لكلِّ مسلم ومسلمة، فقد شقَّت لنا من خلال علاقتها الحميمة بربِّها نهجا عباديًّا قويمًا بما استلهمتهُ من معين مدرسة أبيها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله، حتَّى صار لها تسبيحتها وصلاتها وأدعيتها، وغير ذلك من سنن فاطميَّة، شكَّلت بمجموعها منهجًا تربويًّا تبليغيًّا راقيًا على المستوى العباديّ»[3].

٤. الجانب السياسيّ والجهاديّ:

لقد بلغت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ذروة الكمال الانساني في مختلف مجالات الحياة فاستحقَّت أن تكون القدوة الحسنة للمسلمين عامَّة، والنساء خاصَّة، إذ ضربت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أروع الأمثلة في الجانب السياسيّ والجهاديّ، فكانت مدرسة

=المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ: ٥/ ١٣.

(١) بحار الأنوار، ٤٣/ ٨٢.

(٢) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن محمَّد التميميّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م: ١/ ٢٨٢.

(٣) مقال عن مجلَّة بقيَّة الله: من معالم الدَّور التبليغيّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام:
baqiatollah.net. (https://baqiatollah.net/article.php?id=3898).

وقـدوة للأجيال القادمة في نـصرة إمـام زمانها، ودفاعها عن الحـقِّ، ومواجهتها الظلم.

نرى أنَّ السيِّدة الزَّهراء أدَّت دورًا سياسيًّا وجهاديًّا في الدفاع عن الحقِّ، وفضح الظالم، إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلَّ من أهمِّ أدوارها السياسيَّة دفاعها عن منصب الخلافة وخطيتها الفدكيَّة المشهورة[1] في المسجد، للمطالبة بحقِّ الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، «فلم تكن الزَّهراء المجاهدة لتتوانى عن نصرة إمامها، حيث ترى كيف كانت مستميتة في الدفاع عنه، وهي لم تكن تدافع عن زوجها، بل عن إمامها، فضحَّت في سبيل ذلك بكلِّ غالٍ ونفيس، وقد أرادت أن تبقى نبراسًا للحقِّ، يُخبِر كلَّ مَن أراد معرفة الحقيقة على مرِّ التاريخ عن ظلامتها وما جرى عليها.. وقدَّمت لنا السيِّدة فاطمة مثالًا مشرقًا في الدفاع عن الحقِّ المتمثِّل بالولاية، وهي تعلِّمنا أن نستنفد من كلِّ الوسائل في ذلك السبيل، فهي التي لم توفِّر أي نوع من أدوات القتال التي تقدر عليها إلَّا واستخدمتها، حتَّى دافعت عن إمامها بجسدها الطاهر، فمضت شهيدة مظلومة»[2].

من دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الجانب السياسيّ، يمكن القول إنَّ دور المرأة في الحياة لا يقتصر على جانب معيَّن، وإنَّما يشمل كلَّ جوانب ومجالات الحياة، إذ يمكن للمرأة أن تؤدِّي دورًا سياسيًّا بما يتناسب مع طبيعتها وقدراتها وإمكانيَّاتها، فميدان الحياة السياسيَّة لا يقتصر على القتال وخوض غمار الحرب، بما لا يتناسب وطبيعة المرأة، وإنَّما هناك أساليب ووسائل تستطيع المرأة أداء دورها السياسيّ، وقدوتها في ذلك السيِّدة الزَّهراء عليها السلام. إنَّ سلوك السيِّدة الزَّهراء في الجانب السياسيّ «يعلِّمنا كيف يمكن للمرأة، وهي في أعلى درجات العفَّة والمحافظة على نفسها، أن تكون في قلب

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣١-١٤٣.

(٢) السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام القدوة والاسوة: ١٦٩-١٧٠.

الحياة السياسيَّة، وتغدو شخصًا مؤثِّرًا بقراراته وعداواته ومصالحاته، كلُّ ذلك وهي في منزلها، ما خرجت إلَّا عند اللزوم، صحيح أنَّه لا يمكن للجميع أن يكون فاطمة عليها السلام، بل لا يمكن لأحد أن يكون فاطمة عليها السلام، حتَّى يكون لها من الحضور في الحياة السياسيَّة ما كان للزَّهراء، إلَّا أنَّ خطَّ الزَّهراء السياسيّ الجهاديّ لا يزال حيًّا، وسيبقى كذلك، فمن أراد السَّير علَى خُطاها، فالطريق واضح، والخطُّ بيِّن، فليس المطلوب أن تكون كلَّ امرأة بشخصها تشكِّل القضية، بل إنَّ انتسابها لذلك الخطّ السياسيّ الجهاديّ هو المطلوب»[1].

الخاتمة

لقد توصَّل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات:

١. إنَّ وجود القدوه في حياة الإنسان يعدُّ أمرًا مهمًّا، بل هو حاجة فطريَّة يميل الإنسان إلى اتِّباعها، فوجود القدوة في حياته يوضِّح له معالم الطريق والسلوك المستقيم الذي يصل به إلى الكمال وتحقيق الأهداف العليا في الحياه؛ لأنَّها تمدُّه بالتجارب والخبرات التي تمكِّنه من مواجهه التحدِّيات.

٢. إنَّ الله تعالى اصطفى قدوات من البشر جعلهم نماذج يُقتدى بهم في مختلف مجالات الحياة؛ ليمثِّلوا التجسيد الواقعيّ للتعاليم والمبادئ الإلهيَّة، وقد تميَّزوا بمجموعة من الأُسس والمقوِّمات التي أهَّلتهم لأن يكونوا نماذج يُقتَدى ويُتَأسَّى بهم.

٣. إنَّ الدين الإسلاميّ قدَّم نموذجًا متكاملًا للمرأة في حياتها المثاليَّة، وفي جميع أدوارها، والذي يتمثَّل بشخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ إنَّها تمثِّل النموذج

(١) السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام القدوة والأسوة: ١٦٩.

والقدوة الأكمل والأرقى للمرأة في كلِّ زمان ومكان، في جميع نواحي الحياة، وأنَّ الاقتداء والتأسِّي بها يوصِل إلى أعلى مراتب الكمال الانساني.

٤. أثبتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّ دور المرأة لا يقتصر على جانب محدَّد في الحياة، وإنَّما يشمل جميع الجوانب والمجالات، الأسريَّة والعلميَّة والسياسيَّة، وأنَّ المرأة يمكن أن تؤدِّي جميع هذه الأدوار، وتوافق وتوازن بينها من دون أن تقصِّر في دور من هذه الأدوار، وذلك بما يتناسب مع طبيعتها وقدراتها وإمكانيَّاتها.

٥. على المرأة أن تُحسن اختيار القدوة والنموذج الذي تقتدي به في حياتها؛ لأنَّ ذلك سيكون إمَّا سبيل الوصول إلى أعلى مراتب الكمال والرقيّ الإنسانيّ، أو إلى أدنى مراتب الانحطاط؛ لما للقدوة من أثر وتأثير في حياة الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيبانيّ (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، دار صادر (بيروت، د.ت).

٢. البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاريّ، دار الفكر (بيروت، ١٩٨١م).

٣. الحكيم، محمَّد باقر، الزَّهراء عليها السلام.. أهداف. مواقف. نتائج، مؤسَّسة تراث الشهيد الحكيم، النجف، ط١، ٢٠٠٦م.

٤. الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمَّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.

٥. ابن راهويه، الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلَّد الحنظليّ المروزيّ (ت ٢٣٨هـ)، مسند ابن راهويه، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحقِّ حسين برد البلوسيّ، الناشر: مكتبة الإيمان، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٦. الريشهريّ، محمَّد، ميزان الحكمة، دار الحكمة، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

٧. الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٨. الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (د.م، د.ت).

٩. الشيرازيّ، آية الله العظمى الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ، أمَّهات المعصومين، مركز القائميَّة بأصفهان للتحرِّيات الكومبيوتريَّة.

١٠. ابن شهرآشوب، أبو عبد الله محمَّد بن عليّ (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٥٦م.

١١. الإمام الصادق عليه السلام، جعفر بن محمَّد (ت١٤٨هـ)، مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (منسوب)، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٢. الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.

١٣. الطباطبائيّ، محمَّد حسين، تفسير الميزان، نشر: الحوزة العلميَّة، قم.

١٤. الطبرسيّ، أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تحقيق وتعليق: محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م.

١٥. الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضيّ، ط٦، ١٣٩٢هـ.

١٦. الطبري، محمَّد بن أبي القاسم الطبريّ (ت نحو ٥٢٥هـ)، بشارة المصطفى، تحقيق: جواد القيُّومي، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٧. الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٤هـ.

١٨. الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٢٠٩هـ.

١٩. ابن عطيَّة الأندلسيّ، أبو محمَّد عبد الحقِّ بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب (ت٥٤٦هـ)، المحرّر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٠. الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق وتقديم: محمَّد مهدي حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، قم.

٢١. القاضي النعمان المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن محمَّد التميميّ (ت٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٢. قطب الدين الراونديّ، قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة الله الراونديّ (٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، المطبعة العلميَّة، قم، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٣. الكجوريّ، محمَّد باقر (ت١٢٥٥هـ)، الخصائص الفاطميَّة، تحقيق: السيِّد عليّ جمال أشرف، انتشارات الشريف الرضيّ، ط١، ١٣٨٠ش.

٢٤. الكوفيّ، محمَّد بن سليمان (ت٣٠٠هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين، تحقيق:

محمَّد باقر المحموديّ، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، مطبعة النهضة، قم، ١٤١٢هـ.

٢٥. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٦. مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الزَّهراء عليها السلام قدوة وأسوة، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، ط١، ٢٠١٨م.

٢٧. المصطفويّ، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسَّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ط١، ١٤١٧م.

٢٨. مقال عن مجلَّة بقيَّة الله: من معالم الدور التبليغيّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

baqiatollah.net. (https://baqiatollah.net/article.php?id=3898).

٢٩. مقال حول الزَّهراء عليها السلام هي النموذج الكامل لمفهوم القدوة في حياة المرأة المؤمنة.

https://n.annabaa.org/iraq/6686.

٣٠. الميرزا النوريّ، الحاج ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣١. الميرزا النوريّ، الحاج ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، نفس الرحمن في فضائل سلمان، تحقيق: جواد القيُّوميّ، مؤسَّسة الآفاق، ط١، ١٤١١هـ.

الردُّ على هنري لامنس بكتابه فاطمة وبنات محمَّد مِن قِبَل المستشرقين

أ.م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميميّ
جامعة بغداد/ كليَّة الآداب

الملخَّص

من بحثنا المعروف باسم الرد على هنري لامنس بكتابه فاطمة وبنات محمَّد من قِبَل المستشرقين، اتَّضح لنا عدَّة أمور، أهمها هو معرفة الاستشراق لغة واصطلاحًا واهداف الاستشراق ووسائل الاستشراق وأعمال المستشرقين والسيرة الذاتية لسيِّدة نساء العالمين من قبل المستشرقين، ومعرفة المستشرق هنري لامنس، كذلك يتبيَّن لنا الآراء الحاقدة من قِبَل المستشرق هنري لامنس اتجاه سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء والردُّ عليه من قبل المستشرقين الذين درسوا سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة منطقيَّة عقليَّة بعيدة عن التعصُّب الدينيّ، أمثال المستشرق لويس ماسينيون، والمستشرق غاستون فييت، والمستشرقة لورا فاغليري، كذلك أقوال المستشرقين عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومنهم المستشرق هنري كوربان، والمستشرق جيب هاملتون، اللذَين وصفوها بالأُم المُتألِّمة، والأُم الحزينة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، فاطمة الزَّهراء عليها السلام، هنري لامنس، فاطمة وبنات محمَّد، الأُم المُتألِّمة.

المقدِّمة

الحمد الله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم النبيّ محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

كان لظهور الإسلام الأثر الواضح في الجزيرة العربيَّة والعالم بأسره، فقد انتشر الدين الإسلاميّ بقيادة حبيب الله أبي القاسم المصطفىﷺ بالجزيرة العربيَّة، واستمرَّ بالانتشار حتَّى وصل من الصين شرقًا، وإلى جنوب فرنسا غربًا، ممَّا دفع المستشرقين لمعرفة قوَّة هذا الدين معرفة دينيَّة سياسيَّة اجتماعيَّة ثقافيَّة اقتصاديَّة، وكانت كتبهم إيجابيَّة من ناحية، وسلبيَّة من ناحية أخرى.

وعلى هذا الأساس كان بحثنا باسم الردّ على هنري لامنس بكتابه فاطمة وبنات محمَّد من قِبَل المستشرقين، فكان المبحث الأوَّل هو تعريف الاستشراق لغةً واصطلاحًا، وأهدافه ووسائله، وأعمال المستشرقين، وكذلك السيرة الذاتيَّة لسيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراءعليها السلام، ومعرفة هنري لامنس، أمَّا المبحث الثاني، فقد تضمَّن كتابات هنري لامنس عن فاطمة الزَّهراءعليها السلام، والردّ عليها من قِبَل المستشرقين أنفسهم، امثال المستشرق لويس ماسينيون، والمستشرق غاستون فييت، والمستشرقة لورا فاغليري، وغيرهم من المستشرقين، والمبحث الأخير عرَّف بأقوال المستشرقين عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراءعليها السلام، ومنهم المستشرق هنري كوربان، والمستشرق جيب هاملتون، وغيرهم من المستشرقين.

المبحث الأوَّل

الاستشراق

الاستشراق لغةً

كلمة الاستشراق مشتقَّة من (شرق)، والمقصود بالشرق، الحضارة العربيَّة، والعرب الذين أسَّسوا الحضارة، استشرق أي صار مستشرقًا، واهتمَّ بالدراسات الشرقيَّة[١].

الاستشراق اصطلاحًا

هو علم الشرق أو علم العالم الشرقيّ، وكلمة مستشرق بالمعنى العام تُطلق على كلِّ عالم غربيّ يشتغل بدراسة الشرق كلّه، أقصاه، وسطه، وأدناه، في لغته وآدابه وحضاراته وأديانه، أو هو تلك الدراسات الغربيَّة المتعلِّقة بالشرق الإسلاميّ في لغته وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام[٢].

واستشرق فلان: أي أصبح من أهل المشرق، والاستشراق فيه نوع من المغالطة، فلا نقصد به أنَّ الرجل الغربي يصبح شرقيًّا. وعُرِّف الاستشراق أيضًا على أنَّه منهج غربيّ في رؤية الأشياء والتعامل معها، يقوم على أنَّ هناك اختلافًا جذريًّا في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق. وعرَّفه آخرون تعريفًا أكاديميًّا يقول: «الاستشراق عبارة

(١) نور الدين عصام، معجم نور الدين الوسيط (مادَّة الشرق)، ط١، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٥٦٦.

(٢) زقزوق، الاستشراق الخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص١٨.

عن دراسات أكاديميَّة يقوم بها غربيُّون في الدول الاستعماريَّة للشرق بشتَّى جوانبه، تاريخه وثقافته وأديانه ولغته ونظمه الاجتماعيَّة والسياسيَّة وثروته وإمكانيَّاته»[1].

لقد اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق، فليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدِّد تاريخًا بعينه تكون فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافاتهم وعقائدها وآدابها وعاداتها وتقاليدها، وقد تعدَّدت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق، بعضها يُعطي تاريخًا بعينه، وبعضها الآخر يُعطي حقبة أو عصرًا من العصور التي مرَّ بها الشرق أو العالم، والقسم الآخر لا يُعطي زمنًا وإنَّما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجُعِلت هي البدايات[2]، فمن الصعب تحديد تاريخ معيَّن لبداية الاستشراق[3].

فهناك من الباحثين من يُرجِع بداية الاستشراق إلى القرن العاشر الميلاديّ، ولعلَّ هذا هو السبب الذي أدَّى بالأستاذ نجيب عقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين سجلًّا للاستشراق على مدى ألف عـام[4]. لكن الحقيقة العلميَّة ترى أنَّ تاريخ الاستشراق يعود إلى حقب أعمق من القرن التاسع عشر الميلاديّ[5].

إذ إنَّ الكثير من الذين كتبوا عن الاستشراق يُرجعون أسبابه أو أسباب نشوئه إلى عوامل مختلفة، منها: احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة مؤتة، ومن ثمَّ غزوة تبوك كما يقول محمَّد حسين هيكل: «وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسيَّة»[6].

(١) الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، ص١٥.
(٢) بوفلاقة، الاستشراق بين الإنصاف والتجنِّي، ص١٢٠-١٢١.
(٣) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص١٨.
(٤) الآلوسّي، التراث العربّي المستشرقون، ص١٣.
(٥) الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، ص١٩.
(٦) المرجع نفسه، ص١٩.

ورأى قسم آخر أنَّ بداية الاستشراق تمتدُّ جذوره إلى عصر الصليبيِّين، حين بدأ الاحتكاك السياسيّ والدينيّ بين الإسلام والنصرانيَّة الغربيَّة في فلسطين، وحجَّة هؤلاء أنَّ العداء السياسيّ استحكم بين النصارى والمسلمين أيَّام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيُّوبيّ، ومن ثمَّ أيَّام أخيه العادل، إثر الهزائم المتكرِّرة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصليبيِّين، فرض كلُّ هذا على الغرب أن ينتقم لهزائمه، وقسم آخر رأى أنَّ نشوء الاستشراق كان لحاجة الغرب للردِّ على الإسلام أوَّلًا، ولمعرفة أسباب هذه القوَّة الدافعة لأبنائه ثانيًا، وخاصَّة بعد سقوط القسطنطينيَّة سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، فإنَّ الإسلام وقف سدًّا مانعًا من انتشار النصرانيَّة[١].

أهداف الاستشراق

١. الأهداف العلميَّة:

كانت هناك مقاصد لبعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينيَّة وفحصها، وأدرك أنَّ رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماويَّة، ومؤيِّدة لما جاء فيها من إيمان بالله وكتبه ورسله[٢].

فما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها من دون أن تأخذ بأسباب ذلك، وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلاميَّة في جميع المجالات العلميَّة، فالغربيُّون لم يتركوا مجالًا كتب فيه العلماء المسلمون حتَّى درسوا هذه الكتابات، وترجموا عنها، وأخذوا منها.

وقد منعت الكنيسة تداول الكتب التي تُظهر تعاطفًا مع الإسلام، ووضعتها في قائمة المحرَّمات، وبطشت بمؤلِّفيها، وهذه دلالة على أنَّ الاستشراق لم يكن بريئًا[٣].

(١) السامرَّائيّ، الاستشراق بين الموضوعيَّة والافتعاليَّة، ص٢٢-٢٣.
(٢) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص٧٧.
(٣) المرجع نفسه، ص٧٨.

٢. الأهداف السياسيَّة والاستعماريَّة:

ظهرت الأهداف السياسيَّة واضحة جليَّة، واتَّسع مداها باتِّساع رقعة الاستعمار الغربيّ للعالم الإسلاميّ في القرنَين (١٩م-٢٠م) اللذَين كان لهما دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبيَّة للشرق[١]. وهنا لا بدَّ من التقرير بأنَّ المستشرقين جميعًا، قديمهم وحديثهم، قد خدموا بشكلٍ أو بآخر أغراض الاستعمار، بإرسال بعثتها لدراسة الأوضاع في المشرق والمغرب العربيّ[٢].

وبذلك اكتشفت أوروبا الفكر الإسلاميّ من جديد عن طريق الاستعمار؛ لأنَّ الدراسات الأولى كانت قاصرة، إذ درسوها من بعيد، ليس من أجل تعديل الثقافة، بل التعديل السياسيّ للوضع في المناطق التي يسيطرون بها علينا.

فإنَّ الاستشراق هو الذي مهَّد للاستعمار وخَدَمه، وذلك بإحياء قاعدة استعماريَّة معروفة هي: (فرِّق تَسُد)، بإثارة النزاعات العصبيَّة، فهو الذي قدَّم الدراسات الشرقيَّة لقمة سائغة في يد الاستعمار الجموح، ومن بين الأمثلة العديدة لارتباط الاستشراق بالاستعمار، نذكر المستشرق كارل هينربين بيكر مؤسِّس (مجلَّة الإسلام) الألمانيَّة، الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعماريَّة الألمانيَّة في إفريقيا[٣].

٣. الأهداف الاقتصاديَّة:

وقد ظهرت في عصر ما قبل الاستعمار للعالم الإسلاميّ في القرنَين (١٩م-٢٠م)، فقد كان الغربيُّون مهتمِّين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأوليَّة لصناعتهم، والتعرُّف عليها، ودراسة جغرافيَّتها الطبيعيَّة والزراعيَّة والبشريَّة، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك[٤].

(١) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص٤٦.
(٢) الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، ص٢٦.
(٣) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص٤٧.
(٤) المرجع نفسه، ص٧٧.

فالاستشراق كان غاية دينيَّة لخدمة المبشِّرين الذين أرادوا أن ينشروا دياناتهم بين الشرقيِّين من مسلمين وغير مسلمين[١].

والحقيقة أنَّ الهدف الأوَّل الذي قام به الاستشراق كان خدمة الكنيسة والاستعمار، والكتابة ضدَّ الإسلام، والطعن فيه بروح الغيظ والتشفِّي والنيل من مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

كما كان للمستشرقين الغُلاة هدف كبير، وهو تشكيك المسلمين بينهم وبين أقرانهم وشريعتهم وفقههم، إلى جانب التشكيك في قدرة اللغة العربيَّة على مسايرة التطوُّر العلميّ؛ لتظلَّ عالة على مصطلحاتهم، ثمَّ إذا تمكَّنوا من هذه اللغة، نظروا في علوم الدين الإسلاميّ من عقيدة وشريعة، ودسُّوا في كتبها الشبهات، وهو المطلب المقصود عند أكثرهم[٣].

وسائل الاستشراق

١. التسلُّل إلى المجامع العلميَّة اللغويَّة، والاشتراك فيها[٤]، وذلك بإنشاء كراسي للغات الشرقيَّة في الجامعات الأوربيَّة، مثل جامعة تولوز، وجامعة بوردو، وجامعة السوربون في باريس، إلى جانب كراسي للغات الشرقيَّة في جامعات إنجلترا، مثل جامعة أوكسفورد وكمبردج وجامعة لندن[٥].

٢. التسلُّل إلى المنظَّمات والمؤسَّسات التربويَّة والفنيَّة والعلميَّة[٦]، فمثلًا إنشاء

(١) بوفلاقة، الاستشراق بين الإنصاف والتجنِّي، ص٩٥-٩٦.

(٢) صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٦.

(٤) التميميّ، عزّ الدين الخطيب، نظرات في الثقافة الإسلاميَّة، ط١، دار الشهب، باتنة (الجزائر، د.ت)، ص٤٢.

(٥) صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص٣٢.

(٦) التميميّ، نظرات في الثقافة الإسلاميَّة، ص٤٢.

المكتبات الشرقيَّة التي تحوي ملايين من الكتب والمخطوطات والنفائس العلميَّة والأدبيَّة والتاريخيَّة، ومن أهمِّ هذه المكتبات، مكتبة باريس الوطنيَّة، ومكتبة جامعة هايدلبرج[١].

٣. الجمعيَّات الآسيويَّة والمجلَّات الشرقيَّة: عملت معظم بلدان أوربا على تنمية حركة الاستشراق، وذلك بإصدار المجلَّات والمطبوعات الخاصَّة بالشرق، وهي تُعنى جميعًا بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيَّتهم وأنسابهم، وبحث أدبهم وشرائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم، ودراسة لغاتهم وعلومهم. وألَّفت من مجموعها مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمال المستشرقين، إلى جانب مجموعة من المتاحف، وأهمّها متحف الفن الإسلاميّ في برلين[٢].

٤. عقد المؤتمرات التي يتدارسون فيها مناهج سياستهم[٣]، وقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدوليَّة (١٨٧٣م-١٩٦٤م)، ٢٦ مؤتمرًا ضمَّ الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين، والشرقيِّين، وتناولها المحاضرات والأبحاث والنظريَّات والمقترحات[٤].

٥. تأليف الكتب والموسوعات ودور المعارف العلميَّة، ويعدُّ هذا المجال من أخطر المجالات وأوسعها انتشارًا، فقد صبُّوا فيها كلَّ أحقادهم على الإسلام والمسلمين.

٦. تحقيق المخطوطات، وكان هذا ومازال ميدانًا فسيحًا للمستشرقين لبثِّ آرائهم وأفكارهم ومفاهيمهم من خلال تحقيق هذه المخطوطات[٥].

(١) صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص٣٢.
(٢) المرجع نفسه، ص٣٣.
(٣) التميميّ، نظرات في الثقافة الإسلاميَّة، ص٤٢.
(٤) صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص٣٤.
(٥) التميميّ، نظرات في الثقافة الإسلاميَّة، ص٤٢-٤٣.

٧. وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبيَّة كافَّة بفهرسة المخطوطات العربيَّة فهرسة دقيقة، وتقدَّر المخطوطات العربيَّة الإسلاميَّة في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف، بل يصل عددها إلى مئات الآلاف[١].

٨. تطبيق الفكر الاستشراقيّ، وذلك بإيجاد ملاكات وإطارات محليَّة تتبنَّى الطروحات الاستشراقيَّة، حيث يتمُّ تعليم هذه الملاكات في جامعات أوروبيَّة غربيَّة على يد المستشرقين.

أعمال المستشرقين

١. التدريس الجامعيّ:

يكاد أن يكون في كلِّ جامعة أوروبيَّة وأمريكيَّة معهد خاص للدراسات الإسلاميَّة العربيَّة، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق، مثل جامعة ميونخ، حيث يوجد بها معهد اللغات الساميَّة والدراسات الإسلاميَّة، ومعهد لتاريخ وحضارة الشرق الأدنى، وتقوم هذه المعاهد بمهمَّة التدريس الجامعيّ، وتعليم العربيَّة، وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه[٢].

٢. جمع المخطوطات وفهرستها:

اهتمَّ المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربيَّة من كلِّ مكان في بلاد الشرق الإسلاميّ، وكان هذا العمل مبنيًّا على وعي تام بقيمة المخطوطات التي تحمل تراثًا في شتَّى المجالات والعلوم، وكان بعض الحكَّام في أوروبا يفرضون على كلِّ سفينة تجاريَّة مع الشرق أن تُحضر معها بعض المخطوطات[٣]

(١) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص٦٣.
(٢) المرجع نفسه، ص٦١.
(٣) الآلوسيّ، التراث العربيّ، ص٢٧.

٣. التحقيق والنشر:

لم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى تحقيق النشر، فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث[١].

٤. الترجمة:

لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربيَّة، بل قاموا أيضًا بترجمة مئات الكتب العربيَّة والإسلاميَّة إلى اللغات الأوروبيَّة كافَّة، فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلَّقات، وتاريخ أبي الفداء، والطبريّ، والمسعوديّ، والمقريزيّ، والسيوطيّ، وغيرهم.

وقد تُرجِم القرآن إلى عدَّة ترجمات، وكانت الترجمة الأولى في القرن الثاني عشر الميلاديّ، وقد قام المستشرقون في ذلك الوقت وحتَّى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبيَّة كافَّة، وقد مهَّدوا لترجماتهم بمقدِّمات وضعوا فيها تصوُّراتهم عن الإسلام[٢].

٥. التأليف:

تعدَّدت مجالات التأليف في الدراسات العربيَّة والإسلاميَّة لدى المستشرقين، وبلغ عدد ما ألَّفوه عن الشرق في قرن ونصف، منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلاديّ، وحتَّى منتصف القرن العشرين الكثير، إذ بلغ عدد الكتب المؤلَّفة ستِّين ألف كتاب في التاريخ العربيّ الإسلاميّ، وعلم الكلام، والشريعة والفلسفة الإسلاميَّة، وتاريخ الآداب واللغة العربية، والدراسات المتعلِّقة بالقرآن والسنَّة، والنحو العربيّ[٣].

(١) زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص٦٤.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٦.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٧.

السيرة الذاتية الفاطمة الزَّهراء عليها السلام

اتَّفق المستشرقون بأنَّه ليس هناك في عالم الأنساب العربيَّة والإسلاميَّة نسبٌ أسمى ولا أرفع من نسب سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فالأب هو حبيب الله سبحانه وتعالى، الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، والأم هي خديجة بنت خويلد عليها السلام، ذات الشرف الأصيل، والمجد الأثيل، تجتمع في نسبها المُشرق مع النبيّ في (قصي)، وهو الجدُّ الرابع للنبيّ، والجدُّ الثالث لها، فيعرِّج نسبها الشريف إلى النبيّ إبراهيم الخليل أبو الأنبياء عليهم السلام[١].

وأصبحت فاطمة عليها السلام بهذا النسب، فيما بعد، القُطب الذي ارتكزت عليه السلالة النبويَّة، والمبدأ الاستمراريّ الوحيد للجنس المحمَّديّ[٢].

فكانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع أبيها النبيّ في تشكيل الأئمَّة الاثني عشر معصومًا، أصل السلالة الإماميَّة، ملكوت الأربعة عشر معصومًا[٣]. وهذا التشكيل القُطبيّ

(١) درمنغم، حياة محمَّد، ص٥٤، كبرييلي، فرانشيسكو (ت١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، محمَّد والفتوحات الإسلاميّة، تعريب وتقديم وتعليق: د. عبد الجبَّار ناجي، (ط١، دار المحجَّة البيضاء، بيروت ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص١٢٠، بروا، جان، محمَّد نابليون السماء، ترجمة: محمَّد صالح البُنداق، (دار الإنصاف، بيروت، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص٣، يورت، جان ديون، الاعتذار محمَّد والقرآن، ترجمة: عبَّاس الخليليّ، (مطبعة الإقبال، طهران، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص١٣.

(٢) يقول لويس ماسينيون: «تُمثِّل أمُّ أبيها فاطمة، مبدأ الاستمراريَّة الوحيد للجنس، لقد تحوَّلت فاطمة إلى رهينة إنسانيَّة لتأكيد الحرارة الإلهيَّة، وهكذا تجد فاطمة نفسها مُختارة لضمان استمرار رسالة أبيها». ماسينيون، لويس (ت١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، الغنوصيَّة عبادة فاطمة في الإسلام الشيعيّ، ترجمة: تقي المصعبيّ، حصلنا عليه من مركز الإمام الحسين عليه السلام للمخطوطات والوثائق، الوثيقة تحت رقم (HA 5310)، ملحق رقم (١٢).

(٣) كوربان، هنري، عن الإسلام في إيران، مشاهد روحيَّة وفلسفيَّة- التشيُّع الاثنا عشريّ، ترجمة وتحقيق: نوَّاف الموسوي، (ط١، دار النهار، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص٩٤. بتصرُّف.

والمحوريّ لفاطمةعليها السلام أصبح فيما بعد، كما يصفهُ (لويس غارديه)[1]، بأنَّه يُمثِّل النبالة الحقَّة، نبالة الدم، المُعترف بها في الإسلام[2]

ومن فاطمة ينحدر اليوم جميع المسلمين الذي يعتمُّون بعمامة خضراء، ويُسمُّون أنفسهم أشرافًا[3].

وإنَّ لأبناء فاطمة الحقُّ الأوَّل في أن يُسمَّوا (أبناء رسول الله)، فينتسبون بذلك إلى النبي، ولذلك فإنَّ عبارة (ابن رسول الله)، هي العبارة المُفضَّلة في مخاطبتهم[4].

«وأنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام نقلت إلى العلويِّين ميراث الرسول»[5].

ويذكر المستشرق الفرنسيّ (هنري ماسيه)[6] ذلك بقوله: «وأخيرًا فإنَّ خديجة هي التي ولدت الولد الوحيد لمحمَّد، والذي تركَ وراءهُ أعقابًا، وهذا الولد هو فاطمة المُعذَّبة الحزينة التي أصبحت بزواجها من عليّ جدَّةً لعدد كبير من أعقاب النبيّ

(١) مستشرق فرنسيّ، درس الفلسفة المقارنة بالكليَّة الدوليَّة للفلسفة بمدينة تولوز، متخصِّص في مجال دراسات الفكر الإسلاميّ، ألقى عدَّة محاضرات في روما والجزائر والقاهرة وبيروت وغيرها، توفِّي في باريس سنة ١٩٨٦م، من مؤلَّفاته: التفكير الديني عند ابن سينا، والتجارب الصوفيَّة في البلاد المسيحيَّة، ورجال الاسلام، وغيرها. حمدان، طبقات المستشرقين، ص١١٠.

(٢) غارديه، لويس، الإسلام بين الأمس والغد، ترجمة: علي المقلّد، (ط١، دار التنوير، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٤) دائرة المعارف الإسلاميَّة، مج١٣، ص٢٧٤.

(٥) غودفروا، موريس، النظم الإسلاميَّة، ترجمة: د. فيصل السَّامر، ود. صالح الشمَّاع، (مطبعة حدَّاد، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)، ص١٦٥.

(٦) ولِد سنة ١٨٨٦م، حصل على دبلوم في العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة، سافر إلى مصر، حيث التحق بالمعهد الفرنسيّ للآثار الشرقيَّة، أصبح أستاذًا في المدرسة الوطنيَّة للغات الشرقيَّة، قُتِلَ بعد أن دهسته سيارة قرب منزله سنة ١٩٦٩م، من أعماله: تحقيق كتاب (تاريخ مصر) لمحمَّد ابن المُيَّسر، و(فتوح مصر والمغرب) لابن عبد الحكيم، وترجم (قانون ديوان الرسائل) لابن الصيرفيّ. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٣٦-٥٣٧.

الأشراف الحسنيِّين والسادة الحُسينيِّين»[١]. رُزِقَ النبيّ ﷺ بأربع بنات، وهنَّ حسب الأخبار بالترتيب: زينب الأولى، ثمَّ الثانية رقيَّة، ثمَّ الثالثة أمّ كلثوم، ثمَّ الرابعة فاطمة، وهي أصغرهنَّ وأشهرهنَّ، والوحيدة التي بقيت بعد وفاته[٢].

ولِدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حسب قول المستشرق (يان ريشار)[٣] بقوله: «إنَّ فاطمة التي ولِدت قبل البعثة بقليل..»[٤]. وهناك رأي آخر يذكره لامنس، وهو أنَّها ولدت قبل البعثة بقليل، أو ثلاث أو أربع أو خمس سنين[٥]، ورأي آخر يقول في عام إعادة بناء الكعبة المُشرَّفة[٦]

(١) ماسيه، هنري، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، علَّق عليه: د. مصطفى الرافعيّ ومحمَّد جواد معنيَّة (منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٤٢-٤٣.

(٢) سيِّديو، لويس، خلاصة تاريخ العرب، كتاب العلم (ط٢، دار الآثار، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٤٦، وات، مونتغمري، محمَّد في مكَّة، تعريب: شعبان بركات (المطبعة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت)، ص٧٣، جورجيو، فيرجيل، حياة محمَّد، ترجمة: حليم عبد الله (دار ومكتبة بيبليون، لبنان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م)، ص٨٩، كاهن، كلود، الإسلام منذ نشوئه حتَّى ظهور السلطنة العثمانيَّة، ترجمة: حسين جواد قبيسي، مراجعة: د. عليّ نجيب إبراهيم (ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص٣٣، إيليسيف، نيكيتا، الشرق الأوسط في العصر الوسيط، ترجمة: منصور أبو الحسن (دار الكتاب الحديث، بيروت، د.ت)، ص٥٩، حتِّي، فيليب، العرب تاريخ موجز (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص٤٤، جيورجيو، كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمَّد التونجي (ط١، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٥٢، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر (د.مط، مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص١١٧.

(٣) مستشرق فرنسيّ، أستاذ الدراسات الإيرانيَّة في جامعة السوربون، صدر له: المثقَّف والمناضل في الإسلام المعاصر.

(٤) ريشار، يان، الإسلام الشيعيّ- عقائد وإيديولوجيَّات، ترجمة: حافظ الجمَّالي (ط١، دار عطيَّة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٤٦.

(5) Lammens, Henri. Fatima et Ies filles de Mahommet. (Rome 1912), P. 31-34.

(٦) كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمَّد أبو رحمه (ط١، مدبولي، القاهرة،=

لُقبَّت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بألقابٍ عدَّة، تناولتها الدراسات الاستشراقيَّة، وهي الصدِّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزاكية، والراضية، والمُحدَّثة، والبتول، والزَّهراء(١).

وذكر المستشرق الفرنسيّ كوربان فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقوله: «مقام فاطمة يتطابق بالضبط مع الشكل الظاهريّ للشمس، من دون أن يكون هنالك لا إشعاع ولا حرارة؛ ولذلك فاطمة تُدعى الزَّهراء (الاسم الشمسيّ)»(٢). والمستشرق الأمريكيّ واشنطن إيرفينج يذكرها عليها السلام بقوله: «إمرأةٌ ذاتُ جمالٍ أخَّاذ، وصفها الكُتَّاب العرب بأنَّها واحدة من أفضل وأجمل النساء اللواتي بارك الله تعالى بهنَّ هذه الأرض»(٣).

وأمَّا المستشرق جان بورت فقد وصفها بـ«الحسناء»(٤)، ولم تكن هذه الصفات كثيرة بحقِّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بل كانت تستحق أكثر من ذلك بكثير، بسبب إيمانها ونسبها الشريف، خاصَّةً وهي أُمُّ أبيها(٥).

أمَّا زواج سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، فتذكر المستشرقة الإيطاليَّة فاغليري بالقول: «طلب كلٌّ من أبي بكر وعمر يد فاطمة، لكنَّ محمَّدًا لم يوافق على خطبتها لأيٍّ منهما، قائلًا: إنَّهُ ينتظر اللحظة التي يُحدِّدها القدر»(٦).

وعندما طلبها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، كان سلوك

=١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٣٦.

(١) القزَّاز، الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء والموسوعة الروسيَّة (الانسكلوبيديا)، ص١٣١.

(2) Spitual Body and Celestial Earth. P. 64.

(٣) محمَّد وخلفاؤه، ص٢٠٥.

(٤) الاعتذار محمَّد والقرآن، ص٤٢.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص١٥٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٠، المزيّ، تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٢٤٧.

(6) The Encyclopaedia of Islam, Volume II, P. 842.

فاطمةعليها السلام من التزام الصمت بعد أن استشارها أبوها حول زواجها المستقبليّ من عليّعليه السلام، وأنَّها لم تكن لتتكلَّم إلَّا إذا كانت رافضة[١].

وهنا يذكر المستشرق الأمريكيّ إيرفنج مراسيم الزواج، فذكرَ أنَّ السماء والأرض قد شاركتا في الاحتفال بهذه الزيجة المباركة، وازدانت المدينة بأنوار ومظاهر الابتهاج، وفي ليلة الزفاف صَحِبَ النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله ابنته إلى بيت زوجها، وأرسلت السماء ملائكتها للمشاركة في الاحتفال، فوقفَ جبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وقُدِّمَ للمدعوِّين، وفراش الزوجين وغيرها من الأمور، وكان هذا الزواج يتَّفق مع بساطة البيت العربيّ[٢]

نَخَبَ الحُزن قلب السيِّدة فاطمةعليها السلام وألمَّ بها الأسى على فقدِ أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله الذي تنبَّأ لها، كما يقول إيرفنج[٣]، بأنهَّا ستكون أوَّل أُسرتهِ لحوقًا به، بعد أن ذكر حديث عائشة، وهي تُصوِّر اللحظات الأخيرة للنبيّصلى الله عليه وآله في هذه الدنيا، قائلةً: «اجتمع نساء رسول اللهصلى الله عليه وآله عنده لم يُغادر منهنَّ إمرأة، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطىء مشيتها مشية أبيها، فقال: مرحبًا يا بنتي، فأقعدها إلى يمينه أو شماله، ثمَّ سارَّها بشيء، فبكت، ثمَّ سارَّها، فضحكت، فقلت لها: خَصَكِّ رسول الله بالسرار وأنتِ بكيتِ، فلمَّا أن أقامت فترة قلت أخبريني ما سارَّكِ لما لي عليكِ من الحقِّ لما أخبرتني، قالت: أمَّا الآن فنعم. قالت: سارَّني في الأولى قال: إنَّ جبرئيل كان يُعارضني القرآن كلَّ سنة مرَّة، وقد عارضني هذا العام مرَّتَين، ولا أرى ذلك إلَّا اقتراب أجلي، فاتَّقي الله واصبري، فنعم السَّلف أما لكِ، فبكيت. ثمَّ سارَّني فقال: أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين وسيِّدة نساء هذه الأمَّة؟ فضحكت»[٤].

(1) See: The Image of Fatima in Classical Muslim Thought. P. 34-37.

(٢) محمَّد وخلفاؤه، ص١٣٤.

(٣) محمَّد وخلفاؤه، ص٤٥٢، جان بورت، الاعتذار محمَّد والقرآن، ص٥٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٤٧، النيسابوريّ، صحيح مسلم، كتاب الفضائل،=

فارقت فاطمة الزَّهراءعليها السلام الحياة بعد موت أبيها النبي محمَّدصلى الله عليه وآله بستة أشهر[1]، واكتفى المستشرق الألمانيّ كونسلمان القول بأنَّ وفاتها كان في نفس العام الذي ارتحلَ فيه النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى[2]، والمستشرقة الألمانيَّة ماري شمل لم تُحدِّد المدَّة، وإنَّما ذكرت بأنَّها توفيت بعد أشهر من موت أبيها[3].

وكان سبب وفاة فاطمة الزَّهراءعليها السلام الهجوم على دارها من قِبَل أبي بكر وعمر، والأمر الذي يثير التساؤل لماذا لم يحرِّك الإمام عليّعليه السلام ساكنًا؟ والجواب: لأنَّ النبيّ أعلمه بما سيحصل، وأوصاه أن لا يسلَّ سيفه. وتذكر المصادر التاريخيَّة: وأعلن الإمام عليّعليه السلام رفضه لبيعة أبي بكر، واعتبرها اعتداءً صارخًا عليه، وأجمع رأي الحزب القرشيّ على إرغام الإمام عليّعليه السلام على بيعة أبي بكر، لكنَّ الإمام عليًّاعليه السلام رفض البيعة، ممَّا جعل حكومة أبي بكر وعمر أن يتَّخذوا الإجراءات الصارمة ضدَّ أهل البيت بهجومهم على دار فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وحسب قول المؤرخين، يقول البلاذريّ: «إنَّ أبا بكر أرسل إلى عليّعليه السلام يريد بيعته، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقَّته فاطمةعليها السلام على الباب، فقالت: له أتراك محرقًا عليَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى ممَّا جاء به أبوك»[4].

وقد استندت المستشرقة فاغليري إلى هذه الرواية وغيرها في ذِكر الأحداث بعد

=باب فضائل فاطمة بنت النبيّ، ج٧، ص١٤٣، النسائيّ، أحمد بن شعيب (ت٣٠٢هـ/ ٩١٤م)، فضائل الصحابة (دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت)، ص٧٧.

(١) الرسول حياة محمَّد، ص٣٩٦، الأعلم بين الشيعة، ص١٦٩.

(٢) سطوع نجم الشيعة، ص٣٧.

(٣) الأنوثة في الإسلام، ص٥٦.

(٤) البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٩)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد باقر، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان، ١٣٩٤هـ، ج١، ص٥٨٦.

وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وقالت: «وقد يكون في هذه الروايات بعض المبالغة، أو بعض التفاصيل الزائدة، إلَّا أنَّه لا بدَّ من أصلٍ لها»[١].

أمَّا دفنها، فقد دُفنت بالبقيع، ودُفنَ بالقرب منها ولدها الإمام الحسن عليه السلام[٢].

(1) The Encyclopaedia of Islam, Volume II., P. 844.

(٢) رونلدسن، دوايت (ت١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م)، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع.م، (ط١، مؤسَّسة المفيد، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٨٢.

المبحث الثاني

الردُّ على لامنس

كتاب فاطمة وبنات محمَّد (Fatime et Les Filles de Mahommet) هو آراء نقديَّة حول السيرة، لمؤلِّفه المستشرق هنري لامنس، والمطبوع في روما سنة ١٩١٢م، وهو من أهمِّ كُتبه، وأكثرها تحاملًا وتعصُّبًا، فقد بالغَ فيه بتهكُّمه وبآرائه المُتطرِّفة وتحليلاته المُغرضة المُتعلِّقة بتدوين سيرة سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، والتي كانت محلَّ استهجان المستشرقين ونقدهم، فمن هو لامنس؟ هو الأب هنري لامنس، أو هنريكوس، من أبرز مستشرقي الرهبان اليسوعيِّين، وخريجي جامعة القدِّيس يوسف وأساتذتها، المستشرق البلجيكيّ المولد، الفرنسيّ الجنسيَّة، اللبنانيّ الإقامة والوفاة، ولِد سنة ١٨٦٢م، وغادر لبنان وهو في عمر الخامسة عشرة، وبدأ حياة الرهبنة سنة ١٨٧٨م في دير لليسوعيِّين في لبنان، تنقَّل شرقًا وغربًا لدراسة علم اللاهوت، وقام برحلات عديدة في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، واهتمَّ بالآثار، تمَّ تعيينه أستاذًا للغة العربيَّة في المعهد البابويّ في روما، توفِّي سنة ١٩٣٧م، من آثاره: مهد الإسلام، ومكَّة عشيَّة الهجرة، والمعابد قبل الإسلام، وغيرها[1].

يذكر الدكتور بدوي في كتابه بخصوص لامنس، قوله: «وأبشع ما فعله لامنس، خصوصًا في كتابه فاطمة وبنات محمَّد، هو أنَّه كان يُشير في الهوامش إلى مراجع

(١) توتل، فردينان، الأب هنري لامنس، مقال منشور في مجلَّة المشرق الكاثوليكيَّة (بيروت، ١٩٣٧م)، ص١٦٢، العقيقيّ، نجيب، المستشرقون، دار المعارف (القاهرة، ١٩٦٤م)، ج٣، ص٢٩٣-٢٩٥.

بصفحاتها. وقد راجعتُ مُعظم هذه الإشارات في الكتب التي أحالَ إليها، فوجدتُ أنَّهُ إمَّا أن يشير إلى مواضع غير موجوده إطلاقًا في هذه الكتب، أو يفهم النصَّ فهمًا ملتويًا خبيثًا، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدلُّ على فساد الذِّهن وخُبث النيَّة»[١]، وقد كانت الدراسة اللامنسيَّة لفاطمة عليها السلام محلَّ رفض ونقد كثير من المستشرقين أنفسهم، على أنَّها من بين أكثر الدراسات الاستشراقيَّة تطرُّفًا، واصطباغًا بروح التعصُّب، فضلًا عن كونها كُتبت بدوافع مُغرضة تمثَّلت بمحاولته تحطيم الثقة بالسيرة النبويَّة، ولذا صرَّح عدد من المستشرقين بانتقادهم الشديد، ومنهم المستشرق الفرنسي غاستون فييت[٢] في جلسة نعي هنري لامنس، بعد سبعة عشر يومًا من وفاته، قائلًا «إنَّهُ من الصعب أن نقبل كتاب فاطمة وبنات محمَّد بثقة وبدون تحفُّظ، فإنَّ التعصُّب، والاتِّجاه العدوانيّ يسودانه إلى حدٍّ كبير»[٣].

ويزداد نقد المستشرقين لنقد هوري لامنس، فصدرت عن علماء لهم دراية بالإسلام، أمثال المستشرق الألمانيّ (تيودور نولدكه)[٤]، صاحب تاريخ القرآن، و(شفالي)[٥]، فقد

(١) بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ص٥٠٤.

(٢) ولد في باريس سنة ١٨٨٧م، عالم آثار، ومؤرِّخ، عُيِّن مديرًا لمتحف الآثار، ومديرًا لدار الآثار العربيَّة في القاهرة سنة ١٩٤٢م، وانتُخب عضوًا في المجمع اللغويّ بالقاهرة سنة ١٩٣٠م، توفِّي سنة ١٩٧١م، له مؤلَّفات كثيرة، منها القاهرة مدينة الفن والتجارة، ومساجد القاهرة، وغيرها. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٣٣.

(٣) العفاني، سيِّد حسين، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد للطباعة والنشر، السعوديَّة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٢، ص٤٥٨.

(٤) ولِد في ألمانيا بمدينة هاربورج سنة ١٨٣٦م، حصل على الدكتوراه سنة ١٨٥٦م، وعُيِّن في جامعة جيتنجن، ودرس فيها اللغتَين الفارسيَّة والتركيَّة، تبوَّأ عدَّة مناصب تدريسيَّة في عدَّة جامعات حتَّى تقاعد سنة ١٩٠٦م، حصل على لقب شيخ المستشرقين الألمان؛ بسبب طول عمره الذي جاوز الرابعة والتسعين، توفِّي سنة ١٩٣٠م. ينظر: هويدي، الاستشراق الألمانيّ، ص٢٥.

(٥) مستشرق ألمانيّ، ولِد سنة ١٨٦٣م، تخرَّج باللغات الشرقيَّة على نولدكه، وأعادَ طبع كتاب=

عدَّلَ كتاب نولدكه، مُعتبرَين أنَّ المعالم المُبهجة للأشخاص التي يتناولها لامنس في كتابه فاطمة وبنات محمَّد، تحسينًا مُغرضًا لهم، بينما يأخذ من المصادر كلَّ ما هو قبيح وسيِّء، من غير تمحيص، فيُنتِج لفاطمة صورًا كاريكاتورية فعلا[1]

كما أنَّ حب لامنس للأمويِّين لم يكن يخفى على المستشرقين، وهذا المستشرق الفرنسيّ لويس ماسنيوس يذكر ذلك بقوله: «إنَّ صورة فاطمة التاريخيَّة كما يُقدِّمها لامنس في مهاراته، إذ يحاول مُطرب الأمويِّين أن يُقنع قُرَّآءه بإشاعاتٍ عِدائيَّة كانت قد أُشيعت ضدَّها خلال فترة الخلافة الأمويَّة»[2].

كما وجَّه المستشرق الألمانيّ (يوهان فوك)[3] انتقادًا لاذعًا لهنري لامنس في كتابه فاطمة وبنات محمَّد، للصورة المغرضة التي عرضها، من الأخبار غير المحمودة، ويرى أنَّها لم تُجدِ نفعًا غزارة المادَّة، ولا رشاقة العرض تجاه أوجه الضَّعف في سوء الأدلَّة[4].

=تاريخ القرآن لأستاذه نولدكه في مجلَّدين، وقدَّم دراسة حول القرآن سنة ١٩١٥م، توفِّي سنة ١٩١٩م، من دراساته: جحا، والمجلَّة الشرقيَّة الألمانيَّة، وجغرافية مصر، والجغرافيُّون العرب. الهاشميّ، حسن، قراءة نقديَّة في تاريخ القران للمستشرق ثيودور نولدكه (ط١، دار الكفيل، كربلاء، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، ص١١٣.

(١) نولدكه، تيودور (ت١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م)، تاريخ القرآن، ترجمة: د. جورج تامر (مؤسَّسة دار الكتاب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٤٢٩.

(٢) عامر، أديب، ماسينيون المستشرق الإنسان، بحث منشور في مجلَّة الفكر العربّي البيروتية، (السنة الخامسة، ع٣١، كانون الثاني- آذار، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٣٦٨.

(٣) مستشرق ألمانيّ، ولِد سنة ١٨٩٤م، أستاذ العربيَّة في جامعتَي ليبزيج وهاله، توفِّي سنة ١٩٧٤م، خلَّف وراءه مجموعة من الأعمال، أبرزها: العربيَّة لغة وأسلوب، وله مباحث في الآداب الشرقيَّة، والإسلام، والصوفيَّة، وغيرها. العقيقيّ، ج٢، ص٧٩٨.

(٤) فوك، يوهان، الدراسات العربيَّة في أوروبا حتَّى مطلع القرن العشرين، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش، زهرة الشرق (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٤٥٣-٤٥٤.

أمَّا المستشرق الفرنسيّ (رينيه ديسو)[١]، فقد كان له رأي في لامنس، فيذكر نقده لشخصيَّة فاطمة عليها السلام، وتسليطه الضوء على ما توفَّر لديه من الوثائق الإسلاميَّة الروائيَّة الضعيفة[٢].

لقد كان نسيج كلام لامنس عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام واضحًا بين أقرانه من المستشرقين، وموضع انتقادهم، واعتبروها غير حقيقيَّة، فقد شمَّر المستشرق الألمانيّ المعروف (بِكر هاينريش)[٣] عن ساعدَيه للردِّ عليه ردًا عنيفًا بعد سنة من طباعة لامنس كتابه فاطمة وبنات محمَّد، بقوله:

«يجب اعتبار الوصف السيِّء لصورة فاطمة في أحاديث التيَّار الأرثوذكسيّ أنَّه ليس من التاريخ بشيء؛ فقد تكون هذه الإساءات مُجرَّد ردِّ فعل على تمجيد الطرف الآخر. إنَّ لامنس ينظر في طروحاته إلى كلِّ الصفات السيِّئة كحقائق تاريخيَّة من دون الخوض فيها. استنادًا إلى الأحاديث غير اللطيفة حول مفاتن فاطمة، يرسم لنا لامنس صورة مُقزِّزة عن هذه الشخصيَّة المسكينة، لكنَّ عالم الدموع صفة مألوفة كمعيار للجمال،

(١) ولد رينيه ديسو في ضاحية نوبي الفرنسيَّة سنة ١٨٦٨م، تعلَّم في مدرسة اللغات الشرقيَّة، ومدرسة الدراسات العليا في جامعة السوربون، درس علم الآثار القديمة والتاريخ القديم، سافر إلى سوريا سنة ١٨٩٥م، توفِّي سنة ١٩٥٨م، من أعماله: العرب في سوريا قبل الإسلام، تاريخ النصيريَّة وديانتهم، المدخل إلى تاريخ الأديان. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٦٩-٢٧٠.

(2) Dussaud, Rene. Henri Lammens: Fatime et Les Filles de Mahommet, Notes critiques pour I'etude de Ia Sira. (Journal des savants,11annee, Mars 1913, P. 133.

(٣) مستشرق وفيلسوف وسياسيّ، ولد سنة ١٨٧٦م، من أسرة تنتسب إلى الطبقة البرجوازيَّة، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هيدلبرج الألمانيَّة، اهتمَّ منذ بداياته بعلم اللاهوت وعلم الاديان، اتَّصل بحياة الشرق فكانت له رحلات إلى القاهرة، تقلَّد مناصب سياسيَّة، منها وزيرًا للتعليم العالي سنة ١٩٢١م، توفِّي سنة ١٩٣٣م، من أهمِّ أعماله: دراسات إسلاميَّة يقع في مجلَّدين. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٣-١١٦.

أكثر منه كحقيقة تاريخيَّة. لامنس يجد المتعة في إظهار أهل بيت الرسول بصورة مُحتقَرة ومُبتذلة»[1].

وتحاول الدكتورة فاغليري اقتناص الفكرة السيِّئة لجمال فاطمة عليها السلام من لامنس مُعلِّلةً ذلك بقِلَّة المصادر، وصمتها عن مَظهرها، إلَّا أنَّها في الوقت ذاته استغربت من تصويره القاتم لفاطمة عليها السلام، بقولها: «ولا يمكن وصفها بأنَّها إمرأة واهنة مريضة، كما ذهب لامنس، اعتمادًا على حديثَين[2] لابدَّ أنَّهما قيلَا في ظروف خاصَّة. فهناك حقائق أخرى تُفيد عكس ما ذكره لامنس، فقد كانت ولودًا أنجبت خمسًا، كما كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وقامت برحلتَين إلى مكَّة. كلُّ ذلك يُشير إلى أنَّها كانت صحيحة البدن»[3].

(1) Heinrich, Bekker. Prinzipielles zu Lammens Sirastudien. in Der Islam Zeitschrift Fur Geschichte und Kultur des Islamischen Orients.Strassburg. 1913. P. 263-269.

(٢) بنى لامنس رأيه المُتشنِّج على حديثٍ عن عروة بن الزبير الذي روى خروج زينب بنت النبيّ صلى الله عليه وآله من مكَّة وما جرى عليها في الطريق، ثمَّ أشارَ في نهاية حديثه الطويل قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقِّها: «هي أفضل بناتي». الدولابيّ، محمَّد بن أحمد الرازي (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، الذريَّة الطاهرة، تحقيق: محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ (ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، إيران، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص٧١، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، ج٢، ص٢٠١. ويكفي أنَّ أبا جعفر الإسكافيّ المعتزليّ المتوفَّى سنة ٢٤٠هـ قال في حقِّ الراوي: «إنَّ معاوية وضع قومًا من الصحابة وقومًا من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلًا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير». أمَّا روايته الثانية فذكر كيف أن فتيان أهل الحبشة كانوا يعترضون لرقيَّة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، ويتعجَّبون من جمالها. ابن أبي الحديد، أبو حامد بن هبة الله محمَّد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، مصر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)، ج٤، ص٦٣، الدياربكريّ، حسين بن محمَّد بن حسن (ت٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (ط١، مؤسَّسة شعبان، بيروت، د.ت)، ج١، ص٢٧٥.

(3) The Encyclopaedia of Islam. Volume II, P. 845.

واعترضَ الفرنسي يان ريشار على هذا التجنِّي من لامنس على شخصيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وصورتها، الناتج كما يراهُ من ترديده لمقولات مُبغضيها من الأمويِّين، بقوله: «فاطمة هي الشخصيَّة الرئيسيَّة في النواة المؤسِّسة للأُسرة المقدَّسة. إنَّ لامنس يستعيد الصورة السيِّئة التي تركتها الأُم، أمُّ الأئمَّة كما يُردِّدها الأمويُّون. أي: صورة امرأة سيِّئة التصرُّف، عنيدة، ذات صحَّة سيِّئة، شاكية دومًا، وبدون إغراء»(١).

رفضَ المستشرق الألماني بِكر هاينريش ما تكلَّمَ به لامنس عن العلاقة الأبويَّة لفاطمة عليها السلام، قائلًا: «صُوِّرت فاطمة وكأنَّها لم يكن لها أثر على الرسول، وأنَّها لم يكن لها أدنى هيبة عندهُ، فإنَّ طلعتها ليست ذات تأثير، ولطالما جاهد الرسول نفسه في أن يخلق علاقة متوازنة بينه وبين ابنته»(٢).

يذكر لامنس «إنَّ النبي برفضه تزويج فاطمة على أساس صغر سنِّها، ناقضَ نفسه بشكل يرثى له. ونحنُ في حقيقة الأمر نجد أنفسنا أمام مسرحية الهدف منها إخفاء العنوسة والعزوبة الطويلة التي عانت منها فاطمة، لقد فعل ذلك كي يُنقذ اعتبار ابنته بين الناس. ونعتقد بأنَّ تدخُّل السماء في أبسط أمور حياة النبيّ المنزلية إنَّما هو شيء لا يقبله العقل»(٣)

وكان ردُّ المستشرقين عليه منطقيًّا، مبنيًا على الدلالة التاريخيَّة المتَّفق عليها في جميع الكتب العالميَّة، إذ قالت الدكتورة المستشرقة فاغليري: «طلب كلٌّ من أبي بكر وعمر يد فاطمة، لكنَّ محمَّدًا لم يوافق على خطبتها لأيٍّ منهما، قائلًا إنَّهُ ينتظر اللحظة التي يُحدِّدها القدر»(٤).

---

(١) الإسلام الشيعيّ، ص٤٧-٤٨.

(2) Der Islam, P. 265.

(3) Fatima et Ies filles de Mahommet. P. 29-30.

(4) The Encyclopaedia of Islam. Volume II, P. 842.

المبحث الثالث

أقوال المستشرقين عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام

قالت المستشرقة (رودد روث) بحقِّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «من الصعب التخلُّص من فكرة أنَّ فاطمة ليست أكثر من رحم مُـقـدَّس»(١). وقد ترجمَ هذه الوساطة المُقدَّسة الفرنسي هنري كوربان بالروحانيِّين من الأربعة عشر عند الإماميَّة: محمَّد، وفاطمة، وزوجها، وابنيهما الحسن والحسين، الخمسة المُتَّحدين الذين يُشكلون معًا (وشيجة قُدسيَّة)، كما يطلق عليهم، والأئمَّة من بعدهم التسعة اللاحقين من خلال عصمتهم الموروثة، وضمان قداسة الدماء؛ لأنَّها ترتبط مباشرة بفاطمة(٢). وفي تعبير كوربان فإنَّ فاطمة عليها السلام هي امرأة صوفيَّة تُمثِّل العقل والقدرة الإلهيَّة، وهي كلُّ درجات المعرفة، أمَّا مرتبة تجلِّي ظهورات فاطمة عليها السلام، فيقول هنري كوربان: «رتبة التجلِّي المُقدَّس للأنبياء يتعلَّق بمعرفتهم لله، ويُقاس بمعرفتهم بحضرة فاطمة، وحتَّى هؤلاء الأنبياء المعروفين، المُقدَّسين جدًّا، المئة والأربعة وعشرون نبيّ الذين سبقوا محمَّدًا، وحملوا الكتب السماويَّة يبقون تحت مرتبة فاطمة العرفانيَّة، وذلك بسبب كونها هي مصدرًا لمعرفتهم وتجلِّيهم، وقوة صُنع المعجزات»(٣). وكان رأي باربارا

(1) Ruth, Roded. Women in Islamic Biographical Collections: From Ibn Sa'd to Who's Who. (Boulder; London: Lynne Rienner Publishers, 1994), P. 22-23.

(٢) عن الإسلام في إيران مشاهد روحيَّة وفلسفيَّة، ج١، ص٩٨-٩٩.

(3) Ibid, P. 65.

ستواسر[١] أنَّ الصفة القُدسيَّة التي كانت بها سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام كواحدة من أفضل نساء العالم في الجنَّة، كمريم العذراء وآسيا زوجة فرعون، بأنَّها «محاولة لتوحيد هؤلاء النساء المُقدَّسات بالأنوثة المثاليَّة النقيَّة الخاصَّة بالأمِّ العذراء»[٢].

ولذا فقد تأثَّرَ بتلك الأجواء القُدسيَّة الفيلسوف والشاعر الألماني (يوهان غوته)[٣] حينما نظَمَ قصيدته عام ١٨١٥م، ضمن كتابه الشعريّ (كتاب الخُلد)، وهذا الكتاب بدوره جزء من كتاب أكبر، هو الديوان الكبير والشهير باسم (الديوان الشرقيّ)، وتتحدَّث قصيدتهُ عن أفضل أربع نسوة عرفتهنَّ البشريَّة، وبرأي (غوته) فإنَّ النساء الأربع هنَّ: ١. آسيا (سيِّدة مصر)، ٢. مريم (تاج العذارى التي ولدت الكلمة)، ٣. خديجة بنت خويلد (زوجة محمَّد التي هيَّأت له النجاح الوحيد)، ٤. فاطمة البتول، التي وصفها غوته، قائلًا:

---

(١) باربرا ريجينا فراير ستواسر، ولدت في ألمانيا، حصلت على الدكتوراه من جامعة منستر بألمانيا في الدراسات الإسلاميَّة، عُيِّنت مديرة لمركز الدراسات العربيَّة المعاصرة بجامعة جورج تاون بواشنطن في الحقبة من ١٩٩٣ حتَّى الآن، عضو مؤسِّس في المجلس الأمريكيّ لجمعيَّات الدراسات الإسلاميَّة، وعضو في الجمعية الاستشراقيَّة الأمريكيَّة، وعضو الرابطة الأمريكيَّة لمعلِّمي اللغة العربيَّة. من أعمالها: النساء في القرآن وفي الحديث وفي التفسير، والتطوُّر الدينيّ والسياسيّ. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤١٢.

(2) Stowasser, Barbara. Women in the Qur'an, Traditions, and Interpretation (New York; Oxford: Oxford University Press, 1994), P. 59-60.

(٣) يوهن جوتفريد لودفيك كوزجارتن، مستشرق ألمانيّ، ولِد سنة ١٧٩٢م، وتتلمذ العربيَّة في باريس، عاد إلى بلده سنة ١٨١٤م، فدعاه الوزير الشاعر الألمانيّ (جوته)، وعيَّنه أستاذًا للغات الشرقيَّة في مدينة ينا، كان إلى جانب الشعر عالمًا بالبصريَّات وعلم التنقيب والتشريح والقانون، توفِّي سنة ١٨٦٢م، من أعماله: ترجمة تاريخ الطبريّ، والأغانيّ، وعدد من المسرحيَّات والروايات. الزركليّ، الأعلام، ج٨، ص٢٦٤، صدقي، عبد الرحمن، الشرق والإسلام في أدب جوته، (مطابع دار القلم، القاهرة، د.ت)، ص٥-١١.

«ثم فاطمة، المحبوبة،

زوجةُ عليّ، ولا عيبَ فيها،

مثلَ جسمٍ من عسلٍ ذهبيّ،

ولها روح أطهر الملائكة»[1].

يتَّفق المستشرقون[2]على أنَّهُ ليس في دنيا الأنساب العربيَّة الإسلاميَّة نسبٌ أسمى ولا أرفع من نسب فاطمة الزَّهراءعليها السلام، أمَّا الأب فهو نبيُّ الإسلام، وصانع الحضارة الإنسانيَّة الرسول محمَّدصلى الله عليه وآله، وأمَّا الأم فهي خديجة بنت خويلد، ذات الشرف الأصيل، والمجد الأثيل، تجتمع في نسبها المُشرق مع النبيِّ في (قصي) وهو الجدُّ الرابع للنبيّ، والجدُّ الثالث لهما، والذي يعرِّج نسبهما الشريف إلى إبراهيم شيخ الأنبياء.

يقول لويس ماسينيون: «تُمثِّل أمُّ أبيها فاطمة، مبدأ الاستمراريَّة الوحيد للجنس، لقد تحوَّلت فاطمة إلى رهينة إنسانيَّة لتأكيد الحرارة الإلهيَّة، وهكذا تجد فاطمة نفسها مُختارة لضمان استمرار رسالة أبيها»[3]،

ويذكر كوربان بخصوص فاطمة الزَّهراءعليها السلام مع أبيها النبيّ، تشكيل الأئمَّة الاثني عشر معصومًا، أصل السلالة الإماميَّة، ملكوت الأربعة عشر معصومًا[4].

(١) غوته، يوهان، الديوان الشرقيّ للمؤلِّف الغربي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي (ط٢، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٣١٢-٣١٤.

(٢) درمنغم، حياة محمَّد، ص٥٤، كَبريلي، فرانشيسكو، محمَّد والفتوحات الإسلاميَّة، تعريب وتقديم: د. عبد الجبَّار ناجي، (ط١، دار المحجَّة البيضاء، بيروت ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص١٢٠، بروا، جان، محمَّد نابليون السماء، ترجمة: محمَّد صالح البُنداق (دار الإنصاف، بيروت، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص٣، يورت، جان ديون، الاعتذار محمَّد والقران، ترجمة: عبَّاس الخليليّ (مطبعة الإقبال، طهران، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص١٣.

(٣) ماسينيون، لويس، الغنوصيَّة عبادة فاطمة في الإسلام الشيعيّ، النصُّ المترجَم بخطِّ تقي المصعبيّ، الوثيقة رقم (HA 5310)، ملحق رقم (١٢).

(٤) كوربان، هنري، عن الإسلام في ايران مشاهد روحيَّة وفلسفيَّة، التشيُّع الاثنى عشري، ترجمة=

واستعرضَ المستشرق أرندنك لقب (الشريف)، وخصوصيَّته، وأنَّه قد لحقَ بأبناء فاطمة عليها السلام من ذريَّة الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، وأنَّ هذا اللقب قد أُطلق فيما بعد على أبناء محمَّد بن الحنفيَّة، أو أبناء الإمام عليّ عليه السلام الآخرين، وكذلك أبناء أخيه جعفر وأخيه عقيل، وأبناء عمِّه العباس، وقد اعتمدَ على المؤرِّخَين الذهبيّ[١]، والسيوطيّ[٢]، في إلحاق لقب الشريف بهؤلاء، حتَّى قيل: الشريف العبَّاسيّ أو العقيليّ أو الجعفريّ أو الزينبيّ، لكنَّه يقول: «غير أنَّ هذا ليس له كبير دلالة بالنسبة للصدر الأوَّل»[٣].

ويذكر المستشرق الفرنسي (دي لامارتين)[٤] في تحديد اختيار رموز الشرفاء المُنحدرين من أبناء فاطمة دون غيرهم من المسلمين، بقوله: «ومن فاطمة ينحدر اليوم جميع المسلمين الذي يعتمُّون بعمامة خضراء، ويُسمُّون أنفسهم أشرافًا»[٥].

أمَّا المستشرق أرندنك فيقول: «إنَّ لأبناء فاطمة الحقَّ الأوَّل في أن يُسمَّوا (أبناء رسول الله)، فينتسبون بذلك إلى النبيّ، ولذلك فإنَّ عبارة (ابن رسول الله) هي العبارة المُفضَّلة في مخاطبتهم»[٦].

=وتحقيق: نوَّاف الموسويّ (ط١، دار النهار، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص٩٤.

(١) الذهبيّ، محمَّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٤٥، ص٨٨ و٢٢٥.

(٢) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، العَجاجة الزرنبيَّة في السلالة الزينبيَّة، مخطوط في جامعة الملك سعود، الرياض، تحت تسلسل الرقم (٧٢٧/ ٣ص)، ص٤

(٣) دائرة المعارف الإسلاميَّة، مج١٣، ص٢٦٨-٢٦٩، مادَّة: (شريف).

(٤) ولِد في مدينة ماكون الفرنسيَّة سنة ١٧٩٠م من أسرة مسيحيَّة، تعلَّم في معاهد اليسوعيِّين، شاعر، وزعيم المذهب الرومانسيّ، اتَّجه في مطلع الأربعينيَّات من عمره سنة ١٨٣٣م إلى التركيز على الحياة السياسيَّة، وذلك عندما انتُخب نائبًا في البرلمان الفرنسيّ، توفِّي سنة ١٨٦٩م، له عدَّة أعمال، منها: تاريخ تركيا. لامارتين، ألفونس، مختارات من كتاب حياة محمَّد، ترجمة: د. محمَّد قوبعة، مراجعة واختيار: د.أحمد درويش، (د.مط، الكويت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٥-١٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٦) دائرة المعارف الإسلاميَّة، مج١٣، ص٢٧٤.

وتطرَّقت المستشرقة الألمانيَّة (آنا ماري شمل) إلى حقيقة خصوصيَّة هذا اللقب - السيِّد- بأبناء فاطمة دون غيرهم، بقولها: «ولا بدَّ ألَّا يغفل المرء عن تلك الحقيقة، وهي أنَّ ذريَّة الحسن والحسين فقط هي مَن تُلقَّب بالسيِّد، وليس بقيَّة ذريَّة عليّ»[1].

ويذكر المستشرق الفرنسيّ (هنري ماسيه)[2] بقوله: «وأخيرًا، فإنَّ خديجة هي التي ولدت الولد الوحيد لمحمَّد، والذي تركَ وراءهُ أعقابًا، وهذا الولد هو فاطمة المُعذَّبة الحزينة التي أصبحت بزواجها من عليّ جدَّةً لعدد كبير من أعقاب النبيّ الأشراف الحسنيِّين والسادة الحُسينيِّين»[3]

ويذكر المستشرقون إنَّهُ رُزِقَ بأربع بنات، وهنَّ حسب الأخبار بالترتيب: زينب الأولى، ثمَّ الثانية رقيَّة، ثمَّ الثالثة أمُّ كلثوم، ثمَّ الرابعة فاطمة، وهي أصغرهنَّ وأشهرهنَّ، والوحيدة التي بقيت بعد وفاته[4].

(١) شمل، آنا (ت١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، روحي أُنثى- الأنوثة في الإسلام، ترجمة: لميس فايد (ط١، القاهرة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م)، ص٥٨.

(٢) ولِد سنة ١٨٨٦م، حصل على دبلوم في العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة، سافر إلى مصر حيث التحق بالمعهد الفرنسيّ للآثار الشرقيَّة، أصبح أستاذًا في المدرسة الوطنيَّة للغات الشرقيَّة، قُتِلَ بعد أن دهسته سيارة قرب منزله سنة ١٩٦٩م، من أعماله: تحقيق كتاب (تاريخ مصر) لمحمَّد بن المُيَّسر، و(فتوح مصر والمغرب) لابن عبد الحكيم، وترجم (قانون ديوان الرسائل) لابن الصيرفيّ. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٣٦-٥٣٧.

(٣) ماسيه، هنري، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، علَّق عليه: د. مصطفى الرافعيّ ومحمَّد جواد معنيَّة (منشورات عويدات، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٤٢-٤٣.

(٤) سيديو، لويس، خلاصة تاريخ العرب، كتاب العلم (ط٢، دار الآثار، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٤٦، وات، مونتغمري، محمَّد في مكَّة، ترجمة: شعبان بركات (المطبعة العصريَّة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، بلا.ت، ص٧٣، جورجيو، فيرجيل، حياة محمَّد، تعريب: حليم عبد الله (دار ومكتبة بيبليون، لبنان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م)، ص٨٩، كاهن، كلود (ت١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، الإسلام منذ نشوئه حتَّى ظهور السلطنة العثمانيَّة، ترجمة: حسين جواد قبيسي، مراجعة: د. عليّ نجيب إبراهيم (ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص٣٣، إيليسيف،=

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الرؤية الشاميَّة الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) وكتابه المعجم الكبير أنموذجًا

د. حيدر عبد الرزَّاق جعفر العليّ
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة البصرة

الملخَّص

عرفت البشريَّة على مرِّ الحقب التاريخيَّة ظهور شخصيَّات بارزة ومتميِّزة، يُشار لها بالبنان، تركت وراءها أثرًا كبيرًا وخالدًا بأفعالها ومواقفها، فغدت بذلك رونقًا تتغنَّى به الأجيال، وينتهلون منه للوصول إلى ما وصلوا إليه، ولم يقتصر الأمر على الرجال دون النساء، فقد أدَّت الكثير منهنَّ دورًا فاعلًا في المجتمعات الإنسانيَّة، ومن ذلك سيرة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي العنصر الفاعل في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، والمرأة المظلومة بعده من قِبَل السلطة، فقد عانت تلك المرأة الأمرَّين من مجتمعها الذي خالف التعاليم النبويَّة المقرَّة لرسم مستقبل الأمَّة الإسلاميَّة، وما ترتَّب عنها من إفرازات

=نيكيتا، الشرق الأوسط في العصر الوسيط، ترجمة: منصور أبو الحسن (دار الكتاب الحديث، بيروت، د.ت)، ص٥٩، حتِّي، فيليب، العرب تاريخ موجز (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص٤٤، جيورجيو، كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمَّد التونجي، (ط١، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٥٢، لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر (د.مط، نشر: مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص١١٧، وقال الفرنسي تشارلز فيروليود في مقالٍ له: «وأشهرهنَّ هي فاطمة، التي تسمَّى أحيانًا في الغرب (فاطم)».

أنتجها الواقع المأساويّ للمجتمع الإسلاميّ، ولذا تحمَّلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن حقٍّ بلعها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما تنوء عن حمله الجبال.

في المقابل نجد أنَّ الروايات الأمويَّة أخذت دورها الفاعل في بثِّ سمومها على واقع الحياة الفكريَّة للمجتمع الناشئ، والذي لم يهضم الإسلام بصورة كاملة ، ولذا نجد أنَّ للرواية الشاميَّة دورًا كبيرًا في رسم صورة سلبيَّة عن سيِّدة نساء العالمين، وغالبيَّة هذه الرواية لا يوجد لها قرائن تؤيِّدها في المصادر، فهي روايات أمويَّة الهوى، ولا يوجد لها ما يقابلها في المصادر الشيعيَّة، يُضاف إلى ذلك ضعف أسانيدها، ولذا سنقوم بدراسة هذه الروايات بصورة تحليليَّة نقديَّة لمتونها دون السند، وسيظهر لنا أنَّها أعطتنا صورة غير مكتملة، ويشوبها الضعف والكذب والدسُّ والتزوير عن سيِّدة نساء العالمين.

المقدِّمة

عرفت البشريَّة على مرِّ الحقب التاريخيَّة ظهور شخصيَّات بارزة ومتميِّزة، يُشار لها بالبنان، تركت وراءها أثرًا كبيرًا وخالدًا بأفعالها ومواقفها، فغدت بذلك رونقًا تتغنَّى به الأجيال، وينتهلون منه للوصول إلى ما وصلوا إليه، ولم يقتصر الأمر على الرجال دون النساء، فقد أدَّت الكثير منهنَّ دورًا فاعلًا في المجتمعات الإنسانيَّة، ومن ذلك سيرة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي العنصر الفاعل في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، والمرأة المظلومة بعده من قِبَل السلطة، فقد عانت تلك المرأة الأمرَّين من مجتمعها الذي خالف التعاليم النبويَّة المقرَّة لرسم مستقبل الأمَّة الإسلاميَّة، وما ترتَّب عنها من إفرازات أنتجها الواقع المأساويّ للمجتمع الإسلاميّ، ولذا تحمَّلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن حقٍّ بلعها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما تنوء عن حمله الجبال.

في المقابل نجد أنَّ الروايات الأمويَّة أخذت دورها الفاعل في بثِّ سمومها على واقع الحياة الفكريَّة للمجتمع الناشئ، والذي لم يهضم الإسلام بصورة كاملة ، ولذا نجد أنَّ للرواية الشاميَّة دورًا كبيرًا في رسم صورة سلبيَّة عن سيِّدة نساء العالمين، وغالبيَّة هذه الرواية لا يوجد لها قرائن تؤيِّدها في المصادر، فهي روايات أمويَّة الهوى، ولا يوجد لها ما يقابلها في المصادر الشيعيَّة، يُضاف إلى ذلك ضعف أسانيدها، ولذا سنقوم بدراسة هذه الروايات بصورة تحليليَّة نقديَّة لمتونها دون السند، وسيظهر لنا أنَّها أعطتنا صورة غير مكتملة، ويشوبها الضعف والكذب والدسُّ والتزوير عن سيِّدة نساء العالمين.

المبحث الأوَّل

التعريف بالطبرانيّ وكتابه

اسمه ونسبه

هو سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطهَّر اللخميّ، وقد لُقِّب واشتهر بالطبرانيّ[١]؛ نسبة إلى مدينة طبريَّة[٢] التي يرجع أصله إليها[٣]، ولد الطبرانيّ في شهر صفر في مدينة عكَّا عام ٢٦٠هـ[٤]، فهو ابن البيئة الشاميَّة بامتياز، لذا فقد لُقِّب بـ(الشامي)[٥]، فهو شبَّ في بلده حتَّى بلغ الثلاثين سنة، لينتقل إلى مدينة أصبهان مرَّتَين، استمر فيهما أكثر من سبعين سنة[٦].

رحلته في طلب العلم

رحل الطبرانيّ ليطلب العلم من أشهر رجال عصره، وتخرَّج على أساتذة يعدُّون من نوابغ الدهر، وقد اكتملت فيهم كلُّ صفات العلم التي كان يطلبها، وقد ابتدأ

(١) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٨، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ١٦٣.
(٢) طبريَّة: وهي مدينة تقع في بلاد الشام، وتحديدًا في الأردن، فتحت طبريَّة سنة ١٣هـ على يد شرحبيل بن حسنة، صلحًا على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وهي مدينة قديمة واقعة على بحيرة سمِّيت باسمها، وقد أسَّسها الملك الرومانيّ طبارا. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ٤/ ١٧.
(٣) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ٢/ ٤٠٧.
(٤) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة: ٢/ ٥٠، الذهبيّ، تذكرة الحفَّاظ: ٣/ ٨٥.
(٥) الذهبيّ، تذكرة الحفَّاظ: ٣/ ٩١٢.
(٦) ابن مندة، فتح الباب في الكنى والألقاب: ٢٧.

الطبرانيّ رحلة العلم، وهو يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة، ليتنقل من خلالها في البلدان الإسلاميَّة، فقد جاب الطبرانيّ مناطق عديدة، انتهل من خلالها العلم، وخاصَّة الحديث الذي أخذه من جهابذه ذلك العلم في الأصقاع الإسلاميَّة كافَّة، فشدَّ الرِّحال إلى أهم ربوع العالم الإسلاميّ، إذ روى الذهبيّ ما نصُّه: «وسمع في سنة ثلاث وسبعين وهلمَّ جرًّا بمدائن الشام والحَرَمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغير ذلك، وحدَّث عن ألف شيخ أو يزيدون»[١].

يتبين لنا من النصِّ أنَّ الطبرانيّ ما ترك عالمًا من علماء تلك الأمصار إلَّا وأخذ عنه شيئًا.

ألقابه

حظي الطبرانيّ بمكانة علميَّة كبيرة؛ بسبب سعة العلم الذي ارتحل من أجله، وغزارة المؤلَّفات التي صنَّفها، ولذا أجلَّه أكابر العلماء، وعرفوا فضله وعلمه ونبوغه وتضلُّعه في العلوم الإسلاميَّة، ولعلَّ ذلك كان سببًا لأن يُطلَق عليه ألقاب عديدة، منها الإمام[٢] والثقة[٣] والحافظ الكبير[٤] والثَّبت[٥] والرحَّال والجوَّال[٦] وصاحب المعاجم الثلاثة[٧] ومسند الدنيا[٨] ومسند العصر[٩] ومحدِّث الإسلام[١٠].

(١) الذهبيّ، تذكرة الحفَّاظ: ٣/ ٩١٢، ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ٢/ ٤٠٧.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.
(٣) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.
(٤) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩، ابن كثير، البداية والنهاية: ١١/ ٣٠٥.
(٥) ابن حجر، لسان الميزان: ٣/ ٧٣.
(٦) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨/ ٦١٧، الذهبيّ: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.
(٨) الذهبيّ، تذكرة الحفَّاظ: ٣/ ٩١٢
(٩) اليافعيّ، مرآة الجنان: ٢/ ٢٨٠.
(١٠) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١١٩.

٤. مكانته العلميَّة وآراء العلماء فيه

نال الطبرانيّ مكانة علميَّة مرموقة، وأصبح يُشار إليه بالبنان؛ لأنَّه تتلمذ على أبرز أعيان عصره وعلمائه، فأخذ عن كلِّ واحد منهم شيئًا من علم الحديث، فقد روي أنَّه أخذ «عن النجوم والأكابر والأعلام ما لا يعدُّ كثرة»(١)، كما أنَّ دروسه كان لها صيت ذائع، ويحضرها الألف من مناطق مختلفة، إذ أورد الذهبيّ أنَّه «ازدحم عليه المحدِّثون، ورحلوا إليه من الأقطار»(٢)، فهو أحد الأئمَّة الحفَّاظ في علم الحديث(٣). كان «حافظ عصره»(٤)، ولهذا يعدُّ من أشهر «حفَّاظ العامَّة»(٥)، وله آلاف الأحاديث التي يرويها، إذ تراوحت ما بين ٢٠-٤٠ ألف حديث(٦).

كان للعلماء آراء مختلفة في الطبرانيّ، منها الإيجابيَّة، ومنها السلبيَّة، فقد ورد أنَّه «كان ثقة صدوقًا واسع الحفظ بصيرًا بالعلل والرجال والأبواب، كثير التصانيف»(٧)، وقيل عنه «الحافظ الكبير مسند الآفاق»(٨)، وقد ذكره ياقوت الحمويّ قائلاً عنه إنَّه «أحد الأئمَّة المعروفين والحفَّاظ المكثرين والطلَّاب والرحَّالين الجوَّالين والمشايخ المعمِّرين والمصنِّفين المحدِّثين والثقات الأثبات المعدّلين»(٩)، وقال عنه ابن الجوزيّ «كان سليمان من الحفَّاظ والأشدَّاء في دين الله، وله الحفظ القويّ، والتصانيف الحِسان»(١٠).

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ١٦٥.
(٢) الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٢٠.
(٣) ابن مندة، طبقات الحنابلة: ٢/ ٤٩.
(٤) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ٢/ ٤٠٧.
(٥) التستريّ، قاموس الرجال: ١٢/ ٥٢.
(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ١٦٥-١٦٦.
(٧) الذهبيّ، العبر في خبر من غبر: ٢/ ٣٢١، اليافعيّ، مرآة الجنان: ٢/ ٢٨٠.
(٨) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه: ٦/ ١٢
(٩) معجم البلدان: ٤/ ١٨.
(١٠) المنتظم: ١٤/ ٢٠٦.

٦. وفاته

توفِّي الطبرانيّ في مدينة أصبهان في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة عام ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، وقد بلغ من العمر مائة عام وأشهرًا، بعد إصابته بالعلل والأمراض؛ بسبب كبر سنِّه، فأُصيب بالعمى قبل وفاته، ودُفِن في مقبرة المدينة، إلى جانب قبور أحد الصحابة المدفونين هناك[١].

٧. كتابه المعجم الكبير

كان للطبرانيّ مؤلَّفات متعدِّدة، ألَّفها بالحديث النبويّ، ولعلَّ من أهمِّ ما ألَّفه المعجم الكبير الذي قسَّمه على أساس أسماء الصحابة، إذ أورد ذلك ابن عساكر بقوله: «وصنَّف المعجم الكبير في أسماء الصحابة»[٢]، إذ يقول في مقدِّمة كتابه «ألَّفناه جامعًا لعدد ما انتهى إلينا ممَّن روى عن رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم من الرجال والنساء، على حروف الف ب ت ث)[٣]، وقد أورد فيه عددًا كبيرًا من الروايات عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وصلت إلى ما يقارب مئة رواية.

(١) ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة: ٢/ ٥٠، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ١٦٥، ابن الجوزيّ، المنتظم، ١٤/ ٢٠٦، الذهبيّ، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٢٨-١٢٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ١٦٤.

(٣) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١/ ٥١.

المبحث الثاني

صورة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الرواية الشاميَّة عند الطبرانيّ

عانى المجتمع الإسلاميّ بعد وفاة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله من الانقسام والفرقة، لاختلافهم في الشخصيَّة التي يجب أن تتولَّى الخلافة من بعده، وبرغم الخطط الاحترازيَّة التي وضعها الرسول لرسم المسار الصحيح لمستقبل الأمَّة، فإنَّ تلك الأمَّة خالفته في ذلك من خلال تنصيب غيره(١)، الأمر الذي استفاد منه الأمويُّون، وبصورة مبطَّنة، فبالرغم من أنَّ ظاهرهم كان المولاة بالخلافة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما بيَّن ذلك أبو سفيان خلال السقيفة بالبيعة له(٢)، إلَّا أنَّ باطنه كان الهدف منه تقويض الإسلام بأيِّ صورة كانت، وهو ما تبيَّن فيما بعد من خلال المواقف الأمويَّة، ولاسيما من الإمام عليّ، واتِّخاذهم سياسة معادية ضدَّه، وأبرزها السبّ والانتقاص منه وأهل بيته عليهم السلام(٣)، كما أنَّ الأمويِّين لم يلتزموا بشروط الصلح الموقَّع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، بعد سبِّ الإمام عليّ عليه السلام أو أتباعه أو تشويه صورتهم في المجتمع الإسلاميّ(٤)، إذ آثر الأمويُّون على تنفيذ تلك المخطَّطات الخبيثة تدريجيًّا من خلال اللعن والتبرِّي من

(١) الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٧١-٧٣، ابن الجوزيّ، المنتظم: ٣/ ١٤.
(٢) البلاذريّ، أنساب الأشراف: ٢/ ٢٧١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/ ١٨٧.
(٣) عليّ رحيم أبو الهيل الجابريّ، الدعاية الأمويَّة المضادَّة للإمام عليّ عليه السلام دراسة في سياسة السبِّ: كلُّ الصفحات.
(٤) أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين: ٧٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٤٤.

الإمام علي[١] وأهل بيته عليهم السلام[٢]، استمرَّ على ذلك ردحًا من الزمن، ولم يقف الأمر عنده فقط، بل تجاوز إلى مَن تلاه في السلطة ومِن الولاة أيضًا[٣]، وشمل اللعن أيضًا السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها زوجته وأمُّ أولاده[٤].

ولذا كان ذلك كلُّه تمهيدًا لخطَّة أكبر، وهي وضع الأخبار والروايات التي تمسُّ وتخدش بسيرة سيِّدة النساء، ونجدها في الغالب تحاكي وتتودَّد إلى الحكَّام، وما أن استتبَّ الأمر لمعاوية حتَّى جمع حوله جموع الفقهاء والعلماء الموالين له ولسلطته، الذين عكفت أقلامهم وألسنتهم عن تجريد أهل البيت النبويّ من مزاياهم الدينيَّة التي أُعطيت لهم من السماء، واستُخدِم لذلك الغرض تلك الحاشية المبغِضة لهم، فروَوا الروايات التي تتَّفق مع رؤى الأمويِّين وأفكارهم، وقد نُقِلت في المؤلَّفات الشاميَّة، ومنها كتب الطبرانيّ؛ للحطِّ من مكانة وقدر السيِّدة فاطمة الزَّهراء وأهل بيتها عليهم السلام، ولذا عدَّ مشاهير علماء الحديث، ومنهم شعبة بن الحجَّاج (ت١٦٠هـ/ ٧٧٦م) أنَّ غالبيَّة الحديث النبويّ كذبٌ اختلقه الرواة ووضعوه على النبيّ وأهل بيته، فقد نُقِل عنه أنَّه قال: «تسعة أعشار الحديث كذب»[٥]، فكيف يمكننا أن نطمئنَّ لهذا الكمِّ الهائل من الأحاديث التي قالها أتباع المدرسة الأمويَّة الشاميَّة، بحقِّ أهل البيت، في مصنَّفاتهم، ومنها ما كتبه الطبرانيّ بحقِّ السيِّدة فاطمة والزَّهراء عليها السلام، وخاصَّةً فيما يتعلَّق في مدَّة حياة أبيها.

ولعلَّ من الضرورة بمكان الإشارة إلى قضيَّة مهمَّة، والالتفاتة إليها وتحليلها وفق السياق العلميّ، وهي أنَّ غالبيَّة ما كتبه الطبرانيّ بحقِّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٦-٥٨.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٥.
(٣) للتفاصيل عن ذلك ينظر: جواد كاظم النصر الله، فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره: ١٢١ وما بعدها.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦١.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٠٥.

لا يتجاوز إلَّا مدَّة خطبتها وزواجها، والمدَّة التي تلت وفاة ابيها، إذ إنَّنا في هذه الحالة نستطيع أن نتَّخذ رسمًا بيانيًّا للحديث عن قاعدة مدبَّبة أساسها ولادتها، ثمَّ تأخذ بالاتِّساع في مدَّة زواجها، وصولًا إلى وفاتها، وهو أمر غريب؛ لأنَّنا لم نعرف إلَّا القليل عن تفاصيل حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في العهد المكِّيّ، وهو أمر يتطلَّب منَّا التفكير فيه، والقول إنَّ من الضروري أن يكون للسيِّدة دورٌ فاعلٌ في الأحداث التي عاشها المسلمون في ذلك الوقت، لا أن يكون العكس، إذ إنَّنا في هذه القول لا نستطيع إلَّا أن نقول: إنَّها لم تكن لها دور فاعل، وهو خطأ كبير؛ لأنَّها كانت من أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت ملازمة له في أكثر أوقاته.

ولهذا سنبيِّن الصور التي تعرَّض لها الطبرانيّ في كتابه؛ لبيان حقيقتها، وهي:

الصورة الأولى: فاطمة في بيت النبوَّة والإخوة المصطنعين

تتَّفق الكثير من الروايات الإسلاميَّة، ومنها الشاميَّة، على أنَّ النطفة التي وُلِدت منها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام جاء بها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله من الجنَّة، عندما عُرِّجَ به، فأكل من ثمارها، وتحوَّلت تلك الثمار إلى نطفة، بزغ منها ذلك النور الهمام الذي أثلج صدر أبيه، فهي امرأة طاهرة، وتتميَّز عن سائر النساء بسبب ذلك[1]، لذا فقد كانت تكنَّى بـ«أمِّ ابيها»[2]، ومن ذلك أتت عصبة النبيّ وذريَّته منها[3]، وكلُّ هذه الأمور لا غبار عليها، ولها قيمة علميَّة كبيرة؛ لأنَّها حقائق تداولتها مصنَّفات المسلمين عبر الأجيال، ولم يتمكَّنوا من التقليل من شأنها، فنقلوها كما هي، إلَّا أنَّهم وضعوا لها ما يخالفها في مواضع أخرى.

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٠.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٧.
(٣) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٣/ ٤٤.

ولمكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد تحتَّم على رواة السلطة الدسُّ والتزوير في كلِّ ما يلوِّث سيرتها وسيرة أبيها؛ بغضًا منهم، للحطِّ من مكانتهم التي جعلها الله لهم في الدنيا والآخرة، ولذا بدؤوا بوضع الأخبار والروايات منذ نعومة أظفارها، والتي تبيِّن أنَّ للنبيّ صلى الله عليه وآله بنات أُخريات غير السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولهنَّ مكانة في المجتمع الإسلاميّ، وجعلوا منها مادَّة تاريخيَّة دسمة يتناقلها كتَّاب السلطة جيلًا بعد جيلٍ؛ لتحطيم ثقة المجتمع بشخصية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والحطِّ من مكانتها، وتوجيه الأنظار إلى ما نُسبِ إليه من بنات، ومن ذلك ما رواه الطبرانيّ أنَّ للنبيّ صلى الله عليه وآله بنتًا تدعى رقيَّة، كانت أصغر عمرًا من فاطمة، «وزعم الزبير بن بكار أنَّ رقيَّة أصغر من فاطمة»[١]، كما جاء في رواية أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت توأم أخيها عبد الله، فقد روى الطبرانيّ قوله: «ويُقال بل كانت توأم عبد الله ابن رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم»[٢]، وجاء في رواية أخرى عن الزبير بن بكار أنَّ للنبيّ ستَّة أبناء، حيث جاء في رواية ما نصُّه: «ولد النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: القاسم، وهو أكبر ولده، ثمَّ زينب، ثمَّ عبد الله، وكان يُقال له الطيِّب، ويُقال له الطاهر، ولد بعد النبوَّة، ومات صغيرًا، ثمَّ أمُّ كلثوم، ثمَّ فاطمة، ثمَّ رقيَّة، هكذا الأوَّل فالأوَّل»[٣].

وسنبيِّن بعض الملاحظات عن هذه الروايات:

١. إنَّ متن هاتين الروايتين ضعيف، ولا يمكن الركون إليه؛ لأنَّ فيه لفظة (وزَعَم) في الرواية الأولى، ولفظة (ويُقال) في الرواية الثانية، والتي تعدُّ من ألفاظ التضعيف والتجريح للرواية، فالدَّسُّ في هذه الرواية، وفي صياغتها بهذه الألفاظ واضحٌ وصريحٌ، ولا يخفى على أحد.

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٧، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢١١.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٧.
(٣) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٧.

٢. إنَّ الرواية الثانية تعدُّ رواية غريبة في فحواها، وهي شاميَّة بامتياز، وقد انفرد بها الطبرانيّ، ولا يوجد لها من مصدر آخر سواه، إذ لم يُعرَف عن النبيّ أنَّه كان له ذريَّة توأم؛ لأنَّ فاطمة عليها السلام هي الوحيدة من السيِّدة خديجة عليها السلام.

٣. ولعلَّ نصّ الرواية الثالثة لا يذكر لنا أمّهم، أهي السيِّدة خديجة عليها السلام أم أنَّها زوجة أخرى، والمعروف أنَّها كانت الزوجة الوحيدة في حياتها للنبيّ صلى الله عليه وآله، كما أنَّ المصادر تختلف اختلافًا كبيرًا فيهم من حيث عددهم، وصحَّة خبرهم وولادتهم.

٤. أمَّا فيما يخصُّ بناته المشار إليهنَّ في الروايات السابقة، فهي قضيَّة مختلقة، ولا صحَّة لها، وهناك من أشار إلى أنَّهنَّ لم يكنَّ بناته، بل هنَّ ربائبه[١].

٥. لو كانت الروايات التي بيَّنت أنَّ للنبيّ صلى الله عليه وآله أولادًا قبل بعثته، فلماذا ذكر لفظ الأبتر في سورة الكوثر، حينما اتُّهم النبيّ أن لا ولد له، فقد ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[٢]، والكوثر هو نسل النبيّ صلى الله عليه وآله من ذريَّة فاطمة عليها السلام في أحد تفسيراته[٣].

٦. إنَّ الحديث عن وجود بنات للرسول صلى الله عليه وآله هو اختلاق أمويّ بامتياز؛ لأنَّ الروايات التاريخيَّة نسبت كلَّ واحدة من بناته المدَّعيات غير فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إلى شخصية من الشخصيَّات الفاعلة، التي كانت تعادي أهل البيت عليهم السلام في مواقفها ومبادئها، ولذا نعتقد بعدم صحَّة كلّ ما نُسب إليه من بنات.

(١) جعفر مرتضى العامليّ، بنات النبيّ أم ربائبه: كلُّ الصفحات.
(٢) الكوثر: ١-٣.
(٣) للتفاصيل ينظر: جعفر مرتضى العامليّ، تفسير سورة الكوثر: ٢٧-١٠٠.

الصورة الثانية: العلاقة الزوجيَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة الزَّهراء عليهما السلام

بعد انتقال السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى بيت الزوجيَّة، بدأت معها حياة جديدة، قوامها البيت المثاليّ للزوجة الصالحة لرجل كفء ألا وهو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ روي في ذلك في الرواية الشاميَّة ما يبيِّن ذلك[١]، إذ بيَّنت إحدى روايات الطبرانيّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو من قام بتزويجها بعدما عرض عليهما الأمر فوافقا، وتمَّ ذلك الزواج الميمون[٢]، بعد أن قام الإمام عليّ برهن درعه عند أحد اليهود، والإعداد لزواجه من أموال ذلك الرهن[٣]. ومن المعلوم أنَّ علاقة الزوج بزوجته تبقى علاقة أسريَّة داخليَّة، لا ينبغي كشف أسرارها، ومن الضروري أن تبقى طيَّ الكتمان بينهما على مرِّ الأجيال، إلَّا ما كان منها للضرورة.

إلَّا أنَّ الروايات الشاميَّة قدَّمت لنا صورة متشنِّجة لطبيعة العلاقة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليهما السلام، حيث وصفت تلك العلاقة بالخلافات والمشاحنات التي كانت تنشب بين مدَّة وأخرى، وطبيعتها كطبيعة المرأة العادية، نافين بذلك العصمة والطهارة التي منحها الله لهما في آية التطهير التي أوردها الطبرانيّ في مرَّات عديدة، ومن ذلك قوله: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرُّ ببيت فاطمة ستَّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الصبح، ويقول: الصلاة، إنَّما يريد الله ليُذهِب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيرًا»[٤]، ومن ذلك يتَّضح لنا بصورة جليَّة أن لا أحد يعرف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلاَّ أبوها وزوجها، ولا أحد يعرف مكانة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعظمته إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٤/ ١٣٦.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٠/ ٢٢٩.
(٣) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٤/ ١٤٥.
(٤) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٢، وينظر: المصدر نفسه: ٣/ -٥٣-٥٤، ٢٣/ ٢٨١، ٣/ ٥٦، ٥/ ١٨٤.

وزوجته، فكيف لنا أن نصدِّق ما قيل في كلِّ المساوئ والمطاعن التي نالت من تلك العلاقة الزوجيَّة القائمة على الحبِّ والودِّ والاحترام المتبادَل لشخصَين عُصِما من كلِّ خطأ بشهادة القرآن الكريم؟.

الصورة الثالثة: عدم الرِّضا بزواجها من عليّ بن أبي طالب عليهما السلام

لقد كان زواج السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ظروف عسيرة وصعبة عاشها المسلمون، إلَّا أنَّ ذلك لم يمنع من إقامة علاقة ودٍّ واحترام متبادَلين بين الزوجَين، انتجت ولادة الأقمار الطاهرة لأهل البيت، وما يؤسَف له أنَّ المرويَّات الأمويَّة الشاميَّة، وخاصَّة تلك التي أوردها لنا الطبرانيّ في كتابه، كانت لها مآرب أخرى، حيث أرادت تلويث ذلك البيت من خلال دسِّ سمومها في الروايات التاريخيَّة، التي كان هدفها الحطّ من مكانتهم وخلق المشاكل بين الزوجَين بين الحين والآخر، وربطها مع الرسول، متناسين طهارتها وعصمتها التي أرودها لنا القرآن الكريم، وعند مراجعتنا لكتاب المعجم الكبير للطبرانيّ، وجدنا روايتَين، سنبيِّنهما كالآتي:

الرواية الأولى: «عن أبي إسحاق: أنَّ عليًّا (رضي الله عنه) لـمَّا تزوَّج فاطمة (رضي الله عنها)، قالت للنبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): زوجتنيه أُعيمش عظيم البطن. فقال النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): لقد زوجتكيه وإنَّه لأوَّل أصحابي سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا»(١).

الرواية الثانية: «عن ابن عبَّاس قال: لـمَّا زوَّج النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فاطمة عليًّا، قالت فاطمة: يا رسول الله زوَّجتني من رجل فقير ليس له شيء. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: أما ترضين يا فاطمة أنَّ الله عزَّ وجلَّ اختار من أهل الأرض رجُلَين، أحدهما أبوك، والآخر زوجك»(٢).

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١/ ٩٤.
(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١١/ ٩٣، وينظر بنصٍّ مقارِب: المصدر نفسه: ١١/ ٩٤.

وسنقوم بردِّ هذه الاتِّهامات التي طالت ذلك البيت الطاهر، بالآتي:

١. إنَّ الروايتَين تبيِّنان أنَّ فاطمةعليها السلام لم تكن راغبة بالزواج من ابن عمِّ أبيها لسببَين، الأوَّل لأنَّه رجل بدين، وذو بطن كبير، والسبب الثاني لأنَّه رجل فقير، فهذا اختلاف كبير يكفي بردِّ هاتَين الروايَتَين؛ لأنَّ ظاهر تعليل كلّ من الروايَتين ينافي الظاهر من الأخرى ويعارضها..

٢. ممَّا يثبت عدم صحَّة الروايتَين أنَّ الإمام عليّعليه السلام تربَّى في بيت النبي محمَّدصلى الله عليه وآله، وكانت فاطمةعليها السلام على معرفة ودراية بكلِّ تفاصيل حياته؛ لأنَّه كان ملازمًا للرسول كظلِّه، فكلاهما يعرف الآخر بصورة جيِّدة، فكيف يمكن أن تشتكي من بدانته، وهي التي كانت تعرفه حقَّ المعرفة.

٣. ما ورد من روايات تُثبت عدم صحَّة الرواية، وهي أنَّ زواج فاطمةعليها السلام لم يكن بإرادة الرسولصلى الله عليه وآله، بل هو أمر إلهيّ منصوص عليه في الروايات، ومنها ما ورد «قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **إنَّما أنا بشر مثلكم أتزوَّج فيكم وأزوِّجكم إلَّا فاطمة، فإنَّ تزويجها نزل من السَّماء**»[1].

٤. تصف الرواية الحالة الماديَّة للإمام عليّعليه السلام، والتي كانت سببًا لتأجيج المشكلة في بيت الإمامة التي صوَّرته بأنَّه رجل فقير «زوَّجتني من رجل فقير ليس له شيء». أكان هذا الأمر في بداية الزواج أم إنَّه في أواخر حياة الرسولصلى الله عليه وآله؟ وهل فعلًا كان ذلك، وأنَّ الإمامعليه السلام كان عاجزًا عن توفير متطلَّبات بيته المعاشيَّة؟ فالمعلوم أنَّ زواجهماعليهما السلام كان بعد الهجرة، في السنة الثانية منها، وهو وقت شهِد قيام الحروب والحصول على الغنائم التي غيَّرت من أحوال المسلمين.

(١) الكلينيّ، الكافي: ٥/ ٥٦٨، الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٩٣، الطبرسيّ، مكارم الأخلاق: ٢٠٤.

٥. لعلَّ من أسباب الأزمة الاقتصاديَّة التي ذكرَتها الرواية الثانية، هو أنَّ الإمام عليه السلام كان معروفًا بسخائه وكرمه، حتَّى أنَّه قام بصرف أمواله لكلِّ الفقراء والمحتاجين من أهل المدينة، فهل مَن يفعل ذلك يعتبر فقيرًا أم غنيًّا؟.

الصورة الرابعة: شغف الإمام أمير المؤمنين بخطبة النساء في حياة السيِّدة الزَّهراء عليهما السلام

روى الطبرانيّ حسب رؤيته الشاميَّة التي اعتاد عليها، أنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أراد الزواج من نساء أُخريات خلال حياة زوجته، وقد أورد في ذلك أربع روايات تتشابه في بعض نصوصها، وهي:

الرواية الأولى: «عن الزهري، أخبرني عليّ بن الحسين أنَّ المسوَّر بن مخزمة أخبره أنَّ عليّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا سمعت فاطمة، أتت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال له: إنَّ قومك يتحدَّثون أنَّك لا تَغضَب لبناتك، وهذا عليّ ناكحًا بنت أبي جهل. قال المسوَّر: فقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبر، فسمعته تشهَّد ثمَّ قال: أمَّا بعد فإنِّي أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصدَّقني، وأنَّ فاطمة بضعة منِّي، وأنا أكره أن تفتنوها، وأنا والله لا تجتمع بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وابنة عدو الله عند رجل واحد أبدًا، قال: فترك عليّ الخِطبة»[1].

الرواية الثانية: «إنَّ عليّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخطب الناس في ذلك على منبره، هذا وأنا يومئذ محتلم، وقال: إنَّ فاطمة منِّي وأنا أخاف أن تفتتن في دينها، ثمَّ ذكر صهر عبد شمس وأثنى على أبي العاص في مصاهرته إيَّاه، قال: فصدقني ووعدني فوفى لي وإنِّي لست أحرِّم حلالًا،

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٠/ ١٨، مسلم، صحيح مسلم: ٧/ ١٤١، ابن ماجة، سنن ابن ماجة: ١/ ٦٤٤، الصالحيّ، سبل الهدى والرشاد: ١١/ ٣٠.

ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بين بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وابنة عدو الله»[١].

الرواية الثالثة: «عن عبد الله بن الزبير أنَّ عليًّا خطب بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: إنَّ فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها»[٢].

الرواية الرابعة: «إنَّ اسماء بنت عميس قالت: خطبني عليّ بن أبي طالب، فبلغ ذلك فاطمة، فأتت النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقالت: إنَّ أسماء متزوِّجة عليًّا. فقال: ما كان لها أن تؤذي رسول الله»[٣].

ولنا في هذه الروايات بعض الملاحظات، وهي:

١. إنَّ رواية خطية ابنة أبي جهل مرفوضة، والوضع ظاهر عليها، فهي لا تصمد أمام النقد العلميّ للرواية، فكيف يمكن التسليم برواية كهذه تربط بين عدوَّين أحدهما مؤمن، والآخر مشرك، في وقت كان الإسلام يعاني الأمرَّين من المشركين، فهل كانت هي المرأة الوحيدة في زمانها كي يتَّجه أوَّل القوم إسلامًا إلى الزواج منها، ألَا يوجد من نساء المسلمين ما يناسب رغبته؟.

٢. في الرواية مساسًا كبيرًا بشخص الرسول محمَّدﷺ والإمام عليّ عليه السلام، فكيف يمكن لخاتم الأنبياء أن يغضب لأمور الدنيا، ويأخذ بكلام ابنته، فهذه الرواية ممَّا وضعته أقلام الأمويِّين ليتقرَّبوا بها في الإسلام لغرض النيل من الرسولﷺ، ومن الإمام عليّ عليه السلام، من خلال إدخالهم السيِّدة الزَّهراء في مجرى الأحداث، وإظهار الحادثة بأبعاد كبيرة تأخذ مساحة فكريَّة واسعة لدى المسلمين.

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٠/ ١٩.

(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٥، لم نجد لهذه الرواية أي مصادر أخرى تذكرها.

(٣) الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٣، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٥.

٣. إنَّ هذه الروايات هي خلاف الوقائع التاريخيَّة لمواقف الإمام عليّ عليه السلام من المشركين، وخاصَّة ما كان منها متعلِّقًا بالجانب العسكريّ، فهذه الرواية تخالف كلَّ الأحداث التاريخيَّة، فهي لا صحَّة لها جملةً وتفصيلًا، إذ لم يقدم الإمام عليّ أبدًا على مثل هذا الأمر.

٤. حاولت رواية عبد الله بن الزبير أن تربط الحادثة بقضيَّة أذيَّة الرسول وأذيَّة ابنته من الناحية النفسيَّة والعاطفيَّة، وأنَّ الرسول قام بتشهير الأمر على المنبر وأمام المسلمين، وليس في وقت الصلاة، وهو ما يرفضه الإسلام جملةً وتفصيلًا، إذ لم تبيِّن لنا الرواية أنَّه كان وقت صلاة.

٥. إنَّ ورود هذه الروايات في المصادر المتقدِّمة، وخاصَّة في كتب الحديث، لَدليل آخر على عدم صحَّتها؛ لأنَّ أقلام كتَّاب السلطة الأمويَّة حاولت تشويه صورة الإمام عليّ في وقتٍ مبكِّرٍ من عصر التدوين.

٦. لعلَّ من الضرورة بمكان الإشارة إلى مقامات السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ممَّا ذكره الطبرانيّ في نفس كتابه من أنَّها عليها السلام سيِّدة نساء العالمين[1]، فكيف لمؤمن عرف الله ورسوله أن يترك سيِّدة نساء العالمين، ويُقبل على خطبة امرأة مشركة، وابنة مشرك عادى الإسلام بشراسة.

٧. لو صحَّت هذه الروايات من أنَّ عليّ ابن أبي طالب عليه السلام هو من أقبل على الخطبة من دون أي مؤثِّر فيه، فما الداعي لغضب سيِّدة نساء العالمين عليها السلام في بيئة كانت قريبة من زمن الجاهليَّة، وكانت معتادة على نظام تعدُّد الزوجات،

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠٢.

وفي ظلِّ تشريع إسلاميّ يسمح للفرد بهذا النظام، بشرط الَّا يتجاوز أعداد زوجات الفرد أربعًا، فهذا عمل خلاف النصِّ القرآنيّ مِن قِبَل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٨. في النصِّ إشارة واضحة إلى الدسِّ الأمويّ من خلال إظهار الثناء على أبي العاص الأمويّ «ثمَّ ذكر صهر عبد شمس، وأثنى على أبي العاص في مصاهرته إيَّاه».

٩. إنَّ الروايات تختلف في المرأة التي أراد أن يخطبها الإمام عليّ عليه السلام لتكون زوجة ثانية، فتارةً تقول إنَّها ابنة أبي جهل، وتارةً أخرى تقول إنَّها أسماء بنت عميس، فأيُّهما أراد، وفي أيِّ عام كان ذلك ولماذا؟ إذ إنَّ الحادثة تكرَّرت مرَّتَين.

١٠. ما أشارت إليه الرواية الرابعة، هو قول النبيّ صلى الله عليه وآله بحقِّ أسماء: «ما كان لها أن تؤذي رسول الله»، فهذه العبارة تمسُّ الإمام عليًّا عليه السلام، وتجعله ممَّن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو انتقاص كبيرة لشخصه.

١١. إنَّ تصرُّف السيِّدة فاطمة عليها السلام حسب ما ورد في الروايات السابقة، فيه انتقاص لشخصها المبارك، لأنَّها أخرجت أسرار بيتها، وهو من الأمور المنبوذة في التشريع الإسلاميّ، كما أنَّ النصوص تبيِّن الاضطراب في شخصيَّتها وشخصيَّة الإمام عليّ عليهما السلام.

١٢. لم تبيِّن لنا الروايات السالفة الذكر موقف الإمام عليه السلام علي من كلِّ الأحداث التي تناولتها الروايات، أوَقَفَ مكتوف الأيدي من كلام الرسول صلى الله عليه وآله أم أنَّه علَّل موقفه من ذلك، فكلُّ الروايات التي ذكرناها صامتة في ذلك الجانب.

١٣. يُضاف إلى ذلك كلِّه، قول أمير المؤمنين عليه السلام بحقِّ سيِّدة نساء العالمين: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر حتَّى قبضها الله عزوجل إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرًا**»[1]، فهذا القسم العظيم يفنِّد كلَّ الروايات السابقة بغضبها، ويدلُّ على عدم صحَّة كلّ ما ورد فيها.

الصورة الخامسة: خروجها من دون علم زوجها وأبيها

حاولت النصوص الروائيَّة الشاميَّة النيل والتقليل من شأن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في محاور عديدة، لإلغاء عصمتها وطهارتها التي أشار إليها القرآن الكريم في آية التطهير، ولعلَّ ذلك نابع من الحقد والكراهية التي كان رواة السلطة الأمويَّة والعبَّاسيَّة يضمرونها لأهل البيت عليهم السلام، أو بدؤوا بدسِّ الأحاديث الموضوعة في جوانب متعدِّدة من حياتها، لقرون عديدة، وبألوان مختلفة، تفنَّنوا في صياغتها سندًا ومتنًا، إذ إنَّ بعض النصوص الروائيَّة التي ذكرها الطبرانيّ كانت تتعامل بانتقائيَّة وتشكيك، وبشكل لا يتعارض مع رؤى أهل الشام الذين كانوا ينقلون كلّ ما له دور في التشكيك بسيرتها والطعن بها، ودسِّ ما يتوافق مع رؤاهم وأفكارهم التي تحلو لهم.

ومن ذلك ما ذكره الطبرانيّ من أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت امرأة عادية، وأخرجها من الطهارة والعصمة، وتخرج كيفما تشاء، وبدون علم زوجها أو أبيها، فقد روى ما نصُّه «عن عبد الله بن عمرو، قال: قبرنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجلًا، فلمَّا رجعنا وحاذينا بابه، إذا هو بامرأة مقبلة لا نظنُّ عرفها، فقال: يا فاطمة من أين جئت؟ قالت: من عند أهل هذا الميت، رحمت إليهم ميتهم وعزَّيتهم. قال: فلعلَّك بلغت معهم الكدي، قالت: معاذ الله أن أبلغ معهم الكدي، وقد سمعتك تذكر منهم ما تذكر.

(١) الخوارزميّ، المناقب: ٣٥٣، الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ١/ ٣٧٣، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣٤.

قال: لو بلغت معهم الكدي[١]، ما رأيت الجنَّة حتَّى يراها جدُّ أبيك»[٢]. وسنبيِّن بعض الملاحظات التي تبيِّن للقارئ عدم صحَّة هذه الرواية، ومنها:

١. إنَّ نصَّ الرواية تخالف عصمة وطهارة السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام في خروجها من بيتها بدون علم زوجها، أو أنَّها خرجت بعلمه أو علم أبيها كسائر نساء العرب، وخاصَّة تلك التي لم يكن لها عفَّة، وهو أمر يخالف أخلاقها التي ربَّاها عليها الصادق الأمين.

٢. ينكر نصُّ الرواية عدم معرفة الرسولصلى الله عليه وآله لبنته، بقول الراوي «إذا هو بامرأة مقبلة لا نظنُّ عرفها»، وهو أمر مستبعد، فكيف يمكن لرسول اللهصلى الله عليه وآله أن لا يعرف ابنته، أكانت منقِّبة ولم يعرفها، أم إنَّ خيال الراوي هو مَن صاغها بهذه الطريقة.

٣. يوجد في النصِّ إغفال وتغييب واضح لوجود زوجها عليّ بن أبي طالبعليه السلام، إذ لم يُشِر إلى وجوده، وهل أنَّه كان مع مَن خرج مع رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهو الذي كان كظلِّه يخرج معه أينما ذهب، وهو أمر يعزِّز الشكَّ في قبول هذه الرواية، ويثبت عدم صحتها جملةً وتفصيلًا.

٤. إنَّ الرواية تناقض نفسها بنفسها، ففي بدايتها تقول: «قبرنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجلًا»، ومن ثمَّ تقول: «فلعلَّك بلغت معهم الكدي؟ قالت: معاذ الله أن أبلغ معهم الكدي، وقد سمعتك تذكر منهم ما تذكر». فرسول اللهصلى الله عليه وآله يسألها عن الذهاب للمقابر من عدمه، مع ان الرواية تشير إلى أنَّ النبيّصلى الله عليه وآله هو من أقبر الميت في قبره.

(١) الكدي: المقابر التي تكون حجارتها صلبة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٥/ ٢١٧.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد: ٢/ ١٦٩، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١٣/ ٢٤، البيهقيّ، السنن الكبرى: ٤/ ٦٠، النووي، المجموع: ٥/ ٢٧٨، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣٧٣.

٥. لم تبيِّن لنا الرواية من هو الشخص المتوفَّى، حتَّى تُعطى له كلّ هذه الأهميَّة، لتخرج سيِّدة نساء العالمين عليها السلام لأهله لتعزيتهم، فهل كان من أقربائها، أكانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تفعل ذلك مع غيرهم، أم إنَّها الحالة الوحيدة التي كانت؟.

٦. لعلَّ الراوي أراد أن يبيِّن في نهاية روايته أنَّ أجداد الرسول صلى الله عليه وآله لم يكونوا مؤمنين، وكانوا مشركين، وأنَّهم في النار بقول الراوي: «ما رأيت الجنَّة حتَّى يراها جدُّ أبيك»، والمقصود هنا هو عبد المطَّلب، وهو أمر لا صحَّة له؛ لأنَّه كان موحِّدًا ويكفي بذلك ما أوصى به ابنه أبا طالب حين قال له في بيت شعريّ:

أُوصيك يا عبد مناف بعدي
بموحد بعد أبيه فرد[1]

٧. يبدو أنَّ الهدف من وراء وضع روايات كهذه من قبل أبواق السلطة الأمويَّة من علماء وفقهاء وخطباء ووضَّاع الحديث، هو لجعل حالة من التساوي بين الشخصيَّات الأمويَّة المشركة، والشخصيَّات الهاشميَّة الموحِّدة، فقد حاولت السلطة أن تصوِّر حالة أجداد النبيّ وآبائه صلى الله عليه وآله أسوأ ما يمكن أن يصوِّروهم بها، فهذا العداء الأزليّ بين الفرعَين الهاشميّ والأمويّ كان إحدى نتاجاته هي الإساءة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

الصورة السادسة: دور السيِّدة فاطمة عليها السلام في الحديث النبويّ

كان من نتائج طول ملازمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام لأبيها في العهدَين المكِّيّ والمدنيّ أن أدَّى ذلك إلى تلقِّيها الكثير من الأحاديث النبويَّة الشريفة بصورة مباشرة ومن

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٦٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٣٥/ ١٣٨.

دون واسطة، فلا غرابة أن قلنا إنَّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كمًّا هائلًا من الأحاديث النبويَّة التي سمعتها منه، ولكن ممَّا يؤسَف له حقًّا أنَّ تلك الأحاديث قد حرمنا من أغلبها إذ لم ترِ عنها إلَّا القليل، وهي أحاديث بسيطة ذكرها لنا الطبرانيّ، ولم تسلم من الوضع والتحريف على يد محدِّثي ورواة السلطة، بالرغم من أنَّها قد صحبت أباها في كلِّ مراحل حياتها الشريفة، ولا غرابة إن قلنا أنَّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام آلاف الأحاديث النبويَّة بحكم قوَّة الملازمة بينهما، ولكنَّها أُهملت بدوافع سلطويَّة على مختلف الأزمنة، بدءًا من وفاة أبيها، وصولًا للعهدين الأمويّ والعبَّاسيّ، ولهذا فقد روى الطبرانيّ نصًّا واحدًا بخصوص ذلك، وفيه معانٍ كثيرة، إذ روى بسنده «عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة فقال: يا بنت رسول الله هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله عندك شيئًا تطرفينيه؟ فقالت: يا جارية هاتي تلك الجريدة. فطلبتها فلم تجدها، فقالت: ويحك اطلبيها فإنَّها تعدل عندي حسنًا وحسينًا. فطلبتها فإذا هي قد قمَّتها في قمامتها، فإذا فيها: قال محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم: ليس من المؤمنين مَن لم يأمن جاره بوائقه..»[1]، ولنا في هذه الرواية بعض الملاحظات، منها:

١. يصوِّر لنا النصُّ أنَّ الشخص الذي دخل على السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام رجل مجهول الحال في الرواية، إذ لا يعرف من هو، ولا مكانته في الإسلام، وهو أمر لا يمكن قبوله، إذ كيف يعقل أن يأتي هذا الرجل ويتكلَّم مع سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، وما عُرِف عنها من عفَّتها وخوفها، أن يرى أحد الناس شيئًا منها، وهو أمر مخالف للحياء والعفَّة[2]، في وقت كان زوجها وابن عمِّ الرسول عليّ بن أبي طالب عليه السلام موجودًا، وهو صاحب العلم الغزير الذي نهله من الرسول من خلال طول الملازمة.

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١٢/ ٢٢١.

(٢) للتفاصيل عن عفاف السيِّدة الزَّهراء ينظر: ثائر هادي رسن العقيليّ، العفاف في المصادر الإسلاميَّة دراسة في سيرة السيِّدتَين فاطمة الزَّهراء وزينب الحوراء عليهما السلام، ص١٠٧-١٥٥.

٢. إنَّ الراوي من عرضه للرواية ينكر اسم الجارية التي كانت تقوم بخدمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وحتَّى إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال الرواية تناديها بالجارية من دون اسمها، وهو أمر لا يمكن قبوله من سيِّدة نساء العالمين، كما أن المعلوم أنَّ خادمتها كانت طَوعة، وهي معروفة ومشهورة في الروايات الإسلاميَّة.

٣. من المعلوم أنَّ استخدام ورق الجريد بدأ في العصر العبَّاسيّ، ولم يكن معروفًا في عصر الرسالة أو العصر الراشدي.

٤. أمَّا فيما يخصُّ محتوى العلم الذي كانت مكتوبًا في تلك الجريدة، فهو محلُّ نظر وشك؛ لأنَّها توضع محدودية العلم الذي كان لديها، وأنَّها لم تكن تحفظ منه شيئًا، وهو أمر ينقص من شخصيَّتها ومكانتها العلميَّة، بالإضافة إلى أنَّ محتوى ذلك العلم المكتوب، والذي يعدل الحسن والحسين، هو أمر مرفوض جملةً وتفصيلًا، ففيه من الضعف الكثير، ولا يستوجب أن يدوَّن مثل هذا العلم؛ لأنَّ كلَّ الأديان السماويَّة حثَّت عليه.

٥. بيَّنت الرواية أنَّ ما كُتِب على الجريدة رُمِي في القمامة، فهل يعقل أن تقوم الجارية برميه من دون أن تسأل سيِّدتها وتستأذن منها قبل رميه، كما أنَّ كثرة القمامة دليل على الرفاهية، وهذا خلاف ما عاشته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في حياتها، سواء خلال عصر الرسالة أو بعده.

٦. من خلال ما تمَّ عرضه من ملاحظات، يتبيَّن لنا أنَّ هذه الرواية مليئة بالافتراءات والأكاذيب الموضوعة، وقد جاءت هذه الرواية لتشير إلى بعض الأمور الإيجابيَّة، وهي معرفة الصدِّيقة فاطمة عليها السلام بالحديث النبويّ الذي نهلته من أبيها، وقيامها بالتدوين في زمن مبكِّر، وبهذا فالرواية تعاكس الكثير من

المرويَّات وتبيِّن لنا الدور الكبير الذي كانت تقوم به السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في هذا المجال.

الصورة السابعة: المطالبة بالحقوق الموروثة

برز للسيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام دور فاعل للمطالبة بالحقوق الموروثة التي بخست من قبل السلطة، إذ لا تنكر المرويَّات الشاميَّة الحقوق الاقتصاديَّة التي كانت تتمتَّع بها السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، والتي تعرَّضت للظلم والجَور من قِبَل السلطة السياسيَّة لأبي بكر، التي عمدت إلى طمس تلك الحقوق وإنكارها جملةً وتفصيلًا، وفي نفس الوقت نرى أنَّ تلك السلطة تقرُّ بعضًا منها، ولا تنكر الميراث الذي تركه الرسول بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى، إذ نجد أنَّ الطبرانيّ يبيِّن لنا بعضًا من تلك الحقوق، حيث ورد في رواية ما نصُّه أنَّ بعض الهدايا التي كانت تُبعَث إلى الرسولصلى الله عليه وآله أقرَّها أبو بكر ولم ينكرها، وقام بجعلها ميراثًا لفاطمة وبنيهاعليهم السلام، فقد جاء في رواية عن ابن عبَّاس «.. ثمَّ بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الجلنديّ[1] يدعوه إلى الإسلام، فقبله وأسلم، ثمَّ بعث إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بهدية فقدمت وقد قُبِض رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فجعل أبو بكر الهدية موروثًا فقسَّمها بين فاطمة وبين الناس»[2].

إنَّ بيان الحقوق الاقتصاديَّة التي تمتَّع بها أهل البيتعليهم السلام، والتي كانت عبارة عن ميراثهم الشرعيّ من الرسول محمَّدصلى الله عليه وآله، ومنها فدك[3] التي أنكرها الطبرانيّ، ولم يُشِر

(١) الجلنديّ: وهو حاكم عمان قبل الإسلام، ويرجع بنسبه إلى قبيلة الأزد، وبنو الجلندىّ هم أبناء المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس، بعث إليهم الرسول بكتابه يدعوهم للاسلام. ينظر: سالم السيابي، إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان: ١/ ١٠٧-١٠٨.

(٢) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١٢/ ٢٢١.

(٣) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي ممَّا أفاءها الله على الرسول محمَّدصلى الله عليه وآله، في السنة السابعة للهجرة، بعد أن فُتِحت صلحًا. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ٤/ ٢٣٨.

إليها في كتابه المعجم الكبير على اعتبار أنَّها ميراث أهل البيت عليهم السلام، إلَّا أنَّه في الوقت نفسه يذكرها خلال رواية تتعلَّق بهديَّة أُهديت إلى أحد المسلمين من قبل حاكمها(١)، فعلى الرغم من معرفته بها، فهي واضحة كوضوح الشمس في النهار، إلَّا أنَّ ذلك دعا المرويَّات الشاميَّة المدافعة عن السلطة، أن يقوموا بنفيها وتركها عن عمد؛ لأنَّ فيها مساسًا لشخص الحاكم، وبطلان كلِّ حقٍّ طالبَ به ودعا إليه، وهو نوع من التضليل الإعلاميّ الذي مارسته تلك السلطات من أمويَّة وعبَّاسيَّة في عصر التدوين، إلَّا أنَّ موقف أهل البيت كان صريحًا ولا نكران به، فهذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصرِّح قائلًا: «**بلى كانت في أيدينا فدك.. فشحَّت عليها نفوس قومٍ وسخت عليها نفوس آخرين**»(٢)، وقد كانت فدك تحت يد السلطة الأمويَّة(٣).

الخاتمة

١. لم يتَّصف كتاب الطبرانيّ (المعجم الكبير) في حديثه عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالأمانة العلميَّة عند نقله للأخبار والروايات الخاصَّة بسيِّدة نساء العالمين، بل إنَّـه عمد في بعض نصوصه إلى دسِّ السمِّ بالعسل، وتشويه الحقائق المكتسبة لها، حسب الأهواء والميول التي كان منتميًا إليها الطبرانيّ.

٢. كثيرًا ما أبرز الطبرانيّ أمورًا إضافيَّة لا صحَّة لها، من قبيل الإخوة المصطَنَعين للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، في محاولة منه إلى تشتيت الفكر الإسلاميّ عنها، وتسليط الضوء على غيرها.

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١/ ٣٦٣.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٠٨، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٣٥٠.
(٣) للتفاصيل عن فدك ينظر: سامي جودة بعيد الزيديّ، فدك حتَّى نهاية العصر العبَّاسيّ: كلُّ الصفحات.

٣. قدَّم لنا الطبرانيّ صورة مخادعة للمتلقِّي، وغير حقيقيَّة، وبعيدة عن الواقع، عندما أراد أن يبيِّن المشاكل الخلافيَّة التي كانت بين الزوجَين، ومن بينها محاولة خطبته لنساء أُخريات، أو من قبيل عدم اقتناعها بزوجها لفقره أو بدانته، وكلُّ هذه الروايات هي من نسج الإعلام الأمويّ والعبَّاسيّ.

٤. بيَّنت لنا إحدى الروايات اهتمام السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالحديث النبويّ، إلَّا أنَّ هذه الرواية أُضيف إليها الكثير من المطاعن والشبهات، وهو أمر أهملته غالبيَّة المصادر، بالرغم من طول معاشرتها لأبيها، فمرَّ غالبيَّة الرواة بهذا الموضوع مرور الكرام، ولم يعيروا له أيّ أهميَّة.

٥. لم يعر الطبرانيّ أيَّ اهتمام أو إشارة إلى الجانب الدينيّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء، بالرغم من أهميَّته، واهتمَّ بأمور عائليَّة وسريَّة، وهي التي خصَّها النبيّ بكثير منها، فهو لم يكن منصفًا معها في هذا الجانب.

قائمة المصادر

أوَّلًا: القران الكريم.

ثانيا: المصادر الأوَّليَّة

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد الشيبانيّ (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣١م)

١. الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

الأربلِّيّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)

٢. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٩٩٠م)

٣. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكَّار ورياض الزركليّ، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخراسانيّ (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

٤. السنن الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٣م.

ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٥. المنتظم في أخبار الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحَّحه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٢م.

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)

٦. المستدرك على الصحيحَين، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن عليّ (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)

٧. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٨. لسان الميزان، ط٢، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

ابن أبي الحديد، أبو حامد عزّ الدين بن هبة الله بن محمَّد بن محمَّد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)

٩. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٦٢م.

ابن حنبل، أحمد بن محمَّد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

١٠. المسند، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

١١. وفيات الأعيان وأنباء آخر الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، لبنان، د.ت.

الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)

١٢. المناقب، تحقيق: فضيلة الشيخ مالك المحمودي، مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).

١٣. تذكرة الحفَّاظ، ط١١، صُحِّح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكِّيّ بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهنديَّة، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ت.

١٤. سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: أكرم البوشيّ، ط٩، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٥. العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد السيِّد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١م.

ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمَّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)

١٦. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعيّ، ط٢، مطبعة سليمان زاده، قم، ١٣٨٥هـ.

الصالحيّ الشاميّ، محمَّد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م)

١٧. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوَّته في المبدأ والمعاد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، وزارة الأوقاف المصريَّة، القاهرة، ١٩٩٧م.

الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)

١٨. من لا يحضره الفقيه، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، د.ت.

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

١٩. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الطبرسيّ، رضيّ الدين أبي نصر الحسن بن الفضل (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

٢٠. مكارم الاخلاق، ط٦، منشورات الشريف الرضيّ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

٢١. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبريّ)، راجعه وصحَّحه: لجنة من العلماء، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة إبريل، ليدن، ١٨٧٩م، (د.ط).

ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

٢٢. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة وتحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين بن محمَّد بن أحمد بن الهيثم (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

٢٣. مقاتل الطالبيِّين، قدَّم له وأشرف على طبعه: كاظم المظفَّر، ط٢، مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران، منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

٢٤. البداية والنهاية، حقَّقه ودقَّق أصوله وعلَّق حواشيه: عليّ شيري، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

٢٥. الكافي، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٦٣ش.

ابن ماجة، أبي عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت٢٧٥هـ/ ٨٥٩م)

٢٦. سنن ابن ماجة، حقَّق نصوصه، ورقَّم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه، وعلَّق عليه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

المجلسيّ، محمَّد بن باقر بن محمَّد تقي (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠)

٢٧. بحار الأنوار في أخبار ودرر الأئمَّة الاطهار، د.ط، دار الوفاء، بيروت، د.ت.

مسلم، أبي الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

٢٨. صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.

المفيد، أبو عبد الله محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)

٢٩. الاختصاص، ط٢، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، رتَّب فهارسه: السيِّد محمود الزرنديّ المحرميّ، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة، الناشر: دار المفيد، بيروت، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

ابن ناصر الدين، شمس الدين محمَّد بن عبد الله بن محمَّد القيسيّ الدمشقيّ (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)

٣٠. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ط١، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

النووي، أبي زكريَّا محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

٣١. المجموع، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط.

الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

٣٢. مجمع الزوائد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

اليافعيّ، أبو محمَّد عبد الله بن أسعد بن عليّ بن سليمان اليمنيّ المكِّيّ (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

٣٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، منشورات محمَّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ البغداديّ (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

٣٤. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن أبي يعلى، أبي الحسين محمَّد (ت٥٢١هـ/ ١١٢٦م)

٣٥. طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

ثالثا: المراجع الحديثة

التستريّ، محمَّد تقي

٣٦. قاموس الرجال، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسِّين، ط١، قم المشرَّفة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الجابريّ، عليّ رحيم أبو الهيل

٣٧. الدعاية الأمويَّة المضادَّة للإمام عليّ عليه السلام دراسة في سياسة السبِّ، ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، كربلاء، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

السيابيّ، سالم حمود

٣٨. إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ط١، شرحه وعلَّق عليه: محمَّد سعيد الطنطاويّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، د.ت.

العامليّ، جعفر مرتضى

٣٩. تفسير سورة الكوثر، ط١، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤٠. بنات النبيّ أم ربائبه، ط١، مركز الجواد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

العقيلي، ثائر هادي رسن

٤١. العفاف في المصادر الإسلاميَّة دراسة في سيرة السيِّدتَين فاطمة الزَّهراء وزينب الحوراء عليهما السلام، ط١؛ سلسلة إصدارات مركز الدراسات الفاطميَّة، مؤسَّسة البصرة للطباعة والنشر، البصرة، ٢٠٢٢م.

النصر الله، جواد كاظم

٤٢. فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، ط١، مركز الأبحاث العقائديَّة، النجف الأرف، منشورات الروافد، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

رابعًا: الرسائل والأطاريح الجامعيَّة

الزيدي، سامي جودة بعيد

٤٣. فدك حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام للتويسركانيّ
دراسة تحليليَّة نقديَّة

أ.م.د. مصطفى سالم حازم الكناني
جامعة البصرة/ كليَّة الآداب

ملخَّص البحث

جذبت السيرة العطرة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام جمهرة عظيمة من الباحثين والمؤرِّخين، قديمًا وحديثًا، لدراسة هذه الشخصيَّة المعطاء، والخوض فيما تركته من تراث زاخر ومواقف بطوليَّة كان لها الأثر البارز في حياة المسلمين، ومن بين مؤلَّفات سيرة الزَّهراء عليها السلام، ما عُرِف بمسند فاطمة عليها السلام، الذي تناول مختلف نواحي حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام القوليَّة المرويَّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والفعليَّة التي عملت بها أسوةً بوالدها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان للسيِّد حسين التويسركانيّ نصيبٌ في النهل من هذا البحر الزاخر، وعمل على تأليف كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

إنَّ البحث يهدف إلى دراسة هذا الكتاب، والاطِّلاع على منهجيَّة تأليفه، وطريقة المؤلِّف في عرض الروايات المأخوذة من المصادر الأوليَّة، وكيف تعامل معها، فقد قُسِّم البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأوَّل دراسة نبذة عن حياة المؤلِّف ونشاطه العلميّ ونتاجه الفكريّ، واهتمَّ المبحث الثاني باستعراض الكتاب، والتعرُّف على منهجيَّة تأليفه، أمَّا المبحث الثالث فقد خُصِّص لاختيار أهمِّ المحطَّات الرئيسة المؤثِّرة

في حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وما ورد فيها من روايات قام السيِّد حسين التويسركانيّ بجمعها.

أتمنَّى من الله العليِّ القدير أن يمكِّنني من تقديم ما يُدَّخر في نصرة بضعة المختار، والحجَّة على الأئمَّة الأطهار عليهم السلام.



المقدِّمة

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، والحمد لله على عظيم منِّه وجزيل عطائه، والصلاة والسلام على نبيِّ الرحمة محمَّدﷺ، وعلى عضده وأخيه أمير المؤمنين، وعلى البضعة الطاهرة المزكَّاة سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وعلى أهل بيته الطيِّبين المنتجَبين.

تعدُّ شخصيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام من الشخصيَّات الإسلاميَّة والإنسانيَّة التي حظيت بمباركة الله تعالى أوَّلًا، واهتمام بالغ من قبل المسلمين وغيرهم من الباحثين والمؤلِّفين منذ وقت مبكِّر من تاريخ التدوين الإسلاميّ، لا لكونها ابنة خير البشريَّة ووريثته الوحيدة فحسب، وإنَّما للأدوار المهمَّة والمؤثِّرة التي أدَّتها السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، منذ بدايات الدعوة، مرورًا بجميع الأحداث التي عاصرها النبيّﷺ في حياته، وكذلك الأحداث التي عاصرتها بعد وفاتهﷺ، لذا فإنَّ موضوع البحث سيتناول دراسة كتاب مسند فاطمة الزَّهراءعليها السلام للسيِّد حسين التويسركانيّ، وتحليله ونقده، الذي عُني بجمع روايات وأحاديث السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، فيما يتعلَّق بتفسير بعض الآيات القرآنيَّة المباركة، نقلًا عن رسول اللهﷺ، ورواية الأحاديث النبويَّة الشريفة وتبويبها بعناوين مفصَّلة، نقلًا حرفيًّا، من دون التحليل والمفاضلة بين الرواية الصحيحة المقبولة، والرواية التي لا تتناسب وطبيعة السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وبيان طبيعة علاقة الزَّهراءعليها السلام بأبيها رسول اللهﷺ، وأمِّها خديجة الكبرىعليها السلام، وزوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وولديها الحسنَينعليهما السلام.

إنَّ دراسة كتاب مسند فاطمة الزَّهراء للسيِّد التويسركانيّ هي دراسة تحليليَّة نقدية؛ لتنقيح الروايات التي تناولت السيرة الفكريَّة العطرة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بغية تشذيبه من الروايات الدخيلة التي لا تتوافق ونوايا الكاتب في إظهار الشأن الرفيع للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والحقيقة الساطعة التي تمتاز بها السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الإيمان والعبادة والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، والورع والزُّهد واليقين والتنزيه، والكثير من الصفات الحميدة التي تتحلَّى بها الزَّهراء عليها السلام.

قُسِّم البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأوَّل دراسة نبذة عن حياة المؤلِّف، ونشاطه العلميّ، ونتاجه الفكريّ.

أمَّا المبحث الثاني، فقد اهتمَّ باستعراض الكتاب، والتعرُّف على منهجيَّة المؤلِّف في تأليف هذا الكتاب.

أمَّا المبحث الثالث، فقد خُصِّص لنقد الروايات التي تناولت المحطَّات المهمَّة من سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقام التويسركانيّ بنقلها من المصادر الأوَّليَّة.

آمل من الله جلَّ شأنه أن تكون هذه الدراسة واحدة من محطَّات نصرة مظلوميَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وبابًا من أبواب طلب شفاعة سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، والله تعالى من وراء القصد.

المبحث الأوَّل

نبذة من حياة المؤلِّف ونتاجه العلميّ والمعرفيّ

أوَّلًا: اسمه

حسين بن عليّ التويسركانيّ، ثمَّ الأصفهاني، الملقَّب بشيخ إسلامي، فقيه إماميّ مجتهد، أصوليّ، محقِّق، من أكابر العلماء[١].

ثانيًا: شيوخه

تتلمذ السيِّد حسين التويسركانيّ على يد ثلَّة من العلماء الأكابر الذين كان لهم دور في إغناء التويسركانيّ بالعلم والمعرفة، من أمثال السيِّد محمَّد شفيع بن عليّ أكبر الجاپلقيّ البروجرديّ[٢]، والفقيه المعروف محمَّد تقي بن محمَّد رحيم الإيوانكيفيّ الأصفهانيّ، صاحب حاشية المعالم، واختصَّ به ولازمه، وحاز مرتبة سامية في الفقه والأصول وغيرهما، و عُرِف اسمه في الأوساط العلميَّة في إيران، ثمَّ انتهت إليه الرئاسة في التدريس والإفتاء والإفادة[٣].

ثالثًا: تلامذته

كان للتويسركانيّ الفضل في نقل العلم وتدريسه لطلَّابه الذين أصبح لهم شأن في

(١) مجموعة من الباحثين، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١٣، ص٩٠.
(٢) مجموعة من الباحثين، المصدر نفسه، ج١٣، ص٢٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ج١٣، ص٢١١.

الأوساط العلميَّة والمعرفية، بما نالوه من مكانه مرموقة بين أقرانهم من طلَّاب العلم، منهم السيِّد عبد الغفَّار بن محمَّد حسين التويسركانيّ، والميرزا حبيب الله بن فتح عليّ الكرمانيّ، والميرزا محمَّد بن عبد الوهاب الهمدانيّ المعروف بإمام الحرَمَين، وعبد الحسين ابن عليّ الطهرانيّ الملقَّب بشيخ العراقَين، ومحمَّد نبي بن أحمد التويسركانيّ.

رابعًا: مؤلَّفاته

للسيِّد حسين التويسركانيّ عدَّة مؤلَّفات أغنى بها المكتبة الإسلاميَّة، منها:

١. كتاب (كشف الأسرار في شرح شرائع الإسلام) في الفقه، للمحقِّق الحِلِّيّ في (١١) مجلَّدًا.

٢. فصل الخطاب في أصول الفقه في مجلَّدين.

٣. كتاب المقاصد العليَّة في مجلَّدين، وهو شرح لكتاب القوانين المحكمة في أصول الفقه للميرزا أبو القاسم الجيلانيّ القمِّيّ.

٤. كتاب نجاة المؤمنين في أصول العقائد ومكارم الأخلاق.

٥. كتاب هداية العلم في تنظيم غرر الحكم.

٦. رسالة في الردِّ على بعض الأخباريَّة.

٧. كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام، موضوع الدراسة الحاليَّة.

المبحث الثاني

منهجه في تأليف الكتاب

يعدُّ كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام أو (مرآة الحكمة الصافية)[١] من المراجع المهمَّة التي اهتمَّت بأدقِّ الجزئيَّات من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهو يستعرض درر ما قالته السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومن أقوال وحكم وأدعية جامعة وخُطب رويت عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

لقد اتَّبع السيِّد التويسركانيّ طريقة جمع النصوص من المصادر المتنوِّعة، ككتب الحديث، أمثال مسند أحمد بن حنبل، والمصادر المهتمَّة بدراسة السِّير، وبالاعتماد على كتب الخاصَّة والعامَّة، وغيرها من المصادر[٢] التي تناثرت فيها هذه المرويَّات، وعلى الرغم من وجود مصادر سبقت هذا الكتاب، موضوع الدراسة، والتي حملت نفس الاسم إلى حدٍّ كبير، والتي سيتمُّ استعراضها في فقرات البحث، فإنَّ السيِّد التويسركانيّ قد اختطَّ لنفسه أسلوبًا مغايرًا، نوعًا ما، عمَّن سبقه في تأليف هذا النوع من المصنَّفات، ويمكن معرفة منهجيَّة المؤلِّف على النحو الآتي:

(١) صرَّح السيِّد التويسركانيّ في مقدِّمة الكتاب أنَّ كتابه مسند فاطمة الزَّهراء سمِّي أيضًا مرآة الحكمة الصافية، غير أنَّ الشائع والمعروف بين الأوساط العلميَّة هو كتاب مسند فاطمة الزَّهراء، ولم أعرف السبب المباشر وراء قول السيِّد التويسركانيّ من وصفه كتاب مسند فاطمة الزَّهراء بمسمَّى مرآة الحكمة الصافية، ربَّما لأنَّه أراد أن يوصل فكرة إلى أنَّ كتابه هذا يعدُّ مرآةً صافيةً عاكسة، تبيِّن للقارئ الكريم حقيقة سيرة وحياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

(٢) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٤.

أوَّلًا: أسباب تأليف الكتاب

اعتاد الباحثون والمؤلِّفون في مقدِّمة مؤلَّفاتهم ذِكر أسباب اختيار الموضوع، والدوافع التي حفَّزت الباحث على الخوض في تأليف الكتاب، وبيان أهدافه، وهذا ما بيَّنه السيِّد حسين التويسركانيّ في مقدِّمة الكتاب من أسباب ودوافع لتأليف كتابه مسند فاطمة الزَّهراء، فقد ذكر بأنَّ المكتبة الإسلاميَّة بحاجة إلى كتابٍ مختصٍّ يجمع كلَّ ما ورد عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وما قيل فيها من أقوال وحكم وخطب، حيث قال: «.. فقد كنت منذ أعوام أبحث في المكتبات عن كتاب يختصُّ بكلمات سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والأقوال المرويَّة عنها عليها السلام، ولكنِّي لم أقف على ذلك..»[1]، يُضاف إلى ذلك أنَّه عاب على خطباء المنابر الدينيَّة عدم الخوض في أمور مهمَّة متعلِّقة بحياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كأقوالها وأدعيتها التي تتضمَّن الكثير من الجَنبات الفكريَّة والعقديَّة ومسائل التفسير، والتركيز على جوانب أخرى من حياة الزَّهراء عليها السلام، فحسب قوله، إنَّ هؤلاء قد ساهموا في حجب الكثير من المعارف العلميَّة والفكريَّة التي أسَّست لها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وركَّزوا على جنبات أخرى من حياتها الطاهرة، وهذا ما بيَّنه السيِّد حسين التويسركانيّ بقوله: «.. ومن جهة أخرى، كان يحزُّ في نفسي أن أرى الكثير من الخطباء يبحثون عن جوانب شتَّى من حياة هذه السيِّدة الطاهرة، من دون أن يتعرَّضوا لما ورد عنها من الحكم والأقوال والأدعية، في حين أنَّ فيها الكثير من الفوائد، وبيان العقائد، ومكارم الأخلاق، والاحتجاجات، والتفسير، والأحكام الشرعيَّة..»[2]. وهذا لا يمكن تعميمه على سائر الخطباء الموجودين على الساحة الإسلاميَّة الشيعيَّة بصورة خاصَّة، واعتقد أنَّ السيِّد حسين التويسركانيّ قد شخَّص حالة خاصَّة في مجتمعه الذي يتواجد فيه، أي في محيطه العلميّ الذي يعيشه.

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٨.
(٢) التويسركانيّ، المصدر نفسه، ص٢٨.

فممَّا ما تقدَّم يتَّضح أنَّ السيِّد التويسركانيّ بيَّن الأسباب التي دفعته إلى الخوض في تأليف كتاب مسند فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فإنَّه أراد أن يضع كتابًا شاملًا عن السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، يتضمَّن الأحاديث المرويَّة عنها، والأحاديث التي روتها عن أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكلَّ الحكم والأدعية والخطب التي تعود على المسلمين بالفائدة والمنفعة، وهذا ما صرَّح به: «.. فعقدت العزم مستعينًا بالله تعالى على تأليف كتاب يشتمل على ما روي عنها من الأحاديث في المجالات المختلفة، بما في ذلك الأحاديث التي روتهاعليها السلام عن أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأدعيتها الجامعة؛ لما يهمُّ الإنسان في أمور الدين والدنيا..»[1].

لا شكَّ أنَّ السيِّد التويسركانيّ قد اطَّلع على مؤلَّفات من سبقه في الكتابة عن السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، سواء كان هذا المؤلَّف تناولها بصورة خاصَّة أم بشكلٍ ضمنيّ، وأراد من بعد ذلك أن يوجِد مصدرًا مختصرًا يجمع أشهر ما قالته السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، وما قيل فيها، لكي يختصر الوقت والجهد على القارئ الذي يروم معرفة جوانب حياة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام تفصيلًا، والتقصِّي الدقيق عن نشاط السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، ودورها السامي أيَّام حياة أبيها، أو بعد وفاتهصلى الله عليه وآله.

ثانيًا: أسلوب تبويب فقرات الكتاب

الأسلوب الذي اتَّبعه السيِّد التويسركانيّ في استعراض أقوال السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، أو أحكامها، أو الأحاديث التي روتها عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، أو ما قيل عنها من أقوال، وغيرها من الموضوعات في كتابه، وعلى مدار ٤٥٤ صفحة، هي وسيلة العنوان المستقل المتسلسل، أي حسب فقرات متنوِّعة الموضوع، على طريقة وضع المساند، وهذا يعني أنَّ السيِّد حسين التويسركانيّ لم يقسِّم كتابه على أساس المنهج الوصفيّ، وهذا يُعطي القارئ حريَّة التنقُّل بين الموضوعات، من دون التقيُّد

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٨.

بقراءة الكتاب حسب تسلسل العنوان أو الأحداث، إذا ما رُتِّب زمنيًّا، أو حسب ترتيب وقوع الحدث، وبهذا يكون عرض مفردات الكتاب وفق عناوين خاصَّة، وليس على أساس فصول ومباحث وتقسيمات داخليَّة، وهذا ما سيتم إيضاحه فيما يأتي:

(١) بيان علمها عليها السلام في تفسير الآيات القرآنيَّة:

لقد تناولت بعض المصادر الإسلاميَّة إشارات تبيِّن آراء السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في تفسير الآيات القرآنيَّة، وهذا ليس بالشيء الغريب على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي سليلة العلم النبويّ وريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله، فمن الطبيعيّ أن تكسب العلم من أبيها صلى الله عليه وآله، فقد ذكر السيِّد التويسركانيّ أنَّ الآية القرآنيَّة ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]، قد فسَّرتها السيِّدة فاطمة عليها السلام، وتحديدًا قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، بمعنى من أشرفهم[٢]، ويضاف إلى ذلك أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد فسَّرت قوله تعالى: ﴿.. وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾[٣]، بقولها: «.. **هم الأئمَّة بعدي، عليّ وسبطاي وتسعة من صُلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنَّة إلَّا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرهم وينكرونه، لا يُعرف الله إلَّا بسبيل معرفتهم**»[٤]، وهناك الكثير من الأمثلة الدالَّة على معرفة السيِّدة الزَّهراء في تفسير دلالات الآيات القرآنيَّة[٥].

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٦٤).
(٢) الطبرسيّ، جوامع الجامع، ج١، ص٣٤٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية (٤٦).
(٤) الخزَّار القمِّيّ، كفاية الأثر، ص١٩٤-١٩٥، هاشم البحرانيّ، غاية المرام، ج٢، ص٢٨٣.
(٥) للمزيد ينظر: التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣١-٦٦.

(٢) دورها في توضيح الأحكام الشرعيَّة:

أفرد السيِّد التويسركانيّ بابًا خاصًّا في بيان قدرة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام في توضيح وتبليغ الأحكام الشرعيَّة بين المسلمين، وخاصَّةً بين النساء منهم، وذلك لأنَّ بعض النساء المسلمات كنَّ على حرج في الاستعلام عن بعض الأحكام الشرعيَّة في المسائل العباديَّة، لذلك كُلِّفت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام من قِبَل أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله في توضيح تلك الأمور، وتبليغها للنساء، فقد ذكر السيِّد حسين التويسركانيّ: «.. عن زرارة قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن قضاء الحائض الصلاة، ثمَّ تقضي الصوم؟ قال: **ليس عليها أن تقضي الصلاة، وعليها أن تقضي صوم شهر رمضان. ثمَّ أقبل عليَّ وقال: إنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يأمر بذلك فاطمةعليها السلام، وكانت تأمر بذلك المؤمنات**»[١].

(٣) رواية الأحاديث والأدعية عن رسول اللهصلى الله عليه وآله:

من بين مفردات كتاب مسند فاطمة للسيِّد التويسركانيّ، ذكر الأحاديث التي روتها السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام عن أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله، والأدعية التي علَّمها رسول اللهصلى الله عليه وآله لابنته السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، فقد ذكر السيِّد التويسركانيّ «عن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله أنَّها قالت: **ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه**»[٢]، وروي أيضًا: «.. الحكم بن أبي نعيم، قال: سمعت فاطمة بنت محمَّدعليهما السلام تحدِّث عن أبيهاعليه السلام، قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **من أعتق رقبة مؤمنة، كان له بكلِّ عضوٍ منها فكاك عضو منه من النار**»[٣].

(١) الكلينيّ، الكافي، ج٣، ص١٥٠، الطوسيّ، تهذيب الأحكام، ج١، ص١٦٠، التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٣٣.

(٢) القاضي النعمان، شرائع الإسلام، ج١، ص٢٦٨، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٩٣، ص٢٩٥، التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢١٢.

(٣) الطوسيّ، الأمالي، ص٣٩٠، حسين آل عصفور، عيون الحقائق الناظرة، ج١، ص١٦٦، التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٢١.

أمَّا الأدعية التي علَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فكان لها نصيب من تبويب مسند فاطمة للسيِّد التويسركانيّ، فقد أفرد لها حيّزًا كبيرًا من الصفحة ٣٧٩ إلى الصفحة ٤٤٠، ذكر فيها جميع الأدعية التي جمعها من المصادر المتنوِّعة التي ذُكرت فيها تلك الأدعية التي تنوَّعت ما بين إرشاد وتوجيه وطلب حاجة وحفظ من المكاره، وأشهرها دعاء الحريق[١]، وغيرها من الأدعية[٢].

(٤) علاقتها برسول الله صلى الله عليه وآله

لقد أورد السيِّد التويسركانيّ، فيما جمعه، أحاديث وروايات تناولت وصف العلاقة التي جمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بابنته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ووضَّحت عمق العلاقة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين بضعته الطاهرة عليها السلام، ومن بين تلك الروايات الرواية التي تحدَّثت عن إصابة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد، فقد ذكر السيِّد التويسركانيّ نقلًا عن المجلسيّ: «.. أنَّه لما انتهت فاطمة عليها السلام وصفيَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ونظرتا إليه قال لعليّ عليه السلام: **أمَّا عمَّتي فاحبسها عنِّي، وأمَّا فاطمة فدعها**. فلمَّا دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ورأته قد شُجَّ في وجهه وأُدمي فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدَّم، وتقول: **اشتدَّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله**. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتناول في يده ما يسيل من الدَّم فيرميه في الهواء، فلا يتراجع منه شيء»[٣].

وفي رواية أخرى ذكرها ابن سعد: «.. كُسِرت رباعيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يوم أُحد، وجُرح وجهه، وكُسِرت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة عليها السلام، تغسل جرحه، وعليّ يسكب الماء عليها بالمجن[٤]، يعني الترس، فلمَّا رأت فاطمة أنَّ الماء لا يزيد الدَّم إلَّا كثرة، أخذت فاطمة قطعة حصير فأحرقته، فألصقته عليه، فاستمسك

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٤١٢.
(٢) للمزيد ينظر: التويسركانيّ، المصدر نفسه، ص٣٧٩-٤٤٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٩٦، التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٠٥.
(٤) المجن: ويعني الترس. ينظر: الفراهيدي، العين، ج٦، ص١٥٦.

الـدم»[١]، وقد عقَّب ابن قيِّم الجوزيَّة عن عملية إيقاف الدم التي قامت بها السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، بقوله: «برماد الحصير المعمول من البردي، وله فعل قويّ في حبس الدم؛ لأنَّ فيه تجفيفًا قويًّا، وقلَّة لذع، فإنَّ الأدوية القويَّة التجفيف، إذا كان فيها لذع، هيَّجت الدم وجلبته..»[٢].

(٥) رواياتهاعليها السلام في فضل أمير المؤمنينعليه السلام ودفاعها عنه:

أحصى السيِّد حسين التويسركانيّ العديد من الروايات والأحاديث التي نُقِلت في فضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، والمرويَّة عن السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، بالمقابل هناك عدد من الروايات اعتقد مؤلِّف الكتاب أنَّها وُضِعت من أجل رفع شأن أمير المؤمنين والسيِّدة الزَّهراءعليهما السلام، إلَّا أنَّها في الحقيقة تُسيء إليهما أيَّما إساءة، ولا ترفع من قدرهما شيئًا، لذلك أجَّلت المناقشة فيها إلى المبحث الثالث، وسأكتفي بذِكر بعض من الروايات التي أشارت إلى قسم من فضائل أمير المؤمنينعليه السلام، فقد ذَكر السيِّد التويسركانيّ «.. وقالت فاطمة صلوات الله عليها: **أبَوا هذه الأمَّة محمَّد وعليّ، يقيمان أودهم، وينقذانهم من العذاب الدائم، إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم، إن وافقوهما**»[٣]، وذكر التويسركاني نقلًا عن القندوزيّ[٤]، حديثًا عن السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام: «.. عن فاطمةعليها السلام قالت: **إنَّ أبيصلى الله عليه وآله نظر على عليّ، وقال: هذا وشيعته في الجنَّة**»[٥]، وذكر أيضًا: «عن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله قالت: **إنَّ النبيّ**

(١) غزوات النبيّ وسراياه، ص٤٨، الواقديّ، المغازي، ج١، ص٢٥٠، المقريزيّ، إمتاع الأسماع، ج١، ص١٥٤.

(٢) الطبُّ النبويّ، ص٣٨.

(٣) هاشم البحرانيّ، البرهان في تفسير القران، ج٤، ص٣٠٧، التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٨٦.

(٤) ينابيع المودَّة، ص٢٥٧.

(٥) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٩٣.

عليه الصلاة والسلام قال لعليّ عليه السلام: مَن كنت وليُّه فعليّ وليّه، ومَن كنت إمامه، فعليّ إمامه»[1].

وهناك بعض الروايات التي جمعها السيِّد التويسركانيّ، بيَّنت دفاع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، إلَّا أنَّه لم يلتفت إلى أنَّ الرواية بحاجة إلى التدقيق والتقصِّي والتأكُّد من مصدريَّة الرواية، وزمان وقوعها، فقد ورد من ضمن الروايات التي وضعها السيِّد التويسركانيّ في باب دفاع السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، حينما أجبره القوم على إعطاء البيعة للخليفة الأوَّل تحت الضغوطات التي مورست عليه، فكان للسيِّدة للزَّهراء عليها السلام هذا الموقف، فقد ذكر التويسركانيّ: «.. فلحقته فاطمة عليها السلام إلى المسجد لتخلِّصه، فلم تتمكَّن من ذلك، فعدلت إلى قبر أبيها، فأشارت إليه بحزنة ونحيب، وهي تقول:

نفسي على زفراتها محبوسة
يا ليتها خرجت من الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنَّما
أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثمَّ قالت: **وأسفاه عليك يا أبتاه، وأثكل حبيبك أبو الحسن المؤتمن، وأبو سبطيك الحسن والحسين، ومن ربَّيته صغيرًا، وآخيته كبيرًا، أجلُّ أحبائِّك لديك، وأحبُّ أصحابك عليك، أوَّلهم سبقًا إلى الإسلام، ومهاجرة إليك يا خير الأنام»**[2].

إنَّ الأبيات التي وردت في الرواية، والتي نسبها السيِّد التويسركاني إلى السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في رثاء أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت اعتمادًا على المراجع الحديثة[3]، في حين

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٩١.
(٢) التويسركانيّ، المصدر نفسه، ص٣٠٠.
(٣) عبد الله الناصر، محنة فاطمة بعد وفاة النبيّ، ص١٨٢، مجموعة من المؤلِّفين، موسوعة شهادة=

أنَّ أغلب المصادر القريبة من الحدث تذكر أنَّ هذه الأبيات قد أنشدها أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في رثاء السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام[١]، فقد ذكر المحسن بن كرامة المتوفَّى سنة (٤٩٤هـ) أنَّ هذه الأبيات أنشدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رثاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام[٢]، بتقديم البيت الثاني على البيت الأوَّل:

لا خير بعدك في الحياة وإنَّما

أبكي مخافة أن تطول حياتي

نفسي على زفراتها محبوسة

يا ليتها خرجت مع الزفرات

في حين يذكر ابن شهر آشوب والمجلسيّ أنَّ هذه الأبيات قالها أمير المؤمنين عليه السلام في رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]، ويذكر المجلسيّ في المصدر نفسه أنَّ هذه الأبيات أنشدها أمير المؤمنين في رثاء السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقد ورد بهذا الشأن «.. أنَّ فاطمة لـمَّا ماتت أنشأ عليّ عليه السلام:

نفسي على زفراتها محبوسة

يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنَّما

أبكي مخافة أن تطول حياتي»[٤]

=المعصومين، ج١، ص١٦٩، القمِّيّ، بيت الأحزان، ص١١٨.

(١) الأنصاريّ، اللمعة البيضاء، ص٨٨٩، الشهروديّ، مستدرك سفينة البحار، ج٤، ص٧٣، أحمد الريحانيّ الهمدانيّ، الأمام عليّ بن أبي طالب، ص٧١٠.

(٢) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، ص٤١، الشهروديّ، مستدرك سفينة البحار، ج٤، ص٧٣، أحمد الرحمانيّ، الإمام عليّ بن أبي طالب، ص٨٨٧.

(٣) مناقب آل ابي طالب، ج١، ص٢٠٦، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٥٤٧.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢١٣.

وبحسب ما ذُكر، أستبعد أن تكون الأبيات التي ذكرها السيِّد التويسركانيّ في روايته أنشدتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والمرجَّح أنَّها لأمير المؤمنين عليه السلام، قالها في رثاء سيِّدة النساء عليها السلام، كونها ذُكِرت في أكثر المصادر القريبة من الحدث، وربَّما تكون هذه الأبيات قالها أمير المؤمنين عليه السلام في رثاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وكرَّرتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في وقتٍ آخر.

(٦) علاقتها بولديها الحسن والحسين عليهما السلام

خصَّص السيِّد التويسركانيّ جزئيَّة مهمَّة في كتاب مسند فاطمة عن علاقة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بولديها السِّبطَين الحسن والحسين عليهما السلام، وعلى مدار الصفحات (٣٠٣-٣٥٢)، أي على مدار (٤٩) صفحة، تنوَّعت بين روايات صحيحة، وأخرى بعيدة عن واقع ومكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كونها سيِّدة نساء العالمين، وسأتناول الروايات التي تحتاج إلى مناقشة وتمحيص في المبحث الثالث.

لقد تنوَّعت الروايات التي وردت ضمن هذا الإطار ما بين الروايات التي تحدَّثت عن الولادة والتسمية، فقد ورد «لـمَّا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام جاءت به إلى النبيّ فسمَّاه حسنًا، فلمَّا ولدت الحسين عليه السلام، جاءت به إليه، فقالت: **يا رسول الله هذا أحسن من هذا**، فسمَّاه حسينا»[1].

وذكر السيِّد التويسركاني رواية نقلها عن بن جرير الطبريّ الشيعيّ، يبيِّن فيها أولاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بقوله: «وحملت بالحسن، فلمَّا رزقته، حملت بعد أربعين يومًا بالحسين، ورُزقت زينب وأمّ كلثوم، وحملت بمحسن، فلمَّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله، وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها، وإخراج ابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام، وما لحقها من الرجل، أسقطت به ولدًا تمامًا، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها»[2].

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣١١.
(٢) المصدر نفسه، ص٣١١.

ويكفي أن نذكر واحدة من الروايات التي تبيِّن علاقة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام بولديهاعليهما السلام «.. إنَّ الحسن والحسين كانا يكتبان، فقال الحسن للحسين: **خطِّي أحسن من خطِّك**، وقال الحسين: **لا بل خطِّي أحسن من خطِّك**. فقالا لفاطمة: **أحكمي بيننا**. فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما، فقالت لهما: **سلَا أباكما**. فسألاه، فكره أن يؤذي أحدهما، فقال: **سلَا جدَّكما رسول الله**صلى الله عليه وآله، فقالصلى الله عليه وآله: **لا أحكم بينكما حتَّى أسأل جبرئيل**. فلمَّا جاء جبرئيل، قال: **لا أحكم بينهما، ولكن إسرافيل يحكم بينهما**. فقال إسرافيل: **لا أحكم بينهما، ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما**. فسأل الله تعالى ذلك، فقال تعالى: **لا أحكم بينهما، ولكن أمّهما فاطمة تحكم بينهما**. فقالت فاطمة: **أحكم بينهما يا ربِّ**. وكانت لها قلادة، فقالت لهما: **أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة، فمن أخذ منهما أكثر فخطُّه أحسن**. فنثرتها، وكان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش، فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض ويُنصِّف الجواهر بينهما، كيلا يتأذَّى أحدهما، ففعل ذلك جبرئيل، إكراما لهما وتعظيمًا»[1].

(٧) السيِّدة فاطمةعليها السلام وأختها رقيَّة

تناول السيِّد التويسركانيّ، في سبيل إتمام جميع النواحي الاجتماعيَّة والأسريَّة للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام من ناحية الأب والأم والزوج والأبناء، والتطرُّق إلى السيِّدة رقيَّة ربيبة رسول اللهصلى الله عليه وآله، بأن جعلها أختًا للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام، من دون التحقيق والتدقيق والمراجعة التفصيليَّة لسيرة النبيِّ الأكرمصلى الله عليه وآله، واكتفى سماحته بما وجد في بعض المصادر الإسلاميَّة عند الفريقَين (الشيعة والسنَّة)، على حدٍّ سواء، بأن جعلوا لرسول اللهصلى الله عليه وآله بنات غير السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، فقد ذكر التويسركانيّ نقلًا عن المجلسيّ: «.. السيِّدة رقيَّة أخت السيِّدة الزَّهراءعليها السلام الكبرى، وأمُّها خديجة الكبرى زوجة الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله، تزوَّجها عثمان بعد وفاة أختها أمُّ كلثوم..»[2].

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٥١-٣٥٢.

(٢) مسند فاطمة، ص٣٦٦، وللمزيد ينظر: المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٢، ص١٥١-٣٥٠.

إنَّ الحقيقة التاريخيَّة التي تروي سيرة حياة الرسول الأعظم محمَّدﷺ، تُشير إلى أنَّ الرسول الأعظمﷺ لا توجد عنده من البنات سوى سيِّدتنا الزَّهراءعليها السلام بنت السيِّدة خديجة بن خويلد (رضوان الله عليها)، فقد روي «.. كانت هالة أخت خديجة فقيرة، وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال، فأمَّا هند ابن أبي هند، فإنَّه لحق بقومه وعشيرته بالبادية، وبقيت الطِّفلتَان عند أمِّهما هالة أخت خديجة، فضمَّت خديجة أختها هالة مع الطفلتَين وكفلت جميعهم، وكانت هالة أخت خديجة هي الرسول بين خديجة وبين رسول اللهﷺ في حال التزويج، فلمَّا تزوج رسول اللهﷺ بخديجة، ماتت هالة بعد ذلك بمدَّة يسيرة، وخلَّفت الطفلتَين زينب ورقيَّة في حجر رسول اللهﷺ وحجر خديجة فربَّياهما..»[1].

وقد روي عن أحد مصادر أهل السنَّة والجماعة ما نصُّه «.. الصحيح لدى التحقيق أنَّ النبيّﷺ كان له ابنة واحدة من صُلبه، هي فاطمة الزَّهراءعليها السلام، وأمّا زينب ورقيّة وأمّ كلثوم، فلم تكن بنات النبيّﷺ من صلبه، بل ولا بنات خديجةعليها السلام، وإنَّما هنَّ بنات (هالة) أُخت خديجة، لكن ربَّتهنَّ خديجة، وتربَّين في حجر رسول اللهﷺ، فاشتُهِر أنَّهنَّ بنات النبيّﷺ؛ لأنَّ العرب، بل جميع أهل العُرف، يطلقون اسم البنت على الربيبة، أي تربَّت في حجر الرجل، وممَّا يدلُّ على أنَّ فاطمةعليها السلام هي البنت الوحيدة لرسول اللهﷺ أنَّ النبيّﷺ جعل صهره منحصرًا في عليّعليه السلام، كما تدلُّ عليه بعض الروايات التي يرويها أهل السنَّة، وهي ما روي عن أبي الحمراء[2]، قال: قال النبيّﷺ: **يا عليّ أُوتيت ثلاثًا، لم يؤتهنَّ أحد ولا أنا، أوتيت صهرًا مثلي، ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت صدِّيقة مثل ابنتي،**

(١) ج١، ص٦٩.

(٢) هو هلال بن الحرث، وقيل ابن ظفر، ويكنَّى أبو الحمراء، أصله فارسيّ، مولى النبيّﷺ، وخادمه، وعدَّه بعضهم في الأحرار، قيل إنَّ أبا الحمراء نزل بحمص وتوفِّي. ينظر: الشيرازيّ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص٣٧٣.

ولم أوت مثلها زوجة. وأُوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنَّكم منِّي، وأنا منكم»[١].

ثالثًا: الاعتماد على المصادر المناظرة

اعتمد السيِّد التويسركانيّ بشكل كبير على أغلب المصادر التي سلكت منهج تبويب المعلومات والروايات، وترتيبها على شكل فقرات، كما هو معمول في معظم كتب الصِّحاح والأسانيد، إذ عُرِف عن الصِّحاح أنَّها ترتَّب بحسب الأبواب التي تندرج تحتها المواضيع التي يراد الحديث عنها، ضمن كتب أو جزئيَّات معينة، مثل كتاب العبادات، أو القضايا الفقهيَّة، وتُعرف بكتاب الصوم، أو كتاب الصلاة، أو كتاب الطهارة، أو كتاب البيع، وغيرها من التصنيفات.

ولم يقف التويسركانيّ عن سلوك هذا المنهج التقليديّ، وإنَّما أطلق تسمية كتابه (مسند فاطمة الزَّهراء)، كما فعل من سبقه في التأليف في هذا المجال، فقد سبق التويسركانيّ عدد من الكُتَّاب والباحثين القدامى في إطلاق تسمية (مسند فاطمة)، وأحيانًا (مسند فاطمة الزَّهراء) على مؤلَّفاتهم، مثل كتاب (مسند فاطمة) للدارقطنيّ المتوفَّى عام (٣٨٥هـ)، وكتاب (مسند فاطمة الزَّهراء) لابن جرير الطبريّ الشيعيّ المتوفَّى (أوائل القرن الرابع الهجريّ)، ويبدو أنَّ هذا الكتاب هو نفسه كتاب دلائل الإمامة، وقد أفرد ابن جرير باب خصَّصه لأحاديث السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ممَّا أشتبه على الكثيرين في تسمية كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام على هذا الجزء من كتاب دلائل الإمامة، فقد ورد بهذا الخصوص «.. ويبدو أنَّ السبب في هذه التسمية هو أنَّ الأحاديث الستَّة عشر التي يبدأ بها القسم المتبقِّي من هذا الكتاب تنتهي جميعًا بالإسناد إلى فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)، وبما أنَّ أسلوب المؤلِّف في هذا الكتاب هو إفراد عنوان تندرج تحته

(١) الزرنديّ، نظم الدرر، ص١١٤.

مجموعة من الأحاديث، فلعلَّه أدرج هذه الأحاديث الستَّة عشر تحت عنوان مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فصار كأنَّه عنوان الكتاب بعد أن سقط عنوانه، والقسم الأوَّل منه، والذي يشتمل على مقدِّمة المصنِّف، ودلائل نبوَّة الرسول الأكرم وإمامته (صلوات الله عليه وعلى آله)، ودلائل إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقسم من أوائل دلائل فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)»[1]، وكتاب (مسند فاطمة الزَّهراء) للسيوطيّ المتوفَّى عام (٩١١هـ)، وقد تبيَّن بعد القراءة لكتاب مسند فاطمة الزَّهراء للتويسركانيّ أنَّه اعتمد كثيرًا على كتاب (مسند فاطمة) للسيوطيّ، ورجع له في نقل الكثير من الروايات في الموضوعات المتنوِّعة، إلى جانب المصادر الأخرى، ومن كلتا المدرستَين اللتين نقلتا الروايات والأحاديث التي رويت عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من الغثِّ والسَّمين.

(١) ابن جرير الطبريّ الشيعيّ، دلائل الإمامة، ص٣٨.

المبحث الثالث

تحليل الروايات المسيئة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

سأتناول في هذا المبحث مناقشة بعض الروايات التي وردت في كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام للسيِّد التويسركانيّ والتي يجب الوقوف عندها، وإعادة النظر فيما تطرَّقت إليه تلك الروايات من موضوعات، وحاولت أن تنقل للمسلمين جزئيَّات من حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بغية خلق صورة متكاملة نوعًا ما عن تلك الشخصيَّة العظيمة، إلَّا أنَّ القراءة بتأنٍّ ستكشف للوهلة الأولى وجود عدَّة ثغرات، والتي أراد واضعو تلك الروايات تمرير الغايات الخبيثة بها، والتي تهدف إلى توجيه الفكر الإسلاميّ نحو تكوين صورة مغايرة عن الصورة الحقيقيَّة التي يحملها رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون، وبالخصوص السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتجعلهم كأيِّ أحد من البشر يُخطئ ويُصيب، ويفعل ما يراه صحيحًا، من دون مراعاة حدود الله وحُرماته والمعايير الإنسانيَّة التي تربط أعضاء الأسرة الواحدة، وهذا ما سيتم ملاحظته عند مناقشة تلك الروايات، التي، على ما يبدو، مرَّت على السيِّد التويسركانيّ مرور الكِرام، ولم يُقصَر ذلك على المؤلِّف وحده فحسب، بل إنَّ كثيرًا من تلك الروايات موجود في تراثنا الشيعيّ على حدٍّ سواء.

وسيتمُّ استعراض بعض تلك الروايات ضمن فقرات عامَّة، وكما يأتي:

١. علاقة السيِّدة الزَّهراء برسول الله صلى الله عليه وآله:

ارتبط أهل البيت عليهم السلام بدءًا من رسول الله صلى الله عليه وآله، بعلاقات ودٍّ واحترامٍ متبادَل بينهم وبين أغلب المسلمين، هذه العلاقات أساسها الخلق الرفيع، والأسوة الحسنة التي تأسَّوا بها من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه صاحب الخلق العظيم باعتراف أعدائهِ قبل محبِّيه[١]، ويكفي قوله تعالى حينما يخاطب نبيَّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، لذلك فإنَّ أي خبر أو رواية أو مخاطبة تَرِد بخصوص أهل البيت عليهم السلام، تجانب ذلك الخلق العظيم، فإنَّها بحاجة أن نقف عندها، ونضعها في ميزان التحكيم، كي نميِّز بينها وبين ما عُرِف عن أهل البيت عليهم السلام من حُسن الكلام والمخاطبة الحسنة، هذا إن كان بينهم وبين عامَّة المسلمين، فما بالك إن كان الكلام بين السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وبين أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي أمرنا الله تعالى بعدم رفع الأصوات عنده، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[٣]، فمن هنا استوقفتني بعض الروايات التي وردت في كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام موضع الدراسة، والتي تبيِّن كيف تخاطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أباها بأسلوب ما كان ينبغي أن يصدر من بنت تجاه أبيها عند سائر الناس، فكيف نرضى أن يصدر هذا الكلام من سيِّدة نساء العالمين، والحجَّة على الأئمَّة الطاهرين، كما قال عنها الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجَّة الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجَّة علينا**»[٤]، فقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرَّةً يلاعب ولديه الحسنَين، وهما يتصارعان، وكان يطلب من الحسن عليه السلام أن يصرع أخاه الحسين عليه السلام بعيدًا عن أنظار السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وحينما وقع سمعها على ما كان يقوله أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله في تشجيع الحسن، وأقبلت بنظرها على رؤية هذا المنظر، خاطبت أباها بأسلوب استهجانيّ وبامتعاض، بقولها، بحسب

(١) الأزرقيّ، أخبار مكَّة، ج٢، ص١٢١، اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٦٠.
(٢) سورة القلم: الآية (٤).
(٣) سورة الحجرات: الآية (٢).
(٤) محمَّد السند، مقامات فاطمة الزَّهراء في الكتاب والسنَّة، ص٢٠.

ما ورد في الرواية: «.. يا أبه، واعجبًا أتشجِّع هذا على هذا؟ تشجع الكبير على الصغير؟»، فردَّ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله محاولًا تسويغ الموقف، بقوله: «.. يا بنيَّة أمَّا ترضين أن أقول أنا: يا حسن شدَّ على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل عليه السلام يقول: يا حسين شدَّ على الحسن فاصرعه»[1]، وهذه الرواية نقلها السيِّد التويسركانيّ من مصادرنا الخاصَّة[2]، من دون أن يُبدي رأيه فيها.

وهناك رواية أخرى ذكرها السيِّد حسين التويسركانيّ، حاولت المصادر الخاصَّة إدراجها ضمن روايات المعاجز والكرامات التي امتاز بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وحرصه على ولديه الحسنَين عليهما السلام، وأعتقد أنَّ هذه الرواية يجب أن لا تُذكَر في مصادرنا الشيعيَّة؛ لما لها من تأثيرٍ سلبيٍّ في البنية الفكريَّة الإسلاميَّة؛ لأنَّها تُعدُّ من ضمن الروايات الإسرائيليَّة التي عانى منها الفكر الإسلاميّ، بسبب وجود عنصر الخرافة بين جزئيَّات الرواية، فقد روي أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام زارت النبيّ صلى الله عليه وآله في إحدى المرَّات، ومعها ولداها الحسنَان، وتركتهما عند جدِّهما ينامان، وحينما صحوا من نومهما، خرجا وضيَّعا طريقهما إلى البيت، وسارا بين الطرقات، وانتهوا عند بستان لبني النجَّار، وحينما طلبهما النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يجدهما، جاءه هاتف من السماء يخبره عن مكان تواجدهما ووجد هناك من كُلِّف بحمايتهما ورعايتهما، «.. وانتبه النبيّ صلى الله عليه وآله من نومته التي نامها، فطلبهما في منزل فاطمة، فلم يكونا فيه، وافتقدهما، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله على رجليه، وهو يقول: إلهي وسيِّدي ومولاي، هذان شبلاي، خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهمَّ أنت وكيلي عليهما، فسطع للنبيّ صلى الله عليه وآله نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتَّى أتى حديقة بني النجَّار، فإذا هما نائمان، قد اعتنق كلُّ واحد منهما صاحبه، وقد تقشَّعت السماء فوقهما كطبق، فهي تمطر كأشدِّ مطر، ما رآه الناس قط، وقد منع الله عزَّ وجلَّ المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان،

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٢٨.

(٢) الأمالي، الصدوق، ص٥٣١، هاشم البحرانيّ، مدينة المعاجز، ج٣، ٢٧٦، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج١٠٠، ص١٨٩.

لا يمطر عليها قطرة، وقد اكتنفتها حيَّة لها شعرات كآجام القصب[١] وجناحان، جناح قد غطَّت به الحسن، وجناح قد غطَّت به الحسين، فلمَّا أن بصر بها النبيّ صلى الله عليه وآله تنحنح، فانسابت الحيَّة وهي تقول: اللهمَّ إنِّي أشهدك وأشهد ملائكتك أنَّ هذين شبلا نبيِّك، قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين. فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: أيَّتها الحيَّة، فمن أنتِ؟ قالت: أنا رسول الجنِّ إليك. قال: وأي الجنِّ؟ قالت: جنٌّ نصيبين، نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ، فبعثوني إليك لتعلِّمنا ما نسينا من كتاب الله، فلمَّا بلغت هذا الموضع، سمعت مناديًا ينادي: أيَّتها الحيَّة، هذان شبلا رسول الله، فاحفظيهما من الآفات والعاهات ومن طوارق الليل والنهار، فقد حفظتهما وسلَّمتهما إليك سالمين صحيحين، وأخذت الحيَّة الآية وانصرفت..»[٢]. وهناك وصف آخر لهذه الحيَّة في رواية أخرى وردت في مسند فاطمة للتويسركانيّ، حيث ورد فيها: «.. فرأيت أفعى على الأرض، فلمَّا أحسَّت بوطء النبيّ صلى الله عليه وآله قامت ونظرت وكانت أعلى من النخلة، وأضخم من البكر[٣]، يخرج من فيها النار.. فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله صارت كأنهَّا خيط..»[٤].

أعتقد أنَّ هذه الرواية تشبه إلى حدٍّ كبير رواية قصَّة الجسَّاسة الأسطوريَّة التي وردت في مصادر تراثنا العربيّ الإسلاميّ[٥]. وقد عاب عدد من الباحثين المعاصرين قصَّة الجسَّاسة والدجَّال، ورأوها خرافة لا يجب الركون إليها[٦]، يضاف إلى ذلك أنَّ

(١) آجام القصب: وهي مأوى الأسد. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٩٢.

(٢) الصدوق، الأماليّ، ص٥٣٠، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٩٠، السيِّد التويسركانيّ، ص٣٣٢.

(٣) البكر: هو الفتى من الإبل، وجمعه أبكار، وقيل البكر هو البعير، ينظر: ابن السكذِيت، ترتيب إصلاح المنطق، ص٨١.

(٤) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٥) مسلم النيسابوريّ، صحيح مسلم، ج٨، ص٢٠٤، الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٣، ٣٥٥، ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص٢٧٥.

(٦) عليّ الكورانيّ، معجم أحاديث الإمام المهديّ، ج٢، ص١٢٥، الأحمديّ الميانجيّ، مكاتيب=

مسالة حماية الحسنين ورعايتهما غير قاصره على الله تعالى، إذا أراد أن يكلِّف أحد الملائكة المقرَّبين بحمايتهم ورعايتهم، وهذا ما تطرَّق إليه التويسركانيّ حينما ذُكرت رواية في نفس موضوع حماية الحسنين عليهما السلام، جاء فيها «.. ففرح النبيّ صلى الله عليه وآله حينما أخبره جبرئيل بمكانهم، وسار جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والمسلمون من حوله حتَّى دخلوا حضيرة بني النجَّار، وذلك الملك الموكَّل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما، وعلى كلِّ واحد منهما دراعة من صوف..»[1]، وهذا ليس بالشيء الغريب أو المستهجَن؛ لأنَّه حصل في مواقف كثيرة حينما أوكل الله تعالى حماية النبيّ ورعايته من خطر الأعداء في عدَّة مناسبات، كيوم هجرة النبيّ من مكَّة إلى المدينة[2]، ويوم بدر[3]، وغيرها من الأحداث.

هناك سبب مهم للغاية في استبعاد هذه الرواية، يُضاف إلى ما سبق، وهو أنَّ من وضع الرواية أو من نقلها، على ما يبدو، لم يلتفت إلى أنَّ بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كان من ضمن المسجد: «.. فأوحى الله إلى نبيِّه صلى الله عليه وآله أن طهِّر مسجدك، وأخرِج من المسجد من يرقد فيه بالليل، ومُر بسدِّ أبواب كلّ من كان له في مسجدك باب إلَّا باب عليّ عليه السلام، ومسكن فاطمة عليها السلام..»[4]، وهو ملاصق لبيت النبي صلى الله عليه وآله، وليس بالمكان البعيد على الحسنين عليهما السلام حتَّى يكون سببًا في إضاعتهم للطريق المؤدِّي إليه، يضاف إلى ذلك أنَّ من يكلَّف برعاية الإنسان وحفظه وإبعاد طوارق الليل والنهار عنه، هو الله تعالى وحده دون أحد من عباده، وهذا ما ورد في الدعاء المرويّ «.. اللهمَّ، إنِّي أعوذ بك من

=الرسول، ج٣، ص٥١٩.

(١) مسند فاطمة، ص٣٣٤.

(٢) ابن عقدة الكوفيّ، فضائل أمير المؤمنين، ص١٧٧، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٦٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١، ص٥٦.

(٤) العلَّامة الحلِّيّ، تذكرة الفقهاء، ج٢،ص٦٠٥، ابن جرير الطبريّ الشيعيّ، المسترشد، ص٤٤٨.

السامَّة والهامَّة، والعين اللامَّة، ومن شرِّ طوارق الليل والنهار، إلَّا طارقًا يطرق بخير يا الله..»[1]، فهل يُعقل أن تكون الحيَّة هي من تحمي الحسنين عليهما السلام من طوارق الليل والنهار؟!!.

وقد عقَّب السيِّد التويسركانيّ عل هذه الروايات بقوله: «الظاهر أنَّ ورود أمثال هذه الروايات؛ لبيان فضيلة الحسن والحسين، ووقوع هذه القضايا مقدَّمة له، والدليل عليه ملاحظة علم النبيّ صلى الله عليه وآله بما كان وما هو كائن، وكذا إعلامه للناس: أنَّ من أبغضهما فهو في النار، ونحو ذلك، وإلَّا، فلا يمكن الجمع بين هذه الروايات وبين ما دلَّ على اطلّاعه صلى الله عليه وآله على جميع الحوادث»[2]، وهذا التسويغ لا أراه مقنعًا في الردِّ على الرواية.

من الغريب أن يشكِّك الكثيرون في مدى التزام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في ما جاء به أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله من عقائد وأحكام وعبادات وغيرها من الأمور الفقهيَّة والعقديَّة والعباديَّة، ومن بين كلِّ تلك الممارسات العباديَّة مسألة الصلاة تحديدًا، والتي تعدُّ عمود الدين، فقد رويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**الصلاة عمود الدين من تركها فقد هدم الدين**»[3]، وقوله: «**مفتاح الجنَّة الصلاة**»[4]، وقوله في فضل إتمامها: «**إنَّ الرجلَين من أُمَّتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنَّما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض**»[5]، وقوله: «**أما يخاف الَّذي يحوِّل وجهه في الصلاة أن يحوِّل الله**

(١) ابن بابويه القمِّيّ، فقه الرضا، ص٤٠٣، الطوسيّ، مصباح المتهجِّد، ص١٠٥، ابن البرَّاج، المهذَّب، ج١، ص١٣٤.
(٢) مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٣٤-٣٣٥.
(٣) الفتني، تذكرة الموضوعات، ص٣٨، العجلونيّ، كشف الخفاء، ج٢، ص٣١.
(٤) أحمد ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص٣٤٠، الطبرانيّ، المعجم الصغير، ج١، ص٢١٤.
(٥) ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج١، ص٣٢٢.

وجهه وجه حمار»[١]، وقوله: «**من صلىَّ ركعتَين لم يحدِّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا، غفر الله له ذنوبه**»[٢]، فبعد كلِّ هذه الأحاديث النبويَّة الشريفة التي تحثُّ على الصلاة وأوقاتهاوشروطها والآثار الإيجابيَّة المتحقِّقة منها، تظهر لنا روايات تحاول الإساءة للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام، وتصفها بأنَّها لا تقوم إلى الصلاة إلَّا بعد أن يوقظها رسول اللهصلى الله عليه وآله إلى الصلاة، ويحاول أن يقدِّم لها العروض في سبيل إقناعها، فقد ذكر السيِّد التويسركانيّ نقلًا عن السيوطيّ في كتابه مسند فاطمة الزَّهراء، قوله: «عن فاطمةعليها السلام بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله قالت: **مرَّ بي رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأنا مضطجعة متصبِّحة، فحرَّكني برجله، وقال: يا بنية قومي فاشهدي رزق ربِّك، ولا تكوني من الغافلين، فإنَّ الله يقسِّم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**»[٣]. إنَّ هذه الرواية تحمل الكثير من الإساءة بحقِّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، وتصفها بوصف لا يليق بسيِّدة نساء العالمين، أيُعقل أنَّ فاطمة الزَّهراءعليها السلام لا تعرف قيمة الصلاة وفضلها في أوقاتها، وتسهب في النوم في أوقات الصلاة، مع ملاحظة الطريقة غير اللائقة التي يتعامل بها رسول اللهصلى الله عليه وآله مع بضعته وروحه التي بين جنبيه، والتي وصفتها الرواية المتقدِّمة «.. فحرَّكني برجله..»، وهذا تجنٍّ واضح على شخص النبيِّ الأكرمصلى الله عليه وآله، وعلى السيِّدة الزَّهراءعليها السلام.

٢. زواج السيِّدة الزَّهراءعليها السلام:

تناولت أغلب المصادر العربيَّة الإسلاميَّة زواج السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، ومن تقدَّم إلى خطبتها، ومن أمر بذلك الزواج، وقبولها بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام والزواج منه، وتناولت مختلف الروايات مقدار المهر المقدَّم للسيِّدة الزَّهراء، وسرد الأحداث التي رافقت عمليَّة الخطبة.

---

(١) ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج١، ص٣٢٢، العينيّ، عمدة القاري، ج٥، ص٢٢٣.

(٢) الصنعانيّ، المصنَّف، ج١، ص٤٥.

(٣) مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢١٨-٢١٩.

إنَّ من يبحث عن حقيقة هذا الحدث المهم، لا بدَّ أن ينتقي الموارد الصادقة والحياديَّة في سبيل الحصول على روايات تتناسب وطبيعة شخصيَّة الطرَفَين (أمير المؤمنين، والسيِّدة فاطمة عليهما السلام)، ولا يقبل بتداول الروايات المدسوسة التي ذكرتها بعض المصادر الإسلاميَّة، والتي تجاوزت حدَّ الأصول واللائق في وصف السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وللأسف أصبحت تلك الروايات عند الكثيرين من المسلَّمات في التاريخ الإسلاميّ، لذا وجب التفريق بين الروايات المسيئة، والروايات التي تهدف إلى إيصال حقيقة الشخصيَّة والحدث المرتبط بها، وضرورة الوقوف عند قسم من الروايات التي وردت في المصادر والمراجع، ومن بينها كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام للسيِّد التويسركانيّ، والمتعلقة بموضوع زواج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، التي نقلها من دون تخليصها من الشوائب العالقة بها، علمًا أنَّ هناك الكثير من المصادر التي بيَّنت خبر زواج أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ الله تعالى قد أمر بهذا الزواج؛ لأنَّ الإمام وحده هو الكُفء للسيِّدة الزَّهراء، وفي الوقت نفسه فإنَّ السيِّدة الزَّهراء هي الكُفء الوحيدة للإمام عليّ عليه السلام، فقد روي بهذا الخصوص أنَّ الله تعالى قد أمر رسوله الكريم بتزويج أمير المؤمنين من السيِّدة الزَّهراء: «.. **إنَّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: زوِّج النور من النور، وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والناثر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات والأرَضين**..»[1]، وفي حديث آخر روي «.. فقال صلى الله عليه وآله: ما اسمك؟ قال: اسمي محمود. قال: فلماذا جئت؟ قال: نزلت إليك بأمر الله النور أن تزوِّج النور من النور. قال صلى الله عليه وآله: مَن ممَّن؟ قال: فاطمة من عليّ، فإنَّ الله زوَّجها منه في السماء..»[2]، فمن هاتين الروايتَين يتبيَّن هنا تخطيط وأمر سماويّ في تزويج النورَين، لذلك فإنَّ أيّ رواية تأتي بخلاف ذلك لابدَّ أن توضع تحت التحليل

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٢٤، هاشم البحرانيّ، البرهان في تفسير القران، ج٣، ص٢٥٨.
(٢) التبريزيّ، اللمعة البيضاء، ص٢٤٥.

والتمحيص، علمًا أنَّ السيِّد التويسركانيّ قد ذكر رواية قريبة من مضمون الروايَتَين السابقَتَين «.. عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: لـمَّا زوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا فاطمة عليها السلام، دخل عليها وهي تبكي، فقال لها ما يبكيك؟ فو الله لو كان في أهل بيتي خيرًا منه زوَّجتك إيَّاه، وما أنا زوَّجتك، ولكن الله زوَّجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السموات والأرض»[١]. هذه الروايات والأحاديث هي الأقرب للحقيقة، فلا بدَّ ممَّن يخوض في هذا الموضوع من الباحثين، أن يضعوا في اعتباراتهم الأمر السماويّ في تزويج عليّ بن أبي طالب من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

على الرغم من أنَّ السيِّد التويسركانيّ قد ذكر رواية تزويج النورين وبأمر الله تعالى، إلَّا أنَّه في صفحات أخرى ذكر روايات متناقضة من حيث تصوير الحدث، وكيف تصرَّفت السيِّدة الزَّهراء إزاء قضيَّة زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف تحدَّثت بعبارات لا يمكن أن تصدر من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وحاشاها من هذه الاقاويل التي لُفِّقت عنها، فقد ورد «.. فلمَّا أراد أن يزوِّجها من عليّ، أسرَّ إليها، فقالت يا رسول الله أنت أولى بما ترى، غير أنَّ نساء قريش تحدِّثني عنه أنَّه رجل دحداح البطن[٢]، طويل الذراعين، ضخم الكراديس[٣]، أنزع عظيم العينَين، لمنكبيه مشاش[٤] كمشاش البعير، ضاحك السنِّ، لا مال له..»[٥]، وهذه الرواية من الروايات المدسوسة التي يمكن أن تكون وراءها أيادٍ أمويَّة، من أجل تشوية صورة وشخصيَّة أمير المؤمنين عليه السلام، وتصوير

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص١٧٥.

(٢) الدحداح: القصير السمين. ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، ج٢، ص٣٤٨.

(٣) هي رؤوس العظام، واحدها: كردوس. وقيل: هي ملتقى كلِّ عظمَين ضخمَين، كالركبَتَين، والمرفقَين، والمنكَبَين، يعني ضخم الأعضاء. ينظر: الزمخشريّ، أساس البلاغة، ص٨١٣، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص١٦٢.

(٤) المشاش، وهي رؤوس العظام اللينِّة التي يمكن مضغها. ينظر: الجوهريّ، الصِّحاح، ج٣، ص١٠١٩.

(٥) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص١٦٧.

السيِّدة الزَّهراء كونها امرأه مغلوبًا على أمرها، وأنَّ حقوقها مسلوبة، ولا يمكن أن يكون لها حقُّ الرَّفض أو الاختيار؛ لأنَّها، وبحسب الرواية، تنقل رأي نساء قريش في وصف عليّ بن أبي طالب، وكأنَّها لم تشاهده ولم تعرفه من قبل، ألم يكُ عليّ بن أبي طالب هو نفسه مَن حمل الفواطم من مكَّة إلى المدينة، بعد أن هاجر منها رسول الله صلى الله عليه وآله، ويضاف إلى ذلك أنَّ وصف الرواية لشخص عليّ بن أبي طالب وكأنَّه رجل يحمل أكثر من إعاقة وتشوُّه خلقي وعاهة مستديمة، وكلُّ هذا الوصف لا يخلو من التدخُّل الأمويّ، ولم تكتفِ الرواية بهذا الوصف، فأضافت إليه الفقر المادِّيّ.

إنَّ ما يثير الشَّجن في هذه الرواية نقلها من قبل السيِّد التويسركانيّ، ومن مصادر شيعيَّة[1].

ومن الروايات الغريبة التي ذكرها السيِّد التويسركانيّ، ما وري عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: «.. زوَّجتني بالمهر الخسيس؟ فقال لها صلى الله عليه وآله: ما أنا زوَّجتك، ولكن الله زوَّجك من السماء..»، والغرابة لا تكمن في هذه الرواية فحسب، وإنَّما الغريب في الأمر تعقيب المؤلِّف على هذه الرواية، حيث قال: «الظاهر أنَّ عبارة السؤال كانت على طريق الاستفهام لا الاعتراض والإنكار، والله أعلم..»[2]، وهذا الردُّ لا يتناسب وحجم الدفاع اللازم عن السيِّدة الزَّهراء، وحاشاها من أن تتلفَّظ بهذه الألفاظ، وتطالب بمهر أكثر ممَّا أُعطي لها، وكأنَّها تبحث عن الدنيا وملذَّاتها.

٣. علاقتها بأمير المؤمنين عليه السلام:

تعدُّ العلاقة التي ربطت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بأمير المؤمنين عليه السلام من أسمى

(١) القمِّيّ، تفسير القمِّيّ، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٧، المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٩٨-٩٩، هاشم البحرانيّ، البرهان في تفسير القران، ج٥، ص١٩٣، محمَّد باقر الكورجيّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص١٢٩.
(٢) مسند فاطمة الزَّهراء، ص١٦٩.

العلاقات الزوجيَّة التي عرفها التاريخ، بعد علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيِّدة خديجة بنت خويلد (رضوان الله عليها)، من المعطيات التي وردت في المصادر التاريخيَّة وغيرها من المصادر الأخرى، فقد تحدَّثت تلك المصادر عن طيب المعاشرة بين السيِّدة فاطمة الزَّهراء وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فقد كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام توفِّر الجو المشبع بالحنان والودِّ والاحترام والراحة لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، كما تزيح عنه ما يعانيه من قسوة الحال في تلك الأيَّام، ويمكن استنتاج هذا الشيء من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام في حقِّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام «.. **فو الله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتَّى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنِّي الهموم والأحزان**..»[1]، فمن خلال قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، يمكن استبعاد كلِّ الروايات التي تطرح مفهومًا مغايرًا للمفهوم الذي طرحه أمير المؤمنين عليه السلام بخصوص علاقته بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهناك روايات وُجِدت في مصادرنا الإسلاميَّة، حاولت أن تصوِّر تلك العلاقة بنوع من التشنُّج والحساسيَّة وعدم الرِّضا بين الطَّرَفين، ممَّا ورد في بعض الروايات التي ذكرها السيِّد التويسركانيّ، من دون الوقوف عندها، فقد ورد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام باع بستانًا قد أهداه له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنفق أمواله لأحد الأشخاص؛ وفاءً منه لذلك الشخص الذي سبق أن وعده أمير المؤمنين عليه السلام بمال في وقت سابق، وعندما علمت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بذلك، امتعضت وغضبت غضبًا شديدًا من هذا التصرُّف من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، حتَّى إنَّها شدَّت أمير المؤمنين عليه السلام من ثيابه معاتبةً إيَّاه بلهجة شديدة «.. فلمَّا أتى المنزل قالت له فاطمة عليها السلام: يا ابن عم بعت الحائط الذي غرسه لك والدي؟ قال: نعم بخير منه عاجلًا وآجلًا، قالت: فأين الثمن؟ قال: دفعته إلى أعين استحييت أن أذلَّها بذلِّ المسألة قبل أن تسألني. قالت فاطمة عليها السلام: أنا جائعة وابناي جائعان، ولا أشك أنَّك مثلنا في الجوع لم يكن لنا منه

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٣٤.

درهم، وأخذت بطرف ثوب عليّ، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة خلِّيني، فقالت: لا والله أو يحكم بيني وبينك أبي، فهبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمَّد السلام يقرئك السلام ويقول: أقرِئ عليًّا منِّي السلام وقل لفاطمة: لي لك أن تضربي على يديه، فلمَّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل عليّ، وجد فاطمة ملازمة لعليّ عليه السلام، فقال لها: يا بنية ما لكِ ملازمة لعليّ؟ قالت: يا أبه باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم ولم يحبس لنا منه درهمًا نشتري به طعامًا، فقال: يا بنيَّة إنَّ جبرئيل يقرئني السلام ويقول إقرأ عليًّا من ربِّه السلام، وأمرني أن أقول لك ليس لك أن تضربي على يديه. قالت فاطمة: فإنِّي استغفر الله ولا أعود أبدًا..»[1].

إنَّ من يقرأ هذه الرواية، وهو لا يعتقد بعصمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فإنَّه حتمًا سيتبادر إلى ذهنه صورة السيِّدة السيِّئة غير الصالحة، ولا المطيعة لزوجها، وتتصرَّف مع زوجها بهذا التصرُّف البعيد عن الخلق والأدب والطاعة، وهذا العمل مرفوض ومستهجن إذا صدرَ من سيِّدة من وسط العامَّة، فكيف يرضى المسلمون أن توضع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في هذا المحل من الرواية، وتشملها صفات الزوجة غير المطيعة؟! لذا فإنَّ هذه الرواية لا يمكن قبولها بأيِّ شكلٍ من الأشكال؛ لأنَّ هناك مسارًا واضحًا وصادقًا وضعه لنا أمير المؤمنين عليه السلام قبال هذه الرواية، حينما قال في حقِّ السيِّدة فاطمة عليها السلام: «.. **ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا**..».

وهناك روايات حاولت أن تضع السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في موضع وكأنَّها لا تختلف عن بقيَّة النساء اللواتي يصيبهنَّ الحسد والغيرة والانفعال من جرَّاء سماعها بوجود امرأه أخرى في حياة زوجها، وتجعلها تتصرَّف تصرُّفات خارج حدود سيطرتها عن انفعالاتها، ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ أغلب الفرق الإسلاميَّة لا تنظر إلى السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كونها معصومة بالعصمة الكبرى، ولا فرق بينها وبين نساء المسلمين

(١) مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٨٢-٢٨٣.

سوى أنَّها بنت رسول اللهﷺ فقط، وهذا ما أرادت أن توصله الرواية التالية: «.. كانت مع جعفر عند قدومه من الحبشة، جارية، فأهداها إلى عليّعليه السلام، فدخلت فاطمة بيتها، فإذا رأس عليّ في حِجر الجارية، فلحقها من الغيرة ما يلحق المرأة على زوجها، فتبرقعت ووضعت خمارها على رأسها تريد النبيّﷺ تشكو إليه عليًّا، فنزل جبرئيل إلى النبيّﷺ، فقال: يا محمَّد، الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: هذه فاطمة أتتك تشكو عليًّا، فلا تقبل منها، فلمَّا دخلت فاطمة، قال لها النبيّﷺ: ارجعي إلى بعلك، فقولي له: رغم أنفي لرضاك، فرجعت فقالت له ذلك، فقال: يا فاطمة، شكوتِني إلى رسول اللهﷺ وا حياءاه من رسول اللهﷺ، أشهدك يا فاطمة أنَّ هذه الجارية حرَّة لوجه الله في مرضاتك..»[1]. على الرغم من رفضنا لهذه الرواية، إلَّا أنَّني أودُّ أن أشير إلى جزئيَّة مهمَّة، وهي أنَّ الكثير من المصادر الشيعيَّة لم تتعامل مع هذه الرواية كما تعاملت مع الرواية المشابهة لها في رواية زواج أمير المؤمنينعليه السلام من بنت أبي جهل، في الدفاع عن أمير المؤمنين والسيِّدة الزَّهراءعليهما السلام، فكان أولى أن لا تتشبَّه سيِّدة نساء العالمينعليها السلام ببقيَّة النساء، تشعر بالغيرة المفرطة على زوجها تصل إلى حدِّ التجاوز، فكيف تكون سيِّدة نساء العالمينعليها السلام من الأوَّلين والآخِرين، وتتَّصف بهذه الصفات التي تتَّصف بها أي امرأة من النساء؟.

إنَّ ما يهمُّنا في هذا المبحث ليس استعراض هذه الروايات فحسب، وإنَّما معرفة دور السيِّد التويسركانيّ في التعامل مع هذه الروايات، والردِّ عليها، والتي جمعها وبوَّبها في كتاب مسند فاطمة الذي عدَّه كتابًا أفرده في جمع كلِّ تراث السيِّدة الزَّهراءعليها السلام، ولم يهتم للغثِّ والسمين في تلك الروايات، فقد جاء ردُّه على الرواية الآتية: «.. شكت فاطمةعليها السلام إلى رسول اللهﷺ فقالت: يا رسول الله ما يدع عليّ شيئًا من رزقه إلَّا وزَّعه بين المساكين؟ فقال لها: يا فاطمة أتسخطيني في أخي وابن عمِّي؟ إن سخطه سخطي،

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٦٣.

وإنَّ سخطي سخط الله. فقالت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله..»[1]، فأمام هذه الرواية جاء السيِّد التويسركانيّ، وقال: «لعلَّ ورود أمثال هذه الروايات عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء وشكايتها إلى أبيها ما تراه من فعل أمير المؤمنين عليه السلام إنَّما كان لإظهار فضل عليّ عليه السلام على الملأ من قريش وغيرهم، لا سخطًا عليه، وانتقادًا لفعله، أو لتكون هذه الشكوى ذريعة لكي يبيِّن رسول الله صلى الله عليه وآله فضل أمير المؤمنين على الآخرين..»[2]، وهذا الردُّ من قبل السيِّد التويسركانيّ لا أراه مقنعًا في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام، والتسويغ لموقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فكان أولى به رفض الرواية، والتعامل معها كونها من الروايات المدسوسة والمسيئة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أفلا يوجد غير هذا التسويغ والذريعة في سبيل استخراج مكامن الدرر التي يدَّخرها رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ عليّ عليه السلام؟ وكيف يعقل أن لا تكون هناك مناسبة أفضل من هذه في سبيل إظهار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، أفضل من هذا الحدث الذي وضِعت فيه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في موقف لا يحسد عليه.

أمَّا فيما يخصُّ موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خذلان الأمَّة لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام، والبيعة لأبي بكر، فمن بين الروايات التي تطرَّقت إلى هذه الحادثة ما تطرق إليه السيِّد التويسركانيّ من رواية نقلها أحد المصادر الشيعيَّة[3]، وفيه نوع من الإنقاص والذلِّ الذي ظهر على شخصيَّة أمير المؤمنين والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليهما السلام، والذي عبَّر عنه التويسركانيّ بأنَّها نوع من المطالبة بحقِّ الإمام في الخلافة والدفاع عنها من قبل السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقد ذكر «.. إنَّ عليًّا عليه السلام حمل فاطمة صلوات الله عليها على حمار، وسار بها ليلًا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٣٤، الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج٢، ص١٠١.
(٢) مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢٦٢.
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٨، ص٣٥٢.

يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذ الرجل، لو كان ابن عمِّك سبق إلينا أنكر ما عدلناه به..»[١]، وهناك المزيد من الروايات وردت في كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام بحاجة إلى مراجعة وتدقيق[٢].

٤. علاقة الزَّهراء عليها السلام بولديها:

مرَّت بنا في المبحث الثاني[٣] شذرات من طيب العلاقة التي تربط السيِّدة الزَّهراء بولديها الحسنين عليهما السلام، وحرصها عليهم وخوفها ومعرفتها التامَّة بكونهما ريحانتيها من الدنيا، والأدوار القياديَّة التي تنتظرهم في قابل السنين، وما ذكره بحقِّهما جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، حينما قال: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[٤]، فعلى الرغم ممَّا تناوله السيِّد التويسركانيّ من روايات مقبولة تحدَّثت عن قيمة العلاقة التي تربط السيِّدة الزَّهراء بولديها الحسنين عليهما السلام، لكنَّه ما برح أن ذكر رواية تتحدَّث عن موضوع عرضيّ، تناول وصيَّة من وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله خصَّ بها ابنته الزَّهراء عليها السلام، وتطرَّقت الرواية بشكل ضمنيّ إلى الحسن والحسين عليهما السلام، حيث جعلتهما السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بابًا للمقارنة مع تلك الوصيَّة من منظور الأهميَّة، فقد ورد في الرواية «.. جاء رجل إلى فاطمة عليها السلام، فقال: يا ابنة رسول الله. هل ترك رسول الله عندك شيئًا تطرفينيه[٥]؟ فقالت: يا جارية هاتِ تلك الحريرة[٦] فطلبتها، فلم تجدها. فقالت: ويحك اطلبيها فإنَّها تعدل عندي حسنًا

(١) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٠١.

(٢) ينظر: التويسركانيّ، المصدر نفسه، ص٢٤٥-٢٤٦، ٢٦٥-٢٧٣، ٢٧٥-٢٨٠.

(٣) التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص١٢-١٣.

(٤) الفتَّال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٥٦، ابن جمهور الأحسائيّ، عوالي اللئالي، ج٤، ص٩٣.

(٥) أي تتحفيني به. ينظر: هادي النجفيّ، موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٨، ص٣٢٩.

(٦) الحريرة: القطْعة من الحرير، وقيل الإبرسيم، ينظر: الطبرسيّ، المؤتلف من المختلف بين أئمَّة السلف، ج١، ص٤٩١.

وحسينًا، فطلبتها فإذا هي قد قمَّتها في قمامتها، فإذا فيها: قال محمَّد النبيّ: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو يسكت، إنَّ الله يحبُّ الخيِّر، الحليم، المتعفِّف، ويبغض الفاحش، والظَّنين[1]، السآل، الملحف، وإنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، وإنَّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار»[2]، ومهما يكن نصيب هذه الرواية من الصحَّة، فأنا استبعد صدورها عن السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام، كون ما ورد فيها من أمور لا تمتُّ للسيِّدة الزَّهراءعليها السلام بِصِلة، كاستعدادها للتضحية بولديها الإمامين الصالحين سيِّدي شباب أهل الجنَّة مقابل الحصول على (الحريرة) أو (الجريدة)، كما جاء في أحد المصادر[3]، فمهما بلغت تلك الوصيَّة من الأهميَّة فلا تُقاس بحياة بريحانتي رسول اللهصلى الله عليه وآله، وعلى الرغم من وجود هذه الرواية في عدد من المصادر الشيعيَّة المعتبرة[4]، فإنهَّا لا ترتقي إلى وصف حياة السيِّدة النساءعليها السلام وأسلوبها.

٥. روايات الإمامة:

إنَّ موضوع الإمامة من المواضيع الحسَّاسة والمهمَّة والعقديَّة عند أتباع أهل البيتعليهم السلام، وخصوصًا أتباع المدرسة الجعفريَّة، وهي أصل من أصول الدين، لا يتمُّ الإيمان إلَّا بالاعتقاد بها؛ لأنَّ الإمامة إنَّما هي مشتقة من الائتمام بالإنسان، والائتمام هو الاتِّباع والاقتداء، والعمل بعمله، والقول بقوله[5]، ويذهب الإماميَّة في الإمامة -بأجمعهم- إلى أنَّها بالنصِّ الجليّ على الأئمَّة الاثني عشر، أوَّلهم عليّ بن أبي طالبعليه السلام،

(١) الظنين: المعادي، والظنين، المتَّهم. ينظر: الفراهيديّ، العين، ج٨، ص١٥١.
(٢) مسند فاطمة الزَّهراء، ص٢١٢-٢١٣.
(٣) الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٦.
(٤) الكلينيّ، المصدر نفسه، ج١، ص٦، ابن جرير الطبريّ الشيعيّ، دلائل الإمامة، ص٦٥.
(٥) الصدوق، الهداية، ص١٥٢.

وآخرهم محمَّد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام[١]، وقد مهَّد رسول الله صلى الله عليه وآله لقضيَّة الإمامة باعتبارها الامتداد الحقيقيّ للنبوَّة والمتمِّم للمشروع الإلهيّ المنصوص عليه من قِبَل الله تعالى[٢]، فبدءًا من النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام من بعده، مهَّدوا للإمامة، وخصّص عددًا من الأحاديث بشأن الإمامة، ومن أي نسل سيكونون، وهذا ما ذُكِر في مسند فاطمة عليها السلام، «.. عن سيِّدنا أبي عبد الله جعفر بن محمَّد عليه السلام، قال: قال أبي لجابر بن عبد الله: لي إليك حاجة أريد أخلو بك فيها. فلمَّا خلا به في بعض الأيَّام، قال له: أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يدَي أمِّي فاطمة عليها السلام. قال جابر: أشهد بالله لقد دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنِّئها بولدها الحسين، فإذا بيدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء، فيه كتاب أنور من الشمس، وأطيب رائحة من المسك الأذفر، فقلت: ما هذا يا بنت رسول الله ؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله عزَّ وجلَّ إلى أبي، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم الأوصياء بعده من ولدي. فسألتها أن تدفعه إليَّ لأنسخه، ففعلت. قال له: فهل لك أن تعارضني به؟ قال: نعم. فمضى جابر إلى منزله فأتى بصحيفة من كاغذ، فقال له: انظر في صحيفتك حتَّى أقرأها عليك، فكان في صحيفته مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم، أنزله الروح الأمين على محمَّد خاتم النبيِّين، يا محمَّد عظِّم أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، ولا ترجُ سواي، ولا تخشَ غيري، فإنَّه من يرج سواي ويخش غيري أعذِّبه عذابًا لا أعذِّبه أحدًا من العالمين، يا محمَّد إنِّي اصطفيتك على الأنبياء، وفضَّلت وصيَّك على الأوصياء، وجعلت الحسن عيبة علمي من بعد انقضاء مدَّة أبيه، والحسين خير أولاد الأوَّلين والآخِرين، فيه تثبت الإمامة، ومنه يعقب عليّ زين العابدين، ومحمَّد الباقر لعلمي، والداعي إلى سبيلي على منهاج الحقِّ، وجعفر الصادق في القول والعمل، سبب من بعده فتنة صمَّاء، فالويل كلُّ الويل

(١) الشريف المرتضى، الانتصار، ص٢٦.

(٢) الصدوق، الاعتقادات في دين الإماميَّة، ص٩٠.

للمكذِّب لعبدي وخيرتي في خلقي موسى، وعليّ الرِّضا يقتله عفريت كافر يُدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرِّ خلق الله، ومحمَّد الهادي إلى سبيلي الذاب عن حريمي، والقائم في رعيَّته الحسن الأغر، يخرج منه ذو الاسمَين عليّ، والخلف محمَّد يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة بيضاء تظلُّه من الشمس، ينادي بلسان فصيح يسمعه الثقلان والخافقان، وهو المهدي من آل محمَّد، يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئت جورًا»[1].

وهذه من الروايات المعتبرة التي ذكرها السيِّد التويسركاني في كتاب مسند فاطمة عليها السلام، والذي بيَّن من طرح هذه الرواية تسلسل الأئمَّة عليهم السلام، ومن أي نسل الأئمَّة ينحدرون، وألقابهم وصفاتهم.

الخاتمة

للهِ الحمد والثناء والمنَّة على ما أنعم عليَّ بالتوفيق والسداد في إكمال هذا البحث الذي آمل من الله تعالى من خلاله نيل الرِّضا والقبول والقرب من أهل بيت النبوَّة عليهم السلام وشفاعتهم في الآخرة.

توصَّل البحث إلى جملة من النتائج التي يكمن حصرها في النقاط الآتية:

١. هناك جوانب خفيَّة في حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام لم تنل حصَّتها من البحث والدراسة، أعني حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قبل البعثة وفي أثنائها وقبل هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

٢. توصل البحث إلى أنَّ السيِّد التويسركانيّ اكتفى بجمع كلِّ الروايات المتعلِّقة بحياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من دون إجراء تحقيق في صدق بعض الروايات من عدمها، ومعرفة المقاصد من وراء تلك الروايات، وإجراء تقاطعات

(١) الطوسيّ، الأمالي، ص٢٩١، ابن أبي القاسم الطبريّ، بشارة المصطفى، ص٢٨٤، ينظر: السيِّد التويسركانيّ، مسند فاطمة الزَّهراء، ص٣٥٧-٣٥٨.

بين المصادر التي وردت فيها تلك الروايات، في سبيل معرفة أقربها للواقع، على الرغم من الجهد الكبير الـذي بذله المؤلِّف في جمع الكتاب وإعـداد مفرداته.

٣. افتقار الكتاب لدراسة سلسة السند لمعظم الروايات التي وردت في الكتاب من قِبَل المؤلِّف، والتي ربَّما تعطينا تصوُّرًا واضحًا عن رواة تلك الروايات، وخلفيَّاتهم المذهبيَّة والإيديولوجيَّة.

٤. أغلب تعليقات المحقِّق لم تكن بالمستوى المطلوب في تعديل مسار الروايات التي تحتاج إلى تقويم وتحقيق وتصحيح، وإنَّما كان معظمها تعضيدًا لرواية ما، وذكر المصادر التي توجد بها تلك الرواية من غير المصادر التي أخذ منها المؤلِّف.

٥. ضرورة إجراء دراسات معمَّقة للروايات التي تناولت حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بشتَّى جوانبها، وإبعاد كلِّ الروايات التي لا تتناسب وشخصيَّة السيِّدة فاطمة عليها السلام، التي جعلها الله تعالى سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

قائمة المصادر

* القرآن الكريم.

المصادر الأوَّليَّة:

ابن الأثير، مجد الدين بن محمَّد (ت٦٠٦هـ).

١. النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحي، ط٤، مؤسَّسة اسماعيليان، قم، ١٣٦٤ش).

الأربلِّيّ، عليّ بن أبي الفرج (ت٦٩٣هـ).

٢. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة (دار الأضواء، بيروت، د.ت).

الأزرقيّ، محمَّد بن عبدالله بن أحمد (ت٢٥٠هـ).

٣. أخبار مكَّة وما جاء فيها من آثار (تحقيق: رشدي الصالح، مكتبة أمير، قم، ١٤١١هـ).

ابن البرَّاج، عبد العزيز الطرابلسيّ (ت٤٨١هـ).

٤. المهذّب (تحقيق: مؤسَّسة الشهداء، قم، ١٤٠٦هـ).

البحرانيّ، هاشم بن سليمان (ت ١١٠٧هـ).

٥. البرهان في تفسير القران (تحقيق: مؤسَّسة البعثة، د.ت).

٦. غاية المرام وحجَّة الخصام في تعين الإمام من الخاصِّ والعام (د.ن، د.ت).

٧. مدينة معاجز الأئمَّة الاثني عشر ودلائل الحجج الاثني عشر (تحقيق: عزَّة الله المولائيّ الهمدانيّ، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم، ١٤١٣هـ).

البكريّ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ (ت٤٨٧هـ).

٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (تحقيق: مصطفى السقَّا، ط٣، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٣).

البهائيّ، بهاء الدين محمَّد بن الحسين (ت١٠٣١هـ).

٩. مشرق الشمسَين وأكسير السعادتَين (مكتبة بصيرتي، قم، د.ت).

الترمذيّ، محمَّد بن عيسى الترمذيّ (ت ٢٧٩هـ).

١٠. الجامع الكبير (سنن الترمذيّ) (تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٦).

ابن جرير الطبريّ (الشيعي)، محمَّد بن جرير بن رستم (ت٤١١هـ).

١١. المسترشد (تحقيق: أحمد المحمَّديّ، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة، قم، ١٤١٥هـ).

ابن أبي جمهور الأحسائيّ، محمَّد بن عليّ (ت٨٨٠هـ).

١٢. عوالي اللئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدينيَّة (تحقيق: آقا مجتبى العراقيّ، سيِّد الشهداء، قم، ١٩٨٥).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ).

١٣. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن عليّ (ت٨٥٢هـ).

١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ (ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت).

الحِلِّيّ، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ).

١٥. تذكرة الفقهاء (منشورات المكتبة الرضويَّة، مشهد، ١٤٠٦هـ).

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت٢٤١هـ).

١٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل (دار صادر، بيروت، د.ت).

الخزَّاز، عليّ بن محمَّد القمِّيّ(ت القرن الرابع الهجريّ).

١٧. كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر (تحقيق: عبد اللطيف الحسينيّ، دار الخيام، قم، ١٤٠١هـ).

الزرنديّ، جمال الدين محمَّد بن يوسف (ت٧٥٠هـ).

١٨. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين (مكتبة الإمام عليّ، د.ن، ١٩٥٨).

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ).

١٩. أساس البلاغة (دار مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٠).

ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع البصريّ (ت٢٣٠هـ).

٢٠. الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت، د.ت).

ابن السكِّيت، يعقوب بن إسحاق الأهوازيّ (ت٢٤٤هـ).

٢١. ترتيب إصلاح المنطق (تقديم وتعليق: محمَّد حسن بكائي، مجمع البحوث الإسلاميَّة، إيران، ١٩٩١).

الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين (ت٤٣٦هـ).

٢٢. الانتصار (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٥هـ).

ابن شهرآشوب، مشير الدين محمَّد بن عليّ (ت٥٨٨هـ).

٢٣. مناقب آل أبي طالب (تصحيح: لجنة من أساتذة الحوزة، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦).

الشيرازيّ، عليّ خان المدنيّ (ت١١٢٠هـ).

٢٤. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة (مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٧هـ).

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ).

٢٥. الاعتقادات في دين الإماميَّة (تحقيق: عصام السيِّد، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣).

٢٦. الآمالي (مؤسَّسة البعثة، قم المشرَّفة، ١٤١٧هـ).

الصنعانيّ، أبو بكر عبد الرزَّاق بن همام (ت٢١١هـ).

٢٧. المصنَّف (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلميّ، د.ن، د.ت).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ).

٢٨. المعجم (دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت).

الطبرسيّ، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ).

٢٩. المؤتلف من المختلف بين أئمَّة السَّلف (تحيقيق: مهدي رجائي، مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٤١٠هـ).

٣٠. تفسير جوامع الجامع (مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم المقدَّسة، ١٤١٨هـ).

الطبريّ (الشيعيّ)، محمَّد بن جرير (القرن الرابع الهجريّ).

٣١. دلائل الإمامة (مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ).

الطبريّ، محمَّد ابن أبي القاسم (ت٥٢٥هـ).

٣٢. بشارة المصطفى (تحقيق: جواد القيُّوميّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٠هـ).

الطريحيّ، فخر الدين النجفيّ (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م).

٣٣. مجمع البحرين (تحقيق: أحمد الحسينيّ، ط٢، مكتبة مرتضوي، طهران، ١٣٦٢ش).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت٤٦٠هـ).

٣٤. الآمالي (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة في مؤسَّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ).

٣٥. تهذيب الأحكام (تحقيق وتعليق: السيِّد حسين الموسويّ الخرسان، ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، د.ت).

٣٦. مصباح المتهجِّد (مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١).

العجلونيّ، إسماعيل بن محمَّد (ت١١٦٢هـ).

٣٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على السنَّة (ط٣، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨).

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن أبن هبة الله (ت٥٧١هـ).

٣٨. تاريخ مدينة دمشق (تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ).

ابن عقدة الكوفيّ، محمَّد بن أحمد بن سعيد (ت٣٣٣هـ).

٣٩. فضائل أمير المؤمنين (تحقيق: عبدالرزاق محمَّد، د.ن، د.ت).

العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٤٠. عمدة القاري في شرح البخاريّ (دار إحياء التراث، بيروت، د.ت).

الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد بن فتَّال (ت٥٠٨هـ).

٤١. روضة الواعظين (تحقيق: محمَّد مهدي، منشورات الشريف الرضيّ، قم، د.ت).

الفتني، محمَّد بن طاهر (ت٩٨٦هـ).

٤٢. تذكرة الموضوعات (د.ن، د.ت).

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ).

٤٣. كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزوميّ، إبراهيم السامرائيّ، طبعة مزيدة، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ).

القاضي النعمان، محمَّد بن منصور المغربيّ (ت٣٦٣هـ).

٤٤. دعائم الإسلام (تحقيق: آصف بن عليّ أصغر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت).

أبو القاسم الكوفيّ، عليّ بن أحمد (ت٣٥٢هـ).

٤٥. الاستغاثة (د.ن، د.ت).

القمِّيّ، عليّ بن بابويه (ت٣٢٩هـ).

٤٦. فقه الرضا عليه السلام (تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٦هـ).

ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ).

٤٧. الطب النبويّ (تقديم: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت).

ابن كرامة، المحسن (ت٤٩٤هـ).

٤٨. تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيِّين (تحقيق: تحسين آل شبيب، دار الغدير، قم، ٢٠٠٠).

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٨هـ).

٤٩. الكافي (تصحيح وتعليق: عليّ أكبر غفاريّ، ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، د.ت).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ).

٥٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار (تحقيق: عبد الرحيم الربَّانيّ الشيرازيّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٤هـ).

مسلم النيسابوريّ، مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ (ت٢٦١هـ).

٥١. الجامع الصحيح (صحيح مسلم) (دار الفكر، بيروت، د.ت).

المقريزيّ، تقي الدين أحمد بن عليّ (ت٨٤٥هـ).

٥٢. إمتاع الأسماع (تحقيق: محمَّد عبد الحميد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٩).

الواقديّ، محمَّد بن عمر (ت٢٠٧هـ).

٥٣. المغازي (تحقيق: مارسدن جونس، دانش إسلامي، د.ن، ١٤٠٥هـ).

اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).

٥٤. تاريخ اليعقوبيّ (دار صادر، بيروت، د.ت).

المراجع الحديثة:

التبريزيّ، محمَّد عليّ (ت١٣١٠هـ).

٥٥. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام (تحقيق: هاشم الميلانيّ، مؤسَّسة الهادي، قم، ١٤١٨هـ).

حسن آل عصفور (ت١٢١٦هـ).

٥٦. عيون الحقائق في تتمَّة الحدائق الناظرة (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٠هـ).

الطبريّ، ميرزا.

٥٧. مستدرك الوسائل (مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٩٨٨هـ).

القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ).

٥٨. ينابيع المودَّة (مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، د.ت).

الكورانيّ، عليّ.

٥٩. معجم أحاديث الإمام المهدي (مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم، ١٤١١هـ).

الكورجيّ، محمَّد باقر.

٦٠. الخصائص الفاطميَّة (ترجمة: سيِّد عليّ جمال، إشراف: مكتبة الشريف الرضيّ، قم، د.ت).

الميانجيّ، الأحمدي.

٦١. مكاتيب الرسولﷺ (مصحَّحة ومنقَّحة ومزيدة، دار الحديث، د.ن، ١٩٩٨).

فهرس المحتويات

محورُ الدِّراساتِ التاريخيَّة والسياسيَّة/ ١ ٥

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام رؤية شاميَّة دراسة تحليليَّة لمرويَّات الطبرانيّ الشاميّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م) في المعجَمَين الكبير والأوسط ٧

أ.د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشميّ

جامعة البصرة/ كليَّة الآداب

إحياء الأيَّام الفاطميَّة في إيران خلال العصر القاجاريّ ٦١

م.د. وسن عبد العظيم فاهم الإيداميّ

جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام برؤية المدرسة الإيطاليَّة المستشرقة فاجليري اختيارًا ٩٧

م.د. نزار ناجي محمَّد

مديريَّة تربية محافظة البصرة

فدك في كتب المسيحيِّين؛ سليمان كتَّاني أنموذجًا ١٤٧

أ.د. زينب فاضل مرجان

جامعة بابل/ كليَّة التربيَّة للعلوم الإنسانيَّة

مظلوميَّةُ الزَّهراء عليها السلام في كتاباتِ المُستَشرِقين بينَ الجَهْل والتعمُّدِ كتابُ (فاطمةُ وبناتُ محمَّد) أنموذَجًا ١٨٣

أ.د. كاظم عبد فريح المولى

جامعة ميسان/ كليَّة التربية الأساسيَّة

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في التراث الإسلاميّ قدوة المرأة المؤمنة في كلِّ عصر ٢١٣

أ.د. وجدان فريق عناد

جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلميّ العربيّ

سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قراءة تحليليَّة نقديَّة في كتاب موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة ٢٢٩

أ.د. فضيلة عبُّوسي محسن العامريّ

جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه

مرويَّات السيِّدة عائشة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ٢٦١

د. ميثاق كاظم الخفاجيّ

الزَّهراء عليها السلام.. القدوة لشخصيَّة المرأة في أدوارها المتعدِّدة ٢٨٥

م.د. حنين عبَّاس سالم

جامعة البصرة/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

الردُّ على هنري لامنس بكتابه فاطمة وبنات محمَّد مِن قِبَل المستشرقين ٣١٧

أ.م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميميّ

جامعة بغداد/ كليَّة الآداب

السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الرؤية الشاميَّة الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) وكتابه المعجم الكبير أنموذجًا ٣٤٥

د. حيدر عبد الرزَّاق جعفر العليّ

المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة البصرة

كتاب مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام للتويسركانيّ دراسة تحليليَّة نقديَّة ٣٧٩

أ.م.د. مصطفى سالم حازم الكناني

جامعة البصرة/ كليَّة الآداب